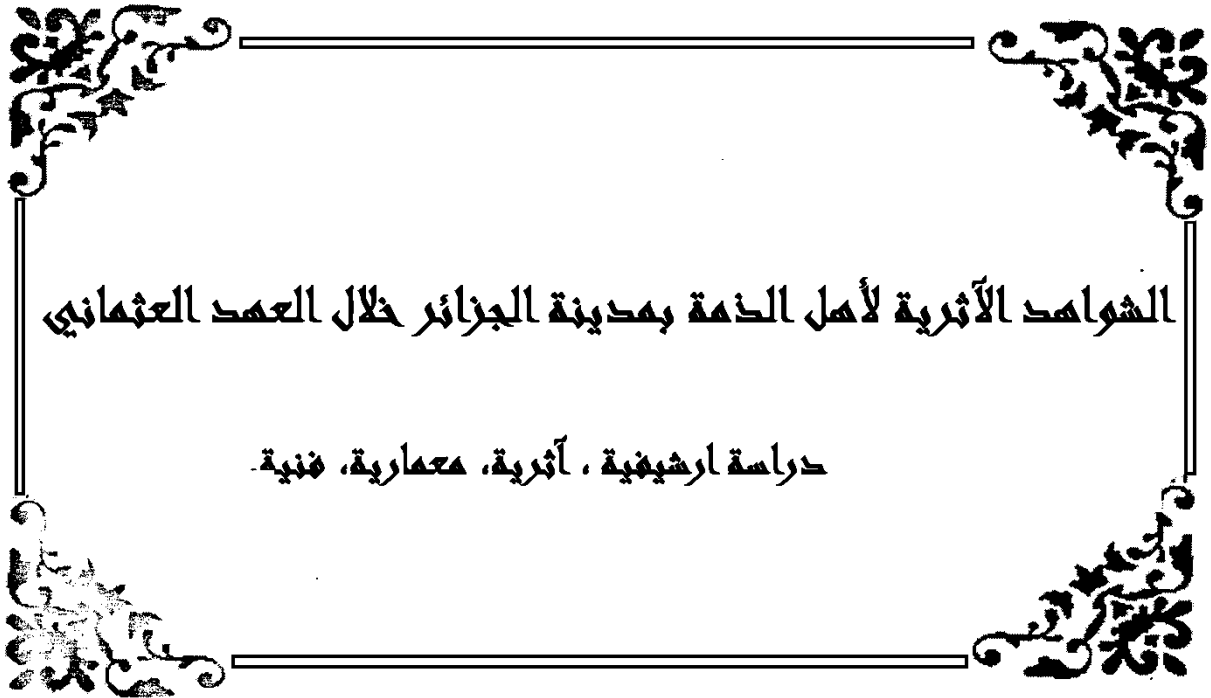


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وزارة التعليم
العالي والبحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر 2

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية



إشراف الأستاذة الدكتورة:

زكية راجعي

إعداد الطالبة:

ريمة عبادوي.

السنة الجامعية 2019 _ 2020.

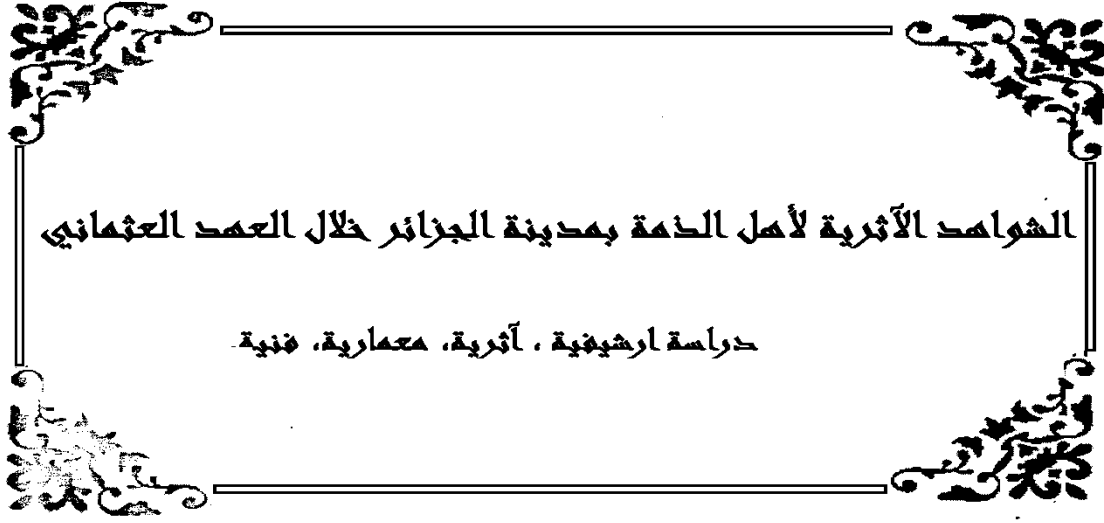
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر 2

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية



إشراف الأستاذة الدكتورة:

زكية راجعي

إعداد الطالبة:

ريمة عبد اوي.

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. عائشة حنفي..... رئيسا

أ.د. زكية راجعي..... مقرا

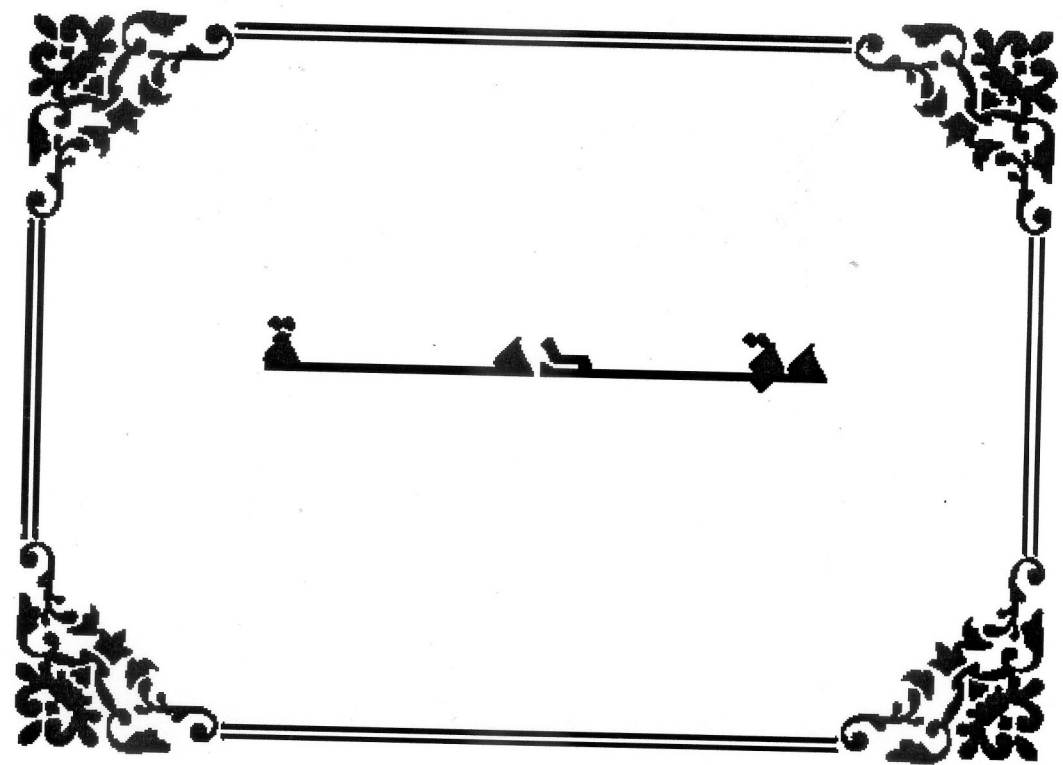
د. ذهبية محمودي..... عضوا

د. صفية ديبج..... عضوا

د. مطروح أم الخير..... عضوا

د. فريدة منصوري..... عضوا

السنة الجامعية 2019 / 2020



ارتبط التواجد اليهودي بالمغرب الاسلامي ارتباطا وثيقا بالأحداث السياسية فمنذ خراب الهيكل الأول والثاني، والهجرات تتدفق اليه، تضاعف عددهم بعد حملات التهجير التي قادها بطليموس الأول خلال القرن الثالث قبل الميلاد لما استولى على قورانية (برقة)، وبذلك تغلغلوا في كل من مصر ليبيا، تونس الجزائر، المغرب، مما مهدا لهم خلق جاليات يهودية، استمر توافدهم إليه بصورة غير منتظمة خلال العهود الرومانية والوندالية والبيزنطية.

برز دورهم خلال الفتوحات الإسلامية نظرا لتحكمهم بالتجارة وذلك عن طريق الإقامة بالمدن الداخلية الواقعة على الخطوط التجارية او بالمدن الجديدة سواء ان خطت او اعيد تخطيطها فقلعة بني حماد تضمنت لمحكمة يهودية تأسست سنة 398هـ/1007م تولى "سلمون بن فرماش" القضاء فيها ومدرسة تلمودية ترأسها "اسحاق بن يعقوب الفاسي".

لم يدم ازدهارهم طويلا فقد تراجعوا دينيا وثقافيا متأثرين بالأحداث السياسية التي عصفت بالمنطقة كزحف القبائل الهلالية ومن تم انصهروا مع العنصر المحلي فعرفوا بـ"التوشابيم" وهذا ما سمح لليهود الفارين من الاندلس بعد سقوطها سنة 1492م الملقبين "الميكورشيم" بالانفراد بالقيادة الدينية والدنيوية.

تم قيادت هذه الهجرات من طرف أحبار وكأنها سنة سنها بني إسرائيل على نفسه، واصدق نموذج الحبر "إسحاق بن شيشات بارفات"، و"سيمون بن سيماح دوران"، أصحاب الفضل في وضع اللبنة الأولى للتنظيم الطائفة اليهودية بالمغرب الاوسط عامة ومدينة الجزائر خاصة.

استمرت الهجرات اليهودية في التدفق ففي نهاية القرن 17م ومطلع القرن 18م، توافد إليها يهود أوروبا من وراء دوافع اقتصادية بحتة انسلوا من مختلف الأراضي الأوروبية كفرنسا وصقلية، والأراضي المنخفضة، والبرتغال، وحتى من المدن الإيطالية مثل : جنوه والبندقية، امتدا ذلك طيلة القرن 18م.

عرفوا يهود أوروبا بـ"يهود الفرنج"، وكان لليهود الوافدين من مدينة ليفورنه شأن يذكر ومن أبرزهم عائلة بكري وبوشناق، تبعا لانشغالهم بالتجارة الخارجية واحتكارهم لأرباب الصنائع المدرة للأموال فضلا عن تمتعهم بحماية القنصل الفرنسي، وعلاقتهم الطيبة مع الطبقة الحاكمة مما سمح لهم باستغلالها لما يخدم مصالحهم الخاصة، اذ تمكنوا وبجدارة من نزع مقاليد السلطة من "الميكورشيم" واداروا شؤون الطائفة بما تهوى أنفسهم. وعليه جاء موضوع البحث "الشواهد الأثرية لأهل الذمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني"

اسباب اختيارنا لهذا الموضوع يكمن في اهتمام كل من الرحالة الأجانب والدارسين فضلا عن الباحثين حديثا، فالعديد من الدراسات الحديثة انصببت في دراسة هذه الطائفة اليهودية من الجانب الديني والاجتماعي بالإضافة للاقتصادي والسياسي. نقر باتسام هذه الدراسات بالشمولية والعمق، إلا أنها تجاهلت الجانب العمراني فالجدير بالذكر أن الطائفة اليهودية ساهمت إلى حد بعيد في تشكيل نسيج عمراني معقد، نموها الديموغرافي ينعكس على المدينة تتسق لنا أحياء يهودية، والاختلاف داخل الطائفة يخلق لنا تباين في الاحياء والمنشآت الدينية كالمعابد والمقابر. وبالاحتكاره لأرباب الصنائع يبرز نفوذه الاقتصادي فيخلق لنا أسواق يهودية خالصة، وقد تظهر لنا حرف تنتشر على حساب صنائع، فمن المسلم به قيام علاقة وطيدة بين المرء وانتاجه الحضاري ومن تم تبرز شخصية المشيد واتجاهاته، وهنا تكمن اهدافي ومن هذا المنطلق ارتأيت تناول بحث يهتم بدراسة تلك المنشآت بعد حصرها في الطائفة اليهودية، اذ تحز في أنفسنا عدة تساؤلات أهمها ما يلي:

- طبيعة العلاقة التي تربط الحكام بأفراد الطائفة، هل تفوقوا على أنفسهم أم انفتحوا على الخارج، وهل ذلك خص جل الطوائف أم انفردت طائفة على حساب أخرى، وان سلمنا بالانغلاق على الداخل فهل هذا يعني اتخاذ أحياء مغلقة خاصة ذات صبغة يهودية، أين تكمن وما هي مميزاته؟

- وهل حرية التنقل وامتلاك العقارات تعني حرية التشييد والإبداع الفني؟
- هل ساهموا في إثراء الجانب المعماري والفني، ما هي اتجاهاتهم الفنية وأين تبرز

بصمتهم؟

■ هل تأثروا بالإرث المعماري والفني السائد بالبلد أم جلبوا معهم تقاليد فنية ومعمارية، ماهي العماائر التي شهدت اقبالا دون غيرها؟
وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت البحث الى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول.
فالمقدمة: تناولنا فيها إشكالية الموضوع وأهم أسباب التي دفعتني لإختياره وأهميته كما ذكرنا المنهج المتبع وأبرز المصادر والمراجع وحتى العقوبات التي واجهتنا في مسيرتنا.
أما الفصل التمهيدي حددنا فيه الإطار الجغرافي لمدينة الجزائر، والتاريخي انطلاقا من المحطة الفينيقية وجلبها للطائفة اليهودية ومصير الطائفة خلال العهد الروماني وصولا الى العصر الإسلامي وهنا تطرقنا إلى التحرشات والأزمات التي ألحقت بها آخرها سقوط الأندلس آخر معقل للمسلمين فرارها منها متجهة صوب المغرب الإسلامي مستنجدا بالأخوين عروج وخير الدين.

بعد ذلك تناولنا مراكز إقامتها بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ثم تناولنا علاقات أفرادها وبعد أن أفردنا فيها القينا نظرة عن المجتمع اليهودي خلال العهد العثماني.

يليه الفصل الأول المشتمل على قسمين القسم الاول

فالقسم الأول خصصناه للعقيدة اليهودية وشعائرها الدينية، ومن تم تطرقنا للمصادر التشريعية عند اليهود ثم اشرنا لطوائفها الدينية المتباينة ثم انتقلنا لشعائرها الدينية ألحقناها بالتقويم اليهودي والأعياد اليهودية

أما القسم الثاني يقوم على دراسة المنشآت الدينية، اشتمل على فرعين:

فالفرع الأول جعل لدراسة المعابد، تناولنا فيه تاريخ ظهور دور العبادة ثم تطورها وطرزها فضلا عن نماذجها، انتقلنا بعد ذلك لدراسة المعابد المدرجة دراسة تاريخية، وفق تسلسل كرونولوجي تطرقنا لذكر موقعها ثم تاريخ تشييدها، ومشيدها، وأوردنا جل الأقوال التي أشارت إليها فضلا عن تسميتها .

أما الفرع الثاني يتناول دراسة الاضرحة والمقابر، تاريخيا وتحديد موقعها ثم تاريخ تشييدها، ومشيدها، وادراج جل الأقوال التي أشارت إليها فضلا عن تسميتها .

قبل ختم الفصل قمنا بدراسة معمارية، تضمنت هذه الأخيرة دراسة وصفية لمخططات المعابد والأضرحة، مع التطرق لمرافقها المتمثلة في: الغرفة الجنائزية أرفقت بدراسة تحليلية.

يليه الفصل الثاني خصصناه لدراسة المنشآت المدنية، بداية تطرقنا إلى تاريخ ظهور المسكن وتطوره أهم طرزه، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى مساكن مدينة الجزائر داخل وخارج الأسوار، قمنا بإحصائها ووصفها وفقا لما أدلى به الرحالة، مع ذكر تلك التسميات التي أطلقت على مساكن الفحص من قبل الأهالي والأجانب ثم مصيرها بعد سقوط المدينة تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، والذي ساهم في تغيير الصورة الأصلية لها .

قمنا بعد ذلك بدراسة المساكن دراسة تاريخية وفق تسلسل كرونولوجي، تطرقنا لذكر موقعها ثم تاريخ تشييدها ومشيدها، مع الاستشهاد بالتصريحات التي أدلى بها بعض المؤلفين نظرا لغياب الكتابة التذكارية، ثم أوردنا جل الأقوال التي أشارت إليها.

وبعد أن فرغنا من الدراسة التاريخية انتقلنا للدراسة المعمارية، والمتمثلة في دراسة وصفية لمخططات المساكن مع التطرق لمرافقها المتمثلة في: السقيفة، الصحن، الأروقة. الغرف المطابخ، الحمام، المخزن، بيت الغسيل، فضلا عن العيون الجدارية والصهاريج، ألحقنا الدراسة الوصفية بدراسة تحليلية.

ثم الفصل الثالث القائم على الدراسة الوصفية التحليلية للعناصر المعمارية التي تقوم عليها كل من المنشآت سواء الدينية أم المدنية تتمثل هذه العناصر في كل من:

الوحدات المعمارية، وعناصر الانتقال والفتحات والتهوية، فضلا عن عناصر التغطية، وعناصر الرفع و الدعم.

فالوحدات المعمارية، تشتمل على كل من: الهيكل، بيماء، دوخان، السدة، الجنيزة، الأحواض، النافورات، أما عناصر الانتقال والفتحات والتهوية، تقوم على: المداخل، الأبواب، السلالم، الخزانات الجدارية، النوافذ و الشمسيات. وعناصر التغطية، تشتمل على: القباب، الأقبية، بالإضافة لوسائل الرفع و الدعم، المتضمنة لكل من: العقود، الأعمدة و القواعد والتيجان. تمت دراسة هذه العناصر دراسة تحليلية، اذ تطرقنا لأصل العنصر وتطوره، ألحنا هذه الدراسة بدراسة وصفية للعناصر في المبنى.

واخيرا الفصل الرابع المتناول للدراسة الفنية، ينقسم هذا الأخير إلى قسمين.

فالقسم الاول: يقوم على دراسة مواد الزخرفة التي تنوعت بين الرخام، المربعات الخزفية، الخشب الجص، المعادن.

اما القسم الثاني يتناول عناصر الزخرفة وانواعها حيث تقوم عليه الزخرفة، والمتمثلة في كل من: النباتية الهندسية، الكتابية، والمعمارية ثم الرمزية.

ختمنا الرسالة بخاتمة أدرجنا فيها جل النتائج المتحصل عليها من خلال هذه الدراسة.

اعتمدنا خلال دراستنا على جانبين متلاحمين فالجانب النظري المتجسد في جمع المادة العلمية التي تمس صلب الموضوع والتطبيقي المتمثل في الزيارة الميدانية للمنشآت.

فأما الجانب النظري، فقد اطلعنا على مجموعة لأبأس بها من المصادر سواء إن كانت باللغة العربية وعلى رأسها كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لعبد الواحد المراكشي(ت 647هـ / 1249م)، اذ يعد شاهد عيان للأحداث التي جرت خلال العصر الموحي والمقربين من البلاط ومن تم اشار الى تضيق الخناق على اليهود حين تطرق لموقف الامير ابي يوسف من اليهود في اخر ايامه.

وهذا لم يشف غليلنا لذا اقبلنا على كتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " للقلقشندي(ت 821هـ / 1418م) يتناول أنظمة الحكم، والإدارة، والسياسة، والاقتصاد،

والمكتبات، والولايات والعهود والعادات والتقاليد والملابس في الشرق العربي منذ الفترات الأولى في الإسلام ومن تم استفدنا منه في معرفة الأعياد اليهودية وطقوسها حين ذكر اعياد الامم ومواسمها الا أنه عزف عن ذكر دور العبادة.

لذا اعتمدنا على كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" للمقريزي (ت764هـ/1442م) وهو أبرز كتاب في تاريخ مصر وجغرافيتها وطبوغرافية عاصمتها في العصر الاسلامي منذ الفتح حتى القرن 9هـ/5م، فمن خلال وصف الكاتب للعمائر القائمة بمصر خلال تسعة قرون تطرق للحارات وهنا اشار للمعابد اليهودية، دون أضرحتنا.

ومن هنا اتجهنا لكتب الرحالة من ابرزهم "رحلة بنيامين التيطلي" لبنيامين التيطلي الذي زار العالم الاسلامي من 1165م الى 1173م فاقبل في وصفه وكتب عن احوال اليهود في كل مدينة مر بها ومن تم تطرق لقبر رحيل وضريح حزقيال شأنه في ذلك شان بتاحيا الراتسبوني في كتاب "رحلة بتاحيا الراتسبوني 57هـ-1175م/576هـ _1180م" حين تطرق للاماكن المقدسة في المشرق الاسلامي ومن تم وصف ضريح النبي حزقيال وذكر ما يمارس فيه من طقوس.

أما الأجنبية فتمثلت في كل من كتاب "Topographie et histoire d'Alger" للاسير هايدو 1578_1581م ، فعند وصفه لمدينة الجزائر وعمائرها تطرق للطائفة اليهودية قدر عددها واحيائها ثم اشار الى طوائفها وتباين معابدها وحريتها في اقامة الاحتفالات والصلوات به، مثلما صرح دوغرامون قرن 9هـ/15م في كتابه "Histoire d'Alger sous la domination turque"، الا انها لم تتوسع في الهجرات اليهودية صوب المدينة، ومن تم اعتمدنا على كتاب "Histoire du royaume d'Alger" للوجي دي تاسي. سمح لنا في معرفة مصير الطائفة اليهودية في ظل السلطة الإسلامية، وألقى الضوء على تلك الهجرات اليهودية المنصبة على مدينة الجزائر الثقافات للنسيج العمراني التي قامت عليه المدينة بالإضافة لإمكانية تقدير عدد الوافدين إليها.

على الرغم من اعتمادنا على جل هذه المصادر التي تعود للفترة العثمانية إلا أنها لم تكن وافية لذا أقبلنا على وثائق المحاكم الشرعية بشكل مكثف لنغطي ذلك النقص فحاولنا جاهدين إبراز مناطق التمرکز والانتشار، وأهم المنشآت التي حق لليهود امتلاكها سواء عن طريق شراء أو كراء، وأبرز المعاملات من اقتراض وبيع، ونوع المباني سواء ان كانت دور أو حوانيت، وأهم الصنائع وأربابها، وأبرز المعالم المتخذ للتحديد، وكان لنا ذلك فقد تمكنا من التعرف على المجتمع اليهودي خلال العهد العثماني عن كثب استنتقا لهذه الوثائق.

وفيما يتعلق بالمراجع الحديثة اعتمدنا على كم هائل من المراجع سواء باللغة العربية أو الأجنبية فالعربية نذكر منها: كتاب "الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه" لحسن ظاظا، تناول فيه الكاتب العقيدة اليهودية ومصادرها التشريعية وشعائرها الدينية بالإضافة لمذاهبها وطوائفها اعتمدنا على هذا الأخير بصورة مكثفة إلا انه لم يتطرق لهيكل سليمان والمعابد، ولسد الثغرة اقبلنا على كتاب آخر لنفس الكاتب تحت عنوان "أبحاث في الفكر اليهودي" حيث تطرق لهيكل سليمان وجل المراحل التي مرت عليه وصمت، ومن تم اقبلنا على كتاب "الجنيزا في المعابد اليهودية في مصر" لمحمد خليفة حسين والنبوي سراج، لمعرفة طرز المعابد وانواعها وكان لنا ذلك فالكاتب ذكر الطرز التي قامت عليها المعابد واختلافها باختلاف الطائفة التي تتبناها وبذلك ساهم الى حد بعيد في اعطاء صورة واضحة عن المعابد اليهودية وطرزها وانواعها إلا انه حصرها في مصر دون سواها لذا توجهنا صوب دراسة حديثة منشورة على شكل مقالة تحت عنوان "ملاحم من تاريخ اليهود بمدينة دبدوا الآثرية"، بن دحو محمد لاعطاء صورة واضحة على المعبد اليهودي في المغرب الاسلامي، وحين انتقلنا لدراسة الأضرحة اقبلنا على كتاب "المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في

ريف دمشق " لإبراهيم عميري وسوزان روبه، لغرض معرفة طرق الدفن والمدافن في العصور القديمة

وفيما يتعلق بالمراجع الأجنبية من أبرزها: كتاب **"Les juifs dans L'Afrique septentrionale"** لكاهن اذ تناول دراسة الطائفة اليهودية من الجانب التاريخي والديني اذ ذكر أبرز حاخاماتها وأبرز دورهم في خلق وتنظيم شؤون الطائفة ومن ثم أشار إلى تنظيمها الداخلي وهذا ما أقدم عليه حانون في كتابه **"Aperçu sur les israélites Algériens et sur la communauté d'Alger"** القيمة والإيضاحات إلا أن الكاتبين غفلا عن ذكر الأعياد سواء الدينية أو غير الدينية للطائفة اليهودية بالمغرب الإسلامي وشعائرها على رأسها الهيلولة فضلا عن عاداتهم وتقاليدهم في المآكل والملبس والزواج وهذا ما ذهب إليه الباحث شوراقي في كتابه **"Marche vers l'occident les juifs d'Afrique du nord"** أشار الباحث من خلال دراسته إلى الرسوبونسة إلا أنه لم يعطيها حقها وهذا ما قادنا إلى كتاب **"Les juifs en Algérie et en Tunisie a l'époque turque"** لا يختلف عن الكتب السالف ذكرها إلا أنه تم إهمال دور العبادة وأصالتها، رغم أنه تطرق للحياة الدينية والسياسية وحتى الاقتصادية للطائفة اليهودية، ومن ثم ارتأينا الاعتماد على كتاب **"Essai sur l'histoire des israélites de Tunisie"** لكاسز اذ قام بدراسة الطائفة اليهودية في تونس وأشار إلى أصالة معبد الليف اذ أدرج تصميمه ضمن الدراسة وهذا مادفعنا لاعتماد على كتاب **"La ville d'Alger vers la fin du xviii^e siècle"** يعد من أهم الكتب تناول فيه شوفال الباحث دراسة مدينة الجزائر عمارة وعمران ومن ثم أتى على ذكر الطائفة اليهودية ومراكز إقامتها وأشار إلى معابدها حيث وضع خريطة وزع فيها المساجد والمعابد فضلا عن خريطة أخرى حدد فيها أبرز الأحياء اليهودية خلال القرن 18م.

ولم نكتف بهذه المراجع السالفة الذكر اذ إقبالنا على بعض الدراسات الحديثة المنشورة على شكل مقالات من أهمها: **"Les juifs d'Alger sous la domination"** ،

Turque لماينز، افادنا في معرفة الوضع الاجتماعي والديني للطائفة اليهودية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني الا انه لم يشر الى دور العبادة ولا الطقوس. ومن تم تناولنا مقال اخر تحت عنوان: «**Les synagogue dans l'Algérie coloniale du xIx siècle**» لأسان، ساهمت لحد بعيد في تحديد عدد المعابد في مدينة الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ومصيرها وجل التغيرات التي الحقت بها. وفيما يتعلق بالجانب التطبيقي فقد اهتمنا إلى زيارات ميدانية للأخذ المقاسات، والتقاط صور توضيحية، للمنشآت التي لا تزال قائمة، واقتصرت هذه الزيارات على المنشآت الدينية، والمدنية.

فأما الدينية فقد زرنا كل من: معبد الكبير المعروف حاليا بجامع بن فارس، و ضريح ريباخ ورشباخ والغرفة الجنائزية الملحقة به بالمقبرة اليهودية بسانت أوجين بولوغين حاليا، أما المدنية فقد زرنا: دار بكري المعروفة بدار خداج العمياء.

قامت دراستنا لهذه المنشآت على عدة جوانب، فقد أقدمنا على الدراسة التاريخية والمعمارية، لما تطرقنا إلى النظام التخطيطي الذي تقوم عليه، والعناصر المعمارية التي تشتمل عليها.

دعنا هذه الدراسة بدراسة تحليلية حيث سعينا لإبراز أنماط الطرز التي خُطت وفقها المعابد والأضرحة والمساكن، وأصول كل من المرافق التي يقوم عليها المسكن، والعناصر المعمارية التي أقبل عليها في المنشآت الدينية والمدنية، اهتمنا بعد ذلك للمقارنة بين المنشآت المنتشرة بالمدينة وبالفحص، وتلك القائمة وفق للطراز المحلي والوافد، كما تعرضنا للتطور التاريخي لكل من هذه المنشآت سواء الدينية أو المدنية .

ومن جملة الصعوبات التي واجهتنا صعوبة استنساخ وثائق المحكم الشرعية بالأرشيف الوطني تبعا للحالة السيئة التي الت إليها أو ضياعها، ومن تم لم نوفق في تحصيلها جلها على غرار البعض منها، لذا اكتفينا بأخذ بعض الإقتباسات.

الفصل التمهيدي

1. التطور التاريخي لمدينة الجزائر منذ النشأة إلى غاية
إلحاقها بالدولة العثمانية وتوافد الطائفة اليهودية إليها
2. النسيج العمراني بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني مراكز
إقامة الطائفة اليهودية.
3. علاج الطائفة اليهودية.
4. نظرة عامة عن المجتمع اليهودي بمدينة الجزائر خلال
العهد العثماني.

1. التطور التاريخي لمدينة الجزائر منذ النشأة إلى غاية إلحاقها بالدولة العثمانية وتوافد الطائفة اليهودية إليها:

1.1. الإطار الجغرافي:

تقع مدينة الجزائر على خط 36، 46° شمالا، وخط طول 3، 3° شرق غرب خط غرينتش، وهي بذلك تقع في منطقة معتدلة على نحر البحر.⁽¹⁾

تحتل المدينة النهاية الشرقية لجبل بوزريعة الذي تستند عليه،⁽²⁾ يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق وادي الحراش، ومن الغرب وادي الزعفران، ومن تم يمتد الإقليم بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب.⁽³⁾

2.1. الإطار التاريخي:

تضاربت الآراء في تحديد أصل نشأة مدينة الجزائر، ومن جملة تلك التي نسبت عملية التشييد إلى السكان القدماء لشمال إفريقيا.⁽⁴⁾

على غرار نظيرتها التي صرحت بأنها مدينة يونانية أو التي رجحت بأنها فينيقية،⁽⁵⁾ واستند كل رأي على حقائق تاريخية تباينت مصادرها، لكن هذا لا يمنع الطعن فيها لكونها لا تستند على شواهد مادية، كما يجدر الإشارة إلى أن أقدم الآثار التي وجدت بالمنطقة تعود إلى الفترة الفينيقية.*

(1) عبد القادر حليمي، نشأة مدينة الجزائر وتطورها قبل 1830م، الطبعة الأولى، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م، ص33.

(2) نفسه، ص41.

(3) نفسه، ص1.

(4) Venture de paradis, « Alger au xvllle siècle », 1er article :In R.A1875,vol39, p266.

(5) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 137، 141.

* تتمثل هذه المكتشفات الأثرية في: نقود، ضريح، بئر، أنظر: نفسه، ص183.

1.2.1. العصر الفينيقي وتوافد اليهود:

أطلق عليها اسم (Ikosim) وفقا لتلك الأدلة التي تم العثور عليها في نوفمبر 1940م، والمتمثلة في جرة من النقود نقشت عليها كتابة باللغة البونيقية من اليمين إلى اليسار، تمكن الأستاذ كانتينو نقلا عن الاستاذ حليمي من قراءتها اذ يذكر بأن الكلمة يجب أن تقرأ (Ikosim) بالرغم من أنها تحمل خمسة حروف فقط، وهي عبارة عن كلمة مركبة من كلمتين: (I) تعني الجزيرة، (Kosim) تعني الشوك أو الطيور غير الطاهرة.⁽¹⁾

تشير هذه الاكتشافات الأثرية إلى أن المدينة لم تشهد توسعا خلال هذه الفترة، إذ أنها لا تتعدى حي باب الجزيرة حاليا، ولربما كان شارع القصر القديم إمتدادا لها من الناحية الجنوبية، الملفت للانتباه أن هذا التخطيط يتناسب مع تخطيط المدن الفينيقية التي كانت تتمركز في الساحل، ومن المحتمل إحاطتها بسور*،⁽²⁾ فحينئذ السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان إلى متى يعود التواجد الفينيقي بها؟ وفقا للكتابات التي نقشت على النقود فإننا نرجح بأن استقرار الفينيقيون بالمدينة، كان قبل القرن الثاني للميلاد بمعنى قبل تشكل الممالك النوميديّة.⁽³⁾

ومن ثم فإن المدينة لم تشيد من قبل السكان القدماء بل من قبل الفينيقيين، إذ كانوا يأوون إلى مينائها لرسم سفنهم التجارية مع الاستراحة والتزود بالمياه العذبة، بالإضافة إلى ترويج بضائعهم عن طريق تبادل السلع مع سكان الأهالي، ومن ثم تحولت إلى محطة تجارية فينيقية.⁽⁴⁾

(1) L.Leschi, « Les origines d'Alger », conférence faite le 16 juin 1941, dans: feuillets d'eldjazair comité de vieil Alger, d'imprimerie de presse algérie, pp7,8.

* وهذا ما نلاحظه في كل المدن الفينيقية سواء صغيرة أو كبيرة، فقد كان يحيطها سور ويتسق ذلك جليا من النقوش التي زينت بها

البوابات البرونزية المقامة من طرف الملك الأشوري "شلمنصر الثالث" (957م - 824م)، في بلوات بالقرب من نمرود بالعراق، مسجلا حملاته المختلفة.

ويمثل النقش وفدا من مدينة صور، يعبرون البحر من جزيرتهم إلى الساحل، ليقدموا الجزية إلى الملك الأشوري، وما يلفتنا للنقش بصفة خاصة تصويره للجزيرة على شكل قلعة محاطة بسور منيع وقلاع واضحة تمام الوضوح، انظر: محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981م، ص99.

(2) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص187.

(3) L.Leschi, « Les origines... », Conférence faite le 16 juin 1941, p8.

(4) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص157.

فضلا عن ذلك فقد ساهموا في توافد اليهود الذين استوطنوا بتلك المراكز التجارية،⁽¹⁾ لمزولة نشاطهم التجاري تبعا لعدم درايتهم بصناعة السفن ارتادوا السفن الفينيقية،⁽²⁾ إذ كانت تجمع بينهما صلات العرق واللغة والعادات والتقاليد،⁽³⁾ فاللغة العبرية والفينيقية تنبع من نفس المنبع، والمتمثل في اللغة الكنعانية مستشهدا بوجود تشابه كبير بين اللغتين وفقا لما ذهب اليه الاستاذ كانتينو نقلا عن الاستاذ عزوز⁽⁴⁾ جاءت موجة التهجير هذه كرد فعل، لما ألحق بالهيكل من هدم وخراب سنة 586 ق م*،⁽⁵⁾ دلت الدراسات ان اليهود اقبلوا على الشمال الإفريقي منذ مطلع القرن الثالث ق.م، خلال فترة بطليموس الأول الذي قام بحملات تهجير مكثفة لليهود بعد استيلائه على قورانية (برقة)، كشفت الحفريات التي اجريت بمقابر هذه المدينة على مجموعة من النقوش وشواهد القبور تعود لأفراد من جاليات يهودية، ومنها ما تنسب إلى أشخاص ولدوا في أواخر القرن الثاني ق م، وهذا ما يدل على أن المدينة شهدت استيطاننا لعدد لا بأس به من المهاجرين، مارسوا شعائهم الدينية بكل حرية،⁽⁶⁾ ومن تم أصبحت المدينة قبلة لكل اليهود الفارين من جبروت السلطة الحاكمة التي تفننت في تضيق الخناق عليهم،⁽⁷⁾ شأنها شأن جل المدن الساحلية كمدينة عنابة ووهران وتيبازة وشرشال إذ يحتفظ متحف وهران وشرشال على شاهد أثري يدل على التواجد اليهودي بها تجلى هذا الأخير في مصباح المينورة. (صورة رقم 1)⁽⁸⁾

(1) A. Chouraqui, Marche vers l'occident les juifs d'Afrique du nord, Presses universitaires de France, Paris, 1962, p13.

(2) إبراهيم مالمات، العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة، ترجمة رشاد عبد الله شامي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2001م، ص ص 204، 216، للمزيد أنظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م، ص 94.

(3) عطا علي محمد شحاته ريه، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطسيين، الطبعة الأولى، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999م، ص 24.

(4) فاطمة الزهراء عزوز، "مظاهر الفكر الأدبي العبراني دراسة في أصول لغة العبرانيين ومخلفاتهم الأدبية من خلال كتب العهد القديم ق 10 ق م - ق 01 ق م"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد التاسع عشر، الجزائر، 2015م، ص 12.

* هناك تضارب في التواريخ فهناك من يرجح أن الخراب وقع سنة 588 ق م، بينما يزعم البعض أنه يعود إلى سنة 586 ق م، كما سيتضح لنا ذلك لاحقا عند تطرقنا لهيكل النبي سليمان عليه السلام.

(5) عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي (22-426هـ/1070-1070م)، الطبعة الأولى، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001م، ص 53.

(6) نفسه، ص 25.

(7) Ab.Cahen, Les juifs dans L'Afrique septentrionale, Constantine, 1867, p8.

(8) Y. Le Bohec, «Inscriptions juives et judaïsantes de L'Afrique Romaine», In: Antiquités Africaines, N17, 1981, pp201,205.

ولإشارة أن مدينة شرشال ضمت أكبر طائفة من اليهود في عهد يوبا II الذي سمح لهم بممارسة نشاطهم التجاري والحرفي وكذلك شعائهم الدينية بكل حرية، ومن تم أقاموا معبدهم الكبير بها Archisynagogus عين على رأسه حاخام ذو شأن عظيم.⁽¹⁾

شانها شان مدينة تيبازة اذ احتوت طائفة من اليهود مارسوا شعائهم الدينية في معبد خاص بهم حول بعد ذلك الى كنيسة من قبل المسيحيين.

وعلى ما يبدو أن الزحف اليهودي لم يتوقف على المدن الساحلية فقط بل امتدا إلى المدن الداخلية حيث عثر بمدينة رويحة قرب مدينة تيارت وبمنطقة موريطانيا القيصرية على عمود مزخرف بمينورة بجذوع سبعة وكذلك بمدينة تبسة، وانفردت مدينة سطيف بامتلاكها لـ"مينورة من سبعة فروع" وجدت بخربة المهري جنوب غرب المدينة، ومن تم لا نستبعد وجود مجتمع يهودي بها. (خريطة رقم 1)⁽²⁾

1.2.2. العصر الروماني ومصير الطائفة اليهودية:

بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق م، أمست المدينة تحت حكم نوميدي من صنيعة الرومان ألا وهو يوبا II ثم ابنه بطليموس منذ سنة 25 ق م إلى غاية سنة 40 م، بعد ذلك نزعت منه مقاليد الحكم لتنتقل إلى السلطة الرومانية.⁽³⁾

منح الإمبراطور الروماني Vaspasien المدينة حق الأحياء اللاتينية سنة 69م-79م، واطلق عليها لقب Icosium،⁽⁴⁾ تزامن ذلك مع تخريب الهيكل وهدمه على الأخر سنة 70م، ومن تم استمر تدفق تيار الهجرة من أورشليم⁽⁵⁾ تلتها هجرات أخرى متتالية فالجدير بالذكر بأن التواجد اليهودي ارتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث السياسية وتمركز تبعا للأهداف الاقتصادية*.

(1) عبد الحميد بن أشنهو، المالك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباترة سيليني، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص41.

(2) Y. Le Bohec, «Inscriptions», In: Antiquités Africaines, N°17, 1981, pp 201,205.

(3) Encyclopédie berbère IV, « Alger », edisud, France, 1987, p 453.

(4) L.Leschi, « Les origines... », Conférence faite le 16 juin 1941 pp8,9

(5) عطا علي شحاته ريه، المرجع السابق، ص 26.

* يجدر الإشارة بأن عملية تخريب الهيكل سواء الأولى أو الثانية، فإنها نتاج انتفاضة أو تمرد أعلنه اليهود على السلطة، ومن تم يتم تدمير الهيكل وتخريب أورشليم، فضلا عن تقتيلهم ونفيهم إلى مختلف الأقطار، وهذا لتشتيتهم ونخر قواهم، ومن هنا يقصدون المراكز التجارية (شمال إفريقيا)، أو يتوغلون في الصحراء ويتوارون عن الأنظار، وينحلون مع الأهالي.

آخر هذه الثورات ثورة سنة 115م- 117 م، التي لم يفلح الإمبراطور تراجان من قمعها حيث امتدت إلى عهد هادريان الذي نكل بهم شر تنكيل، ومن هنا خمدت نار فتنتهم وعزموا على العزلة والتألف فيما بينهم مع التمسك بدينهم دون الحاجة إلى الهيكل، أنظر: نفسه، ص 26، 28.

وقد تمتع اليهود بحرية ممارسة شعائرهم الدينية في ظل الحكم الروماني، فقد عدا شمال إفريقيا مهذا لكل الديانات السماوية سواء المسيحية أو اليهودية.⁽¹⁾

وفيما يتعلق بالأحداث التاريخية التي مرت بها المدينة خلال هذه الفترة، نجد أن المصادر التاريخية قد أغفلتها إلى حد كبير، إذ تكتف بذكر تلك الثورة التي قام بها أحد الثوار من الأهالي يدعى فيرموس حيث ثار على الرومان، واستولى على المدينة سنة 372م إلا أنه انجلى عنها في العام التالي.⁽²⁾ دلت الاكتشافات الأثرية أن المدينة عرفت توسعا على محور الأفقي أكثر من المحور العمودي، بمعنى أن الامتداد العمراني للمدينة كان من الغرب إلى الشرق، أكثر من الشمال إلى الجنوب (خريطة رقم 2).⁽³⁾

فمن المحتمل أن الامتداد كان خارج أسوار المدينة أو الضواحي* ⁽⁴⁾ مما يوحي بنمو ديمغرافي للمدينة، ولید تلك الهجرات اليهودية المتداولة عليها في فترات متباعدة بالإضافة للرومان فإننا لا نستبعد استقطابها لهم، تبعا لثقافتها لمرتبة الأحياء اللاتينية، كما لا يمكننا أن نتجاهل السكان الأهالي الذين كانت تربطهم علاقة تجارية مع الفينيقيين كما سبق ذكره آنفا، ومن هنا اتسعت المدينة وامتدت، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا اتخذت هذه الأخيرة اتساعا من الغرب إلى الشرق أكثر من الشمال إلى الجنوب؟

واننا لنفترض بأن العامل الأساسي في هذا يعود إلى تمركز الكم الهائل من اليهود في هذه المنطقة دون سواها، بغرض التحكم في الطرق التجارية وهذا ما سنلاحظه خلال دراستنا لتمرکزهم في المدينة خلال الفترة العثمانية.

وفيما يتعلق بالامتداد خارج الأسوار، فإننا لنرجح بأن الرومان قد استوطنوها ونستدل، بتلك اللقى الأثرية والمتمثلة في رأس تمثال للإمبراطور هادريان المصنوع من المرمر.

(1) A. Chouraqui, Marche vers l'occident....., p23.

(2) L.Leschi, « Les origines... », Conférence faite le 16 juin 1941, p9.

(3) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 187.

* تم العثور على رأس تمثال للإمبراطور هادريان من المرمر ببلكور سنة 1900م، بالإضافة إلى مجموعة من نقود برونزية نقش عليها صورة هذا الإمبراطور وجدت بالسيدة الإفريقية، أنظر:

L.Leschi, « Les origines... », Conférence faite le 16 juin 1941, p9.

Ibid, p9. (4)

فإن عدنا بالأحداث التاريخية إلى الوراء لوجدنا بأن هذا الأخير العدو للدود لليهود، كما سبق الإشارة إليه سابقا وبالتالي كيف لهم أن يمجده؟.

وما يدعم فرضيتنا تلك الدراسة التي قام بها "الأستاذ بشاري" حيث أفضت بأن الطبقة الارستقراطية من الرومان، والأثرياء قد تنافسوا في امتلاك الضواحي الشاسعة بالمقاطعات الإفريقية، شغلت هذه الأراضي إما في الزراعة النقدية المربحة كالكروم والزيتون وتربية المواشي وغيرها، أو القمح وذلك لتمويل روما، إلا أننا لا نستبعد استغلالها لغرض المتعة والتنزه وفقا لتلك العادة التي ابتدعتها النبلاء والارستقراطيون والمنتشرة بروما، حيث حولت العديد من الأراضي الشاسعة إلى حدائق زاخرة بمختلف أنواع النباتات، فضلا عن الحيوانات المجلوبة من مختلف الأقطار والأمصار، بغرض المتعة والتعبير عن حياة البذخ.

(1)

تغلغلت خلال هذه الفترة الديانة المسيحية ذات المذهب الكاثوليكي في كيان مدينة الجزائر، فألحقت بها كنيسة بقيت معالمها إلى غاية القرن 5هـ/11م أتى على ذكرها البكري.⁽²⁾ حين وصف المدينة قائلا: "... وهي مدينة جليلة قديمة البنيان، فيها آثار للأول وازاج محكمة، تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم، وصحن دار الملعب فيها، قد فرش بحجارة ملونة صغيرة مثل الفسيفساء فيها، صور للحيوان بأحكام عمل وأبداع صناعة، لم يغيرها قدم الزمان، ولا تعاقب القرون و.... وكانت بمدينة مزغنة كنيسة عظيمة، بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب، وهو اليوم قبلة الشريعة للعديد، مفصص كثير النقوش والصور".⁽³⁾

من أبرز الأساقفة كريسانس الذي شارك في المجمع المسيحي المنعقد في قرطاجنة سنة 411م،⁽⁴⁾ والأسقف هيكتور الذي شارك في المجمع المنعقد بقرطاجنة سنة 484م، بأمر من الملك الوندالي هنريك.⁽⁵⁾

(1) محمد الحبيب بشاري، "التوسعات الرومانية..."، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الرابع عشر، الجزائر، 2012 م، ص ص، 16، 23.

(2) L.Leschi, « Les origines... », Conférence faite le 16 juin 1941, p9.

(3) أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص 66.

(4) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 187.

(5) رايح بونار، مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية، ضمن تاريخ المدن الثلاث، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2000م، ص 217.

تجدر الإشارة إلى أن حركة اليهود كانت نشيطة لذا تضاربت مصالحها مع الكنيسة المسيحية فمن تم أعلن العداء عليها على حد تعبير المؤرخ ترتوليان في كتابه **Apologétique** المندد بكراهية اليهود، الذي يعود إلى نهاية القرن 2م ومطلع القرن 3م.

فعلى ما يبدو أن الصراع إستمر لمدة طويلة ففي نهاية القرن 4م، قام القديس أغسطين_رئيس أسقفية هييون_ بتأليف عدة كتب تدافع عن الديانة المسيحية وتطعن في الديانة اليهودية وتدعو إلى مقاطعة اليهود،⁽¹⁾ وعلى الرغم من الرفض المستمر إلا أن حرية ممارسة الشعائر وإحياء الأعياد الدينية ظل قائما.⁽²⁾

وعند مطلع القرن الخامس تمكن الوندال من اجتياح شمال إفريقيا، وكان هذا سنة 429م بقيادة ملكهم **جنسريق**،⁽³⁾ تمتع اليهود في عهدهم بسلام نسبي إلا أن هذا لم يوقف تيار الهجرة.⁽⁴⁾ سعى الوندال لنشر الفساد بالبلاد مما دفع بالبيزنطيين الشرقيين العزم على استرجاعها، وبسط نفوذهم فيها، وكان لهم ذلك عند مطلع القرن السادس في سنة 534م، ودام حكمهم إلى غاية منتصف القرن السابع إلى أن فتحها المسلمون.⁽⁵⁾

لم يجد اليهود ترحيبا من قبل السلطة الجديدة التي سعت إلى نشر المسيحية على حساب اليهودية، وأجبرتهم على اعتناقها كرها في عهد **جوستيان** تم تحويل الصوامع إلى كنائس، والضغط على الطائفة للتخلي عن ديانتها وتبني المسيحية، وما كان أمامهم خيار إلا التواري عن الأنظار والزحف إلى المدن الداخلية كالأوراس وبطون الصحاري، ووحدات ميزاب، ومن تم شكلت تجمعات وانصهرت مع السكان الأصليين، لعبت هذه الأخيرة دورا هاما في الخراب الذي ألحق بإفريقيا عند نهاية القرن السابع.⁽⁶⁾ فالمتمعن لما جاء ذكره على لسان البكري يستشف بأن المدينة طبعت بالطبعة الرومانية_البيزنطية_، وحلت بالديانة المسيحية، وهذا ما يؤكد نشاط عملية التبشير، وتهميش كل ما هو دخيل عن ذلك.

Ab.Cahen, Op.Cit, , pp18,21.

M.Eisenbeth « Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque(1516-1830) ».IN: R.A 1952, vol 96, pp126, 127.

(3) عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص21.

(4) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص57.

(5) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص22.

H. Garrot, Les juifs Algériens, Librairie Louis Relin, Alger, 1889, p29.

(6)

1.2.3. العصر الإسلامي وضمه لطائفة اليهود:

نظرا للخراب الذي ألحق بالمدينة فإنها هجرت لفترة من الزمن، وعزفت عن ذكرها المصادر التاريخية، حتى قدم بلكين بن زيري القرن 4هـ/10م وأعاد إعمارها.

إذ يذكر ابن خلدون في هذا الصدد قائلا: "ثم اختط ابنه _اي ابن زيري بن مناد_ بلكين بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة إلى بني مزغنة بساحل البحر".⁽¹⁾

ماذا يقصد ابن خلدون بقوله اختط؟، هل يقصد أن المدينة قد خربت كاملا وهجرت بصفة نهائية؟، إلى أن قدم بلكين وبث فيها الحياة من جديد، أم أن المدينة قد ألحق بها الدمار إلا أنها لم تهجر بصورة كاملة؟، فمن المستبعد تشييد مدينة بمنطقة مهجورة.

الملفت للانتباه عدم ذكر ابن خلدون لتاريخ إختطاط المدينة إلا أنه أشار إلى تاريخ وفاة زيري 360هـ/971م، بعد أن دام حكمه 26 سنة فخلال هذه الفترة من حكمه أذن لابنه بالتأسيس المدينة، ومن تم يرجح بأن التأسيس يعود إلى سنة 339هـ/950م.⁽²⁾

وبعد أن مد بلكين عمرانها وأمن سكانها ونظم اقتصادها وأخرجها من عزلتها، ربطت علاقات عديدة بضواحيها، فشدد إليها أنظار الرحالة العرب، حيث أخذوا يعددون محاسنها، ويتعرضون لازدهارها الاقتصادي، نذكر من بينهم ابن حوقل في القرن 10هـ/4م، إذ يذكر قائلا: "وجزائر بني مزغنة مدينة عليها سور على سيف البحر أيضا فيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها، ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثير، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال ولها من العسل ما يجهز عنهم والسمن والتين، وما يجهز ويجلب إلى القيروان وغيرها، ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها، فإذا نزل بهم عدو لجأوا إليها، فكانوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه".⁽³⁾

(1) عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن ذوي السلطان الأكبر، المجلد السادس، دار الكتب، بيروت، 1992م، ص 181.

(2) A.Devoulx, « Alger étude archéologique et topographique sur cette ville aux époques romaine (icusium), Arabes (djezair beni mazrena), et turque(el djezair) ».IN R.A 1878, vol 29, p252.

(3) أبي القاسم ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 77، 78.

وهذا فضلا عن البكري الذي صرح قائلا: محكمة، تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم، وصحن دار الملعب فيها، قد فرش بحجارة ملونة صغيرة مثل الفسيفساء فيها، صور للحيوان بأحكام عمل وأبداع صناعة، لم يغيرها قدم الزمان، ولا تعاقب القرون، ولها أسواق ومسجد جامع، وكانت بمدينة بني مزغنة كنيسة عظيمة، بقي منها سور مدير من الشرق إلى الغرب، وهو اليوم قبلة الشريعة للعبيدين، مفصص كثير النقوش، والصور ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن من افريقية والأندلس وغيرها".⁽¹⁾

من خلال تمحيصنا لما ذكره الرحالة أبو عبيد الله البكري يتجلى لنا بأنها كانت مزدهرة اقتصاديا، نظرا لتعدد الأسواق بها، مأهولة بالسكان لذلك اتخذت مسجدا جامعاً، كما عدت همزة وصل بين إفريقيا والأندلس، والملفت للانتباه قوله "...وصحن دار الملعب فيها، قد فرش بحجارة ملونة صغيرة مثل الفسيفساء ... فيها كنيسة عظيمة، بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب...".

نستشف مما خلال ما أورده الرحالة البكري بأن المدينة اشتملت على معالم تعود للتواجد الروماني بها تجلت في كل من: الكنيسة والمسرح، وهذا ما يؤكد ادراجها ضمن الأحياء اللاتينية. إلا أنه سكت عن اتيان معالم تعود للطائفة اليهودية التي ضربت جذورها بالمدينة منذ الأزل ومن أبرز المعالم التي من المفروض ايجادها نذكر: المعابد، أو المقابر، ومن تم نرجح غيابها تبعا لاضطهاد اليهود من قبل السلطة البيزنطية، ومن تم اما انحلت مع الأهالي وضاع كيانها أو أنها انكمشت على نفسها واتخذت من العزلة عبادة، وكما سبق ذكره آنفا أن تجمع اليهود يعود إلى عوامل سياسية وتجارية، إذ أننا لا نستبعد تراجع عدد اليهود بالمدينة تبعا لتلك الأوضاع السياسية التي عصفت بالمنطقة، وقد جرت العادة أن يلتف اليهود حول السلطة بغية التمتع بالحماية.

(1) أبي عبيد الله البكري، المرجع السابق، ص732.

فالجدير بالذكر بأن تولي **بلكين بن زيري** مقاليد الحكم أحدث شلخا في الأسرة فقد نشبت ثورة بين أبناء العمومة أي بين آل زيري و آل حماد وقد عمد بلكين بنقل يهود تلمسان وفاس إلى أشير*، شأنه شأن حماد الذي جعل من قلعته** مستقرا لليهود الذين اخذوا يمتهنون التجارة بكل جدارة فشدوا الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب،⁽¹⁾ أسسوا بها مدرسة تلمودية*** يرأسها إسحاق بن يعقوب الفاسي****.⁽²⁾

ومن المتفق عليه أن المدينة تحت ضل الدولة الزيرية، ازدهرت اقتصاديا ومعماريا، وربطت علاقات بحرية مع الدول المجاورة لها، ولما استقر بها المرابطون اخذوا يشيدون بها المنشآت المعمارية المعبرة عن المذهب المالكي، وبقيت علاقاتها وطيدة مع الأندلس.⁽³⁾

وسعى المرابطون على نشر المساواة والتسامح الديني بين الأفراد فلما أقدم الامير يوسف بن تشفين على توسيع جامع القرويين على حساب منازل المسلمين واليهود عوض كل منهم بدون تفرقة، واتسم هذا التسامح ببعض القيود فقد حرموا من المبيت أو البقاء في مراكز بعد مغيب الشمس خوفا من التجسس لصالح العدو.⁽⁴⁾

* تقع على حوالي 150 كلم جنوبي شرقي الجزائر العاصمة في جبل التيطري على حوالي 12 كلم من عين بوسيف الحالية، أعانه على تشييدها الخليفة الفاطمي القائم حيث بعث له بناءا ماهرا كان يوجد مثله في افريقية وعمالا ومواد البناء وبالأخص الحديد، أنظر: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص9.

** أذن باديس لحما بتشييد قلعته المعروفة بـ"قلعة بني حماد" الواقعة على بعد 36 كلم شمالي شرقي المسيلة في جبل عجيسة سابقا وجبل المعاضض حاليا، استقر حماد بقلعته المنيعه التي تتيح له مراقبة القبائل الزناتية والاعداء وكان من حين الى اخر يزور اشير، أنظر: نفسه، ص20.

(1) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص ص44، 46.

*** يقصد بها مدرسة لتعليم الشريعة الموسوية اعتمادا على العهد القديم والتلمود

**** ولد بقلعة بني حماد سنة 1013 هـ وتوفي سنة 1103 هـ، قضى معظم حياته في مدينة فاس، لم يتركها إلا بعد أن وشي به إلى حاكمها ومن تم فر إلى الأندلس سنة 1088 هـ، هناك دون مؤلفاته: " تلمود قطان " و" التلمود الصغير"، نظرا لحرية النشاط الديني الذي تمتع بها اليهود في ظل السيادة الموحدية، عدت في مقام أعمال موسى ابن ميمون ويوسف كاو تبعا لانتمائهم إلى التيار الذي يدعوا إلى سيادة التلمود البابلي على التلمود الفلسطيني، أنظر: H. Zafrani, « profil intellectuel du lettré juif et son congénère » In : cahiers de la méditerranée, hors série n7, année musulman au Maghreb (XVIe XXème siècle) » 1983, p123.

Ibid, p119. (2)

(3) وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم، عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م، ص21.

(4) فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-9 هـ/ 13-15م)، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م، ص34.

وبلغت المدينة أوج ازدهارها في عهد الدولة الموحدية حيث توسعت ضواحيها وزادت مبانيها وكثر عمرانها وراجت تجارتها هذا ما نستخلصه من وصف الرحالة الإدريسي لها في القرن 6هـ / 12م حيث صرح قائلاً: "ومدينة الجزائر على ضفة البحر، وشرب أهلها على البحر عذبة ومن أبار، وهي عامرة أهلة، وتجارها مربحة وأسواقها قائمة، وصناعاتها نافقة ولها بادية كبيرة، وجبال فيها قبائل من البربر، وزراعتها الحنطة والشعير، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم، ويتخذون النحل كثيرا فذلك العسل والسمن في بلادهم كثير، وربما يتجهز بها إلى سائر البلاد، والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم، وأهلها قبائل ولهم حرمة مانعة.⁽¹⁾

إن تمعنا فيما ورد في الوصف نجد تكرار لفظة قبائل ففي المرة الأولى ذكرت على صيغة "قبائل البربر" أما الثانية "قبائل" يا ترى لما ورد التكرار؟ وإلى ماذا يهدف؟، فضلا عن ورود لفظة "عامرة أهلة".

ومن هنا نحتمل أنها قد ضمت أعراقا بشرية متباينة، نستشف ذلك من خلال تلك الأنشطة المختلفة التي ازدهرت بها المدينة، فالصناعة النافقة تشير إلى جودة الإنتاج ووفرة الأرباح، والأسواق القائمة توجي إلى تنوع المنتج بالإضافة لترويج البضائع لمختلف الأقطار والأمصار.

فمن المتعارف عليه أن تطور المدينة لا يقوم إلا بتنوع أنشطتها، وهذا لا يتم إلا بتنوعها عرقيا فهنا تقوم علاقة طردية لا محال هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنه لما أتى على ذكر التطور الزراعي والفلاحي نسبته للأهالي دون غيرهم، وقد صدق العلامة ابن خلدون في كتابه "المقدمة" حين صرح بأن البربر والعرب لا يجيدون إلا تربية المواشي والزراعة، وهم بعيدون كل البعد عن مختلف الصنائع، وإن اقبلوا عليها لاتسمت بالبساطة والغلاء،⁽²⁾ وهذا مالا ينطبق على منتوجات مدينة الجزائر، وهذا خير دليل على أن كل عرق (طائفة) اختص بنشاط دون سواه، إلا أن الإدريسي غفل عن التفصيل في هذا الشأن، بينما حسن الوزان أشار إليه حين صرح قائلاً: "...أسواق منسقة كما يجب لكل حرفة مكانها الخاص...".⁽³⁾

(1) أبو عبد الله الشريف الإدريسي، المغرب العربي، من نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صادق، imprimerie en Belgique, co-édition O.P.U, عام 1983، ص 114.

(2) عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، المجلد الحادي والعشرون، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص 809.

(3) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 37.

وإننا لا نستبعد أن يكون للطائفة اليهودية تدخل سواء من بعيد أو قريب في التجارة فضلا عن ضرب السكة وصناعة الذهب والفضة التي اقتصت بها دون سواها، وقد يعود هذا الإهمال مقصودا لا محال ففي كنف الدولة الموحدية اتخذ الملك عبد المؤمن بن علي سياسة خاصة في معاملة اليهود فقد خيروا بين اعتناق الإسلام أو الموت واجبروا على الصلاة في المساجد، فظهروا إسلامهم علنا وحافظوا على دينهم باطنا، فقد كانوا يمارسون طقوسهم الدينية خفية في المنازل.⁽¹⁾

شأنهم شأن المسيحيين فقد ذكر المراكشي في هذا الصدد قائلا: "ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام أمر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة إنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ويصلون في المساجد، ويقرئون أولادهم القرآن جارين على ملتنا، والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم".⁽²⁾

ولا يتميز اليهود عن المسلمين إلا في اللباس، فقد فرض عليهم لباس خاص، عبارة عن ثياب كحلية ذات أكمام مفرطة السبعة تصل إلى الأقدام، وبدلا من العمام كلوتات على أشنع صورة كأنها البرادع تبلغ تحت أذنهم. ولما احتجوا غيرت بثياب صفراء وعمائم صفر وأمسى هذا الذي حصرا على يهود المغرب دون سواهم، والجدير بالذكر أن هذه الإجراءات الصارمة التي خضع لها يهود المغرب نابعة من جملة تلك الشكوك التي كانت تحوم حولهم.⁽³⁾

وفقا لما سبق ذكره آنفا فإننا نسلم بورود لفظة عامرة أهلة لم ترد عبثا، بل تأكيدا لنمو ديمغرافي، وتنوع بشري متنسق للعيان، هذا ما خلق امتدادا شاقوليا للمدينة حيث امتدت من الشمال إلى الجنوب.

H. Garrot, Op.Cit, p33.

(1)

(2) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تعليق محمد سعيد ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1950م، ص 150.

*وقد جاء على لسان أبي يوسف قائلا: "لو صح عندي إسلامهم لتركهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت نرايهم وجعلت أموالهم فينا للمسلمين لكني متردد في أمرهم"، أنظر: نفسه، ص ص 149، 150.

(3) نفسه، ص ص 149، 150.

ولما أشرفت الدولة الموحدية على الزوال، أخذت مدينة الجزائر في التقهقر والركود وخلال هذه الفترة بالذات أهملها الرحالة واكتفوا بالإشارة إليها أمثال: ابن بطوطة حين أتى على ذكرها قائلا: " فوصلنا مدينة الجزائر وأقمنا بخارجها أياما".⁽¹⁾

في نهاية القرن 13/هـ عدت بؤرة صراع بين الدولتين الزيانية والحفصية، فقد كانت تارة تتبع تلمسان وتارة أخرى تونس وأخرى بجاية.⁽²⁾

ثم استسلمت لحاكم بجاية نظرا لقربها من مملكته القائمة حديثا، انحاز أهالي مدينة الجزائر إلى هذا الحاكم بعد أن أوجزوا منه خفية، فضلا لعدم قدرة حاكم تلمسان على إنجادهم، ومن ثم بايعوه وأودوا إليه الخراج لكنهم بقوا تقريبا متحررين.⁽³⁾

فشكّلوا ما يشبه جمهورية صغيرة يديرها مجلس مؤلف من أعيان المدينة كان أول رئيس لها هو الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، وبعد وفاته انتقلت دفة الحكم إلى أولاد سالم،⁽⁴⁾ اخذوا يجهزون سفنهم وتحولوا إلى قراصنة فأمسوا يغيرون على الجزر الاسبانية، وسواحلها مما أثار حافضة الملك الكاثوليكي فاردينالد،⁽⁵⁾ وما زاد الطين بلة سقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس غرناطة 1492م.⁽⁶⁾

(1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1964م، ص15.

(2) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص220.

(3) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص83.

(4) رابح بونار، المرجع السابق، ص220.

(5) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص38.

(6) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص61.

ومن تم اشتدت قبضة الملك الكاثوليكي فاردينالد* على المسلمين واليهود بالأندلس وشن حربا شنيعة ضدهم ذات صبغة دينية، مما اضطرهم للاستغاثة بالأخوين عروج وخير الدين وإسحاق** فلبوا النداء وشرعوا في تهجيرهم إلى المغرب الإسلامي، وتركيزهم بالمدن الساحلية التي من بينها مدينة الجزائر.⁽¹⁾ ويجدر الإشارة هنا بأن الهجرات لم تنقطع يوما عن المدينة، فقبل هذه الهجرة نجد هجرات أخرى تعود إلى أواخر القرن 13م، أتى على ذكرها لوجي دوتاسي حين تطرق لدراسة طائفة اليهود بمدينة الجزائر، حيث صرح قائلا: "عدد اليهود بالمدينة كبير جدا.... ولكن العدد الهائل قدم من أوروبا، فمنهم من قدم من ايطاليا سنة 1342م، والأراضي المنخفضة سنة 1350م، وفرنسا سنة 1403م، وانجلترا سنة 1422م، ومن اسبانيا سنة 1462م"،⁽²⁾

والدافع وراء هذه الهجرات بداية نشاط محاكم التفتيش التي سنت قوانين جائرة في حقهم، ومن تم فرو من اسبانيا قاصدين المغرب الإسلامي بعد صدور مراسيم سنة 1391م***.⁽³⁾

* كان الملك فرديناند وزوجته الملكة ازابيلا كاثوليكين متعصبين، يكون الكره لليهود بسبب معاداتهن لعيسى (عليه السلام)، ومن تم أرادوا وضع نهاية لهم لذا طالبوهم بضرورة اعتناقهم للمسيحية، ففي سنة 30 مارس 1492م وقع الملك وزوجته مرسوما ملكيا يقضي بنفي اليهود، وينص على أن جميع اليهود الموجودين في البلاد غير المعمدين أيا كانت أعمارهم أو أحوالهم عليهم أن يتركوا اسبانيا في موعد أقصاه 31 يوليو 1492م، ولا يسمح لهم بالعودة ومن يخالف ذلك تكون عقوبته الإعدام وعليهم أن يتخلصوا من أمتعتهم خلال هذه المدة ولهم أن يأخذوا معهم الأمتعة المنقولة، وصكوك المعاملات دون النقد من الذهب والفضة، أنظر: هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس (دراسة عن اليهود المارانوس)، معهد الدراسات الأسبوعية، الطبعة الأولى، جامعة الزقازيق، 2008م، ص42.

** خير الدين بن يعقوب احد رجال الحامية التركية بجزيرة مدلي الخاضعة للدولة العثمانية تزوج من إحدى بنات النصارى الذميات رزق بأربع بنين إسحاق عروج خير الدين إلياس إشتهر الأخوين عروج وخير الدين. أنظر: غزوات عروج وخير الدين، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.].

(1) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص162.

(2) L. De Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam, holland, s.d, 1924, p 84 .

*** في 1391م وقعت انتفاضة عامة في كل من: مايورقة، وقشتالة، واراغون، ضد اليهود حيث اتهموا بتسميم كل الأسبلة العامة،

تأمروا مع المسلمين ضد المسيحية، أنظر: H. Garrot, Op.Cit, p 35.

(3) H. Zafrani, " conscience et mémoire hispano-maghrébines dans les traditions poétique et musicales juives au Maroc», in : cahier des civilisations médiévale, 27 e année, n° 107, juillet-septembre 1984, pp234.

من تم ولوا الأدبار ونزلوا على دفعة واحدة على موانئ تونس ووهران ومستغانم، وتنتس وبجاية، غير أن العديد منهم تغلغلوا إلى الداخل، واستوطنوا في كل من مدينة قسنطينة ومليانة والمدينة بالإضافة لتلمسان.⁽¹⁾

وفيما يتعلق بمدينة الجزائر فقد سارعوا إليها رفقة أحبارهم "دوران" و"بن شيشات"، حيث سمح لهم خير الدين، بعد ذلك بالاستقرار بالمدينة، وفتح ورشات بالأسواق على مقربة من سكناتهم مقابل دفع جزية، وقد اعتبر **دوغرامون** بأن ظاهرة تدفق اليهود على هذه المدينة بالذات ملفتة للانتباه ويلفها الغموض وليس لها تفسير مقنع.⁽²⁾

ومثلها مدينة تلمسان التي عرفت إقبالا كبيرا حيث وفد إليها اليهود عن طريق البحر، واحتتموا بالحاخام "أفرايم عنقاوة" ** الفار من إسبانيا بعد ظهور المرسوم الملعون، استطاع هذا الأخير أن يستمل الحاكم ويتخذ حيا لطائفته بالقرب من قصر المشور، واحتتموا بالسلطة الحاكمة.⁽³⁾ من الملاحظ أن كل خروج يدعم بأحبار وكأنها سنة سنها بني إسرائيل على أنفسهم، والجواب يتيسر لنا عند تطرقنا للأهم الأسر الدينية المتضمنة للحاخامات والتي تغلغت بالمدن السابقة الذكر.

H. Garrot, Op.Cit, p 36.

(1)

* سنتطرق إليهما لاحقا عند تناولنا للرسينة والتقنوت .

HD. Degrammont, Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830), Ernest Leroux, édition, Paris,1887,p233. (2)

** تميز بتمكنه من التعاليم التلمودية ومعرفته المعتبرة بالعلوم الطبية مما جعلت منه طبيبا ماهرا، لفت حول هجرته الفردية العديد من الأساطير من ضمنها أنه نجا بمعجزة من الموت وهام على وجهه متوجها إلى المغرب الأقصى بداية ثم إلى تلمسان، وعند خروجه صادفه أسدا طائع ليعينه في محنته ويعطي له ظهره ليمتطيه، وقد كان يحيط برأس الأسد شعبان على شكل حلقة طرفاه في فم الأسد ليكون بذلك لجاما ووسيلة للامتطاء، أنظر:

Darmon, «origine et constitution de la communauté israélite de Tlemcen », In : R .A 1870 ,vol14,pp310,326

Ibid, pp318, 319.

(3)

ففي مدينة الجزائر استقرت عائلة "إسحاق بن شيشات بارفات"، و"سيمون بن سيماح دوران"، وفي مدينة وهران نجد عائلة "عمران بن مرواس افراتي"، واما مدينة تلمسان فقد احتضنت كل من عائلة "افرايم انقاوة" و"ابراهيم بن حاكوا"، شأنها شأن مدينة بجاية حيث نجد بها كل من عائلة "بن جمين عمار" و"موبس (موسى) قابي"، وفيما يتعلق بالمدن الداخلية فعلى رأسها مدينة قسنطينة وفدت إليها عائلة "جوزاف بن منير" و"ميمون بن سعدية نجار"، على غرار مدينة المدية التي لم تشهد إقبالا كبيرا فقد أقامت بها عائلة "سعدية دارمو".⁽¹⁾

ومن هنا نستنتج بأن لهذه الأسر شأنا عظيما فهي تؤثر على المهاجرين من جهة وعلى السلطة الحاكمة من جهة أخرى، هذا ما نستشفه من خلال تطرقنا إلى مدينة تلمسان والجزائر وبذلك نصرح بأن لهؤلاء الفضل في وضع اللبنة الأولى لتنظيم الجماعات اليهودية بالمغرب الإسلامي، مشكلين بذلك مجموعة عرقية تعرف بـ"الميكورشيم" أو "المهجرين"، وكانت تختلف بدءا عن أختها "التوشبيم" أو "البلديين"، ثم كونت وإياها وحدة تعمل في نشاط الطوائف، ثم أخذت شيئا فشيئا تنفرد بالقيادة الدينية، والدنيوية، إلى أن أصبحت هي وحدها صاحبة النفوذ في المجال الاقتصادي والمعارف الربية.⁽²⁾

نميز بين هاتين المجموعتين العرقية بفضل لباسهما فمجموعة "الميكورشيم" يرتدون القبعات أما "التوشبيم" فهم لا يتخلون عن العمام التي ازدانت بها رؤوسهم،⁽³⁾ والتي اعتادوا عليها من قبل كما سبق وتطرقنا إلى ذلك آنفا.

لما أفل نجم يهود الأندلس بسقوطها، وصدور مراسيم الطرد النهائي في سنة 1492م و1497م، قدم مهاجرون من إسبانيا والبرتغال، ووصلوا في أمواج متتابعة وأقاموا مؤقتا أو دوما في أرض المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى خاصة.⁽⁴⁾

H. Garrot, Op.Cit, p36.

H. Zafrani, « profil intellectuel du lettré juif et » In : cahiers de la méditerranée, hors série n7, année 1983, pp, 119,120.

H. Garrot, Op.Cit, p36.

(4) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، الجزء الأول، مرسوم، الرباط، 2000م، ص298.

بلغ عددهم حوالي 200 ألف يهودي في سنة 1492م،⁽¹⁾ أردفت هذه الهجرة بأخرى سنة 1497م تكونت من الناجون من البرتغال* أي النزر القليل ممن سلم من بطش حكامها، بعد أن اتخذوها ملجأ بعد الفرار، ومنهم من توجه إلى الأراضي المنخفضة، أو إلى بعض المواني الإيطالية أو نحو الإمبراطوية العثمانية.⁽²⁾

فقد أشاد أندريه ريمون بالسماحة الدينية والاستقلالية الجزئية، التي تمتع بها أفراد الطائفة اليهودية تحت كنف الدولة العثمانية، حيث أدرجوا ضمن أهل الذمة،⁽³⁾ ومنهم من ارتحل إلى سوريا وفلسطين تبعا لما جاء به المؤرخ اليهودي إيليو كساني نقلا عن حاييم الزعفراني.⁽⁴⁾

وبذلك فقدت إسبانيا بعض المزايا بخروج التجار وأصحاب المهن والدارسين، والأطباء، والعلماء من اليهود والمسلمين على حد سواء.⁽⁵⁾

أوجس كل من الملك الكاثوليكي والكاردينال كيسمني خيفة من تلك الهجرات الأندلسية المتدفقة إلى المدن المغربية، إذ كانا على دراية بأنها هجرات مؤقتة أو بالأحرى، فترة فيها يتوحد المسلمون مرة أخرى ليعودوا لفتح بلاد الأندلس.⁽⁶⁾

(1) H. Zafrani, Juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larousse, paris, 1996, p214.

* وفي ذلك الوقت كانت البرتغال أكثر الأهداف ملائمة للمهاجرين اليهود فهاجروا إليها بعدد كبير وصل ثمانين ألف مما افزع ملك البرتغال جون الثاني الذي منحهم مهلة ثمانية أشهر على أن يرحلوا بعدها اصدرا أمرا إلى جنوده بالقبض على أولادهم من سن الرابع عشر وإبقائهم في بلاده ليشب على المسيحية فكانت النساء يطرحن أولادهن في الآبار والأنهار حتى لا ينصرن. ولما تقشى بينهم الطاعون وانتشر بين المسيحيين قام الشعب بالمطالبة بطردهم خوفا من انتشار المرض وكان لهم ذلك، ونزع منهم أولادهم وأرسلوا إلى جزر القديس توماس. أنظر: هدى درويش، أسرار اليهود....، ص44.

(2) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس....، ص298.

(3) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص81.

(4) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس....، ص298.

(5) هدى درويش، أسرار اليهود....، ص44.

(6) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص163.

ومن تم سعا جاهدين إلى الاستيلاء على جل المدن الساحلية، بدءا بالمدن القريبة من الساحل الإسباني حيث استولوا على وهران سنة 1509م، وعلى بجاية بقيادة بيدرونافارو سنة 1510م، ثم سقطت دلس وشرشال، ومستغانم سنة 1511م، وبذلك باتت مدينة الجزائر في خطر، ارتعدت له فرائص الثعالبية.⁽¹⁾

فسارعوا بإرسال قائدهم سالم تومي إلى بجاية لمقابلة القائد بيدرو نافارو لعقد هدنة، انتهت بالمفاوضات التي عقدت في 31 جانفي 1510م بالاتفاق على دفع جزية سنوية للأمير الإسباني الذي يحكم بجاية، وإطلاق سراح الأسرى والعبيد النصارى بالمدينة فضلا عن السماح له ببناء حصن على إحدى الجزر المقابلة للمدينة، كما اشترط عليهم إيفاد وفد عن مدينة تنس، ووفد عن مدينة الجزائر لاثهار الولاء والخضوع للملك فيردناند.⁽²⁾

كان له ذلك إذ سار الوفد الجزائري إلى إسبانيا في سنة 1511م، وتفاوض مع مجلس سرقسطه، واتفق الجانبان على أن يسلم الجزائريون أكبر الجزر المواجهة للمدينة للإسبان بغرض إقامة حصن يشل حركة الجهاد البحري، ويراقب السفن الجزائرية، يكمن هذا الحصن في حصن البنيون.⁽³⁾

بهذا الاتفاق غرس سالم تومي الخنجر الإسباني في نحر مدينة الجزائر، سئم الأهالي من حكمه وسياسته، وصادف ذلك تغلغل الأخبار الطيبة عن الأخوين بفضل مهاجري الأندلس، فتكونت بذلك سمعة طيبة عن العثمانيين في نفوس أهالي المدينة.⁽⁴⁾

إذ اغتتموا فرصة وفاة الملك الإسباني فيردناند فأعلنوا التمرد على السلطة الإسبانية،⁽⁵⁾ واستغاثوا بالأخوين عروج وخير الدين لبي عروج النداء وأقنع من يجبل صوب الجزائر برا وبحرا، وفي طريقه إليها عرج بأسطوله إلى ميناء شرشال ففتحها والتحق أخوه خير الدين به قادما من تونس.⁽⁶⁾

(1) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 163.

(2) كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، الجامعية ديوان المطبوعات، الجزائر، 2007م، ص 23.

(3) أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م-1792م)، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 115.

(4) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 164.

(5) عبد الرحمان الجليلي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص 39.

(6) محمد بن عبد الكريم، من أعلام الجزائر المقري وكتابه نفخ الطيب، منشورات دار الحياة، بيروت، د ت، ص 20.

ولما وصل إلى مدينة الجزائر بدأ يرفع الحصون ويحفر الخنادق، ثم شرع في قنبلة حصن البنيون في أوت 1516م، شدد الحصار عليه وقطعت عنه المياه إلى أن اضطر قائد الحصن إلى جلب الماء والمؤنة من جزيرة مايورقة، إلا أن هذا لم يدفع بالجوع والعطش الذي حل بالحامية الحصن، ومن تم كاد لعروج أن ينال مراده لولا دسائس سالم التومي وأتباعه.⁽¹⁾

لما بلغ عروج بذلك قتله وبمقتل سالم التومي نصب نفسه حاكما على الجزائر،⁽²⁾ وشرع في توسيع مملكته فامتد على سهول متيجة، وفتح المدينة ومليانة، وولي أخوه خير الدين على الناحية الشرقية، فجعل مركزه تنس سنة 923هـ / 1517م، كان لهذه الفتوحات صدى لدى أهل تلمسان، إذ ثاروا ضد حاكمهم الظالم أبو حمو فاستصرخوا عروج الذي أغاثهم سنة 923هـ / 1517م، فر حاكمهم إلى وهران التي كانت تحت سلطة الإسبان مستنجدا بحلفائه.⁽³⁾

وأول ما بادر إليه إخراج أبي زيان من السجن وتوليته على تلمسان، بينما عروج منشغل بتنظيم شؤون المدينة إذ بجيوش الإسبان تطوقها وتحاصره فيها لمدة ستة وعشرين يوما، تمكن بعدها من التملص مع جماعة من جنوده ليتوجه إلى الجزائر، لحقه جيش حاكم وهران بـ"وادي الملح"، وقتله هناك سنة 924هـ / 1518م.

وبعدما قتل أخوه إسحاق مع أفراد حاميته "بقلعة بني راشد" وبمجرد موت عروج عاد أبو حمو إلى عرشه، بعدما دفع إلى الإسبان مقدارا من المال مقابل مساعدتهم إياه، اتفق معهم على أن يؤدي لهم الخراج كل سنة.

وبلغ خير الدين بنعي أخيه عزم على مغادرة الجزائر إلا أن أهلها تشبثوا به، ومنعوه من الذهاب عنهم واقترحوا عليه أن يولوه على أنفسهم، فقبل منهم بعدما الحوا عليه فطلب منهم، أن يلتحقوا بالدولة العثمانية⁽⁴⁾، فوافقوا على ذلك خشية من حملات الأعداء المتكالبة عليهم، والاحتماء تحت راية الدولة العثمانية أمر ميسور تبعا لرابط الدين والخلافة.⁽⁵⁾

(1) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 164.

(2) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 53، 54.

(3) نفسه، ص 56.

(4) محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 22.

(5) عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 46.

من تم أرسل خير الدين في طلب المساعدة والعون من السلطان العثماني مقابل الاعتراف بسلطته، ودفع ضريبة أو ضمان زيادة في نفوذ الدولة ببلاد المغرب الإسلامي، لهذا بعث بـ "الحاج حسين" إلى اسطنبول ومعه مجموعة من السفن الحربية، تتكون من أربع سفن محملة بالهدايا الثمينة، ليحمل إقتراح حمايته وإعلان "بارباروس" تبعيته له.⁽¹⁾

ولم يكن أهالي مدينة الجزائر السابقين في طلب السند والحماية من الدولة العثمانية، فقد سبقهم في ذلك الأندلسيون المضطهدين بغرناطة، ففي منتصف سنة 1477م أرسل أهلها مكتوب إلى اسطنبول، محاولين لفت نظر السلطان العثماني "محمد الفاتح" واصفين له الحالة المزرية والأوضاع الصعبة التي يتخبطون فيها، راجين منه رفع الضر عنهم والنظر في أمرهم، بعدما تيقنوا أن حكام المغرب الإسلامي، قد انشغلوا عنهم تبعا لعدم استتباب الأمن بممالكهم وتخاذلهم حيث تحالفوا مع الاسبان والبرتغال، وعقدوا المعاهدات ووسعوا نفوذهم، فأمسوا بين برائثه لا يحركون ساكنا.⁽²⁾

نستشف مما سبق ذكره أنفا بأن الدولة العثمانية كان لها شأن عظيم تبعا لتلك الانتصارات التي حققها أسطولها، وأمسست عاصمتها اسطنبول مقصدا، يتهافت عليها الوفود من المهاجرين سواء المسلمين أو اليهود واستقروا بها محتمين تحت جناح سلطتها.⁽³⁾

والجدير بالذكر أن وفاة عروج أثلجت صدور الإسبان، إذ أيقنوا بأن الفرصة مواتية للتأثر من مسلمي المغرب الإسلامي، فأخذوا يشنون حملة ضد الجزائر سنة 926هـ / 1519م، شارك فيها الأسطول الإسباني وجيوش أبي حموا الزياني التي أرسى بناحية الحراش، وتمركز الإسبان عند المرتفعات، فآخذوا في ضرب المدينة بالمدافع، أفلح خير الدين في إخراجهم من خنادقهم بهجومه على سفنهم المصفوفة على الشاطئ، وهناك اشتدت المعارك بين الفريقين لمدة ثمانية أيام انتصر فيها أهالي المدينة.⁽⁴⁾

(1) عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 45.

(2) عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989م، ص 28.

(3) نفسه، ص 29.

(4) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 37، 38 .

وبعد مرور سنة كاملة على إرسال الوفد إلى اسطنبول وصل الجواب الذي تأخر، ففي 19 ماي 1519م منح خير الدين لقب "باي لرباي" * واحتتمت الجزائر تحت حماية الدولة العثمانية.⁽¹⁾

عزم الإمبراطور شارلوكان على استرجاع مدينة الجزائر، فأعد جيشا ضخما يضم 34000 رجل، فضلا عن ألف وأربعين فارس، جعل تحت قيادته أما الأسطول فكان يشمل على 450 سفينة نقل و25 سفينة حربية كبيرة تحمل 13000 رجل من البحارة تحت قيادة أندريا دوريا.

اقلعوا من ميناء ماهون يوم 20 أكتوبر 1541م، وتمركزوا بطرفي الخليج المقابل للمدينة (رأس تامنفوست)، فخيّموا هناك لمدة وجيزة، لينتقلوا إلى طرف الضفة اليسرى لواء الحراش، وهناك نزل الجنود إلى البر في يوم الأحد 22 أكتوبر، واستقر بهم المقام بين ضفة الحراش وبين الحامة.

أصر الأهالي تحت قيادة "محمد حسن" على مواجهتهم والتصدي لهم، فأعدوا لهم ما استطاعوا من قوة، اشتمل جيشهم على 700 رجل من الأتراك وخمسة آلاف من الأندلسيين، كلف الأهالي بالمناورة، والاعتماد على حرب الكمين.

وكان لهم ذلك فقد حصنوا المدينة ورابطوا فيها، واخذوا يجسون نبض العدو بكل دقة، وبذلك حرموه من الراحة، فقد كانوا يهاجمونه من كل حذب وصوب ولم يسمح له بأن ينزل في سلام.

وفي اليوم 24 من أكتوبر قرر الإمبراطور بدء القتال، والتقدم إلى الأمام وفقا لخطته المرسومة استمر في تقدمه والأهالي يصدونه بكل بسالة، مما اضطره إلى التوقف عند كدية الصابون على مرتفع خلف المدينة، احتل الكدية والتلال وطوق المدينة من كل الجهات.⁽²⁾

وتبعا لمعرفته على اختلاف موازين القوى طلب من الأهالي الاستسلام لكن طلبه رفض، حينئذ عمد إلى قصفها بالقبائل، وكان الأهالي يتبارون في مهاجمة جيشه، ومناورته فقد كانوا على دراية بكل منخفض ومرتفع بغية إنهاء العدو لينسلو من أبواب المدينة وينقضوا عليه.⁽³⁾

* شهد نظام الحكم خلال العهد العثماني بتعاقب عدة أنظمة سياسية عبر فترات تاريخية محددة: فترة حكم الباي لربايات (1518م-1588م) اتسمت بالإستقرار الحكم العثماني، بفضل جهود عروج وخير الدين، انتهت بتتحية علج علي، فترة حكم الباشاوات (1588م-1659م) حددت فترة حكم كل واحد منهم بثلاث سنوات، فترة حكم الأغاوات (1659م-1671م) عرفت اضطرابا في نظام الحكم، حيث عمت الفوضى في شؤون الإدارة، فترة حكم الدايات (1671-1830) تمتعت فيها الأيالة بالاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية، أنظر: ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، الجزء الرابع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 14.

(1) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 48.

(2) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 281، 284 .

(3) نفسه، ص 284، 290.

واستجاب القدر فأمطرت السماء مطرا غزيرا وهبت ريح عاتية من الشمال الغربي فتعالت الأمواج وتشابكت، ولم يستطع الجيش من التحكم في السلاح والمدفعية حتى البارود أمسى عجينة لا يصلح لشيء، ولم يكن لهم خيام ليحتمو فيها وقضوا بين الأمطار والأوحال ليلتهم، وبث في نفوسهم الهلع، وتفرقوا بينما ازداد الأهالي ثقة فواصلوا هجومهم وضمفروا بالنصر، بفضل رماتهم المهرة من الأندلسيين وأسلحتهم النارية التي لم تتأثر بالمطر، تكبد العدو خسائر فادحة حيث تحطمت 150 سفينة البحرية، 16 سفينة حربية، تبعا لفرار أصحاب المجاديف كانوا من أسرى المسلمين، انقدا منهم ألف وأربعة مئة رجل، وبذلك فرا شرلوكان وهو يجر أذيال الخيبة والعار يلاحقه.

وقد خلد هذا اليوم بتبجيله عند اليهود حيث اتخذوه عيدا يحتفلون فيه في اليوم الرابع من شهر حشوان* العبري من كل سنة.⁽¹⁾

وفيه تتعالى أصوات المصلين في معابد مدينة الجزائر، ويتم إنشاد قصائد شعرية باللغة العبرية،⁽²⁾ تعرف بـ "القينوت" المراثي، والبكائيات وغيرها من أنواع الشعر العبري التي تصف أهوال ذلك اليوم.⁽³⁾ كتبت على يد الحاخامات نذكر منهم: الحاخام مويس (موسى) مشيش، مويس (موسى) العكبي، أبراهام بن يعقوب طاوا، أبراهام بن سلمون سرفتي.⁽⁴⁾

ولم يسلم اليهود من بطش حكام اسبانيا ففي سنة 1534م تم قتل وبيع يهود تلمسان وفي سنة 1666م، قام شارل الثاني حاكم اسبانيا بطرد اليهود حيث فروا إلى ايطاليا، ليعود بعد ذلك إلى المغرب الإسلامي مرة أخرى.⁽⁵⁾

ففي سنة 1708م إلى غاية 1732م، جرت عدة أحداث فكانت العلاقة بينهما بين كر وفر اذ ان بانجلاء الإسبان من وهران يستوطن اليهود المدينة، إلى أن ينزل بها الإسبان ويطردوهم منها وكان ذلك سنة 1732م ظلت الأوضاع هكذا إلى غاية فتحها سنة 1792م.⁽⁶⁾

H. Garrot, Op.Cit, p39.

* يقع بين شهري (أكتوبر_ نوفمبر) من كل سنة، أنظر:

(1) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس.... ، ص306.

H. Garrot, Op.Cit, p39.

(2)

(3) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس.... ، ص307.

H. Garrot, Op.Cit, p39.

(4)

J.F Shaup, Les juifs du Roi d'Espagne _Oran (1509_1669), Hachette Littératures, 1999,p33.

(5)

Ibid, p40.

(6)

2. النسيج العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ومراكز اقامة الطائفة اليهودية:

عرفت مدينة الجزائر تطورا، وتوسعا خلال العهد العثماني، نظرا لاتخاذها كعاصمة سياسية استقطبت العديد من العناصر البشرية المتباينة، التي ساهمت بدورها في تشكيل نسيج عمراني معقد، وُلِدَ النمو الديمغرافي، الذي جعل المدينة تتخبط في مشكلة السكن فلم يكن بإمكانها، استيعاب العدد الهائل من البشر في منطقة محصورة.

فاهتدت إلى إمداد العمران من السفح إلى السطح أي من الأسفل إلى الأعلى فأُمسِت شبيهة بالمدرجات،⁽¹⁾ طوقت بالأسوار المدعمة بأبراج تتغللها خمسة أبواب رئيسية:

باب الواد: يقع في اتجاه الشمال يفضي إلى مقابر المسيحيين واليهود، ينفذ فيه حكم التعذيب للمحكوم عليهم بالإعدام.⁽²⁾

باب البحر: يقع في اتجاه الشرق، علقت خمسة أجراس جلبت من مدينة وهران سنة 1708م.⁽³⁾
باب السماكة: تقع جنوب الباب السابق الذكر تقضي إلى الميناء، تعرف بباب الصيادين لان الصيادين يرسون سفنهم فيها، كما يوجد بها ورشة لصناعة السفن.⁽⁴⁾

باب عزون: تقع في الجنوب الشرقي، عرف بـ"عزون" نسبة لأحد الثوار من الأهالي، الذي ثار ضد الحكم العثماني، وحاصر المدينة لكنه لم يفلح، فسرعان ما أُخمدت تلك الثورة.

تعد من أهم أبواب المدينة، يلج منها القادمون من الجنوب والشرق، فيها جسر يرفع أثناء الخطر.⁽⁵⁾

باب الجديد: يقع في اتجاه الجنوب الغربي، يفضي إلى دار السلطان.⁽⁶⁾

تفتح عند شروق الشمس، وتغلق بعد غروبها، ولا تفتح بعد ذلك، مهما كان الطارئ الداعي لذلك، وفيما يخص يوم الجمعة لا تفتح إلا بعد الصلاة.⁽⁷⁾

(1) É. Marcel, « mémoire sur le royaume d'Alger de son étendue et gouvernement », bibliothèque nationale, 1666, p 237.

(2) L.De Tassy, Op .Cit, p159.

(3) Peyssonnel et Des fontaines, voyage dans la régences de Tunis et d'Alger, éditeur des annales des voyages, t 1, Paris, 1838, p459.

(4) L.De Tassy, Op .Cit.p159.

(5) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 232.

(6) L.DeTassy,Op .Cit.p160.

(7) وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816_1824)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 98.

ساهمت عدة عوامل في تخطيط مدينة الجزائر، نذكر منها ازدهار نشاط الجهاد البحري من جهة، والتحرشات الأجنبية من جهة أخرى فضلا عن طبوغرافية المكان، ومن تم انكشفت المدينة بين تلك الأسوار المطوقة لها، وامتد عمرانها من السفح الى الجبل، وانتشر بضواحيها بعد ان ضاق من تلك المساحة المحصورة بين الأسوار ينقسم القسم المحصور بين الأسوار إلى قسمين:

القسم الأول (الوطا):

وهو الجزء المسطح الأكثر حيوية وتعدادا، ينظر إليه على أنه فضاء عمومي، بمعنى فضاء المدينة بما تحتضنه من سكان من مختلف الأعراق، والوظائف والمبادلات.⁽¹⁾ اتسم هذا القسم باحتوائه على منطقة مركزية،⁽²⁾ تضم كل من مقر للسلطة "قصر الجنيّة" الذي جعل على مقربة من دار السكة، وبيت المال والمحكمة الشرعية، فضلا عن ثكنات الانكشارية على غرار دور العامة والخاصة.⁽³⁾

فقد شيد به الحكام دورا لهم على مقربة من المنشآت الدينية والأسواق،⁽⁴⁾ ويعبر هذا القسم نهج طويل يخترقه عرضيا يعرف "بباب عزون" المتصل "بباب الواد".⁽⁵⁾

تمتد على طوله عدة أنشطة تقل اهمية كلما ابتعدنا عن الوسط وذلك وفقا للتسلسل التقليدي وبدءا من تجار السوق الكبير وحتى النحاسين (الصفارين)، والحدادين (السمارين) بالقرب من الباب، دون غرض النظر عن الفنادق التي صفت عليه إذ بلغ عددها تسعة من أصل ثمانية عشر فندق اشتملت عليه المدينة،⁽⁶⁾ تضمن هذا القسم على العديد من المقاهي ودكاكين الحلاقين،⁽⁷⁾ فضلا عن معبد.⁽⁸⁾

(1) العربي إيشبودان، مدينة الجزائر (تاريخ عاصمة)، ترجمة جناح مسعود، مراجعة حاج مسعود مسعود، دار القصبة، للنشر، الجزائر، 2007م، ص 59.

(2) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص 135.

(3) أندريه ريمون، العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب قاسم طوير، الطبعة الأولى، دار المجد، دمشق، 1986م، ص 34.

(4) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى، ص 129.

* وليد "الديكومانوس" ذلك الشارع الرئيسي الذي يقسم المدينة إلى قسمين، ميراث روماني، أنظر: نفسه، ص 131.

(5) عبد القادر نورالدين، المرجع السابق، ص 121.

(6) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص 142.

(7) وليام شالر، المرجع السابق، ص 97.

(8) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 18.

ولقد جرت العادة في المدن الإسلامية أن يختص كل شارع بفئة من الحرفين، يزاولون حرفة ما، لذلك تعددت الشوارع حسب الاختصاص، فنجد شارع خاص للصباغين، وللحدادين، والنجارين والرصاصية أي القزادرية، والخراطين، والشماعين... الخ.

وانفرد أهل كل حرفة بسوق أي شارع تجاري، تتم فيه عملية الإنتاج، والبيع فعلى سبيل المثال شارع باب عزون فزيادة على سوق الكبير، نجد أسواق أخرى يتلو بعضها بعضا منها سوق الخراطين وسوق السمارين للحيوانات، بالقرب من باب عزون نجد سوق الرحبة للقمح والحبوب.⁽¹⁾

يعبر هذا القسم الشوارع الأكثر أهمية: كباب الواد وباب عزون ولامارين (باب البحرية).⁽²⁾

القسم الثاني (الجبلي):

تضمن مقر السلطة الجديدة أي القلعة التي احتوى فيها خشية من ثورات الانكشاريين، زيادة عن الفرار من ضوضاء، وصخب المدينة.⁽³⁾

اتسم هذا القسم بقلّة النشاط، والحيوية رغم تعميره،⁽⁴⁾ بمعنى أنه يتكون أساسا من الأحياء السكنية الراقية، أي أن العائلات التي تقطن به لا تزاول أي نشاط للإنتاج والمبادلات، وفيه تنقلص الأداة الجماعية إلى الحد الأدنى أي : المسجد والفرن بدون تجارة، ولا ورشات..⁽⁵⁾

ومن المتفق عليه أن المدينة قد استوعبت العديد من الطائفات المتباينة فيما بينها، مما دعى إلى الفصل بينها بغية استتباب الأمن والحماية.

ولقد تمتع أفرادها بحرية الاستقلالية، مما سمح لهم في التكتل لتكوين خلية اجتماعية متلاحمة فيما بينهم، وأصدق نموذج "الطائفة اليهودية"، التي امتثلت لما حث عليه حاخاماتهم ألا وهو التقوقع وعدم السكن مع الأديان الأخرى.⁽⁶⁾

(1) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص121.

(2) العربي ايشبودان، المرجع السابق، ص60.

(3) اندريه ريمون، المدن العربية الكبرى.... ص129.

(4) كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص77.

(5) العربي ايشبودان، المرجع السابق، ص60.

(6) زبيدة محمد عطا، اليهود في العالم العربي، الطبعة الأولى، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003م، ص74.

نتج عن العوامل السابقة الذكر اتساق أحياء متباينة ومتعددة تعرف بمدينة الجزائر بـ"الحارة" * أو "حومة"، ويجدر الإشارة إلى أن مصطلح "حومة" قد يدل في بعض الأحيان على شارع، والحومة موجهة للإقامة السكانية ومن تم جهزت ببوابات تعرف في الجزائر بـ"درب"⁽¹⁾

يضم الحي الواحد غالبا شبكة من الشوارع المتفرعة من الشارع الرئيسي المفضي الى الخارج، ويمكن غلق أنحائه وحتى أزقته المسدودة عن طريق بوابة، تقع في أول هذا الشارع الرئيسي، ويفصل بينه و بين حي آخر مجاور له حدود من الحوائط المشتركة لبيوت كل منهما.⁽²⁾

يتم تجهيزه بالمرافق الضرورية المتمثلة في الأسواق الصغيرة وفرن الخبز وحمام عمومي،⁽³⁾ فضلا عن المسجد وقد يتوفر على أكثر من مرافق تمشيا مع الكثافة السكانية التي ينفردها عن غيره واصدق مثال حومة سوقة بن عمور التي تم تزويدها بحمامين "حمام فويطة" و "حمام السبوعة".⁽⁴⁾

شكلت هذه الاحياء وحدات إدارية أساسية فهي ذات بنية شبه إدارية إذ يرأسها "المشاخ" وكثيرا ما يكون رؤساء دينيون في حالة ما إذا كانت الطائفة تمثل أقلية مذهبية او دينية.

والجدير بالذكر أن هذا التنظيم مماثل لتنظيم الطوائف المهنية لا وبل في بعض الأحيان يمتزج بها في حالة ما إذا اختصت الطائفة الدينية بنشاط مهني محدد،⁽⁵⁾ كحرفة الصياغة والعطارة التي احتكرتها الطائفة اليهودية، وبفضل شيوخ الأحياء تمكنت السلطة من ممارسة نوع من التسيير الإداري والمالي، كون الحياة في الحي شبيه بالحياة في القرية، ومن تم يسهل فرض الرقابة الذاتية والصرامة على المستوى الاجتماعي، ومن مظاهر الحياة الاجتماعية الأعياد الدينية والحفلات والأعراس وغيرها،⁽⁶⁾ فعلى الرغم من الدور البارز الذي يؤديه "شيخ الحي" إلا أن الوثائق عكفت عن ذكره.

* من المرجح أن مصطلح الحارة كان متداولاً قبل مجيء العثمانيون للمدينة وأقدم وثيقة ورد فيها هذا المصطلح تعود الى سنة 932هـ الموافق لـ 1525م، نصت على مايلي: ".... حارة الجنان داخل بلد الجزائر ..."، ليبدعها مصطلح "الحومة" فجاء في الوثائق " حومة باب عزون سنة 956هـ، حومة كتشاوة 972هـ وهكذا دواليك، أنظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-130م مقارنة اجتماعية-اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث الجزء الأول، جامعة الجزائر، 2000م-2001م، ص372.

(1) نفسه، ص397.

(2) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص103.

(3) T. Shuval, La ville d'Alger vers la fin du xvIIIe siècle, CNRS éditions, Paris, 1998, p213.

(4) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، ص374.

(5) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص100.

(6) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، ص374.

تضاربت الآراء في تحديد عدد هذه الأحياء نظرا لقلة المصادر التي تناولتها، لذا نجد تباين في تقديرها فشوفال قدرها بـ41 حيا،⁽¹⁾ على غرار ليليان الذي إحصاها بـ20 حيا،⁽²⁾ وتقريبا هذا ما ذهب اليه بن حموش حين صرح بان عددها لا يزيد عن 21 حيا.⁽³⁾

فيما يرى ريموند أن تعدد وتقلص الأحياء يعود إلى أهمية المدينة ومن تم نجد ان مدينة الجزائر في القرن 16م ضمت حوالي 50 حيا سكنيا،⁽⁴⁾ ارتفع عددها ليصل إلى 71 حيا في القرن 18م.⁽⁵⁾ من المتعارف عليه أن أكبر طائفة استقرت بالمدينة هي الطائفة اليهودية التي قدمت من كل صوب وحذب وانصبت فيها، ومن تم عجز الحي الواحد من استيعابها لذا لم تكف بجي واحد بل تعددت الى حين، تبعا لما اتى على ذكره هايدو القادم الى المدينة سنة 1578-1581م حين صرح قائلا: "انقسم اليهود إلى مجموعتين ضم كل حي مجموعة يصل عدد المنازل إلى 150 منزل إجمالا، انفرد كل حي بكنيس (معبد) اين يجتمع فيه كل يوم السبت ...".⁽⁶⁾

فضلا عما جاء به كورين شوفاليه خلال القرن 9هـ/15م لما صرح قائلا: "إنهم يزدهمون في الحارات الخاصة بهم ذات كثافة سكانية عالية، ويمتلك الكثير منهم بيوتا خارج هذه الحارات، وكذلك منازل غنية في الريف...، كما تجدهم بالقرب من باب الواد ومقابل السور حيث يوجد هناك كنيسهم (معبدهم)".⁽⁷⁾

نستخلص مما سبق أن الطائفة اليهودية قد تمتعت بحرية التنقل وامتلاك العقارات حيث اتخذت لها منازل خارج الأحياء، فضلا عن تشييدها لمنازل الفخمة بالفحص منافسة بذلك الحكام، كدار بن دوران بفحص باب الوادي كما انغلقت وتوقعت في حي أي بالأحرى حين.

T. Shuval, Op.Cit, p p 213, 214.

(1)

(2) ديوان رياض الفتاح، القصة الهندسة المعمارية وتعمير المدن O R E F – G A M , 1984م-1985م، ص22.

(3) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، ص374.

(4) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص103.

(5) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، ص374.

(6) F.D.Haédo, Topographie et histoire d'Alger, La vie à Alger au siècle, présenté par Abderrahmane Rabahi, édition grand Alger, 2007, p222.

(7) كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص ص، 68، 16.

وهذا خير دليل على ارتفاع عددها، فالمتخصص لتصريح "هايدو" يلمس ان كل حي يختلف عن غيره، وكان لكل منه طائفة خاصة، ومذهب خاص به، لذا انفرد كل واحد منهم بمعبد خاص، والسؤال الذي يفرض نفسه لما نجد هذا التضارب في الحقائق فتارة الانغلاق ثم الانفتاح على الخارج، ومن هنا ننسج العديد من الفرضيات هل الانغلاق مس طبقة محددة من هذه الطائفة ؟ او عرق خاص دون غيره؟ او تبعا لوضع امني؟ نتسارع في دهننا العديد من الأسئلة التي سنحاول الرد عليها لاحقا.

فان عدنا لما جاء به "هايدو" نجد انه أشار إلى وجود حيين لليهود، ولكنه لم يفصح عن موقعهما على غرار "شوفاليه" الذي حدد الحي إلا وهو على مقربة من باب الواد ومقابل السور حيث يوجد هناك معبدهم، ومع ذلك لا يزال المكان مجهولا.

إلى أن جاءت الدراسة الحديثة التي قام بها الأستاذ "بن حموش" المنشورة في المجلة المغاربية ومن خلالها رصد مراكز تجمع اليهود بالمدينة، وتوصل إلى أن نسبة كبيرة من ملكيات اليهود، تركزت في القسم السفلي منها (الخريطة رقم 3، خريطة رقم 4)، وبصفة خاصة حول قصر الداوي 67,07 %، واعتبر هذه المنطقة أهم منطقة من المناطق التي اقام فيها اليهود.⁽¹⁾

فقد جرت العادة عند اليهود الاحتماء بالسلطة الحاكمة مثلما جرى بمدينة تلمسان حين التمس الحاخام "افرايم عنقاوة" من حاكمها أن يسمح لبني جلدته أن يقيم دورا لهم بالقرب من قصر المشور احتفاء به.⁽²⁾

أما المنطقة الثانية فهي قريبة من باب الوادي حيث توجد بيعة اليهود الكبرى (معبدهم) في حين جاءت المنطقة الواقعة على طول شارع البوزة، والسوق الكبير في المرتبة الثالثة.⁽³⁾

ولقد فضلت الطائفة اليهودية الاستقرار بـ"القسم السفلي" تبعا لتوفره على مؤسسات إدارية واقتصادية كما سبق الخوض فيه آنفا، كما انه يلبي احتياجاتها الأمنية والاقتصادية على حد سواء.

هذا ما دلت وثيقة مؤرخة بتاريخ 1185هـ الموافق لـ 1771م_1772م نصت على مايلي: "الحمد لله الذي يشهد به من يوضع اسمه فيه اثر تاريخه شاهدا بمضمونه وبمعرفة الإخوة الذميون وهم أبو القرادشي وحاييم الخياط وقنور القرادشي أولاد إبراهيم سبوطيش ووالدتهم الذمية سلطنة بنت حليم بمعرفة تامة معتبرة شرعا لهم مالا من مالهم وملكا صحيحا من جملة أملاكهم جميع المسكن السادس

M. Ben Hamouche, « Les quartiers résidentiels et les organisations populaires à Alger à l'époque ottoman », In : Revue d'Histoire Magrébine n° 83-84, 1996, pp, 525, 527. (1)

Darmon, « origine et constitution.... », In: R.A1870, Vol14, p379. (2)

M. Ben Hamouche, « Les quartiers » In : Revue d'Histoire Magrébine 83°-84, 1996, p527. (3)

من دار الطفيل الكاينة قرب دار الإنكشارية الخراطين... بتاريخ أواخر شوال المبارك من عام خمسة وثمانين ومائة وألف⁽¹⁾.

أ. الأحياء: بعد أن حددنا المناطق التي شهدت تركز الطائفة اليهودية ما علينا الا تحديد أحيائها او شوارعها، اعتمادا على الوثائق المتوفرة لدينا فضلا عن الدراسات التي تناولتها ومن تم نذكر كل من:

■ حارة اليهود أو زنقة اليهود:

فعلى غرار الطائفة اليهودية بتونس والقاهرة التي اختصت بحي خاص بها فالطائفة اليهودية بمدينة الجزائر امتعصت عن ذلك فسجلات البايلك عزفت عن ذكر وجود حي خاص بهذه الاخيرة على غرار الشارع المعروف بـ"زنقة اليهود" أو "حومة اليهود"⁽²⁾.

على رغم من انفراد هذه الطائفة بحي خاص بها في مدينة قسنطينة*،⁽³⁾ فضلا عن مدينة تلمسان عرف بـ"درب اليهود"⁽⁴⁾.

■ زنقة سبع لويات:

وردت بعدة صيغ في وثائق المحاكم الشرعية فتارة يشار إليها بـ"سبع لويات"⁽⁵⁾ وتارة أخرى بـ"زنقة سبع لويات"⁽⁶⁾ أو "درب سبع لويات"⁽⁷⁾ فضلا عن "مضيق سبع لويات"⁽⁸⁾ وقد رجح العديد من الباحثين أن "زنقة سبع لويات" نفسها "حومة اليهود"⁽⁹⁾ أو "زنقة اليهود"⁽¹⁰⁾.

(1) علبة رقم 84، 85، 86، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.

(2) مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام (نموذج مدينة الجزائر في العهد العثماني)، دار البشائر، دمشق، 1999م، ص160.

* عند النصف الثاني من القرن 18م قام صالح باي باقتطاع الأراضي الواسعة الموجودة الآن بالقرب من سوق العصر وباب القنطرة لصالح اليهود، ومن تم دعى كل من يهود وهران وتلمسان ومستغانم ومعسكر إلى الاستقرار بها، أنظر:

Ab.Cahen, Op.Cit, p98.

Ibid, p98.

(3)

(4) ابن مريم الشريف المليني المديولي التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة الشيخ محمد بن ابي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص269.

(5) علبة رقم 16، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 228، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.

(6) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 63(7)، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.

(7) علبة رقم 6، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 12، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.

(8) علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.

T. Shuval, Op.Cit, p205.

(9)

(10) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص412.

إلا أن آخر الدراسات فندت ذلك تبعا لما ورد في احد الوثائق اذ جاء فيها ما يلي: "...الدار القريبة من سبع لويات بحارة اليهود..." (1)

ويجدر الإشارة إلى أن "زنقة سبع لويات" تعد من أقدم التجمعات السكنية للطائفة بالمدينة فهي ترجع الى ما قبل سنة 1575م. (2)

أتى على وصفها كاثكارت أسير الداى في أواخر القرن 12هـ / 18م حين تطرق لوصف المدينة اذ صرح قائلا: "أما الطرق فهي ضيقة ومظلمة وهذه هي الحالة خصوصا في حي اليهود حيث يوجد مذبج الطائفة الذي تتصاعد منه روائح كريهة لا تطاق". (3)

وعلى ما يبدو ان تسمية "سبع لويات" تشير إلى تلك الإلتواءات والانعرجات التي انفرد بها هذا الشارع. (4)

ولقد جرت العادة في المدن الإسلامية الفصل بين الأقليات بإسكانها في أحياء منعزلة طبوغرافيا، (5) واصدق نموذج مدينة تلمسان.

فقد قام حاكمها باقتطاع أرض في وسط المدينة على مقربة من قصره "المشور" ووهبها لليهود المدينة بحجة حمايتهم من التحرشات غير أن المكان لم يكن بالجودة المرجوة فهو مغمور، ومن تم وجب على كل من يرغب في تشييد دور له أن يجفف المكان قبل الشروع في ذلك.

وكذا بالمثل فيما يتعلق بيهود وهران حين منحهم "الباي محمد الكبير" * أرضا مغمورة كذلك تم ذلك بعد وساطة الخزانجي لهم القادم من معسكر سنة 1792م، (6) فضلا عن يهود مدينة الجزائر الذين اختطوا دورهم في هذه الأرض الوعرة.

(1) نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700م-1830م، رسالة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005م، ص83.

(2) T. Shuval, Op.Cit, p205.

(3) كاثكارت، مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص102.

(4) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص83.

(5) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص131.

*تزامن حكمه مع إنتشار المجاعة سنة 1780م التي أعقبت بالطاعون مرتين بعد خمس سنوات ولعب دورا في مواجهة ذلك، فضلا عن إسترجاع مدينة وهران وتخليصها من الإسبان وكان ذلك سنة 1790م، أنظر:

Gorcus ,«Notice sur le bey d'Oron», In:R.A1857,Vol2, pp37,46

Darmon,«origine et constitution....», In:R.A1870,Vol14, pp379,381

(6)

وبعد استنتاجنا لأكثر من عشرين وثيقة تمكنا من التعرف على بعض الدور التي انتشرت بـ"زنقة سبع لويات"، نذكر منها: دار بن بويضة،⁽¹⁾ دار بن عزرة،⁽²⁾ دار سرفاتي،⁽³⁾ دار ججوه،⁽⁴⁾ دار جماعة من الذميين،⁽⁵⁾ دار النخلة*،⁽⁶⁾ دار بن عزيزة،⁽⁷⁾ دار بن خلفون،⁽⁸⁾ دار مرباطي،⁽⁹⁾ دار البردي، دار اسحاق، دار الفل،⁽¹⁰⁾

وفقا لمخطوط دوفو فان "زنقة سبع لويات" جعلت على مقربة من امتداد شارع باب عزون وشارع شارتر فقد كان كل منهما يفتح على درب وجد في بدايته هذه الأخيرة.⁽¹¹⁾

■ زنقة الجرابية :

اشتقت التسمية من العنصر الجربي** الذي تأطر ضمن جماعة واستقر بهذا الحي دون سواه، وعلى ما يبدو أنه من أبرز العناصر بالمدينة ومن تم نسب إليه حي عرف بـ"زنقة الجرابية"*** يعود إلى ما قبل سنة 1623م.⁽¹²⁾

(1) علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 19، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 1.

(2) علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 2.

(3) علبة رقم 51، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 65، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 3.

(4) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 4.

(5) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 22، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 5.

* ورد ذكرها في مخطوط دوفو حيث صرح قائلا: "وفي عقد يعود إلى 1199 هـ الموافق لـ 1784م-1785م تم ذكر دار النخلة"، أنظر: A. Devoulx, Alger, sI, sd, p150.

(6) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 63(7)، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 6.

(7) علبة رقم 121، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 32، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 7.

(8) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 57، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 8.

(9) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 21، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 9.

(10) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص84.

(11) بدر الدين بلقاضي ومصطفى أحمد بن حموش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص184، أنظر: A. Devoulx, Alg.,..., p150.

** يقصد به الأفراد القادمين من جربة.

*** وهي عبارة عن سكة غير نافذة تحولت خلال العهد الفرنسي إلى درج يؤدي إلى ساحة شارتر بشارع سان لويس ويليها السوق الكبير الممتد الى غاية البوابة الرئيسية لباب عزون، أنظر: بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص182. A.Devoulx, Alg.,..., p149.

(12) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين....، ص46.

بالإضافة إلى "سوق الجرابية" و "فندق الجرابية"⁽¹⁾ دون غرض النظر عن "دار الجرابية" بالسوق الكبير.⁽²⁾ ومن المتفق عليه أن "زقة الجرابية" احتلت المرتبة الثانية بعد "زقة سبع لويات" فيما يتعلق بتمركز الطائفة اليهودية بها.

وذلك يعود إلى عدة عوامل من جملتها إعتناق الجرابية للمذهب الإباضي،⁽³⁾ المتميز بالتسامح الديني فضلا عن مزاولتهم للتجارة بسوقهم الخاص الذي يعرف بـ "سوق الجرابية"،⁽⁴⁾ ووفقا للعوامل السابقة الذكر تم استقطاب التجار اليهود.

انطلاقا من الوثائق المتوفرة لدينا تمكنا من معرفة دور اليهود بـ "زقة الجرابية" نذكر منها كل من: دار بن ماني،⁽⁵⁾ دار للوش الكبيرة،⁽⁶⁾ دار للوش الصغيرة،⁽⁷⁾ دار اليهود،⁽⁸⁾ دار مليلي.⁽⁹⁾

■ زقة البوزة:

وردت بعدة صيغ في وثائق المحاكم الشرعية فتارة يشار إليها بـ "زقة البوزة"⁽¹⁰⁾ وتارة بـ "سكة البوزة"،⁽¹¹⁾ والمتداول غالبا في المصادر "حومة البوزة" من المرجح أن التسمية تعود إلى وجود فرن هناك عرف بهذا الاسم.⁽¹²⁾

* على ما يبدو أن "سوق الجرابية" جعل على مقربة من دار اللحم وفقا لما نصت عليه إحدى الوثائق إذ ورد فيها ما يلي: "الحانوت... العطارين من ناحية سوق الجرابية المقابلة لدار اللحم"، أنظر: علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 17، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(1) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين....، ص46.

(2) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص89.

(3) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص46.

(4) S. Missoum, Alger a l'epoque ottomane la medina et la maison traditionnelle, Edisud, 2003, p88.

(5) علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 15، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 10.

(6) علبة رقم 57، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 27، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 11.

(7) علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة بدون رقم، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(8) علبة رقم 16 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 36، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 12.

(9) علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 13.

(10) علبة رقم 140، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 16، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(11) علبة رقم 140، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

** "البوزة" لفظة تركية تعني شراب الشعير المخمر، ربما أطلق على هذا الحي هذه التسمية وفقا لاستيطان افراد الانكشارية به.

(12) بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص186، أنظر:

تقع هذه الأخيرة بالقرب من السوق الكبير، تميزت بهيمنة العنصر التركي وبخاصة الجيش، إذ أن معظم الوقفيات تعود لعناصر الجيش قد تصل إلى حوالي 70%،⁽¹⁾ فضلا عن ذلك استقرار اليهود واليساكرة بها.⁽²⁾

يجدر الإشارة أن "زنقة البوزة" قد غلب عليها طابع النشاط التجاري وذلك بحكم موقعها في قلب منطقة الأسواق،⁽³⁾ بالإضافة إلى تزويدها بمرافق عدة من جملتها مقهى وعين وحمام عرف بـ"حمام البوزة" اقتصر لاستعمال الطائفة اليهودية فقط.⁽⁴⁾

ولقد اكتسبت "زنقة البوزة" أهمية خاصة حيث احتلت المرتبة الثالثة في استيطان الطائفة اليهودية بها بعد "زنقة الجرابية" مباشرة، من المرجح أن العلة تكمن في اشتغالها على "زنقة الفورنيين" تلك السكة غير النافذة الممتدة طوليا والتي لم تدمج ضمن مخطط الفرنسي سنة 1832م المقتصرة على الطائفة اليهودية دون سواها⁽⁵⁾ بالإضافة للسوق الكبير، وللاشارة أن يهود "الفورنيين" أي "الليفورنيين" قد امتنوا التجارة وشكلوا طبقة غنية متمتعة بنفوذ سياسي كما سيتضح لنا ذلك جليا لاحقا .

اعتمادا على الوثائق المتوفرة لدينا تمكنا من التعرف على بعض الدور التي انتشرت بـ"زنقة البوزة"، وقد اتسمت هذه الأخيرة بالشحة ومن جملتها نذكر كل من: دار ملك للذمي شموئيل بن مخلوف،⁽⁶⁾ دار السويسوا،⁽⁷⁾ دار ملك للذمية بنهي،⁽⁸⁾ دار خنوس.⁽⁹⁾

■ زنقة حنون:

تقع بالقرب من "زنقة الحاشية" و"سوق العطارين"، وهي عبارة عن سكة غير نافذة تتفرع من الشارع الممتد من شارع بابا عزون إلى شارع باب الجديد.⁽¹⁰⁾

(1) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص 403.

A. Devoulx, Alg.....p151.

(3) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص 403.

A. Devoulx, Alg....., p151

Ibid, p150.

(6) علبة رقم 140، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 16، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 14.

(7) علبة رقم 140، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 15.

(8) علبة رقم 10، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 3، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 16.

(9) علبة رقم 140، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 17، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 45.

A. Devoulx, Alg....., p149.

(10)

على ما يبدو أن التسمية عبرية ذات أصول عربية "حنون" وفقا لما أشار إليه إزانبيت⁽¹⁾ ربما تعود إلى أسرة يهودية عريقة.

وهذا أقرب للصواب امتثالا لما أشارت إليه وثيقة تعود إلى أوائل حجة الحرام من عام 1196هـ الموافق لـ 1781م-1782م نصت على مايلي: "...الدار الكاينة بسوق الحاشية المجاورة لدار حنون ومن أخرى لعلوي شموويل بن معطي... أوائل حجة الحرام من عام ستة وتسعين ومائة وألف"،⁽²⁾ فضلا عن ورود اسم لأحد الأفراد حمل نفس اللقب ألا وهو "الذمي موشي حنون"، أتت على ذكره وثيقة مؤرخة بتاريخ ثلاثة وثمانين ومائة والف

فمن المرجح أن "دار حنون" تقع بزقة حنون بحكم وقوعها بسوق الحاشية، ومن ثم فإن تداول نفس التسمية يشير إلى أهمية المسمى .

الملفت للانتباه عزوف وثائق المحاكم الشرعية على ذكر هذا الحي شأنه شأن "زقة الليفوريين"، على غرار تلك الإشارات التي وردت في وثيقتين أقدمها مسجلة بتاريخ أواسط قعدة الحرام من عام 1227هـ الموافق لـ 1812م-1813م جاء فيها مايلي: "...جلست الحانوت الكاينة بزقة الحاشية الواقعة على يمين الذهاب من سكة غير نافذة هناك...".⁽³⁾

تليها وثيقة أخرى تعود إلى أواخر صفر الحرام من عام 1228هـ الموافق لـ 1813-1814م، حيث أطلق على هذه الأخيرة مصطلح "الدريبة" حيث نصت على مايلي: "...جميع الحانوتين الكاينيين بزقة الحاشية الأولى الثلاثة على يمين الخارج من الدريبة المعروفة بزقة حنون".⁽⁴⁾

إذا سلمنا بما سبق الخوض فيه آنفا نستخلص أن الطائفة اليهودية قد تقوَّعت وانعزلت داخل أحياء مغلقة اتسق لنا ذلك جليا في "زقة اليهود" و"سبع لويات" فضلا عن "زقة الفوريين" و"زقة حنون"، على غرار "زقة الجرابة" و"زقة البوزة" التي شاهدت تعايش عنصرين أو أكثر معا. وهذا ما فندته "الأستاذة طوبال" وما نذهب إليه كذلك امتثالا لمعاملات بيع وشراء دور بالإضافة للمجاورة التي تمت بين اليهود والمسلمين، اذ دلت على تعايش أكثر من عنصر معا .

(1) M.Eisenbeth, Les juifs de l'Afrique du nord démographie et onomastique, Alger, 1936, p124

(2) علبة رقم 41، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 14، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(3) علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(4) علبة رقم 41، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 18، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

ومن أبرز النماذج التي توحى بذلك نذكر كل من: دار بويضة،⁽¹⁾ دار بن عزرة⁽²⁾ دار خلفون⁽³⁾ بالإضافة لدار النخلة التي تداول عليها مالكين مسلمين ويهود*⁽⁴⁾.

دار بن بويضة: ورد في وثيقة تعود إلى أواخر صفر الخيرات من عام 1183هـ الموافق لـ 1769م-1770م أن المكرم عمر الانكشاري اشترى الربع الواحد شايعا من "دار بن بويضة" الواقعة بزقة سبع لويات من مالكيها اليهود.

نصت هذه الأخيرة على مايلي: "...شهادته بالمحكمة الحنفية الذمي إبراهيم بن دايد... واشهده على نفسه انه باع من المكرم... عمر الانكشاري... جميع الربع الواحد شايعا من جميع الدار المذكور... بثمان قدره... مائة دينار الواحد والخمسون دينار كلها ذهبا عينا سلطانية... مائتا دينار ثمان كلها ذهبا عينا سلطانية... المبتاع المذكور من البائع المسطور بثمان رهينة كانت في المبيع المذكور وقدر ذلك مائة دينار واحدة من الوصف مقاضاة تامة... بها كل واحد منهما مما له قبل اواخر البراءة التامة والباقي الذي قدره خمسون دينار قبضهما البائع المذكور من المبتاع المسطور على الوفاء والتمام واعترف بذلك القبض التام وبراءة من جميع الثمن المسطور... فتسلم ذلك منه... بتاريخ اواخر صفر الخيرات عام تسعة وثمانين ومائة والف".⁽⁵⁾

دار بن عزرة: أشارت وثيقة تعود إلى أواخر رمضان من عام 1212هـ الموافق لـ 1797م-1798م أن الداوي حسان باشا اشترى ربع من "دار بن عزرة" الموجودة بزقة سبع لويات من مالكيها اليهود.

إذ ورد فيها مايلي: "...شهادته بالمحكمة الحنفية أمام القاضي المشار إليه الذميون المذكورون وهم يوسف ودافيد وموشي بن مخلوف ومسعودة بنت موشي وكل واحد منهم في حق نفسه أشهدا على

(1) علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 19، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(2) علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(3) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 57، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

* اسهبت الأستاذة طوبال في دراستها أنظر: نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 86، 88.

(4) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 63(7)، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(5) علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 19، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

أنفسهم باعوا كلهم صفقة واحدة وعهدا على أنفسهم إلى المهام فخر الملوك مولانا السيد حسن باشا...جميع ربع الدار المذكورة... مائتا دينار ثمان كلها ذهبنا عينا سلطانية قبض الباعون المذكورون من المبتاع الذكور جميع الفرد المزبور ... القبض التام.... بتاريخ اواخر رمضان عام إثنى عشر ومائتين وألف".⁽¹⁾

_دار بن خلفون: دلت وثيقة تعود الى سنة 1214هـ الموافق لـ 1799م_1800م على شراء الداوي مصطفى باشا لـ"دار بن خلفون" الواقعة بزقة سبع لويات من مالكيها اليهود.

نصت هذه الأخيرة على مايلي: "الحمد لله بعد اكتفاء الرسم المقيد أعلاه...الشيخ الفقيه...ابو الحسن السيد إبراهيم قاضي الحنفية في التاريخ الواضع طابعه أعلاه...اشهد(شالوم) اليهودي .. ابن خياكو ويوسف بن شمعون بلخير اليهودي شهدا على أنفسهما أنهما باعا الى الإمام الهام مولانا السيد مصطفى باشا...جميع نصب الدار المذكورة بما للبيع المذكور ... أربعماية دينار كلها ذهب عينا سلطانية قبض الباعان المذكوران من المبتاع الذكور جميع الفرد المزبور باعترافهم بذلك....من عام أربعة عشر ومائتين وألف".⁽²⁾

إن تمحصنا فيما سبق الخوض فيه آنفا نجد ان الطائفة اليهودية لم تعش الانعزال أو الانطواء بل احتكت مع مختلف الشرائح، يتجلى ذلك في "زقة سبع لويات" التي عدت كأهم مركز للتجمع اليهودي بالمدينة تبعا لتوفرها على معبد ومجزرة شرعية، لذا كان إقبال أفراد الطائفة عليها بشكل مكثف فعلى الرغم من ذلك لم تكن حيا يهوديا خالصا، نظرا لامتلاك عليا القوم من حكام وعناصر من الجيش، دورا لهم بها، ومن أبرزهم نذكر كل من: الداوي حسان باشا ومصطفى باشا بالإضافة لعمر الانكشاري.

(1) علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(2) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 57، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

ومن تم نستخلص أنه لا وجود للانعزال بل الانفتاح على الخارج وما الأحياء السابقة الذكر إلا أحياء سكنية ذات كثافة سكانية يهودية لا غير وذلك راجع الى قربها من مركز المدينة الاقتصادي، والإداري وهذا ما يدل على نفوذ الطائفة اليهودية.

وللإشارة أن هذه الأحياء لم تخرج من صيغة التجمع السكني لا غير وان تقوقع بها مثلما نجد في كل من "زنقة الفورنيين" و"زنقة حنون"، فذلك راجع لعوامل بسلوكولوجية خاصة بالأقليات، واصدق نموذج "طائفة الفورنيين" التي لم تجد ترحيبا سواء من قبل "التوشبيم" أو "الميكورشم" *، مما أدى بها للانطواء واتخاذ حي خاص بها بغية تأمين الحماية والأمن.

فالملفت للانتباه ان تقوقعهم في أحياء لا يعني انعزالهم عن الخارج، فغالبا ما كانوا يمارسون نشاطهم التجاري خارج أحيائهم بكل حرية، فالنفوذ الاقتصادي لليهود بلغ ما يمثل نسبة 32% من حيث التواجد الفعلي في فضاء المدينة الاقتصادي وذلك راجع لاملاكهم لعدد من المحلات التجارية تمت لهم إما بشراء أو اكتراء على حد تقدير "الأستاذة طوبال"، انتشرت في 14 سوق من أسواق المدينة،⁽¹⁾ التي بلغ عددها حسب إحصاء "الأستاذة غطاس" إلى مايقارب 41 سوقا.⁽²⁾

ب. الاسواق:

ولقد اتسمت هذه الأخيرة بالبساطة مقارنة بأسواق القسطنطينية وغيرها ذلك ما نستشفه من خلال وصف الرحالة فاغندر لها حين زارا المدينة سنة 1830م_1855م حيث صرح قائلا: "توجد في الجزائر بعض الأسواق....وهي لا تشبه تلك الأسواق الضخمة التي كانت موجودة قديما في بغداد أو طهران والتي تحدث عنها المؤرخون العرب، أن أسواق مدينة الجزائر لا يمكن أن تقارن بأسواق مدينة إزمير والقسطنطينية.... فأسواق مدينة الجزائر فقيرة بجانب تلك الأسواق وهي عبارة عن دور تشبه الدور العربية مع فارق واحد وهو أن جانبي الفناء يحتويان على حجرات الواحدة منها منفصلة عن الأخرى.

* وللانتقام منهم تحكمت في التجارة واستمالت حكام البلاد وتولت في إدارة شؤون الطائفة سننطرق إلى ذلك عند تناولنا لمنصب المقدم.

(1) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص155.

(2) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين....، ص403.

ولكل سوق طابقان أو ثلاثة طوابق وغرف كثيرة، يضم كل سوق أكثر من أربعين محلاً⁽³⁾.
 فلأسواق عبارة عن محلات متجاورة يتم بناؤها على طول أحد الشوارع أو عند ملتقى الطرق، توضع تحت إشراف "شيخ" أو "أمين" مكلف بالحفاظ على النظام وعلى استقامة المعاملات بالإضافة لتأديته دور الوسيط بين السلطة والتجار وغالباً ما يضم إليه "نقيب" و"كاتب" لمساعدته في تأدية مهامه.
 تزود هذه الأخيرة بأبواب خشبية ليتم غلقها ليلاً تحرس من قبل حراس يعرف بـ "العساس" في تونس و"حارس" أو "بواب" في حلب، يتم اسناد هذه المهام في الجزائر إلى طائفة البرانية المتمثلة في "البساكرة"، وكانوا يقيمون أمام المحلات والمخازن، غالباً ما يتلقون أجورهم من قبل أصحاب الورش والمحلات، وهم مسؤولون في حالة ما وقعت سرقة.⁽¹⁾

ومن بين الأسواق التي شهدت تواجد اليهود بها نذكر كل من: سوق الحوت، سوق التماقين، سوق الخرازين، سوق الفرارين،⁽²⁾ سوق الخراطيين،⁽³⁾ سوق الشماعين،⁽⁴⁾ سوق الصفارين،⁽⁵⁾ سوق العطارين،⁽⁶⁾ سوق الحاشية،⁽⁷⁾ سوق الشبارلية،⁽⁸⁾ سوق السمن،⁽⁹⁾ سوق اللوح،⁽¹⁰⁾ سوق الصاغة⁽¹¹⁾ سوق القيسارية،⁽¹²⁾ سوق الجرابية.⁽¹³⁾

ونظراً لامتهانهم لبعض الحرف وبراعتهم فيها جعلهم يحتكرونها وانفردوا بسوق خاص بهم تجلت في

(3) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830م-1855م، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص 64.

(1) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص 183.

(2) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 155.

(3) علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 36، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(4) علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 37، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(5) علبة رقم 10، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 18، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(6) علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 17، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(7) علبة رقم 16(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 116، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 29، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(8) علبة رقم 132_133، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 8، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(9) علبة رقم 16(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 189، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(10) علبة رقم 38، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 21، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(11) علبة رقم رقم 16(1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 72، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(12) علبة رقم 74_75، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 20، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(13) علبة رقم 68، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 11، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

كل من: "سوق صاغة اليهود"، و"سوق العطارين اليهود".

فمن المتعارف عليه أن اليهود برعوا في أشغال المعادن الثمينة كالذهب والفضة وكذلك أعمال الصرافة فهي من مهنتهم التقليدية،⁽¹⁾ وهذا ما ذهب إليه وليام شالر حين صرح قائلاً: "كما هي عاداتهم في بلدان أخرى يمارسون جميع فروع التجارة، وهم يحتكرون في هذا البلاد السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة، وكذلك يوجد عدد كبير من الصيارفة بينهم وذلك في الذهب والفضة على السواء، والحكومة لا توظف سوى اليهود لصك النقود..."⁽²⁾

وعلى ما يبدو أن اليهود مارسوا حرفة الصياغة وعكفوا عليها تبعا لما تدره عليهم من أموال طائلة، مما اكسبهم نفوذا وصدى عند الحكام، اذ تمت الإشارة لـ "سوق الصاغة اليهود" في العديد من الوثائق من جملتها وثيقة تعود إلى عام 1104 هـ الموافق لـ 1692م-1693م، جاء فيها مايلي ".....جميع الحانوت الكاينة بسوق الصاغة اليهود".⁽³⁾

وورد بصيغة أخرى في وثائق من جملتها وثيقة مسجلة بتاريخ هـ الموافق لـ 1787م-1788م، نصت على ما يلي ".....بسوق الصاغة المعدة للصنعة المذكورة..".⁽⁴⁾

يقع هذا السوق بمركز المدينة على مقربة من جامع الأعظم،⁽⁵⁾ وبيت المال،⁽⁶⁾ مجاور لسوق القيسارية وجامع السيدة،⁽⁷⁾ يلج إليه عبر منفذين احدهما على سوق الفرارية⁽⁸⁾ وآخر على اليمين الصاعد للقهوة الكبيرة.⁽⁹⁾

(1) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص 85.

(2) وليام شالر، المرجع السابق، ص 89.

(3) علبة رقم 11 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

(4) علبة رقم 16 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 72، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

(5) علبة رقم 16 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 43، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

(6) علبة رقم 16 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 72، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

(7) علبة رقم 74-75، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 20، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

(8) علبة رقم 41 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 5، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

(9) علبة رقم 11 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

ومن أبرز الصانع اليهود المحترفين لهذه المهنة وفقا لما ورد بوثائق المحاكم الشرعية نذكر كل من: موشي الصائغ،⁽¹⁾ شالومو بن يهوده الصائغ،⁽²⁾ شمويل بن يعقوب الصائغ،⁽³⁾ إسحاق الصائغ⁽⁴⁾ الصائغ شالومو بن يوسف وليد،⁽⁵⁾ مخلوف الصائغ ابن ميخاي،⁽⁶⁾ مردخاين الصايغ بن دابيد ظبيانة⁽⁷⁾ موشي بن يهوده بن ستيتي.⁽⁸⁾

تحتل العطارة المرتبة الثانية بعد الصياغة فقد تعاطاها اليهود وأولوها أهمية خاصة، فبرعوا فيها واتخذوا سوقا خاصا بهم، عرف بـ"سوق العطارين اليهود"، ورد ذكره في عدة وثائق من ضمنها تلك التي تعود إلى عام 1161 هـ الموافق لـ 1747م-1748م، إذ جاء فيها مايلي: "... جميع الدار الكاينة بعطارين اليهود...".⁽⁹⁾

يتمركز هذا السوق في شارع باب الجديد ويمتد حتى سوق السمن،⁽¹⁰⁾ على مقربة من سوق الدخان،⁽¹¹⁾ يقصد بحرفة العطارة صناعة العطر فضلا عن بيع مواد أخرى كالسكر والأرز وغيرها⁽¹²⁾ كالتوابل.⁽¹³⁾

-
- (1) علبة رقم 6، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 2، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (2) علبة رقم 11 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (3) علبة رقم 74_75، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 20، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (4) علبة رقم 68، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 1، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (5) علبة رقم 68، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (6) علبة رقم 84، 85، 86، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (7) علبة رقم 41 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 21، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (8) علبة رقم 41 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 5، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (9) علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.
 - (10) زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2000م، ص 143.
 - (11) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 163.
 - (12) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص 476.
 - (13)

ومن جملة العطارين الوارد ذكرهم في وثائق المحاكم الشرعية نجد كل من: يعقوب العطار بن جورنو،⁽¹⁾ العطار الياه بن دابيد ليبي بلنسي.⁽²⁾

وللإشارة أن الحرفيين خاضعين لـ "مقدم الطائفة"،⁽³⁾ لذا اتخذ بعض منهم دور لهم على مقربة من هذه الأسواق من جملتهم المقدم "يعقوب عقيبات" الذي أقام بسوق الكبير،⁽⁴⁾ فضلا عن المقدم "جلاد بن معطي" الذي اتخذ دارا بسوق العطارين اليهود،⁽⁵⁾ وأخرى بسوق الحاشية.⁽⁶⁾

فالجدير بالذكر أن إدراج حرفيين اليهود من صاغة وعطارين بأسواق خاص، لا يعني فرض العزلة عليهم وفصلهم عن بقية الحرفيين، فذلك يشير إلى مدى تحكمهم في هذه الحرفة من جهة ونفوذهم واهميتهم من جهة أخرى، ونظرا لمتنعمهم بحرية التنقل أقبلوا على مزاوله نشاطهم الحرفي خارج هذه الأخيرة، واصدق مثال انتشار عطارين يهود بسوق العطارين الموجود بزنفة الحاشية.⁽⁷⁾

والملفت للانتباه عدم توقعهم في أسواق لممارسة نشاطهم التجاري بل انتشروا في أرجاء المدينة، امتثالا لما أشارت إليه عدة وثائق نستشهد بوثيقتين:

الوثيقة الأولى تعود إلى سنة 1168 هـ الموافق لـ 1754م-1755م نصت على مايلي: "الحمد لله بالمحكمة المالكية أمام... الشيخ الفقيه العالم العلامة الهمام الواسع إسمه السيد... الذمي شالوع بن مشار اليهودي جميع جلسة حانوته القريبة من دار الانكشارية القديمة... إسحاق يلداش بن احمد المكرم حسن يلداش... عزة رمضان عام ستة وثمانية ومائة وألف." ⁽⁸⁾

(1) علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(2) علبة رقم 121، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 37، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(3) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 163.

(4) علبة رقم 28، المحاكم الشرعية، وثيقة بدون رقم، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(5) علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(6) علبة رقم 41، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 14، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(7) علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 29، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(8) علبة رقم 57، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 34، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

أما الثانية فترجع إلى سنة 1229 هـ الموافق لـ 1813م _ 1814م ورد فيها ما يلي: "الحمد لله... وبمعرفة الذميين وهما هارون بن شالوم زنوده واسحاق بن ابراهيم موشي بمعرفة قطعية....معتبرة شرعا يشهد به... جميع جلسة الحانوت الكاينة بكتشاوة....بتاريخ أواخر شعبان المبارك سنة تسعة وعشرون ومائتين وألف". (1)

ومن تم نستنتج أن اليهود تمتع بحرية التنقل والحماية، وما يؤكد ذلك استقرار البعض منهم قرب دار الانكشارية وعلى سبيل المثال تلك الدار المجاورة لـ"دار الطفيل" القريبة من دار إنكشارية الخراطين. (2)

تبعاً لثقلهم الاقتصادي ومزاولتهم للنشاط التجاري نجدهم قد تركزوا في العديد من الأسواق تجلت في كل من:

- **سوق الكبير:** يمتد من شارع باب عزون إلى شارع باب الجديد، (3) عرف في البداية باسم "سوق الملاحين" في القرن 16م لتتغير فيما بعد إلى "سوق القبائل" في القرن 17م، (4) اشتمل على دور من جملتها: دار اللحم، (5) دار بن ضوة، (6) دار إبراهيم بن مردخاين ابن ليفي، (7) دار جماعة من الذميين، (8) دار المقدم يعقوب عقيبات (9)
- **سوق الملح:** مقابل لزقة سبع لويات وعلى مقربة من سوق السمن، وجدت به: دار يعقوب اليهودي ابن (غير واضح). (10)
- **سوق العطارين اليهود:** جعل على مقربة من "زقة حنون" و"زقة الحاشية"، (11) اشتمل على: دار بن معطي. (12)

(1) علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 34، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(2) علبة رقم 84، 85، 86، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 17.

(3) A. Devoulx, Alg..., p150.

(4) T. Shuval, Op.Cit, p205.

(5) علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 10، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 18.

(6) علبة رقم 9 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 19.

(7) علبة رقم 10، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 1، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 20.

(8) علبة رقم 9 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 21.

(9) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 218.

(10) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 19، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 22.

(11) A. Devoulx, Alg....., p149.

(12) علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 27، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 23.

- سوق العطارين: تضمن كل من: دار قرابي،⁽¹⁾ دار كسية.⁽²⁾
 - سوق السمن: يمتد من سوق الشباغلية الى نهاية السوق الجديد وعلى جزء من "زقة الحاشية" أو "باب الجديد"،⁽³⁾ وجدت به: دار ابن ساخو.⁽⁴⁾
 - سوق الخياطين: يقع بين سوق اللوح ودرب يوبا والسوق الكبير،⁽⁵⁾ تضمن: دار العربية.⁽⁶⁾
 - سوق الدباغين: دار الدباغة.⁽⁷⁾
 - سوق الشماعين: يمتد من باب الوادي ويمر على كل من سوق الرصايسية والبشماقجية مرورا بجامع السيدة،⁽⁸⁾ اشتمل على: دار الزرافة.⁽⁹⁾
 - سوق التماقين: يحاذي السوق الكبير، ويتمركز في شارع باب عزون قبل موضع مصلحة البحرية،⁽¹⁰⁾ به: دار جاكى.⁽¹¹⁾
 - سوق الحاشية: دار بن معطي.⁽¹²⁾
- يجدر الإشارة أن الطائفة اليهودية لم يقتصر انتشارها على جل المناطق التي سبق ذكرها آنفا، بل تعدى ذلك فقد تغلغت في مختلف أرجاء المدينة إذ اتخذت دورا في حارات ذات كثافة سكنية مسلمة.

-
- (1) علبة رقم 133_134، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 24.
 - (2) علبة رقم 9 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 35، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 25.
 - (3) A. Devoulx, Alg....., p141.
 - (4) علبة رقم 63، المحاكم الشرعية، وثيقة بدون رقم، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 26.
 - (5) زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر...، ص 143.
 - (6) علبة رقم 84، 85، 86، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 13، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 27.
 - (7) علبة رقم 63، المحاكم الشرعية، وثيقة بدون رقم، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 28.
 - (8) P.Eudel, L'Orfèvrerie Algérienne et Tunisienne, Alger, 1902, p 80.
 - (9) علبة رقم 10 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 29.
 - (10) زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر...، ص 144.
 - (11) علبة رقم 10، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 54، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 30.
 - (12) علبة رقم 41 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 19، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 31.

ومن جملتها نذكر كل من: دار اليهود بزقة البول*،⁽¹⁾ ودويرة صغيرة تعرف بدويرة بن عاشور بزقة بن فارس،⁽²⁾ فضلا عن دار اليهود الكاينة بحومة الكبابية،⁽³⁾ ودار بحمام فويطة**،⁽⁴⁾ دون غض النظر عن دار بحومة تبارن الأغا.⁽⁵⁾

واننا لا نستبعد أن يكون استقرارهم بالمدينة وفقا لأقدميتهم ولعرقهم، حيث نرجح بأن "التوشابيم" استقر في كل من "زقة الجرابة" و"زقة حنون".

فالجدير بالذكر أن عند المجاورة يحرص على وصول الاستغاثة، وهذا لا يتم إلا بمعرفة مسبقة وبالتالي من الأعلام بالعنصر المغربي والمذهب الإباضي من "التوشابيم" وذلك راجع لاحتكاكهم بهم في الفترة البيزنطية فلما اشتدت عليهم الأزمات فروا الى المناطق الداخلية وانصهروا مع اهلها*** كما سبق ذكر ذلك آنفا، فضلا عن نشاطهم التجاري المزدهر في إقليم توات خلال القرن 14م مما سمح لهم الاحتكاك بهذا الأخير هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فقد رعي في المدينة الإسلامية عدم الجمع بين الأضداد، فمن المتعارف عليه أن "الميكورشيم" متشبعون بالثقافة الأندلسية مما جعلهم يترفعون عن بني جلدتهم "التوشابيم" فكيف بهم أن يستقر جنب العنصر الجربي أو الأهالي .

ومن تم أقاموا بـ"زقة سبع لويات" تسليما بقاعدة الفصل بين الأقليات باسكانها في أحياء منعزلة طبوغرافيا وهذا ما اتسمت به هذه الأخيرة، مما يوحي بأن الطائفة التي تقطن به غير منصهرة مع

* ذكر دوفو أن هذا الحي شهدا كثافة سكانية يهودية عالية، على غرار ما تشير إليه وثائق المحاكم الشرعية التي عكفت عن تأكيد ذلك، أنظر: A. Devoulx, Alge....., p150.

(1) علبة رقم 10(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة بدون رقم، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(2) علبة رقم 6، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 2، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 32.

(3) علبة رقم 10(1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 1، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

** يقصد بها حومة حمام فويطة، أنظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص379.

(4) علبة رقم 16(1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 33.

(5) علبة رقم 16(1)، المحاكم الشرعية، وثيقة بدون رقم، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

***لم تسجل أي تجاوزات في ميزاب بين أهلها واليهود أثناء العهد العثماني كما أنهم شجعوهم على الإقامة بينهم، أنظر: فوزي سعد الله،

اليهود هؤلاء المجهولون، الطبعة الثانية، دار الأمة، الجزائر، 2004م، ص143.

المجتمع وقد تكون غريبة عنه وهذا ما ينطبق على "الميكورسيم"، وما يدعم فرضيتنا ورود ألقاب لعائلات يهودية ذات أصول إسبانية امتلكت دورا بهذا الحي ومن جملتها عائلة بلخير⁽¹⁾ وأزילו وساخو⁽²⁾ والأشقر⁽³⁾ وكذا بالمثل فيما يتعلق بيهود ليفورن المتكثلين في "زنقة الفورنيين" وفقا لعوامل تحكمت في ذلك سبق الخوض فيها آنفا.

فالملفت للانتباه احتكارهم لأرباب الحرف كالصاغة فبمجرد قدومهم الى المدينة صارت الصناعة المحلية غير مطلوبة إلا نادرا على غرار صناعتهم ربما لإتقانهم لها وبراعتهم فيها،⁽⁴⁾ إذ استحوذوا على حرفة العطارة كذلك فالمتفحص في أسماء الأسر التي تعاطت هذه الحرفة يجد أنها تعود لأصول ليفورنية كعائلة بن جورو وبلنسي،⁽⁵⁾ كما وجد فوق زنقة الفورنيين فندقا يعرف بـ"فندق الروز".⁽⁶⁾

ومن تم نستخلص أن يهود ليفورن عكفوا على الحرف المذرة للربح الوفير والتي تتطلب دراية وخبرة وباكتفاء الشروط أمست صناعتهم رائجة، مما اكسبهم نفوذا ماليا واقتصاديا.

وذلك راجع لعدة عوامل من جملتها استيطانهم بالمراكز التجارية ومزاولتهم لهذه الأخيرة فضلا عن تحكمهم في حركة التجارة الخارجية حيث أمسوا يصدرون كل من الشموع والكاكاو والقرنفل والقرفة والسكر نحو ليفورن ومن أبرز التجار عائلة بوشناق وبلنسي.⁽⁷⁾

وعلى ما يبدو أن انتشارهم بالمدينة وضواحيها تماشى مع مكانتهم الاجتماعية فالأثرياء منهم اتخذوا دورا لهم بفحص المدينة تبعا لما جاء على لسان شوفاليه حين صرح قائلاً: "...وكذلك منازل غنية في

(1) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 57، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(2) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 61، 62.

(3) علبة رقم 121، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 32، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(4) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين....، ص 476.

M.Eissenbeth, Les juifs....., p108.

(5) زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر...، ص 125.

(7) رحمونة بليل، "سيطرة اليهود على التجارة الجزائرية الليفورنية خلال القرن الثامن عشر"، عن: مجلة عصور الجديد، العدد العاشر،

2013م، ص 5، 6.

الريف.. "،⁽¹⁾ وهذا ما دعمه كاهن حين ذكر قائلا: " بأن اليهود الأثرياء فضلوا اتخاذ دور لهم بفحص الأبيار وبوزريعة منعزلين عن بقية شرائح المجتمع بغية الحفاظ على الثقافة العبرية"،⁽²⁾ فمن أبرز الدور بفحص بوزريعة دار بوعكوز، أما بفحص باب الوادي دار بن دوران.⁽³⁾

فعصارة القول أن الطائفة اليهودية بمدينة الجزائر لم تخضع للعزل أو بما يعرف بـ"الجيتو" فقد كان نفسيا أكثر منه مادي وذلك ما نلمسه في "يهود ليفورن"، فما يسعنا القول إلا أن هذه الطائفة ارتبط انتشارها في المدينة وفقا لما يخدم مصالحها الشخصية سواء المادية أو السياسية أو حتى الدينية، فمن تم نجدها في احتكاك دائم بالطبقة الحاكمة، مسيطرين على المراكز التجارية الحيوية للمدينة.

إن سلمنا بالانفتاح والانخراط مع المحيط فيا ترى كيف تفاعل أفراد هذه الطائفة مع موظفي الإيالة والأهالي فضلا عن بعضهم البعض ؟ .

(1) كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص 68.

Ab.Cahen, Op.Cit, p97,98.

H. Klien, feuillets d'eldjazair, chaix éditeur, Alger, 1937, pp 206,210.

3. علاقات الطائفة اليهودية:

1.3. علاقة الطائفة اليهودية بموظفي الإيالة:

اتسمت العلاقة بالتذبذب فتارة ودية وتارة قمع وطغيان طبقا لشخصية الحاكم، إلا أن كل العلاقات قامت على مبدأ المصلحة والحاجة.

فمن المتفق عليه أن اليهود منذ أن احتضنتهم المدينة، وهم يسارعون إلى كسب ود الحكام والتقرب منهم، وما سمح لهم بذلك تمتعهم بالكثير من المهارات، ومن أبرزها التحكم في اللغات الأجنبية، والقدرة على التفاوض،⁽¹⁾ ومن تم لعبوا دور الوسيط فيما يتعلق بتلك العلاقات الدبلوماسية، أو التجارية التي ربطتها الإيالة مع أوروبا.⁽²⁾

ومن هذا المنطلق دس اليهود سمومهم واستغلوا هذه المكانة الحساسة التي منحت لهم، فنكبوا في تحصيل المال عن طريق الإحتيال، والخداع فضلا عن الخبث.⁽³⁾ فمن تم ظهرت للوجود شركة بكري وبوجناح اليهودية، تضاربت الآراء في تحديد تاريخ تأسيسها، من المرجح أنها تعود إلى سنة 1793م، لما زودت فرنسا بالقمح لمدة خمس سنوات،⁽⁴⁾ تزامن ذلك مع فترة تقليد حسان باشا** دايا على الجزائر.⁽⁵⁾

(1) وليام سبنسر، المرجع السابق، ص100.

(2) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص67.

* فقد تمتعوا بمهارة فائقة في تسويق أسوء البضائع ومخادعة رجال الجمارك مهما كانت يقظتهم، أنظر: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م، ص 266.

(3) L.DeTassy, Op. Cit. p298 .

(4) M.Eisenbeth « Les Juifs en ». IN: R.A 1952, vol 96, p375.

** تولى الحكم في يوم 10 قعدة الحرام سنة 1205هـ الموافق لـ 1790م، عرف عنه المعرفة، التعقل، مع الفطنة إلا أنه في بعض الأحيان يعتريه الحمق فيقدم على أمور لا تصادف محلا.

فتحت في عهده مدينة وهران في سنة 1206هـ الموافق لـ 1791م على يد "الباي محمد"، لما إستقر به الحكم عين حفيده "مصطفى خزانجا"، توفي سنة 1212هـ الموافق لـ 1797م، خلفه حفيده مصطفى في إدارة دفة الحكم. أنظر: أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج

أحمد شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص ص 61، 71.

(5) نفسه، ص 61.

قامت بين الداوي والتاجر اليهودي بوجناح علاقة طيبة حيث إتخذته مستشارا له،⁽¹⁾ هذا ما خوله أن يتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد، فقد إمتد نفوذه إلى أجهزة الدولة، فكان يعين ويعزل الموظفين الكبار والبايات،⁽²⁾ إذ التمس للباي التيطري "مصطفى الوزناجي" عفوا من الداوي، ولم يكتف بذلك بل عينه في العام التالي قائدا ليرفعه بعد ذلك بايا على مقاطعة الشرق الجزائري.⁽³⁾

وتذكر بعض المراجع أنه رفع كناسا وهو "مصطفى" إلى منصب خزناجي ليجعله بعد ذلك دايا، فالجدير بالذكر أن كل هذه الترقيات التي يقدم عليها تخدم مصالحه أولا، فمثلا بترقية مصطفى خزناجي يتسنى له أن يكون رئيسا للخزينة العامة.

لم يقتصر نفوذه على الشؤون الداخلية فقط، بل تسرب ليمس العلاقات الدبلوماسية، إذ كان على احتكاك دائم مع الدول الأجنبية، وفقا لتلك الإمتيازات التي منحها إياه الدايات حسان باشا ومصطفى باشا خاصة .

فقد استقبل باسم الداوي قناصل كل من الدانمارك والسويد وهولندا الذين جاءوا محملين بالعوائد والهدايا القنصلية فضلا عن الرسول الموفد من الباب العالي إلى الداوي مصطفى باشا، فانه كان أول من استقبله،⁽⁴⁾ والأعظم من ذلك أنه صار الناطق الرسمي للبلاد، ومن تم صار يسالم من يشاء ويعلن الحرب ضد من يقف أمام مصالحه.⁽⁵⁾

(1) العربي الزبيري، "تأسيس شركة بكري وبوجناح ودورها في عهد حسن ومصطفى باشا"، عن: مجلة الأصالة، العدد: أربعة وعشرون، الجزائر، 1975م، ص 117.

(2) محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791م - 1830م، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994م، ص 25.

(3) العربي الزبيري، "تأسيس شركة بكري"، عن: مجلة الأصالة، العدد: أربعة وعشرون، الجزائر، 1975م، ص 117.
*تولى الحكم خلفا لـ "حسن باشا" سنة 1212 هـ الموافق لـ 1797م عرف بالصلح والكرم، وحبه للعلماء، مقداما شجاعا، علقته الوحيدة هو حبه لليهود وكرهه للعرب.

ظهرت في عهده ثورات في كل من بيلك الشرق تعرف بـ "ثورة بني الأحرش" وفي بايلك الغرب تعرف بثورة "الدقاوي"، وتبعا للأوضاع الداخلية والخارجية للإيالة، فإن الحاكم اهتم بتحسينها وتقوية أسطولها، ومن تم أقام العديد من الأبراج نذكر منها: برج باب الواد، وبرج رأس تافورة، فضلا عن عزمه لتجديد برج قامت الفول لكنه توفي قبل ذلك في سنة 1220 هـ الموافق لـ 1805م، أنظر: أحمد شريف الزهار، المرجع السابق، ص ص، 71، 87.

(4) محمد زروال، المرجع السابق، ص ص، 25، 28.

(5) العربي الزبيري، "تأسيس شركة بكري"، عن: مجلة الأصالة، العدد: أربعة وعشرون، الجزائر، 1975م، ص 117.

شأنه شأن بني جلدته فمن المتعارف عليه أن اليهود لا يتهاونوا في أن يلحقوا الضرر، ويحيكوا الدسائس لكل من يقف أمام مصالحهم أو من يشكل عليهم خطر، فقد كاد القنصل الفرنسي "كليرومبروا" أن يقتل في فتنة أثارها اليهود ضده، وكذا بالمثل فيما يخص القنصل "تالبوا" الذي وقع ضحية مؤامرة حاكها ضده نفتالي بوشناق الجد. (1)

وبذلك نجدهم قد أنكروا فضل القناصل الفرنسيين فطالما احتتموا تحت حمايتهم وعدوا رعية من رعاياهم يتمتعون بنفس الحقوق، وبمجرد ما وجدوا لهم أذان صاغية من الدايات أمسوا يتلاعبون في مصير القناصل يستبدلونهم كيفما شاءوا فالكلمة تعود إليهم في الأول والأخير. (2)

وفقا لما سبق ذكره آنفا فقد انكب بوجناح على الجانب الدبلوماسي، بينما صب البكري اهتمامه على الجانب التجاري، (3) وبتضافر جهودهما معا أمست التجارة الخارجية للولاية تحت نفوذهما، وذلك قبل أن يأفل القرن 18م لتمتد إلى غاية مطلع القرن 19م، وهذا ما تسبب في احتلالها*. (4)

فخلال هذه الفترة إنتشرت المجاعات في أوساط الأهالي، تبعا لاحتكار اليهوديين للقمح والحبوب مع ارتفاع الأسعار، مما ثارا حفيظة الرأي العام، وما زاد الطين بلة سكوت الداي عن ذلك، ومن تم أتهم بالتواطؤ معهم واقتسامه لأرباح التجار في القمح، وبذلك ربط مصيره بهم. (5)

(1) Paul Masson, Histoire des Etablissements et du commerce français dans L'Afrique barbaresque (1560-1793), (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc), Librairie Hachette, paris, 1903, p 311.

(2) عبد العزيز سامح أتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989 م، ص 410.

(3) محمد زروال، المرجع السابق، ص 25.

* بسبب قضية الديون التي اثارها البكري يعود هذا الدين إلى عهد الثورة الفرنسية إذ زودت الجزائر فرنسا بكمية معتبرة من القمح عن طريق التجارين البكري وبوشناق، وصلت الديون إلى سبعة ملايين من الفرنكات إلا أن التسديد قد طال، وبمأن البكري كان مدانا لخزينة الجزائر بمبالغ هامة، فقد اعتمد في تصفية ديونه على تلك الديون التي ترتبت عليه في فرنسا، ولما تقدم دائنيه إلى الخزينة معترضين على الدفع مما عقد التصفية، عمد حينها إلى التقرب من القنصل الفرنسي دوفال بغيت التعجيل في تصفية ديونه مع بلاده، وفيما يتعلق بالداي فانه سارع في مراسلة الحكومة الفرنسية مطالبا بإياها بالإسراع في التصفية، أنظر: يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ممالك أوروبا 1500م-1830م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص ص 127، 128.

(4) وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 100.

(5) مبارك بن محمد الهلالي الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت، ص 251.

ولقي الداوي مصطفى حقه* شأنه شأن بوجناح** ومن تم امتدت الثورة لحي اليهود فتعرض اليهود للقتل والنهب، وقد استنكر الحاكم ذلك، وأنزل أشد العقاب بالمتورطين في ذلك.⁽¹⁾

ولم تكن هذه الظاهرة شاذة عن المجتمع اليهودي فطالما عانى من بطش وتحرشات الانكشاريون، حين تعم الفوضى والاضطراب في البلاد، وقد يتم ذلك بموافقة الحكام.

ومن تم صار اليهود يوجسون خيفة عند وفاة حاكم البلاد، خوفا من مواجهة المصير المشؤوم، ولا يتبدد هذا الشعور إلا لما يتقلد دايا آخر الحكم.⁽²⁾

وقد لا يسلموا من ذلك خاصة إذا تولى الحكم دايا متعشش للدماء كالداوي "علي باشا"*** الذي قتل من كبرائهم عددا، لما لبس بعضهم اللباس الأخضر في ليلة عيد الفطر، والبعض الآخر في يوم عاشوراء، كما قام بحرق بعضهم لما أجاروا على الناس وأكلوا أموالهم بالباطل، وألزم أقاربهم بتسديد المستحقات المترتبة عليهم.⁽³⁾

* داهمه أحد الجنود اليهودي "بوجناح" وهو جالس في دكانه فأرداه قتيلا، ولما فرغ منه عاد أدراجه إلى الثكنة، استحسن الأهالي ذلك، وكان الدافع للثوران ضد اليهود جميعا، وقعت هذه الحادثة يوم الجمعة بعد الصلاة. أنظر: احمد شريف الزهار، المرجع السابق، ص88.

** ففي يوم الجمعة من جمادى الثانية من سنة 1220هـ الموافق لـ1805م، عزم الجيش الانكشاري على الانقلاب ضد الحاكم والخزناجي وقتلهم معا، لما بلغ الخبر مسمع الداوي فر رفقة الخزناجي من دار الإمارة، متجها الى ضريح الوالي دادة للاحتماء فيه، لكن الحظ عكسه حيث وجد باب الزاوية موصدا، فعادا ادراجه خائب، ولما وصل لزنقة فرن الزناكي كان له الجند بالمرصاد فقتلوه، ولما فرغوا منه لحقوا بالخزناجي وقتلوه بين باب جامع كتشاوة وباب الحمام.

وبعدما بلغوا مرادهم استقدموا بـ"أحمد خوجة" المتواطئ معهم، وقد شغل هذا الأخير منصب كاتب دار الإمارة سابقا، عزل منه تبعا لرغبة الداوي المخلوع(مصطفى باشا) في ذلك، وعينه حاكما على البلاد. أنظر: نفسه، ص ص88، 89.

(1) نفسه، ص ص87، 89.

(2) E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous la domination Turque », In: Journal asiatique n°240, 1952, p201.

*** الحاج علي باشا تولى الحكم سنة 1224هـ الموافق لـ1809م، دام حكمه ستة سنوات تميزت بالخلافات سواء خارج الإيالة او داخلها. تعلق بالجهاد والغزو لذا عززا الأسطول، وعين "الرايس حميدو"، قبطانا على الفرقاطة الجديدة، وكلفه بغزو البرتغال واليونان، وأعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية وتونس.

عرف بحبه لسفك الدماء فبعد بطشه باليهود انقلب على المسلمين من أهل البلد، مما أثارا حافضة وكيل الحرج فانقلب عليه، وقتله في الحمام و ذلك سنة 1230هـ الموافق لـ1815، وقلدا محمد باشا حاكما على البلاد خلفا عنه

من أعماله المعمارية: باب الجهاد، مخازن بين البلد وبرج الفنار، تجديد قنطرة وادي الحراش، وبناء قنطرة وادي شلف، أنظر: أحمد شريف الزهار، المرجع السابق، ص ص104، 112.

(3) نفسه، ص 111.

فالجدير بالذكر أن اليهود لم يعف من تنفيذ الحد فيهم ويكون العقاب تبعا لجنس المخالفة، فإذا ما قام يهودي باهانة الدين الإسلامي أو الحكومة أو الداي وثبت عليه ذلك، فإنه ينفذ فيه حكم الجلد من 30 إلى 120 جلدة، وإذا ما تبث تحالفه مع أعداء الدولة فإنه يحرق حيا، إذ لم يتمكن من دفع الفدية التي يفتردي بها نفسه. (1)

فغالبا ما كانوا ينغمسون في مختلف أنواع المؤمرات التي يقامرون فيها أحيانا بحياتهم، (2) ومنهم من أدار شبكة للتجسس كالبكري وبوجناح إذ تجسسا لصالح الحكام العثمانيين، وكان لهما أعوان منتشرون في شرق البلاد وغربها، يخبرونهما عن كل ما يتعلق سواء بالأهالي أو السياسة، أو التجارة داخل البلاد وخارجها، وكانت الأخبار تأتيهما من بعض جواسيسهما الخصوصيين قبل أن يعلم بها البايات أنفسهم. (3)

لقد تمتع اليهود بسمعة غير طيبة، ووجهت إليهم نظرة احتقار نلمس ذلك عندما تسند إليهم الأعمال الشاقة، وغير المتوقعة كالعمل وحراسة حدائق الداي ليلا ونهارا، لما زارت جحافل الجراد البلاد في صيف سنة 1810م وعثت فيها الفساد.

وفقا لما سبق ذكره آنفا فإن بني يعقوب كان يحسب لهم ألف حساب ولهذا سعى الحكام إلى تضيق الخناق عليهم، وذلك عن طريق منعهم من الخروج من أبواب المدينة بدون ترخيص على غرار يوم السبت والأربعاء حيث سمح لهم بذلك. (4)

(1) E. Mainz, « Les juifs d'Alger », In: Journal asiatique n°240, 1952, p 200.

(2) وليام شالر، المرجع السابق، ص 87.

(3) محمد زروال، المرجع السابق، ص 27.

(4) وليام شالر، المرجع السابق، ص 90.

2.3. علاقة الطائفة اليهودية مع الأهالي:

من المتفق عليه أن اليهود بالمجتمع غير دخیل عنه فتواجهه يعود إلى عهد غابرة، حيث انصهر فيه وعدا جزء لا يتجزء منه، حيث حضي بامتيازات من جملتها، حرية التنقل والعيش مثل المسلمين، زيادة عن تكوين صداقات حميمة مع الأهالي⁽¹⁾ على غرار معاملات البيع والشراء * والاكتراء والاستدانة، ولضمان الحقوق والواجبات وسير المعاملات دون ضرر أو إضرار دونت هذه الأخيرة في وثيقة صدرت من المحاكم الشرعية، سواء الحنفية أو المالكية **.

وفقا لتنوع المعاملات تنوعت الوثائق فان عدنا إلى معاملة البيع نجد تلك الوثيقة التي أشارت إلى بيع أحمد ابن محمود جلسة الحانوت الواقعة بكتشاوة للذمي ربيع ابن إسحاق قيدت بتاريخ 1184هـ الموافق لـ 1770م-1771م حيث جاء فيها ما يلي ".... نسخة بيع جلسة حانوت الكاينة بكتشاوة التي ملك محمود ابن أحمد.... بعد أن إستقر على ملك الذمي ربيع ابن إسحاق المذكور فيما عرف هذا به جميع حبسها..المذكور معالي المسند إليه ... مما رفع في الموصي إليه الاستقرار التام حضر شهيديه.. محكمة الحنفية الذمي المذكور وأشهدهما على نفسه أنه باع من المكرم محمود بن أحمد القدوي به عرف جميع جلسة الركا المذكورة في المشار إليه بثمن.. جميع المبيع المذكورة وفي كافة حقوقه ستة وعشرون دينار كلها ذهبنا عينا سلطانية فنظرا البايع المذكور من المبتاع... جميع العدد المزبور باعترافه بذلك القبض التام وإبراء من جميعه بالدين العام براءة قبض استبقا...سلم له تملك جلسة الدكان المذكورة التسليم التام بتسليم ذلك منه وملكه دونه ودل فيه محله محل المالك في أملاكهم وذوي المال في أموالهم بعد الرؤية والتغليب والطوع والرضى ومعرفتهم جميعا في ذلك ثمنا

(1) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص18.

* لم تقتصر عملية شراء الأملاك على الأهالي فقط بل امتدت إلى الحكام وموظفي الدولة وعلى سبيل المثال الداوي مصطفى باشا، فقد عثرنا على وثائق تذكر أن الداوي اشترى سنة 1219هـ الموافق لـ 1804م-1805م جلسة حانوت بسوق الشماعين على يمين الزنزانة داخل الجزائر المحمية، كانت ملكا للذمي إبراهيم اليهودي ابن سعدية وذلك في أوائل ربيع الأول من سنة 1219هـ الموافق لـ 1804م-1805م ، أنظر: علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 37، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم بالإضافة لاتباعه لجلسة أخرى تقع بكتشاوة داخل الجزائر المحمية ابتاعها من الذمين هارون بن شالوم زنودة وإسحاق بن إبراهيم موشي تم ذلك في أواخر شعبان المبارك من نفس السنة، أوقفها لصالح ساقية الماء القائمة داخل برج باب الواد، أنظر: علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 34، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 34.

** إننا نلحظ أن العلة تكمن في جنس مذهب الطرف الثاني من المعاملات، فان كان من الأندلسيين أو الأهالي يقصد المحاكم الشرعية المالكية، وان كان تركي يتجه إلى المحاكم الحنفية، لذا نجد تباين في مصدر تلك الوثائق.

مثموننا وعلى السنة في ذلك والمرجع بالذي حيث...شهد عليهما بداية عنها في أحوال الجائزة شرعا وعرفها بتاريخ أواخر شهر ربيع الثاني تمام ثلاثة وسبعين ومائة...عبد الرحمان ابن الطاهر وفقه الله والعربي بن احمد وفقه الله... المنقولة منه والقابض أيضا سواء من حقه المقابلة بينهما والتصحيح كما...وعلى ذيمة المقابض يقبض فيدير بذلك شهادته...".⁽¹⁾

وفيما يتعلق في الاستدانة نجد وثيقة أخرى تعود إلى أواسط جمادى الأولى من عام 1120هـ الموافق لـ 1708م_1709م قيدت إجراءات إقراض الذمي هارون ابن إبراهيم معطي من مال السيد الحاج محمد الذباغ ابن النجار جاء فيها مايلي: " الحمد لله بالمحكمة المالكية شهد الذمي هارون بن إبراهيم معطي اليهودي شهد به على نفسه ان عليه وبماله...للمكرم السيد الحاج محمد الذباغ ابن النجار به عرف ما قدره مائتا ريال واثنان وسبعون ريالا كلها دراهم صغار ترقب جميع الفرد المذكور له عليه ثمن سلعة إبتاعها منه واعلو ثمنها بذمته بذكره وإقراره...الرتب التام يرد له جميع القرد المذكور لمقصد أربعة أشهر آتية.....".⁽²⁾

لم تقف المعاملات في البيع والشراء والاستدانة بل امتدت إلى الاكتراء، وقد جرت العادة اكتراء حوانيث* ودور فالوثيقة التي بين أيدينا المؤرخة بتاريخ ربيع الثاني من عام 1156هـ الموافق لـ 1743م_1744م، تشير إلى اكتراء الولية زهراء بنت الحاج الدار الموجودة بحومة تبارن الأغا من مالكا الذمي عمار بن مرتخاين كبير شلال.

عند التمهيص في وثائق الاستدانة نجد ورود صيغة " يرد له....لمقصد أربعة أشهر آتية"، نستشف من خلالها الإلزام بإعادة القرض وفق المدة الزمنية المحددة لتفادي التماطل والمراوغة وهنا تبرز أهمية التوثيق.

(1) علبة رقم 16، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 5، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 34.

(2) علبة رقم 03، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 35.

* نصب حانوت لصيقة بالتي قبلها في اكتراء سعدية اليهودي سنة 1207هـ الموافق لـ 1792م_1793م، أنظر: علبة رقم 68، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 10، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

نصب حانوت بالصاغة اكتراء الذمي إسحاق الصائغ سنة 1207هـ الموافق لـ 1792م_1793م أنظر: علبة رقم 68، وثيقة رقم 11، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

وإننا لنرجح بأن اليهود إستغلوا سماحة تعاليم الإسلام التي تحرم الربا في المعاملات المالية لذا انصبوا يستدينون من جيرانهم المسلمين على غرار بني جلدتهم فقد شاعت بينهم هذه الصفة في معاملاتهم،⁽¹⁾

إذ جاء فيها مايلي: " الحمد لله ... اشتهرت الولية الزهراء بنت الحاج علي أنها اكرتت من اليهودي عمار بن مرتخاين كبير شلال جميع الدار الكاينة بحومة تبارن الأغا... ".⁽²⁾

تبعاً لما سبق ذكره آنفا نستنتج بأن اليهود تفاعل وانفعل مع المجتمع، فإنا نرى ما العلة وراء هذا التفاعل ؟

وإننا لنرجح بأن العلة تكمن في تلك الحرية التامة التي نعموا بها، فقد سمح لهم بممارسة عقائدهم الدينية بكل حرية*، والخضوع لقوانينهم الدينية في الأحوال الشخصية دون حرج، وإدارة شؤونهم من قبل رئيس يختار من أبناء طائفتهم يعينه الداى بنفسه، وزاولوا المهنة التي يرغبون فيها، وعدوا رعايا ولا يجوز استرقاقهم،⁽³⁾ بل أجازوا لهم امتلاك عبيد مسيحيين ولم يشترط عليهم شيء إلا معاملتهم معاملة حسنة وإلا يصدر العبد منهم،⁽⁴⁾ وبفضل هذه الامتيازات التي منحت لهم انفتحوا على العالم الخارجي واحتكوا به وربطوا علاقات وطيدة مع أفراد المجتمع.

ولكن هذا لا ينفي الإجحاف الذي مورس عليهم وتغيب حقوقهم فبني يعقوب لا يركبون الخيل، او يحملون أي نوع من السلاح بما في ذلك عصا.⁽⁵⁾

وان أرادوا الاستسقاء من السبيل، فالأولوية للمسلم حتى وان كان اليهودي سباقا إليه فلا يمكنه أن يسد رمقه قبله،⁽⁶⁾ وهم يأتون في الدرجة الثانية بعد العبيد المسيحيين من حيث تزويدهم بالمياه.⁽⁷⁾

(1) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 65.

(2) علبة رقم 16 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 31، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 36.

* نادى بها الداى حسين حيث سمح لمترجم القصر بن سيمون اليهودي أن يرجع إلى ديانتهم، بعد أن أجبره الداى علي خوجة إلى اعتناق الإسلام كرها، أنظر: حورية شريد، " الداى حسين والأسباب الخفية لسقوط الجزائر"، عن: مجلة الآثار، العدد الثالث عشر، الجزائر، 2003م، ص 148.

(3) وليام شالر، المرجع السابق، ص 86.

(4) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 67.

(5) وليام شالر، المرجع السابق، ص 90.

(6) M.Rozet, Voyage dans La Régence d'Alger, Arthus Bertrand, Libraire-éditeur, Paris, 1833, p233.

(7) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 67.

وقد أجبروا على عدم الاختلاط مع المسلمين في الأماكن العامة،⁽¹⁾ كالحمامات فنسأوهم محرومات من ارتيادها،⁽²⁾ كما لم يسمح للتجار منهم دق باب بيت مسلم أو الولوج إليه، وإذا ما مروا جنب مسجد ألزموا بخلع احذيتهم.⁽³⁾

إلى جانب حرمانهم من بعض الحقوق السابقة الذكر نجد أن أبناء يعقوب يتعرضون غالبا إلى اعتداءات ومضايقات، وهم يعاملون معاملة سيئة كلها إذلال واحتقار، وبالرغم من ذلك فهم يخضعون لها ويستسلمون دون تحريك ساكن، ومن أبرز أساليب الإذلال التي مورست عليهم تتمثل في إلقاء التحية والانحناء إذا ما صادف اليهودي فردا تركيا، وان ترفع عن ذلك عوقب بالضرب،⁽⁴⁾ وكذا بالمثل إذا ما صادف طفل من الأهالي وجب عليه نزع حذائه وخلع قبعته، وإذا ما واجه إذلالا منه لا يسمح له بالدفاع عن نفسه، أو حتى ابداء أي نوع من المقاومة، فيكتفي بالفرار إذا ما سمح الأمر بذلك، وحتى إذا التقى عبدا مسيحي وقام هذا الأخير بشتمه ورفع اليهودي يده ليضربه وشوهد ذلك من قبل العامة فإن العبد الأدنى مرتبة يستصرخ قائلا: "اقتلوا هذا الكلب اليهودي" فينقلب الظالم مظلوما.⁽⁵⁾

ولتخفيف من وطأة المعاناة التي يعيشها ارتأى البعض منهم إلى اعتناق الإسلام، ليرد الاعتبار لذاته ويحفظ كرامته، إلا أن إسلامه لا يعتبر صحيحا ولا يقبل منه إلا بعد أن يرتد عن دينه ويمارس طقس من طقوس الديانة المسيحية علنا كتناول لحم الخنزير، أو يمارس طقس آخر لينسلخ عن دينه.⁽⁶⁾ المتمعن فيما سبق الخوض فيه آنفا يجد تباين شاسعا في المعاملة فتارة رحمة ووصال وتارة أخرى حقد وإذلال، هذا ما يدفعنا للتساؤل والبحث عن سبب التغيير لا وبل العامل المتحكم في ذلك؟

فمن المتفق عليه بأن اليهود وجد ملاذهم بالبلاد منذ عهود غابرة تبعا لتلك الهجرات المتباعدة والمتدفقة إليه، وأبرزها تلك التي تزامنت مع سقوط الأندلس حيث نزحوا مع إخوانهم المسلمين. عملت هذه الهجرات إلى انصهار اليهود بالمجتمع، والالتحام به تبعا للتاريخ والمصير المشترك، ولكن بمجرد ما تقربوا من الحكام وارتقوا مناصب هامة، فضلا عن اتصالهم بإخوانهم القادمين من أوروبا كشروا عن أنيابهم وتسببوا في العديد من الأزمات تخبط فيها المجتمع، ومن ثم انقلبت المودة إلى غل وقطيعة ولإشفاء الغليل مورست عليهم جميعا دون تمييز جل أنواع الإذلال والاحتقار.

M.Rozet, Op.Cit.p233.

(1)

(2) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 67.

E. Mainz, « Les juifs d'Alger » , In: Journal asiatique n°240,1952, p198.

(3)

M.Rozet, Op.Cit,p234.

(4)

F.D.Haédo, Topographie et histoire....., p109.

(5)

L.DeTassy, Op .Cit. p771.

(6)

3.3. علاقة افراد الطائفة اليهودية فيما بينهم:

من المتعارف عليه أن الطائفة اليهودية عبارة عن فسيفساء بشرية، تبعا لتنوع الأجناس والأعراق بها، وذلك بفعل الشتات والتفكك الذي أصابها بعد تهديم الهيكل ومن تم انتشرت بكل الأقطار والأمصار واندمجت مع البيئة التي استقرت بها، وبالتالي تباينت فيما بينها.

وإن عدنا إلى مدينة الجزائر وتبعا لتلك الهجرات المتدفقة إليها من أوروبا نجدها قد اشتملت على هذا المزيج البشري ان صح التعبير فمن الأندلس قدم اليهود السفارديم،⁽¹⁾ ومن شمال وشرق أوروبا قدم اليهود الأشكيناز،⁽²⁾ فضلا عن يهود الفرنج القادمين من ليفورن،⁽³⁾ حيث عرفوا بـ "الميكورشم" كما سبق ذكره آنفا والتي تعني المطرودين باللغة العبرية.

ولما التحقوا بالمدينة وجدوا بها بني جلدتهم الذي يعود تواجدهم بها إلى عهود غابرة حيث قدموا إليها رفقة الفينيقيين، وظلوا يشكلون لبنة هامة في البناء الاجتماعي منذ استقرارهم بها وطيلة فترة العصور الوسطى، إلا أن تعدادهم تقلص واستمر في التناقص شيئا فشيئا تبعا لظروف خاصة بهم انعكست على تكاثرهم، كما شهدوا تراجع حركتهم الفكرية تراجعاً كبيراً في ظل حكم الدولة الموحدية، أطلق عليهم لقب "التوشابيم" أي البلدين وذلك منذ القرن التاسع الهجري 15م لتمييزهم عن الوافدين الجدد.⁽⁴⁾

فالجدير بالذكر أن اليهود الميكورشم السفارديم قد شهدوا حركة فكرية نشيطة حيث انكبوا على العلوم والآداب العربية الأندلسية فتأثروا بها ومن تم ساهموا في تطوير الفكر اليهودي وأنماط تعبيره المختلفة وإغناء الفكر.⁽⁵⁾

وبذلك تفوقوا على التوشابيم ومن هنا رأوا أنهم الأجدر في إدارة شؤون الطائفة، ومن تم نشب صراع ويرجع سببه الاختلاف في العديد من المسائل الخاصة بالعبادات والطقوس كفرائض الذبح مثلاً، مما

(1) أحمد الشحات هيك، "يهود المغرب في الأدب العبري الحديث وأوهام الخلاص الزائف"، عن: سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، العدد واحد وعشرون، القاهرة، سنة 2007م، ص7.

(2) أتوكاريف سرغي، الأديان في تاريخ شعوب العالم، تعريب أحمد فاضل منشورات الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998م، ص202.

L.DeTassy, Op .Cit,p76.

(3)

(4) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص57.

(5) حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1987م، ص13.

أدى إلى الانشقاق في صفوفهم وصل بهم الأمر إلى عدم الصلاة في معبد واحد، كما هو الحال بمدينة فاس إذ قام يهود فاس البلدين بالصلاة في معبد خاص بهم* عرف بمعبد الفاسيين.⁽¹⁾

وإننا لا نستبعد أن يكون هذا الوضع قائما بمدينة الجزائر عند مطلع الهجرة تمحيصا لما جاء ذكره على لسان الرحالة هايدو حيث صرح قائلا: "إنقسم اليهود إلى مجموعتين ضم كل حي مجموعة... انفراد كل حي بكنيس (معبد) أين يجتمع فيه كل يوم السبت ...".⁽²⁾

وفي نهاية المطاف آلت قيادة الطائفة إلى الميكورشيم وانفردوا شيئا فشيئا بالقيادة الدينية، وبمجرد ما تقلدا أفرادها مناصب حاخامية سارعوا إلى إحداث تغيير جذري في نظامها، حيث أقاموا مجلسا تتم رئاسته بالتناوب فرض هذا الأخير على رعاياه دفع رسوم دينية على استهلاك اللحم والخمر فضلا عن تقديم اشتراكات أسبوعية وشهرية لغرض دفع أجور هؤلاء الموظفين.

الجدير بالذكر أن التنوع العرقي داخل الطائفة انعكس على تعدد المحاكم بها إذ صار كل رعية يرفع قضيته إلى المحكمة التي ينتسب إليها، ولم يفلح الحاخامات من الحد من هذه الظاهرة بل بسنهم قوانين تعسفية بغية إجبارهم على إحترام المحاكم الحاخامية دفعوا بهم إلى اللجوء إلى المحاكم العثمانية، سنتطرق إلى ذلك لاحقا.⁽³⁾

وفيما يتعلق بتقديرات عددهم بالمدينة نجد تباين واضحا بين إحصاءات الرحالة ولعل ذلك راجع إلى حرصهم على التخفي وعدم التصريح بأعدادهم الحقيقية بهدف التملص قدر الإمكان من مبلغ الجزية والغرامات والمساهمات المبالية التي كانت تفرض عليهم.⁽⁴⁾

ففي أواخر القرن 9/15م أشار هايدو إلى تواجد 150 منزلا يهوديا بالمدينة،⁽⁵⁾ تضاعف العدد ليصل إلى 5 آلاف عائلة يهودية عند مطلع القرن 12/18م تبعا لما جاء به لوجي دي تاسي،⁽⁶⁾

*ولا يزال يستعمل في بيعة فاس "سدور" كتاب الصلوات تبعا لعادات سكان فاس الاقدمين الميكورشيم، عنوانه "حب الاجداد"، تم طبعه بالقدس سنة 1889م، أنظر: حاييم الزعفراني، ألف سنة....، ص14.

(1) نفسه، ص14.

F.D.Haédo, Topographie et histoire....., p222.

(2)

M.Eisenbeth , «Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque », extrait de R.A1875,tom XCVI, n° 431_433, Alger,1952, pp130,131.

(3)

E. Mainz, « Les juifs d'Alger » , In: Journal asiatique n°240,1952, p203.

(4)

F.D.Haédo, Topographie et histoire....p108.

(5)

L. DeTassy, Op.Cit, p 201.

(6)

وليام شالر،⁽¹⁾ في حين قدرها فونتور دي بارادي الذي استقر بمدينة الجزائر سنة 1789م بـ 7 آلاف يهودي،⁽²⁾ وفي عشية الاحتلال تراجع العدد ليلغ 5 آلاف يهودي.⁽³⁾

يتسق لنا جليا مما سبق ذكره أنما التباين الشاسع بين مختلف التقديرات الرحالة سواء أسرى، أو رجال الدين، وهذا ما يوحى بتذبذب في حركة النمو الديمغرافي وذلك راجع إلى تلك العوامل التي تتحكم فيها ومن جملتها العوامل الطبيعية.

فمن المتفق عليه أن مدينة الجزائر عانت من شح الأمطار وانتشار الجفاف المرفق بغزو الجراد أشدها وقعة تلك التي جرت سنة 1813م، كما شهدت المجاعات المهلكة والأوبئة الفتاكة كالطاعون التي كان لها اثر على البلاد والعباد عند مطلع القرن 13هـ/19م.⁽⁴⁾

عصارة القول أن أفراد الطائفة اليهودية لم يعانون من الانعزال بل اندمجوا مع أفراد المجتمع حيث احتكوا مع الأهالي عن طريق معاملات البيع والشراء والاستدانة والاكتراء، وتمكنوا وبجدارة من استمالة السلطة وذلك بفضل تلك العلاقات المتينة التي أقاموها على مبدأ المصلحة مع موظفي الإيالة مما اكسبهم نفوذا، سمح لهم بتولي شؤون الطائفة.

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان يا ترى هل اندماجهم بالمجتمع يشير إلى ذوبانهم فيه وفقدانهم للهوية أو أنهم صقلوا فقط ولم ينصهروا بشكل كلي؟، أو ربما أثرو فيه وتأثروا به؟

(1) وليام شالر، المرجع السابق، ص 87.

(2) Venture de paradis, « Alger au ... », 1er article :In R.A1875,vol39, p297.

(3) X.Yacona, «On peut évaluer la population d'Algérie vers 1830 »,In: R.A 1954, Vol96,p300.

X.Yacona,«Note sur le nombre des juifs dans la régence d'Alger», In: Cahier de Tunisie, N°115,116,1981, pp 400,401.

(4) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص ص 81، 86.

4. نظرة عامة عن المجتمع اليهودي بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

من المتعارف عليه أن اليهود قد انسلوا من كل صوب وحذب قاصدين المغرب الإسلامي، استقروا به واحتكوا بأهله، ومن تم تأثروا بهم واثروا فيهم لا محال.

إلا أن ذلك لم يطمس هويتهم، فطالما تمسك اليهود بعاداتهم وتقاليدهم، كونها منبثقة من معتقداتهم الدينية فهي بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية.

تتجلى هذه التقاليد في كل من الملبس، المأكّل، الزواج، والميراث وغيرها، صبغت جلها بالصبغة المحلية لذا نجد تباين بين تقاليد "التوشابيم" و"الميكورشيم".⁽¹⁾

وهذا ما يتسق لنا جليا عند تناولنا لدراسة المجتمع اليهودي بمدينة الجزائر تحت ظل الحكم العثماني.

1.4. نظام الأسرة في الشريعة اليهودية:

تقوم الأسرة أساسا على رباط شرعي مقدس يعرف بـ"الزواج"، ذلك الفرض الذي حثت عليه الشريعة اليهودية، لضمان استمرار النسل اذ جاء في سفر التكوين: "أثمروا أكثروا واملاؤ الأرض...".⁽²⁾ إلا أنه لا يتم إلا بعد تدوين عقد مكتوبا يعرف بـ"كتوباه"،⁽³⁾ يقوم على أركان تجلت في:

الصدّاق: يقصد به ذلك المبلغ من المال الذي يقدمه الخطيب لوالد الخطيبة، ينقسم إلى مقدم ومؤخر،⁽⁴⁾ فغالبا ما كان يشار للجزء المقدم في العقد بان الزوجة تسلمته، كما هو شائع في العقود الإسلامية،⁽⁵⁾ أما الجزء المؤخر فيدفعه الزوج عند الطلاق، أو يدفعه ورثته بعد وفاته.⁽⁶⁾

(1) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص9.

(2) سفر التكوين 1: 28.

(3) سوزان السعيد يوسف، المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها _دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم_، الطبعة الأولى، عين شمس الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2005م، ص91.

(4) مسعود حاي بن شمعون، الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مطبعة كوهين وروز نتال، مصر، 1912م، ص20.

(5) عائشة غطاس، " الصدّاق في مجتمع مدينة الجزائر 1672_1854م من خلال المحاكم الشرعية"، عن: مجلة إنسانيات، العدد الثالث، 1997م، ص44.

(6) صابر أحمد طه، نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص21.

حدد وفق الشريعة التلمودية* بـ "مئتين" للبكر، و"مائة" للثيب، فإذا رغب الزوج أن يضيف لهذا المبلغ عشرة آلاف فليضيف.⁽¹⁾

الدوطة اي ندونيا: يقصد بها تلك الهدية التي يقدمها والد الخطيبة لابنته سواء أكان مبلغا معيناً من المال أو متاعاً، لم تكن موجودة في العصور القديمة، وأصبحت ثابتة بعد السبي البابلي ومن ثم يثبت مبلغ ندونيا في وثيقة الكتوباه.⁽²⁾

من المرجح أن "ندونيا" نفسها ذلك الجهاز أو المتاع الذي تحرص الأسر الجزائرية على إعطائه لبناتهم قبل الزواج بالرغم من قبضهن المهر، فيأخذنه معهن إلى منزل الزوجية، ويكون حصراً لهن وحدهن، ويحق لهن استرجاعه في حالة انتهاء الرابطة الزوجية.

يعرف بـ "التشوير" امثالاً لما ورد في وثيقة من جملة وثائق المحاكم الشرعية نصت على مايلي: "...وفاة الذمي شمويل بن دحمان اليهودي، انتقل أولاده وهم هارون وسلطانة، وعزيزة لحضانة عمهم الذمي إسحاق، الذي طلب من الشيخ القاضي، أن يأذن له ببيع نصيب الأولاد في تركة والدهم، وهو ثمن واحد من إحدى الدور، لإجراء النفقة عليهم، ولتشوير البنيتين المذكورتين لتزويجهما، ولضروريات احتاجوا إليها فأجابه إلى ذلك الشيخ القاضي..."⁽³⁾ لا تزال هذه العادة سارية المفعول في مجتمعنا إلى يومنا هذا، وذلك بفعل التأثير والتأثير عن طريق الاحتكاك.

التقديس: تسمية المرأة على الرجل، وتقديسها عليه بقبولها ولو خاتم يعطيه إليها يدا بحضرة شاهدين شرعيين، وهو يردد قائلاً لها بالعبرية: "تقدست لي زوجة بهذا الخاتم أو شيء آخر من ممتلكات الرجل"، وبعد ذلك تتم صلاة البركة بحضرة عشرة رجال على الأقل.⁽⁴⁾

الكتوباه: وهو أمان شرعي للزوجة في حالة الترمل أو الطلاق**، تكتب فيه أسماء المتعاقدين وتاريخ العقد وشروطه.

* يقصد به التلمود اي الشريعة الشفوية سنتطرق إلى ذلك لاحقاً عندما نتناول مصادر التشريع اليهودي.

(1) ليلى إبراهيم أبو المجد، أحكام النساء في التلمود عقود الزواج، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1995م، ص22.

(2) سوزان السعيد يوسف، المرجع السابق، ص81.

(3) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 59، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 43.

(4) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص17.

** لأنه يتضمن عدة إجراءات تحمي المصالح المالية للزوجة فضلاً عن ذكر حقوق وواجبات الزواج الشرعية، وما يشترط الزوجان على بعضهما، مما لا يخالف الأصول، والشرع، وما يتم أخذه الزوج من الزوجة، وما يجب عليه من مؤجل الذكور البالغين، انظر: مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص20.

وكانوا يدققون في كتابة التفاصيل الدقيقة التي توضح حالة الزوجة سواء أكانت بكر أو أرملة أو مطلقة، وكذا بالمثل فيما يتعلق بالزوج حيث تذكر مهنته ومسقط رأسه وصفة شخصية له، ولا يصح "الكتوباه" إلا إذا قيد داخل المعبد وتم التوقيع أمام الحاخام وبشهادة شهود وآخرين على صحته، ففي حالة ما وقع خطأ فيه يكتب مرة أخرى، وكذلك في حالة ضياعه.

ـ **الاحتفال:** تبدأ مراسيم زفاف يهود المغرب الإسلامي بذهاب العروس إلى الحمام الطقسي* قبل الزفاف بيوم، لتجهز لـ "ليلة الحنة" أو "ليلة الكبيرة" في المساء.

وفي يوم التالي تتم "المباركات السبع"، حيث يتم تلاوة "عقد النكاح" جهرا، وتلتحق الزوجة ببيت زوجها، ويصبح الزواج شرعيا، بحضور "المنيان" ** للحفل فبهم تصح قيام "صلاة البركة"، ويلزم أن يكون بين الحاضرين حاخام أو قاض، وبينما التلاوات تتلى يشرب العريس الخمر المبارك، ويكسر الكأس تذكارا بخراب الهيكل، ثم تبدأ شعيرة التطواف "الهافافوت"، وهي سبع دورات في صحن الدار، تحمل بعدها العروس في موكبها إلى مسكنها الجديد لتقضي فيه ليلتها الأولى التي يطلق عليها "ليلة الراحة" أو "ليلة رواح".⁽¹⁾

نلمس في الزواج يهود المغرب الإسلامي تسرب بعض العادات المنبثقة من البيئة المحلية، تكمن في حرمان والد العروس من رؤية ابنته لمدة 15 يوم أو 20 قبل تركها منزله.⁽²⁾ انفردت الشريعة اليهودية بتوفرها على زواج من نوع خاص يعرف بـ "الزواج اليوم"، وهو انتقال شرعية الزواج من زوجة الأخ المتوفي، والذي لم يترك أولادا، إلى شقيقه أو إلى أخ لأبيه، ولا تحل لغيره إلا إذا تبرأ منها، عن طريق ما يعرف بـ "الحاليفا" أو "خلع النعل".⁽³⁾

* تستحم العروس في صهريج الطائفة المعد لهذا النوع من الاغتسال ولحمايتها من العين الشريرة، تقوم النسوة القائمين عليها بممارسة بعض الطقوس السحرية تعرف بـ "شديم" حيث يلقينا بطبق من المربي، وكأس من الخمر، ومشط، وخضاب في ماء الصهريج، ثم يغسلن شعرها، ويجمعن كل ما يسقط منه من شعر، وحناء، وفضلات البيض، يخلطنه بالسكر والقمح، ويوضع في صرة من القماش بيضاء، تحشى في فراش الزوجية، أنظر: حاييم الزعفراني، يهود الأندلس...، ص 449 .

** أي عشرة أفراد من الذكور البالغين.

(1) نفسه، ص ص 449، 450.

(2) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 118.

(3) صابر أحمد طه، المرجع السابق، ص 21.

امتثالاً لما جاء في سفر التثنية: " فتتقدم إليه امرأة أخيه بحضرة الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتتفل في وجهه وهي تقول: " هكذا يصنع بالرجل الذي لا يبني بيتاً لأخيه فيدعى في آل إسرائيل بيت الخلوخ النعل "... " (1)

كما أباحت تعدد الزوجات، إلا أن هذه الظاهرة لم تكن متفشية في يهود المغرب الإسلامي، فعند كتابة العقد عمد الآباء إلى وضع ضمانات لمنع الزوج من التزوج من امرأة ثانية، إلا في حالة سماح الزوجة الأولى بذلك. (2)

تفسخ الرابطة الزوجية بفعل تقدم أحد الزوجين بطلب الطلاق، بإرادة أحدهما أو باتفاقهما، مع أن الشريعة منحت هذا الحق للرجل، إلا في حالة نادرة تسمح للمرأة بذلك*. (3)

تتسم عملية تحرير عقد الطلاق أو " كيط" بالحرص، والتشدد فيما يتعلق الأمر بشكله، أو بنصه، وعباراته، أو بكتابة الأسماء الواردة فيه، والقصد من التشديد، هو الوقاية من كل ما من شأنه أن يطعن في صحته فإذا ما ثبت هفوة فيه، يبطل الزواج الذي يلي الطلاق.

الملفت للانتباه أن في حالة الطلاق الغيابي المعروف بـ"العاكونة"، لا تسري عملية الطلاق، إلا إذا تبث وفاة الزوج الذمي تبعاً لشهادة يدلي بها مسلم، على هذا المنوال تتم عملية الطلاق الغيابي في المغرب الإسلامي، وهنا تتجلى لنا تلك الرابطة المتينة بين اليهود والأهالي، فشهادة فرد من الأهالي أصح، وأوثق من شهادة بني جلدتهم. (4)

تتم مراسيم الطلاق في المعبد وبممثل الزوجين أمام القاضي وشاهدين، يقوم الرجل بتسليم وثيقة الطلاق بيده إلى يد مطلقة قائلاً لها: " استلمي وثيقة طلاقك فأنت طالق وصرت حلاً لغيري"، (5) وأمام الشهود تعلن الزوجة استلامها مستحقاتها وهو ما يسمى بـ"الإبراء". (6)

(1) سفر التثنية 25: 10_5.

(2) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 119.

* إذا تكررت المعيشة لسوء أخلاق الزوج أو لتشدده في الإنفاق جاز لزوجته طلب الطلاق، انظر: مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 24.

(3) محمد شكري سرور، نظام الزواج في الشريعة اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م، ص 287.

(4) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس....، ص 469.

(5) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 101.

(6) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 122.

يراعى عند تحرير " الكيظ " ذكر اسم الزوجة والزوج، مع ضبط تاريخ الطلاق وفقا للتقويم العبري،* ولا يغض النظر عن ذكر اسم المدينة التي يقطن بها الزوجان، وكذلك اسم المدينة التي يقع فيها الطلاق حيث تتم مجرياته تبعا للعرف السائد فيها، مع عدم إغفال ذكر سبب الطلاق، يوقع الشاهدان على الوثيقة بعد ذلك.(1)

وفقا لتقانونت مدينة الجزائر** يلزم الرجل بدفع مؤخر الصداق لطليقته، إن لم يدخل بها يضيف إلى قيمة الصداق المحدد في الكتوباه، الزيادة تحدد بمقدار نصف نيدونيا التي أتت بها. وإذا كانت مطلقة أو مطلقة بعد الزواج لا يلزم أن يدفع لها شيئا، إلا إذا اتفق على الإضافة مسبقا فله ذلك، ولها الحق في جميع الحالات الإحتفاظ بالهدايا التي جلبتها من بيت أهلها، وتسقط عنها هذه الحقوق إذا تم الطلاق بسبب ارتكابها للزنا*** فهنا تحرم حتى من ملابسها الخاصة بالاحتقالات. فان تم الطلاق بالتراضي يعفى الرجل من الدفع أما إذا أجبرت الزوجة عليه وجب عليه أن يدفع لها مؤخر صداقها وفقا لما قيدا في الكتوباه، ولها الحق في استعادة كل ما تم جلبه من بيت أهلها وتعوض بقيمتها عند عقد الطلاق أن أتلقت هذه الأغراض، فان كانت مرضعة يجبر على دفع النفقة طيلة فترة الرضاعة.(2)

وحضانة الأولاد تنتقل إليها مباشرة، ويحق لها التنازل عن حقها وحتى الرجوع عن ذلك، ويلزم الأب بنفقة المحتضن.

* سننطرق اليه لاحقا .

(1) إيلي مالكا، العوائد العتيقة اليهودية بالمغرب من المهد الى اللحد، الطبعة الثانية، مطبعة دار النجاح الجديدة، دار البيضاء، 2003م، ص ص 57، 58.

** يقصد بها التشريعات التي أقرها سيمون بن دوران سماح "رشباخ" سننطرق إليها لاحقا عند تناولنا التشريع اليهودي في المغرب الإسلامي.

*** فهي تعد من أبرز الأسباب التي تدفع الزوج لرفع الطلاق على غرار دوافع أخرى نذكر منها: الامتناع عن المعاشرة، العيب او العاهة، رفض الزوجة مصاحبة زوجها في البحث عن رزقه، إذا اعتنق الزوج او الزوجة الإسلام أو مذهب آخر، أنظر: حاييم الزعفراني، يهود الأندلس....، ص ص، 467، 468.

(2) E.Sautraya et Charleville, «Le code rabbinique», In: R.A.F1869, Vol13,p183.

فإذا كان المحتضن ذكرا فهو في كنفها حتى يكمل ست سنين، وإن كانت بنتا فهي تحت رعايتها إلى أن تتزوج، وفي حالة ما إذا تزوجت الأم فإن حقها في الحضانة لا يسقط،⁽¹⁾ بل تسمى الربيبة حق على زوج الأم.⁽²⁾

فيتكفل بدفع ما يترتب عنها من ديون تبعا لما اختصت به إحدى الحالات والمقتصرة على الذمية أشير بنت يوسف اليهودية التي التزمت بدفع الدين الذي ترتب على ابنتها الذمية وسحة اليهودية وفقا لحضانتها إياها بعد وفاة الوالد، وقد دفع عنها الدين زوجها الثاني الذمي مخلوف القزاز بن شلومو اليهودي.⁽³⁾

فإذا ما توفيت الأم لا تنتقل الحضانة بعدها إلى أمها بل إلى أم الأب، وإن رفضت ففي هذه الحالة تنتقل إلى أم الأم.⁽⁴⁾

وفي حالة غياب الوالدين تنتقل الحضانة إلى الأقارب كالأعمام مثلا فالذمي إسحاق تولى حضانة أولاد أخيه شمويل بن دحمان اليهودي وهم: هارون وسلطانة وعزيزة،⁽⁵⁾ وإن لم يوجدوا بعلّة من العلل انتقلت الحضانة إلى الأقارب فأولاد الذمي جلابي وهم: موشي ويهوده ومسعود وإسحاق وإبراهيم استقروا بهم قريبتهم الذمي هارون بن كهين.⁽⁶⁾

يجدر الإشارة إلى أن آخر الدراسات نوهت بأن الأسرة اليهودية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني اتسمت بصغر حجمها فعدد أفرادها يتراوح ما بين ثلاثة أو خمسة أفراد تبعا لما تم رصده من خلال وثائق المحاكم الشرعية.⁽⁷⁾

(1) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 115، 118.

(2) ليلي إبراهيم ابو المجد، ليلي إبراهيم أبو المجد، أحكام النساء ...، ص 145.

(3) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 105.

(4) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 118.

(5) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 59، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: ملحق رقم 43.

(6) علبة رقم 57، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 36، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(7) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 107.

2.4. مكانة المرأة في الأسرة اليهودية:

نظرت الشريعة اليهودية إلى المرأة على أنها مخلوقا منحطا عن مستوى الإنسانية، فهي لا تعدو أن تكون سلعة، أو بضاعة يمتلكها من يدفع الثمن*⁽¹⁾، ومخلوقا لا منزلة له اجتماعيا حيث تحرم من الإرث بوجود الذكر بغية عدم خروج الثروة والملك عن نطاق الأسرة.⁽²⁾

فضلا عن ذلك فهي غير طاهرة بفطرتها،⁽³⁾ لذا تم إعفائها من المشاركة في إقامة الشعائر من قرأة التوراة أو التلمود، ومن هنا سقط حقها في التعليم، وهي بذلك لا تعرف لا القراءة، ولا الكتابة إلا في حالات استثنائية.⁽⁴⁾

فالجدير بالذكر إنها حرمت من أبسط حقوقها حيث انه لا يعتد بنذرها ولا بقسمها بنتا كانت أو زوجة، إلا إذا أیده الأب أو الزوج إن كانت متزوجة.⁽⁵⁾

ينحصر واجبها في السهر على تدبير شؤون البيت، والاعتناء به، واليها تعود مهمة تحمل أعباء "الكشروت" أي المحلل من الطعام والمحرم منه، والسهر على تنفيذ عدد كبير من الوصايا، مثل تلك الخاصة باحتفال السبت كإشعال الشمعدان مثلا، وتلك الخاصة بالأعياد خصوصا "عيد الفصح" والطقوس المختلفة.

وغالبا ما توجه إلى الحياة الاجتماعية، فينكب الأهل في تربيتها وتلقينها واجباتها الزوجية والأسرية لتهيئتها للزواج المبكر غالبا.⁽⁶⁾

على ما يبدو أن وضع المرأة اليهودية ارتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة الاجتماعية المحيطة بها هذا ما نلمسه من خلال استنطاقنا لجملة من وثائق المحاكم الشرعية إذ نستشف تحسنا ملحوظا في وضعيتها لعل ذلك راجع لاحتكاكها بالمجتمع الإسلامي.

* امتثالا لما جاء في سفر الخروج: "واذا باع الرجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد"، أنظر: سفر الخروج 21: 7-8.

(1) محمد شكري سرور، المرجع السابق، ص 59.

(2) ليلي إبراهيم أبو المنجد، المرأة بين اليهودية والإسلام، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2008م، ص 54.

(3) محمد شكري سرور، المرجع السابق، ص 61.

(4) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس...، ص 236.

(5) سوزان السعيد يوسف، المرجع السابق، ص 172.

(6) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس....، ص 236.

فقد أمست مالكة للعقارات، اقتصرت معظمها على دور ومن جملة المالكات نذكر كل من: الذمية سلطنة بنت حليم التي ملكت المسكن السادس من دار الطفيل القريب من دار انكشارية الخراطين،⁽¹⁾ والذمية بنهي اليهودية بنت الذمي إبراهيم التي ملكت نصف شطر الدار الكاينة بزقة البوزة.⁽²⁾ بالإضافة للذمية رحيل ويونة المستحودتان على ثلاثة أثمان من جميع الدار الكاينة بسوق العطارين المعروفة بدار كسية،⁽³⁾ والذمية مسعودة بنت موشي التي ملكت ثمن وربيع الثمن من الدار الكاينة بمضيق سبع لويات المعروفة بدار بن عزرة،⁽⁴⁾ وكذلك الذمية مسعودة بنت هارون سماجة التي ملكت ثمن الواحد ونصف الثمن من الدار الكاينة بمضيق سبع لويات المعروفة بدار عزيزة.⁽⁵⁾ فضلا عن العقارات فقد حصلت على بعض الحصص من المحلات التجارية أغلبها معدة للصاغة، فالذمية سيتي بنت إسحاق ابن سمحون ملكت شطر من جلسة الحانوت الكاينة بسوق الصاغة،⁽⁶⁾ بالإضافة إلى الذمية سلطنة بنت ناتان اليهودي التي ملكت حصة من جلسة الحانوت الكاينة بالصاغة. فعلى الرغم من حرية المرأة اليهودية في امتلاك العقارات إلا أنها حرمت من التصرف فيها دون استشارة زوجها ذلك ما نستشفه من خلال حضور بعل الذمية سلطنة بنت ناتان اليهودي شالوم بن يهوده أثناء معاملات البيع.⁽⁷⁾

-
- (1) علبة رقم 84، 85، 86، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 17.
 - (2) علبة رقم 10، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 3، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 16.
 - (3) علبة رقم 9 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 35، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 25.
 - (4) علبة رقم 56، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 30، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 2.
 - (5) علبة رقم 121، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 32، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 7.
 - (6) علبة رقم 16 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 72، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 37.
 - (7) علبة رقم 11 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 38.

3.4. البكورة في الاسرة اليهودية:

منحت الشريعة اليهودية الابن البكر مكانة ممتازة بين إخوته، فكان ينوب عن أبيه أثناء غيابه، وينال نصيب اثنين من إخوته في الميراث، ⁽¹⁾ فهو مميز بعلّة البكورة. ⁽²⁾

ومن تم حظي بمكانة خاصة في الأسرة اليهودية فهو يعد رغبة جامحة، وواجب جوهري للمحافظة على النسل، لذا يعد العقم والإجهاض المتكرر لعنة، والمرأة العاقر "شجرة ميتة". ⁽³⁾

وقد انفرد مولده* بإعداد حفلة على شرفه تعرف بـ "حفلة التحديد"*** حيث يجتمع كل من الأقارب والأصدقاء وحتى الجيران، ليقضوا الليل بجانب الأم "النفساء" طيلة أسبوع بأكمله، وفي منتصف الليل من كل مساء تغلق أبواب حجرتها إغلاقاً محكماً للحيلولة دون دخول الشياطين***، حتى لا تتعرض للمولود، ولطردها يقوم الحاضرون بترتيل بعض المزامير. ⁽⁴⁾

كما يتم تمرير سيف قديم أو سكين غليظ على جدران، ومنافذ الغرفة المغلقة بإحكام، وبعدها توضع هذه الأخيرة تحت وسادة المولود المشدودة إلى أمه شدا.

ويختم الاحتفال بالموسيقى والأغاني والألحان العبرية أي "الببوطيم" فضلاً عن الأشعار الدينية، والموشحات والقصائد الغنائية التي تتغنى بلهجات متعددة، ولغات متباينة، تبعاً لانتماء المحتفلين العرقية، واللغوية، ومن أبرز الأشعار الدينية التي حضت بمكانة خاصة عند اليهود تلك التي تحمل في طياتها شكراً، وحمداً، ودعاءً وخضوعاً لمشيئة الخالق. ⁽⁵⁾

(1) زكي شنودة، المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت، ص 482.

(2) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 187.

(3) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس...، ص 418.

*يقال عن المولود الذي يولد يوم السبت وهو يوم مقدس بأنه مبارك وسيكون له مصير يحسد عليه، وأنه مجلبة لسعادة أهله على غرار من يولد في الأسبوع الذي يحسب فيه التاسع من شهر أغسطس وهو يوم التشاؤم الذي تحل فيه ذكرى هدم المعبد، ومن تم تتسم حياته بالبؤس والشقاء. أنظر: إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 11.

** يعود التمييز بين الذكر والأنثى إلى الاعتقاد بأن المس الشيطاني لا يهتم إلا بالمواليد المرغوب فيهم خاصة، وتصرح بعض العجائز بأن الأنثى "محضية" أي أنها محمية، فهي تملك حصانة طبيعية كونها ضعيفة فالشياطين لا تقربها ولا تعرها أي اهتمام، أنظر: نفسه، ص 16، حاييم الزعفراني، يهود الأندلس...، ص ص، 421، 426.

*** ويقصد بها الجنينة "ليليث" التي تسعى إلى القضاء على الاطفال خلال الأيام الثمانية الأولى بعد الولادة ما لم يدخلوا في عهدة إبراهيم، أنظر: نفسه، ص 419.

(4) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 16.

(5) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس...، ص ص، 420، 422.

تتجلى فيما يلي: الافتتاح: ليبارككم الله جميعا يا مجلس اوفياي
فتبارك اسم الله

المقطع الأول ليكن الوليد بشارة خير

ليترعرع مثل بستان ندى ويكبر

ليعلو ويتفوق وينجو من كل شر

امين. لتكن مشيئة الله هكذا وكما ياامر.

وبحلول اليوم الثامن بعد الولادة، يقام حفل الختان بما يعرف بـ "المهيلة" بالعبرية، وهي شعيرة دينية*
يشارك فيها اليهود والمسلمين معا.⁽¹⁾

* سنتطرق إليها لاحقا عند تناول للعبادات الدينية.

(1) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس....، ص425.

4.4. الهبات والتركات داخل الأسرة اليهودية:

تنتقل الأملاك داخل الأسرة اليهودية إما عن طريق الهبة أو الإرث* تبعا لما نصت عليه عقود التركات.

الهبة: وهي التفضل والإحسان بشيء ينتفع به الموهوب له - المعطي له -، سواء اكان ذلك الشيء مالا، أو غير ذلك دون تعويض.

يعرف المملك "واهباً"، وأما الشخص الذي يقبل ذلك التملك فهو "موهوباً له"، وتعرف الهبة بـ "الموهوب".⁽¹⁾

لا تصح الهبة إلا إذا توفرت شروط محددة في الواهب، حيث يجب أن يكون ذو عقل سليم وبالغ، وصاحب ملك له الحق أن يتصرف فيه كيفما يشاء، وعلى الموهوب أن يكون مقبوضاً غير مشاع، متميزاً غير مشغول**.⁽²⁾

تجوز الهبة في كل من المنقول والثابت شرط توفر الإيجاب من الواهب، والقبول من الموهوب له، وليس من أركان عقد الهبة حضور شهود أثناء تقييده.⁽³⁾

وفي حالة ما إذا الواهب غير رأيه، وأراد الرجوع في الهبة لا يكون له ذلك، الا في حالة خاصة فالجواز يقع في هبة العقار إذا لم يحزه الموهوب له.⁽⁴⁾

وعلى أساس التفضيل قد يهب الوالد شيئاً من أملاكه ويخص بها إحدى أولاده دون غيره، ذلك ما نستشفه من عقد ملكية دار بن معطي الواقعة بسوق الحاشية حيث أنجزت لمالكها الذمي جلال بن معطي مقدم طائفة اليهود بالهبة.

* للتوسع في انتقال الاملاك داخل الاسرة اليهودية، انظر: نجوى طوبال، المرجع السابق، ص ص، 112، 116.

(1) علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب فهمي الحسيني، المجلد الثاني، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، السعودية، 2003م، ص 279.

** بمعنى أن يكون ملكاً لفرد لا لجماعة. ولا ينتفع منه.

(2) مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 952هـ - 1549م / 1246-1830م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وحياء التراث، دبي، 2002م، ص 99.

(3) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 289.

(4) نفسه، ص ص، 291، 292.

إذ نصت الوثيقة المقيدة بتاريخ أوائل ذي الحجة من عام 1196هـ الموافق لـ 1781م-1782م، على مايلي: "...وتعرف في القديم بدار بن معطي أنجزت له ذلك عن بعضها بالشراء الصحيح والقبض التام وبعضها بالارث من والده وبعضها بالهبة...." (1)

وقد يهب الوالد أملاكه لأولاده دون تخصيص، فالذمي موشي بن يخول منح حانوتين بزقة الحاشية لأولاده يوسف وأخيه إسحاق.

اذ جاء في الوثيقة المسجلة بتاريخ أواخر صفر من عام 1228هـ الموافق لـ 1813م-1814م، مايلي: "... يوسف وأخيه ولدا موشي بن يخول معرفة تامةيشهد بان لهما...من جملة املاكهما جلستين الحانتين الكاينتين بزقة الحاشية...أنجزت لهما من والدهما بالهبة....." (2)

الارث: يشمل الميراث كل أملاك المتوفى من عقارات ومنقولات وحتى العبيد، (3) يتولى مهمة تقسيم الميراث قضاة يهود تحت إشراف مباشر من مقدم الطائفة*.

فبعد وفاة احد الوالدين يتم الشروع في حصر الأملاك وهي عملية معقدة تقضي تدخل رجال الدين، يتم ذلك في اليوم الذي يتوفى فيه الشخص وتبقى جميع الممتلكات تحت نظرهم يساعدهم في ذلك موظفين يتولون الإشراف على مراسيم الدفن يعرفون بـ"الحبير"***، ففي الأيام السبعة الأولى الموالية للوفاة يتم تقسيم التركة، (4) إلا أن توزيع الإرث لا يتم إلا بعد تسديد الديون المترتبة على المتوفى من التركة نفسها. (5)

استنطاقا للوثائق المتوفرة يبدو أن جل أفراد الأسرة اليهودية ينال نصيبهم من متروك الوالد سواء أكانوا إناثا أو ذكورا، فمن بلغ منهم سن الرشد دفع إليه نصيبه مباشرة.

(1) علبة رقم 41 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 19، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 31.

(2) علبة رقم 41 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 18، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 39.

(3) زكي شنودة، المرجع السابق، ص252.

* ذلك ما إتسق لنا جليا في تلك الوثيقة التي تشير إلى استأذن الذمي إسحاق من الشيخ القاضي أن يأذن له ببيع نصيب الأولاد في تركة والدهم لإجراء النفقة عليهم ولتجهيز البنيتين للزواج، وذلك بحضور مقدم الطائفة الذمي عقيبات، أنظر: الملحق رقم 43.

** سنتطرق إلى هذه الجماعة لاحقا عند تناولنا للعبادات الدينية وإلى الدفن.

(4) H.Zafrani, Juifs d'Andalousie , pp200,202. (4)

E.Sautraya et Charleville, «Le code ...», In: R.A.F18 69, Vol13, p183. (5)

ففي حالة ما إذا خلف المتوفى، ذكورا دون إناث فإن التركة تقسم بينهم بالتساوي إلا أن البكر يأخذ سهمين (حصتين) على أساس التفضيل.⁽¹⁾

فالذمي سعدية اليهودي بن حليم زيزه خلف بعد وفاته جلسة حانوت بسوق الصاغة، انتقلت إلى أولاده الذكور وهم: حليم ويوسف وموشي ويهوده وشلومو وإلياهو، إلا أن الوثيقة لم تكشف إن وقع التفضيل.⁽²⁾

ذلك ما اتسق لنا جليا في وثيقة أخرى حيث ورد فيها مايلي: "أن الذمي شالومو اليهودي ابن موشي اليهودي بن مسعود... يليه جميع العلوي الكاين بدار اللحم... وتوفي المالك شلومو عن زوجته الذمية ظبيانة بنت (غير واضح) عن ولديه منها وهما شالوموا الكبير المالك وإبراهيم الصغير....".⁽³⁾

وفي حالة ما خلف المتوفى إناثا دون ذكور شأنهم شأن الذكور في الميراث على غرار سقوط البكورة* عندهن،⁽⁴⁾ فقد انتقلت ملكية جلسة حانوت يوسف بن موشي بن دجانة إلى ابنتيه عزيزة ومسعودة بالوراثة منه بعد وفاته.⁽⁵⁾

وإذا ما تمثل الورثة في ذكورا وإناث وجب تقدير حجم التركة، فإن كانت واسعة كان الذكور أولى بها، ووجب عليهم الإنفاق على إخواتهن إلى أن يتزوجن، وإن لم تكن كذلك، والإناث صغارا تدفع إليهن كاملة، ويمسي الذكور أوصياء عليهن، ولا يجوز أن يأخذوا منها شيئا، ويرفع عليهم الحضر يوم يزفونهن، ومن تم يحق لهم اخذ المال المتبقي إن وجد،⁽⁶⁾ وإن غاب الأخوة الذكور أو كانوا قصر يسقط عنهم الحق و ينوب عنهم الأعمام.

(1) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 168.

(2) علبة رقم 41 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 5، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 40.

(3) علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 10، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 41.

* بمعنى أن البنت البكر لا تحضي بحصتين مثل الذكر تبعاً لتقليل من شأن الأنثى.

(4) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 172.

(5) علبة رقم 28، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 34، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 42.

(6) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 165.

فالذمي إسحاق تولى كفالة أولاد أخوه شمويل بن دحمان اليهودي وهم: هارون وسلطانة وعزيزة، واستأذن من الشيخ القاضي أن يأذن له ببيع نصيب الأولاد في تركة والدهم لإجراء النفقة عليهم ولتجهيز البنيتين للزواج.⁽¹⁾

وإذا ما خلف الأب ابنة وحيدة فإنها تستحوذ على التركة دون منازع،⁽²⁾ فالذمية سلطنة استحوذت على نصيب والدها الذمي يعقوب الدش، من الدار الواقعة بسوق الخياطين المعروفة بدار العربية،⁽³⁾ وكذا بالمثل إن خلف ابنا وحيدا فانه ينفرد بالتركة لوحده، فالذمي شمويل بن مخلوف صرور اليهودي استولى على نصيب والده من الدار الموجودة بزقة البوزة بناحية السوق الكبير.⁽⁴⁾

وأما إذا انقطع نسل الوريث من صلبه سواء إن كان ذكرا أو أنثى فبوفاته فان التركة تلحق بإخوته، فالذمي يعقوب بن شلومو بن ناون استولى على جلسة حانوت القريبة من القهوة الكبيرة أنجزت له بالإرث من أخيه موشي منذ سنين مديدة،⁽⁵⁾ وكذلك الذمية يمونة بنت ناتان حنون التي ملكت الثمن الواحد وربيع الثمن من جميع الدار الكاينة بزقة البوزة المعروفة بدار خنوس التي أنجزت لها بالإرث من والدها ولما توفيت انتقلت تركتها إلى أشقائها وهم موشي ويعقوب وشلومو.⁽⁶⁾

وفي حالة وفاة الوريث سواء إن كان ذكرا أو أنثى فان للأولاد من صلبه حقا في التركة كما هو حال شمويل بن معطي الذي تقاسم مع عمه جلاد بن معطي الدار الكاينة بسوق العطارين التي أنجزت لهم بعضها بالإرث من آبائهم،⁽⁷⁾ وكذلك مسعود بن هارون ظبيانة ومسعودة وستيتي بنتا إبراهيم أخيه اشتركا معه في ملكية جلسة الحانوت الواقعة بسوق العطارين أنجزت لهما بالإرث من هارون ظبيانة.⁽⁸⁾

فالجدير بالذكر أن للزوجة حق في تركة زوجها فقد استولت الذمية جوهر بنت يوسف من بعلمها موشي اليهودي حصته من دار الكاينة بزقة الجرابة المعروفة بدار اللوش الكبيرة،⁽⁹⁾ وكما للزوجة حق

(1) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 59، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 43.

(2) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 169.

(3) علبة رقم 84، 85، 86، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 13، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 27.

(4) علبة رقم 140، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 16، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 14.

(5) علبة رقم 26، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 29، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 44.

(6) علبة رقم 140، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 17، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 45.

(7) علبة رقم 41 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 46.

(8) علبة رقم 57، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 13، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 47.

(9) علبة رقم 57، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 48.

في إرث بعلها فحتى بعلها له حق في إرثها، فقد انتقلت حصة الزوجة الذمية مسعودة بنت يوسف من جلسة الحانوت المعدة للصاغة التي تمت لها بالوراثة من والدها إلى بعلها الذمي يوسف بن ناطان المدعو عروسة بالإرث منها.⁽¹⁾

امثالاً لما نصت عليه عقود التركات فإن الشريعة اليهودية أباحت أن يرث الأولاد إناثاً أو ذكوراً أمهما،⁽²⁾ إذ ورث الذمي طبير ابن إسحاق اليهودي عرف بوخريس جلسة الحانوت القريبة من قهوة الصفارين أنجزت له بالإرث من والدته قاسية بنت باروخ اليهودي.⁽³⁾

المتخصص لما سبق ذكره أنفاً نجد أن تقسيم الإرث لم يخضع لتشريعات التوشابيم* مزيج بين التشريع القشتالي** المجلوب مع الميكورشيم وتشريعات الإسلامية وهذا خير دليل على سيادة "الميكورشيم" على "التوشابيم" والتعديلات التي أدخلت على التشريع توحى بالتأثر بالإسلام حيث ورد في إحدى الوثائق العبارة التالية: "...بعدالة المسلمين..."،⁽⁴⁾ تتدرج تحت إطار التقانوت.

وعصارة القول بأن تواجد اليهود بشمال إفريقيا ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالاضطرابات السياسية التي خلقت هجرات اضطرارية دفعتهم لشد الرحال لهذه الأخيرة فاستمالوا حكامها وعلى رأسهم يوبا الثاني.

اتسمت طول فترة استقرارهم بالمنطقة بتعاقب فترات الضيق والشدة والازدهار والرخاء فمن أزهى الفترات الفترة الإسلامية عامة والحمادية خاصة حيث تمتع اليهود بحرية المعتقد وممارسة النشاط

(1) علبة رقم 28، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 34، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 42.

(2) مسعود حاي بن شمعون، المرجع السابق، ص 176.

(3) علبة رقم 10 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 18، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 49.

* يستمد تشريعاته من العهد القديم والتلمود ومن تم يحق للذكور في تركة الوالد وينفرد الابن الأكبر بنصيبين اثنين، وفي حالة غياب الذكر ووجود الأنثى هنا يدفع لها حقها من التركة بشرط أن تتزوج من نفس القبيلة حتى لا يخرج الإرث عن نطاق الأسرة، فإن كانت مطلقة أو متزوجة قبل وقوع الوفاة يسقط حقها من التركة.

وأما إذا خلف الوالد ذكوراً وإناثاً وجب على الذكور الإنفاق على أخواتهن البنات حتى يبلغن ويتزوجن وتختص الكبرى والسباقة في الزواج بأخذ حصتين خلاف إخوتها أما إذا تزوج في وقت واحد هنا تتساوى بينهما في الأنصبة، ويحق للزوج أن ينفرد بتركة زوجته، وأن يرث حماءه إن مات قبل بنته (زوجته)، أنظر: سوزان السعيد يوسف، المرجع السابق، ص 140، 146.

** إذا توفت الزوجة تقسم تركتها بين الزوج والأولاد وكذا بالمثل في حالة وفاة الزوج، أما إذا توفي الوالدين وخلفوا بعدهم ذكوراً وبنات فالتركة تقسم بينهم وعلى الإخوة الذكور الاعتناء بأخواتهن البنات العازيات، فإذا توفي الزوج وانقطع نسله من ثلثه تقسم هنا تركته إلى أربعة أجزاء تستولي للمرأة جزء فقط أما الباقي يدفع لورثة الزوج من العائلة، وكذا بالمثل أن توفت الزوجة، أنظر:

E.Sautraya et Charleville, «Le code ...», In: R.A.F1869, Vol13, pp183, 191.

(4) علبة رقم 26، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم، أنظر: الملحق رقم 44.

التجاري مما سمح بظهور ابداع فكري انبثق من تلك مدرسة تلمودية التي احتضنتها قلعة بني حماد، دون غض النظر عن العهد العثماني فمن المتعارف عليه أن الحكام نادوا بسماحة الدين الإسلامي وإدراج أهل الكتاب ضمن أهل الذمة لذا سارع اليهود للتقرب منهم وكسب ودهم وجعلهم وسيلة لخدمة مصالحهم الخاصة وصدق نموذج الداوي حسان باشا ومصطفى باشا، وبفضل هذه العلاقة الوطيدة التي أقاموها مع الحكام اكتسبوا نفوذا اقتصاديا فاحتكروا الصنائع المدرة للأموال وانفردوا بأسواق خاصة كسوق "الصاغة اليهود" و"العطارين اليهود"، وأداروا التجارة الخارجية للبلاد التي تولاهما تجار ليفورن بكري وبوشناق.

والجدير بالذكر أن من جلة الامتيازات المندرجة ضمن قانون أهل الذمة تمتع اليهود بالاستقلال الذاتي فشؤونهم الداخلية يديرها رئيس يختار من بينهم يعرف بـ"المقدم" ينتخبه الداوي وهو همزة وصل بينهم وبين السلطة.

نلمس الاستقلالية بتحكمهم للمحاكم الربية وإقامتهم لشعائهم الدينية بالمعابد، فضلا عن اتخاذهم لحمامات خاصة بهم.

وجل هذه العوامل السالفة الذكر سمحت لهم بالانخراط مع مختلف شرائح المجتمع الذي انعكس بدوره على الأسرة اليهودية عامة والمرأة اليهودية خاصة فبفضل الشرائع الإسلامية خرجت المرأة اليهودية من القوقعة التلمودية فأمست بالمالكة للعقارات بعد أن كانت الأم الحاضنة .

الفصل الأول

1. العقيدة اليهودية وشعائرها الدينية.
2. المنشآت الدينية.

انفرد الفكر الديني اليهودي على غرار من الأديان السماوية الأخرى بظاهرة الخضوع للتجديدات والإصلاحات مست جوهره فأسمى اليهودي اليوم لا يشبه اليهودي أيام النبي داوود وسليمان عليهما السلام، فضلا عن أولئك الأقوام الذين عاشوا في البداوة تحت حكم القضاة أو الرعيل الأول الذي إتبع تعاليم النبي موسى وهارون عليهما السلام فالنصوص تغيرت والظروف التاريخية كذلك والعقائد الطقوس أيضا.⁽¹⁾

1. العقيدة اليهودية وشعائرها الدينية:

1.1. المصادر التشريعية في العقيدة اليهودية:

اعتاد اليهود على إطلاق لفظة "التوراة" على الشريعة اليهودية، وأحيانا تعرف بـ"هالاخا" للإشارة على الشريعة ككل، ويقوم التشريع اليهودي على مصدرين:

1.1.1 المصادر المكتوبة أي "توراة شبختاف" بالعبرية،⁽²⁾ يقصد بها العهد القديم،* المتضمن لـ39 سفرا
****، متفق عليه موزعة على أربعة كتب، تتجلى في كل من: التوراة، الكتب التاريخية، الأنبياء، كتب**
الأناشيد، يضم كل كتاب عددا من الأسفار.⁽³⁾

2.1.1. المصادر الشفوية أي بـ"توراة شبعل به"، يقصد بها التوراة الشفوية، فاليهود يزعمون أن النبي
موسى عليه السلام لما صعد إلى جبل سيناء ليلتقي الوحي لم يعطه الإله توراة أو شريعة واحدة، وإنما
أعطاه شريعتين إحداها مكتوبة والأخرى شفوية.⁽⁴⁾

(1) زبيدة محمد عطا، المرجع السابق، ص50.

(2) نفسه، ص ص22، 23.

* منها أسفار موسى الخمسة، بالإضافة إلى أربع وثلاثين سفر كتبت من بعده من طرف أفراد مختلفون وأزمنة متباعدة وهي: يشوع، القضاة، راعوت، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني، أخبار الأيام الأولى والثاني، عزرا، نحيما، استير، أيوب، المزمير، الأمثال، الجامعة، نشيد الإنشاد، أشعيا، أرميا، مراثي إرميا، حزقيال، دانيال، موشع، ويوثيل، عاموس، عويديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفتيا، حجي، زكريا، ملاخي. سمي بالعهد القديم للترقية بينه وبين أسفار المعتمد عند المسيحيين حيث يطلق على هذه الأخيرة بـ"العهد الجديد"، انظر: الإمام علاء الدين علي بن محمد الباجي، كتاب على التوراة أو الرد على اليهود، تحقيق السيد يوسف أحمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 2008م، ص ص4، 5.

** جمع "أسفار" و سفر أو سيفر تعني "كتبا" إذ يشار إلى كتب العهد القديم بكلمة أسفار، ويقسم كل سفر إلى إصحاحات وكل إصحاح إلى فقرات وكل فقرات إلى مقاطع، أنظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، الطبعة الأولى، دار الشرق، القاهرة، 1999م، ص114.

(3) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص74.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص23.

تتجلى الشريعة الشفوية في مجموعة أحكام وفتاوي وأساطير، فضلا عن حكايات وخرافات وضعت لتأويل أسفار العهد القديم، تناقلتها أحرار اليهود شفويا على مدى قرون إلى أن جمعت ودونت في التلمود أساسا،⁽¹⁾ ومن ثم تتجلى في التلمود أي تفسيرات الحاخامات التي جمعها اليهود.

1.1.1.1. التوراة:

وهي لفظة عبرية مشتقة من الفعل "بوريه" بمعنى يعلم أو يوجه كما تعرف بـ"الناموس"، استخدمت هذه التسمية لتدل على الشريعة اليهودية ككل، ثم انتقلت لتشير إلى أسفار سيدنا موسى عليه السلام⁽²⁾ وهي جزء من العهد القديم،⁽³⁾ تتكون من خمسة أسفار تتمثل في:

أ. سفر التكوين :

يعرف بالعبرية بـ"بريشيت" بمعنى في البدء وهي أول كلمة ترد في سفر التكوين، وهو أول سفر من أسفار موسى عليه السلام الخمسة⁽⁴⁾ يقع في خمسين إصحاحا.⁽⁵⁾ يشتمل هذا السفر على قصة خلق العالم وخلق الإنسان الأول، بالإضافة إلى قصة الخطيئة التي إرتكبها أبو البشرية ونزوله إلى الأرض عقابا له، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم، فقصة الطوفان ونشأة الشعوب بعده، وقصة إبراهيم وتجواله ونسله، ثم إسحاق ويعقوب وأولاد يعقوب عامة ويوسف خاصة، وما جرى ليوسف إلى أن أصبح ذا شأن كبير في مصر استدعى إليه أباه وإخوته وبموت يوسف يختم السفر.⁽⁶⁾

ب. سفر الخروج :

يطلق عليه بالعبرية بـ"يشعوت" يقصد بذلك الأسماء وهي كلمة مأخوذة من العبارة الافتتاحية فيه، وهو ثاني سفر من أسفار موسى عليه السلام الخمسة،⁽⁷⁾ يقع في أربعين إصحاحا.⁽⁸⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص23.

(2) نفسه، ص111.

(3) أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م، ص230.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص118.

(5) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، 1971م، ص12.

(6) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص233.

(7) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص119.

(8) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، ص13.

يتناول تاريخ بني إسرائيل في مصر، كما يأتي على سرد قصة موسى عليه السلام وذهابه إلى سيناء، ونزول الوحي الإلهي عليه، والعهد الذي قطع بين الإله وبني إسرائيل، وعودة موسى إلى مصر ليساعد اليهود على الخروج من أرض العبودية ثم تلقيه للوصايا العشر في سناء.⁽¹⁾

نصت هذه الوصايا المنحوتة على الحجر على مايلي: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لاتصنع لك منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدن لأنني أنا الرب إلهك إله غيور أفقد ذنوب الأباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب يبرى من ينطق باسمه باطلا،.... أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك ولا تشته زوجة قريبك ولا خادمه ولا خادمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك"،⁽²⁾ ومن ثم فإن هذا السفر قد اشتمل على جملة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات فضلا عن التوحيد.

ت. سفر اللاويين :

أي "سفر الأحبار"⁽³⁾ يعرف بالعبرية بـ "فايقرا" بمعنى دعا أو نادى، وهي الكلمة التي يفتتح بها سفر اللاويين، وكان قبلا يطلق عليه "تورات كوهانيم" أي شريعة الكهنة.

وهو ثالث سفر من أسفار موسى عليه السلام الخمسة،⁽⁴⁾ يقع في سبعة وعشرون إصحاحا،⁽⁵⁾ وفيه يتوقف السرد القصصي ليحل محله تناول شؤون العبادات وبشكل خاص تلك المتعلقة بالأعياد والأضحية والطقوس فضلا عن المحرمات من الأطعمة والأنكحة، دون غض النظر عن الطهارة و النذر كما يشتمل على العديد من الأمور المتعلقة بالعادات والأوامر الدينية التي يستحق من إتبعها الثواب ومن خالفها العذاب.⁽⁶⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص119.

(2) سفر الخروج 20: 17_1، أنظر: سفر التثنية 5: 21_6.

(3) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص14.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص120.

(5) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص15.

(6) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص234.

كما أنه يتضمن التعاليم الأخلاقية والاجتماعية التي غفل سفر الخروج عن ذكرها، بالإضافة عن التعليمات الخاصة بخيمة الاجتماع.

ج. سفر العدد:

يسمى بالعبرية بـ"ميميدبار" أي "في البرية" وهي أول كلمة جاءت في سفر العدد، وهو رابع سفر من أسفار موسى عليه السلام الخمسة،⁽¹⁾ يقع في ستة وثلاثين إصحاحاً.⁽²⁾ سمي بسفر العدد كونه يشتمل في معظمه على إحصاءات عن قبائل العبرانيين* وجيوشهم وأموالهم وجل مما يمكن إحصاؤه عن شؤونهم.⁽³⁾ كما يشتمل على أحكام تتعلق بعدد من العبادات والمعاملات، ولقد ورد في هذا السفر ذكر لتذمر جماعة من بني إسرائيل من متابعة السير على خطوات موسى عليه السلام وهذا ما أثار غضبه. والجدير بالذكر أن هذا السفر قد تم تدوينه بعد التهجير البابلي** في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد،⁽⁴⁾ وذلك بعد تدوين سفر التكوين والخروج في القرن التاسع قبل الميلاد وسفر التثنية في أواخر القرن السابع قبل الميلاد.⁽⁵⁾

د. سفر التثنية:

يعرف بالعبرية بـ"ديفاريم" بمعنى الكلمات، وهي أول كلمة ترد في سفر التثنية، كما يسمى بـ"المشنا تورا" يقصد بذلك إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سناء.⁽⁶⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ص 119، 120.

(2) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 15.

*إن اليهود ينتسبون أنفسهم إلى كلمة عبري كما ينتسب كل ما يتعلق باليهود إلى العبرانيين، والسبب في ذلك إثبات وجودهم القديم في بلاد الشام قبل وجود الكنعانيين ولفظ عبري مشتق من الفعل "عبر"، والتي تعني قطع مرحلة من الطريق أو عبر نهرا أو صحراء، وهي ترادف كلمة بدوي ويقصد بها قاطن البادية أو الصحراء، أنظر: عبد الحميد أحمد أبو سلة، "الكنعانيون والعبريون وصراع المسميات"، عن: المجلة العلمية لكلية التربية، المجلد الأول، العدد العاشر، جامعة مصراته، ليبيا، 2018م، ص 195.

(3) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 120.

** أي بعد أن أغار نبوخذ نصر ملك بابل على أورشليم وعزل بني إسرائيل عن ملكهم وأسر عدد كبير إجلالهم إلى بابل. إشتهر هذا الحدث في التاريخ باسم "نفي بابل"، ولقد تم على مرحلتين: المرحلة الأولى توافق سنة 598 ق م أما الثانية في 587 ق م، أنظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، الطبعة الثانية، جروس بروس، لبنان، 1991م، ص 467.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 120.

(5) علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، الطبعة الأولى، دار نهضة للطباعة والنشر، القاهرة، 1964م، ص 17.

(6) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 121.

وهو آخر سفر من أسفار موسى عليه السلام،⁽¹⁾ يقع في أربعة وثلاثين إصحاحاً،⁽²⁾ اشتمل على: مقدمة ورد فيها مراجعة موسى عليه السلام لما حدث منذ عبوره سيناء.

نصائح موسى عليه السلام الأخلاقية ومنها إعادة الوصايا العشر كما تحتوي تلخيصاً للتشريع الذي قبله بنو إسرائيل،⁽³⁾ وإننا لا نستبعد نسخ لبعض تعاليم الشريعة الأولى عند تنقيتها، وإضافة أشياء أخرى لم يرد ذكرها من قبل.⁽⁴⁾

وينتهي هذا السفر بخبر موت موسى عليه السلام ودفنه بجبال مؤاب حيث ورد فيه ما يلي: " فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب بأمر الرب ودفنه الرب في الوادي في أرض مؤاب تجاه بيت فغور ولا يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا ".⁽⁵⁾

2.1.1.1. الكتب التاريخية أو الكتابات:

تضم اثني عشر سفراً انفرد كل سفر بأشتماله على عدد معين من الإصحاحات، تتعرض في مجملها لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على أرض كنعان واستقرارهم بفلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة في شؤونهم،⁽⁶⁾ تتجلى هذه الأسفار فيما يلي:

سفر يشوع في 24 إصحاحاً، سفر القضاة في 21 إصحاحاً، سفر راعوت في 04 إصحاحات ، سفر صموئيل الأول في 31 إصحاحاً، صموئيل الثاني في 24 إصحاحاً، سفر الملوك الأول في 22 إصحاحاً، سفر الملوك الثاني في 25 إصحاحاً، سفر اخبار الأيام الأول في 29 إصحاحاً، سفر اخبار الايام الثاني في 36 إصحاحاً، سفر عزرا في 10 إصحاحات، سفر نحميا في 13 إصحاحاً، سفر استير في 10 إصحاحات.⁽⁷⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص121.

(2) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص15.

(3) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص121.

(4) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص ص15، 16.

(5) سفر التثنية34: 5_6.

(6) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص11.

(7) الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد، ص ص352، 840، أنظر: حبيب سعيد، مدخل الى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، ص ص91، 110.

3.1.1.1..كتب الأناشيد:

أو الأسفار الشعرية، وهي عبارة عن أناشيد ومواعظ معظمها ديني ذات صبغة شعرية صيغت بأساليب بليغة، ⁽¹⁾ عددها خمسة أسفار ضم كل كتاب عدد من الإصحاحات، نذكر منها:

كتاب ايوب 42 إصحاحا، كتاب المزامير 150 إصحاحا، كتب الأمثال 31 إصحاحا، كتاب الجامعة 12 إصحاحا، كتاب نشيد الانشاد 8 إصحاحات، ⁽²⁾ تتطرق لما لحق ببني إسرائيل أثناء السبي وبعده.

4.1.1.1..كتب الأنبياء:

تضم سبعة عشر سفرا، تسرد ما حدث لبني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ودخولهم أرض فلسطين مع خليفته إلى أن أخرجوا منها أثناء السبي البابلي. ⁽³⁾

وبذلك نتطرق إلى جل الأنبياء الذين قدموا بعد موسى عليه السلام، ومن الملاحظ أنه لم يراع التسلسل التاريخي خلال السرد. ⁽⁴⁾

تتمثل هذه الأسفار في: سفر أشعياء 66 إصحاحا، سفر أرميا 52 إصحاحا، سفر مراثي أرميا 05 إصحاحات، سفر حزقيال 48 إصحاحا، سفر دانيال 12 إصحاحا، هوشع 14 إصحاحا، سفر يوشع 03 إصحاحات، سفر عاموس 09 إصحاحات، سفر عوبديا 01 إصحاحا، سفر يونا يونس 04 إصحاحات، سفر ميخا 07 إصحاحات، سفر ناحوم 03 إصحاحات، سفر حيقوق 03 إصحاحات، سفر صفنيا 03 إصحاحات، سفر حجابي 02 إصحاح، سفر زكريا 14 إصحاحا، سفر ملاخي 04 إصحاحات. ⁽⁵⁾

وفقا لما سبق ذكره آنفا نجد أن التوراة ليست بكتاب منفرد بل جملة من الكتب بلغ عددها تسعة وثلاثين سفرا تعرف بـ "العهد القديم"، ⁽⁶⁾ أو "التناخ" كما هو متداول عند أحبار اليهود. ⁽⁷⁾

(1) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 16.

(2) الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد، ص 840، 1145، أنظر: حبيب سعيد، المرجع السابق، ص 102، 140.

(3) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 32.

(4) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 244.

(5) الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد، ص 1145، 1624، أنظر: حبيب سعيد، المرجع السابق، ص 141، 155.

(6) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 13.

* تكتب على الشكل التالي: (ت. ن.خ)، وهي إسم عبري مختصر من الحروف الأولى من ثلاثة كلمات عبرية تتمثل في: التاء يعني التوراة (الأسفار الموسوية الخمسة)، النون ترمز إلى كتب الأنبياء أي "تنبيم"، إما الخاء فهو يشير إلى باقي الكتب (الأناشيد، التاريخية) أي "كتوبيم"، أنظر: حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره.....، ص 72.

(7) أسعد السحمراني، البيان في مقارنة الأديان، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، 2001م، ص 31.

تم تدوينها بعد العودة من السبي البابلي حيث قام "عزرا الكاهن" بجمعها ونسخها ونقحها في صورة المتعارف عليها اليوم، وقد عرض في طياتها تاريخ البشرية المبكر وتاريخ أسلافه العبرانيين،⁽¹⁾ وتم ذلك في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد أي حوالي سنة 444 ق.م.⁽²⁾

وأقدم مخطوطات العهد القديم التي وصلت إلينا تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد تعرف بـ "لفائف البحر الميت" ⁽³⁾ إلا أن هناك تضارب في الآراء إذ نجد بعض المؤرخين يرجحون أنها تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول ميلادي.⁽⁴⁾

* سنتطرق إليه لاحقا في فصل المنشآت الدينية عند تناولنا لضريحه.

(1) صموئيل هنري هوك، منعطف المخيلة البشرية، ترجمة صبحي حديد، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 1983م، ص 99.

(2) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 31.

** تعرف بـ "لفائف قمران" نسبة للإسم المنطقة التي وجدت بها، عثر عليها راعي كان في صدد البحث عن خروفه الضائع وكان ذلك سنة 1945م، وفي سنة 1952م تم البحث في المنطقة إلى أن تم العثور على مخطوطات العهد القديم بكامله تقريبا باستثناء سفر إستير، أنظر: نفسه، ص 31، 32.

ولقد حظيت باهتماما خاصا من قبل الباحثين سواء اليهود أو المسيحيون حيث أُمست بؤرة صراع بينهم فكل فريق منهم يأول النصوص سواء التي كتبت باللغة الأرامية أو العبرية تبعا لخدمة مصالحه الدينية الإيديولوجية فاليهود يدعون أنها تخصهم كونها تعود إلى القرون الأولى قبل الميلاد تبعا للفحص الكربوني ضف إلى ذلك إشتغالها على جل أسفار العهد القديم تقريبا، أما المسيحيون فيرون أنها تراث مسيحي ويستدلون بالنصوص والمفردات الواردة في المخطوطات متطابقة لحد كبير لتلك الواردة في رسالة بولس وكتاب أعمال الرسل تبعا للعهد الجديد ويطعنون في نتائج الفحص الكربوني ويرون أنها تعود إلى بعد ميلاد المسيح وهي مخلفات الفرقة الأسينية Essences التي عاشت في قمران وهي عبارة عن مجتمع ذكوري محض وعلى الأرجح أنهم رهبانا وفقا لتلك العبارة الواردة في أحد النصوص: "لا طفل ولا امرأة يسمح لهم أن يدخلون مخيماتهم"، يعززون حجتهم هذه بتلك القبور التي بلغ عددها ستة وعشرون قبرا ضمت ألف ومئة جمجمة تخص رجال بالغين ومن هنا يسقطون الحجة على اليهود، أنظر: بهجت عبد الرزاق الحباشنة، لفائف البحر الميت في ضوء القرآن والسنة الشريفة، كلية الدراسات الفقهية والقانونية جامعة البيت، الأردن، د.ت، ص 18، 30.

وبذلك غضوا النظر على ان الفرقة الأسينية جناح متطرف من الفريسيين تقترب عقادهم من عقائد هذا الفريق، عاشوا في جماعة مترابطة فيما بينها رفضوا الانحلال مع غيرهم من الفرق، لذا استقروا في شمال غربي البحر الميت خلال القرن الثاني قبل الميلاد والاول ميلادي بغية ممارسة شعائرتهم وتطبيق شريعة موسى عليه السلام، تميزوا بلبسهم الثياب البيض والتطهر وتحريم الذبائح اذ قدموا قربانين نباتية للهيكل، وعزفوا اغليبتهم عن الزواج مما تسبب في انفراضهم خلال القرن الأول ميلادي، أتى على ذكرهم فيلون ويوسفوس.

يقال ان المسيحية الأولى تأثرت بهم كذلك يوحنا المعمدان وقد كان المسيح عليه السلام كان عضوا في هذه الفرقة، أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 491، 492.

(3) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 30، 31.

(4) القس إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت، 1991م، ص 21.

فالتوراة التي أتى بها موسى عليه السلام قد فقدت وضاعت بعد موته، وإننا لنستبعد أن تكون التوراة التي دونت على يد عزرا مطابقة لما جاء به موسى عليه السلام فهي لم تسلم من التحريف* (1). وهذا ما أكدته القرآن الكريم فقد قال الله تعالى: " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه"، (2) وقوله تعالى: " وأن منكم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون". (3)

بالرغم من ذلك إلا أن القرآن الكريم يعترف بالتوراة ككتاب سماوي مقدس أنزل على نبي الله موسى عليه السلام وينكر ما دون ذلك، تبعا لقوله تعالى: " الله لا اله إلا هو الحي القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل، من قبل هدى للناس". (4)

ولقد دونت هذه الأسفار باللغة العبرية تركيبا وأسلوبا إلا أننا نجد اختلافا في بعض مفرداتها وذلك راجع لتباين العصور التي ألّفت فيها، ونستثني من ذلك بعض الأجزاء من سفر عزرا ودانيال، فضلا عن فقرة واحدة من سفر أرميا وكلمتان إثنان من سفر التكوين حيث كتبت باللغة الآرامية. (5)

* من المتفق عليه أن موسى عليه السلام كتب نسخة من التوراة ووضعها مع اللوحين في التابوت، وقد قام بني اسرائيل بتعطيمها بغية طمس ما جاء بها، ثم زعموا أنها فقدت ففي عهد النبي سليمان عليه السلام لم يعثر في التابوت إلا على اللوحين لاغير، أنظر: سفر صموئيل الأول 8: 9.

والغريب أنهم أدعو في زمن الملك يوشيا أنهم عثروا عليها، أنظر: الملوك الثاني 22: 8_13. وإن هذا الدليل قاطع أنهم حرقوها وغيروها إرضاء لما تهوى به أنفسهم فلما بلغوا أن الملك راغبا في إقامة شريعة الله سارعوا الى كتابة نسخة محرفة عن توراة موسى عليه السلام، والملفت للانتباه كتابتها بعد السبي وإن دل هذا على شيء فأنما يدل على تأثرهم بالازدهار الفكري الذي كان قائما ببابل حيث إنكبوا ينسخوا العديد من المعتقدات والروايات والأساطير وصبغوها بصبغة موساوية ليضمنوا شرعيتها، أنظر: أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 250، 251، للتوسع في التأثيرات والإقتباسات من الديانة الزرادشتية والتحلي بالحلة الهلنسية، أنظر: سهيل زكار، التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف سنة، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2007م، ص 45، 89. وللتوسع في الإقتباسات والتأثيرات البابلية والآشورية والمصرية، أنظر: فتحي محمد الزغبى، تأثر اليهودية بالديانات الوثنية، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، 1994م، ص 435، 496.

(1) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 22.

(2) سورة النساء: 46.

(3) سورة آل عمران: 78.

(4) سورة آل عمران: 2_3.

(5) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 19، 21.

وأقدم ترجمة للعهد القديم تعود إلى سنتي 282 ق م / 283 ق م حيث استبدلت اللغة العبرية باللغة اليونانية تعرف هذه الأخيرة بـ "الترجمة السبعينية"، تم ذلك على يد إثنين وسبعين حبرا من يهود مصر تحت أمر بطليموس الثاني*، وفي القرن الأول ميلادي أعيد ترجمتها من الترجمة السبعينية إلى الترجمة اللاتينية، ومن هاتين الترجمتين إلى معظم لغات العالم،⁽¹⁾ ومن بينها اللغة العربية فقد قام سعيد الفيومي (892م - 942م) بنقل العهد القديم من العبرية إلى العربية لكي يستفيد منه يهود المشرق.⁽²⁾ فمن المتفق عليه أن النسخة المعتمدة حاليا تعرف بـ "الماسورة" أي التقليد، وقد أستغرقت قرونا لإعدادها فقد امتدت من السادس ميلادي إلى غاية القرن الثاني عشر ميلادي.⁽³⁾ تم طبع الكتاب المقدس باللغة العربية في مجموعة باريس المتعددة للغات سنة 1645م، وفي مجموعة لندن سنة 1657م، وفي روما سنة 1671م.⁽⁴⁾

1.2.1.1 التلمود:

لفظة عبرية مشتقة من الجذر العبري "لامد" بمعنى الدراسة والتعليم،⁽⁵⁾ يعد اليهود التلمود كتابا منزلا كالتوراة ولا يقل قداسة عنها فهم يزعمون أن أحبارهم قد أوحى إليهم من قبل روح القدس "روح هقدش" خلال تفسيرهم للشريعة المكتوبة.⁽⁶⁾ ظهرت الرواية الشفوية أي التلمود بعد النبي موسى عليه السلام بحوالي 200 سنة،⁽⁷⁾ وتناقل مشافهة عبر قرون طوال إلى أن عزم الأحبار** بعد العودة من السبي البابلي إلى جمعه وتدوينه خوفا من ضياعه، ولم يفرغ منه إلا في القرن السادس ميلادي.⁽⁸⁾

* إعتلى بطليموس الثاني عرش مصر في سنة 284 ق م عرف عنه ولعه بالعلوم والأدب، ووده لليهود اذ قريهم منه لذا مدح في كتبهم، أنظر: سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء الرابع عشر، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2000م، ص 360

(1) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 20، 21.

(2) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، دار نهل الحياة، بيروت، 1993م، ص 526.

(3) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 30، 31.

(4) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 74، 75.

(5) نفسه، ص 178.

(6) أحمد أبيش، التلمود، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2006م، ص 25.

(7) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 36.

** والأصل في الكلمة هو "حباريم" بمعنى الرفاق، وربما يرجع المصطلح الى إستخدامهم في التدوين "محريريم"، أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 339.

(8) أحمد أبيش، المرجع السابق، ص 26، 27.

وهو عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والتاريخ والأدب والعلوم الطبيعية فضلا عن كونه مصدرا أساسيا للتشريع،⁽¹⁾ تم جمعه وتحريره على يد الحبر "يوضاس" عرف حينذاك بـ "المشناه" بمعنى تفسير ما التبس من الشريعة الموساوية المكتوبة وتكملة لها، وزيد له في القرون اللاحقة شروحات مسهبة وحواشي عرفت بـ "الجماراه"، و خلاصة الأمر أن المشنا والجماراه معا تؤلفان متن التلمود.⁽²⁾

التلمود على نوعان:

■ التلمود الأورشليمي:

أو المقدسي يعرف بالعبرية بـ "تلمود بروشلمي" أو "تلمود ارتس يسرائيل"،⁽³⁾ كتب على يد مجموعة من حاخامات أورشليم* عرفوا بـ "أمورايم" بمعنى المفسرين،⁽⁴⁾ وعلى رأسهم الحاخام "يوخنان".⁽⁵⁾

فالجدير بالذكر أن أورشليم شهدت العديد من الفتن وعلى رأسها تحطيم الهيكل الثاني وانعدام المدارس الدينية بها، فضلا عن انتقال حاخاماتها إلى صفورية وطبرية حيث شيدوا المدارس الدينية بها،⁽⁶⁾ لذا سارع الحاخامات إلى جمع الشريعة الشفوية خوفا من ضياعها وتم ذلك سنة 400م، طبع لأول مرة في البندقية سنتي 1522م-1523م.⁽⁷⁾

■ التلمود البابلي:

يعرف بالعبرية بـ "تلمود بقلي" بمعنى تلمود بابل،⁽⁸⁾ وهو نتاج الحلقات التلمودية يشيفا في بابل العراق من أبرزها سوراه ونهاردعه فضلا عن نومبيديتا.⁽⁹⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 179.

(2) روهلنج شارل لوران، الكنز المصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف، مصر، 1899م، ص 30.

(3) أحمد ابيش، المرجع السابق، ص 32.

* يرى بعض الباحثين أن التلمود الأورشليمي دون على يد حاخامات قيسرية وليس أورشليم ويطلق عليهم مجازا لقب حاخامات أورشليم، أنظر: ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، الطبعة الثانية، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، 1982م، ص 23.

(4) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 34.

(5) ظفر الاسلام خان، المرجع السابق، ص 23.

(6) أحمد ابيش، المرجع السابق، ص 32.

(7) ظفر الاسلام خان، المرجع السابق، ص 23.

(8) أحمد ابيش، المرجع السابق، ص 33.

(9) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 179.

وضع على يد أكبر حاخامات "سوره" يعرف بـ"الرابي آشي" * إلا أنه توفي ولم يفرغ منه، ⁽¹⁾ بذلك خلف نسخة مبكرة عن التلمود توالى من بعده "التساقورائيم" ** عملية الجمع والتدوين. إستمرت لفترة طويلة فلم يظهر في شكله النهائي الا سنة 700م، ⁽²⁾ وتم طبعه ونشره في البندقية بين سنتي 1520م-1523م. ⁽³⁾

الجدير بالذكر أن بين التلمود الأورشليمي والتلمود البابلي تباين في بعض الفتاوي فضلا عن اللغة المستخدمة في تدوين المشنا والجماراه، وعودة إلى الفتاوي نجد أن التلمود البابلي أكثر تسامحا مع الوثنيين فقد منع بيع السلع للوثنيين أيام العيد الوثني فحسب، بينما حرم نظيره البيع لهم قبل أيام العيد بثلاثة أيام. ⁽⁴⁾

أ. المشناه:

مشتقة من الفعل العبري "شنون" بمعنى كرر وأعاد، ⁽⁵⁾ وهي عبارة عن موسوعة من الشروح والتفسير التي تتناول أسفار العهد القديم، وتتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية تم وضعها من قبل معلمي المشناه "تنائيم" تناقلها الخلف عن السلف عن طريق الرواية الشفوية لستة أجيال، وتعتبر مصدرا من مصادر التشريع تأتي في المقام الثاني بعد التوراة. ⁽⁶⁾

يزعم اليهود أنه لم يكن جائزا تقييد هذه التعاليم حين كان الهيكل قائما فتحرير المشنا لم يكن إلا وسيلة للحفاظ عليها من الزوال. ⁽⁷⁾

فالجدير بالذكر أن تدوين المشنا تم إثر خراب الهيكل عام 70م، حيث قام "يهودا هاناسي" بجمعها وتدوينها عام 200 للميلاد. ⁽⁸⁾

* ولد ببابل سنة 333م وتوفي سنة 427م، يعرف بـ"أبانا أي معلمنا"، وهو من ابرز الشراح والمحررين الاساسي للتلمود البابلي، أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص231.

(1) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص35.

** بمعنى الحاخامات المفسرون.

(2) أحمد أبيش، المرجع السابق، ص33.

(3) ظفر الاسلام خان، المرجع السابق، ص26.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص180.

(5) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2002م، ص200.

(6) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص212.

(7) ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص15.

(8) أحمد أبيش، المرجع السابق، ص33.

اعتمد في تحريرها لغة الحكماء التي يتداولها التنايم* وهي لغة عبرية متأثرة باللغة الآرامية،⁽¹⁾ تضم المشنا ستة سداريم** أي مباحث،⁽²⁾ تتجلى فيما يلي:

ـ **كتب "زراعيم":** أي "البذور" أو "الانتاج الزراعي"، ويتضمن القوانين الدينية الخاصة بالأرض والزراعة. ويبدأ في تحديد الصلوات المفروضة أو الأدعية والبركات،⁽³⁾ بالإضافة للأحكام الخاصة بالحصاد وجني الثمار فضلاً عن العشور والزكاة المقدمة للكهنة.⁽⁴⁾

ـ **كتب "موعد":** أي "العيد" يضم الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت وبقية الأعياد والأيام المقدسة.

ـ **كتب "ناشيم":** أي "النساء"، وفيه النظم الخاصة بالزواج والطلاق.

ـ **كتب "تزيقين":** ويحتوي على جزء كبير من الشرائع المدنية والجنائية، بما في ذلك القصاص والعقوبات والتعويضات.⁽⁵⁾

كما يتناول الأحكام المتعلقة بالأشياء المفقودة والبيع والمبادلة والربا والغش والاحتيال.⁽⁶⁾

ـ **كتب "قداشيم":** أي "المقدسات"، ويشتمل على الشعائر التضحية والهيكل وأحكام الصوم،⁽⁷⁾ بالإضافة للعبادات والذبائح.⁽⁸⁾

ـ **كتب "طهاروت":** أي "الطهارة"، وفيه الأحكام الخاصة بالطهارة الشعائرية وما هو حرام من المأكولات والمشروبات وغيرها.⁽⁹⁾

* يقصد بها معلوم المشناه يشغلون قمة الهرم، فأحكامهم ملزمة لمن يأتي بعدهم، أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص23.

(1) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية....، ص201.

** تتألف المشنا من ستة مباحث أو "سداريم" تنقسم بدورها إلى مباحث فرعية تعرف بـ"ماسيختوت"، تتحدر منها أجزاء أصغر تعرف بـ"المشنايوت"، أنظر: أحمد أبيش، المرجع السابق، ص29.

(2) نفسه، ص29.

(3) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص35.

(4) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص81.

(5) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص35.

(6) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص212.

(7) أحمد أبيش، المرجع السابق، ص29.

(8) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص82.

(9) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص35، 36.

ب. الجمارة:

مشتقة من اللفظة الآرامية "التكلمة" أو "التتمة" أو "الدراسة"،⁽¹⁾ وهي عبارة عن مجموعة شروحات وحواش، تبسط قواعد نصوص المشنا، وتضم مسائل وتطبيقات لتشريعات وردت في المشنا.⁽²⁾ تأخذ الجمارة شكل أسئلة واجوبة وضعها "أمورائيم" أي المفسرون خلال الفترة 200م _ 500م،⁽³⁾ وهي نوعان "جماراه اورشليمية" و "جماراه بابلية"، وتعد هذه الأخيرة الأشمل والأكثر تداولاً.⁽⁴⁾

2.2.1.1. كتب التفسير:

■ المدارس:

مشتق من الكلمة العبرية "درش" بمعنى "استطلع" أو "بحث" أو "درس" أو "فحص"،⁽⁵⁾ وهي عبارة عن تفسير باطني لنصوص ومفردات العهد القديم.⁽⁶⁾ تزامن ظهور الكتب المدارشية مع فترة تداول الشريعة الشفوية، وقد إزدهر على يد التنايم اشتمل على ثلاثة كتب تمثلت في:

_كتب مدارشية مبكرة: تم جمعها في فترة ما بين 400م _ 600م.

_كتب المرحلة الوسطى: ما بين 640م _ 1000م.⁽⁷⁾

_كتب المرحلة المتأخرة: ما بين 1000م _ 1200م.

وهي نوعان :

أ. "مدارش الهالاه" : ذات صبغة تشريعية أي قانونية.

ب. "مدارش الهجاده" : ذات صبغة قصصية وواعظية،⁽⁸⁾ وهما وجهان لعملة واحدة.

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص214.

(2) أحمد أبيش، المرجع السابق، ص31.

(3) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية.....، ص89.

(4) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص97.

(5) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص210.

(6) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية.....، ص184.

(7) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص215.

* هالاهاء مشتقة من هالك ويقصد بها يذهب أو يسلك الطريق المضبوط بتعاليم الدينية، أنظر:

H. Zafrani, Juifs d'Andalousie....., p44.

(8) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص215.

والجدير بالذكر أن "الهالاخاه" تقوم بالدرجة الأولى على التلمود البابلي اعتنقتها اليهودية الكلاسيكية، وقد عمل المفسرون إلى تصنيف الشرائع اليهودية وتبسيطها وتهذيبها، ومن تم أمست مصدرا هاما في التشريع. (1)

ويجدر الإشارة إلى أن "المشناه" تتسم باحتوائها على تشريع أكثر من القصص والوعظ في حين تتسم "الجماره" باشمالها على القصص والمواعظ أكثر من التشريع. (2)

من المتفق عليه أن الديانة اليهودية تضم العديد من الأوامر والنواهي، ونظرا لتشتت المجتمع اليهودي، وانتشاره في مجتمعات متباينة عنه فضلا عن مواكبته للتقلبات الزمنية والمكانية، جعلته يتخبط بين الحلال والحرام وهذا ما دفع به يتهافت في طلب الحاخامات لاستفتائهم في دينه.

ومن هنا ظهرت "الرسبونسه" أي "الفتاوي" تعرف بالعبرية بـ "شئيلوت أو تشوفوت"، تتشكل على صورة أجوبة لأسئلة، تصدر من حاخامات بابل يعرفون بـ "جاؤنيم"، (3) ويستندون في فتواهم على الشريعة الشفوية والتلمود البابلي كمصدرين أساسيين للتشريع اليهودي، (4) إلا أن بعد المسافة بين بابل ومختلف الأمصار جعل الرد يستغرق فترة طويلة لوصوله. (5)

بالإضافة لإنحطاط المدرسة البابلية وتقلص نفوذ كبار حاخاماتها خلال القرن العاشر والحادي عشر ميلاديين، (6) وهذا ما أدى إلى اتساق نخبة من الحاخامات سارت على درب الجاؤنيم أمست قبلة للسائلين. (7)

(1) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ترجمة رضا سلمان، الطبعة الرابعة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، 1997م، ص 129.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 215.

(3) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية، ص 280.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 215.

(5) D·Cazés, Essai sur l'histoire des israélites de tunisie, Librairie Armand Durlacher, Paris, 1889, p57.

(6) الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 12م، ترجمة حمادي الساطي، الجزء الثاني، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992م، ص 422.

(7) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية، ص 280.

ومن أبرزهم "إسحاق الفاسي" حيث توالى عليه الأسئلة الدينية من كل حذب وصوب دونت باللغة العربية وكان الرد بنفس اللغة وتبعاً لكثرتها جمعت هذه الأخيرة في كتاب خاص، ولأهميتها إستشهد بها تلميذه العلامة اليهودي "موسى بن ميمون" * في كتابه "دلالة الحائرين".⁽¹⁾

ولهذا الأخير كتاب آخر يعرف بـ "مشنا تورا" أي "الشرعة"، وهو عبارة عن مؤلف يضم أربعة عشر جزءاً تون فيه كل أحكام التلمود والمشنا والتورا بأسلوب عبري سهل واضح ودقيق عرف هذا الأخير بـ "يد حزاقة"،⁽²⁾ كما خلف من بعده مجموعة من الرسائل أرسلها علماء وأدباء اليهود وهي ذات صبغة دينية فلسفية.⁽³⁾

وقد اعتمد "يعقوب بن اشير بن حنئيل" على "المشنا تورا" عند تطرقه للأحكام الشرعية في كتابه "سفرها طوريم"،⁽⁴⁾ قدم من بعده "يوسف كاروا" ** مؤلف كتاب "شولوحان عاروخ" أي "المائدة المنضودة" وهو مرجع فقهي وشرعي هام،⁽⁵⁾ وهو مؤلف من أربعة كتب اتخذت مرجعيتها من كتاب ابن ميمون واجتهادات المشرعين اليهود.⁽⁶⁾

* أي "أبي عمران عبد الله" ولد سنة 1230م بقرطبة، من أسرة عريقة يعود نسبها إلى يهودا جامع المشنا، تتلمذا على يد إسحاق الفاسي ويوسف ميجاش، عرف عنه ولعه بالعلوم الدينية والطبيعية فضلا عن الفلسفة.

إرتحل من قرطبة فرارا من بطش الحاكم الموحدي، ليستقر في حارة اليهود بالفسطاط متمتع ببعض الحرية التي منحت لليهود تحت ضل العلويين، ثم الأيوبيون إلا أن هذه الفترة أقل إنفتاحا لما قبلها، على الرغم من ذلك لم يتوقف إبداع فكره بالعكس فقد تداعى صيته وعين رئيسا لطائفته، في آخر أيامه أنصب لدراسة الطب وبرع فيه فتم إلحاقه بالقصر الملكي، توفي سنة 1204م، أنظر: إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون، الطبعة الأولى، مطبعة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة، 1936م، ص 1، 56.

(1) عطا أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تقديم سنوسي يوسف إبراهيم، الطبعة الأولى، أترك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص 314.

(2) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، ص 105.

(3) إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص 54.

(4) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 84.

** ولد بإسبانيا سنة 1488م وهاجر منها إلى فلسطين حيث إستقر بصفد واشتغل في القضاء وأسس مدرسة تلمودية فيها، إهتم بدراسة كتاب "تنثية التورا" فوضع له شرحا ضخما تحت عنوان "بيت يوسف" لم يلق صدق كبير عند اليهود على غرار المؤلف الذي خلفه فقد دون من بعده كتاب آخر يعرف بـ "المائدة المنضودة" ضم أربعة كتب، يعد من أبرز المؤلفات التشريعية اليهودية فمن مواضيعه تشريعات الحياة اليومية مثل طقوس بدء اليوم الصلاة وما يتعلق بها وطقوس السبت والأعياد وغيرها من القضايا الشرعية التي وردت في فصول المشنا، توفي سنة 1575م، أنظر: أحمد شحلان، اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة، الطبعة الأولى، دار أبي رقيق للطباعة والنشر، الرباط، 2009م، ص 37.

(5) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 238.

(6) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص 38.

تبعاً لما سبق ذكره آنفاً نجد أن يهود الأندلس قد اهتموا اهتماماً شديداً بالرسبونية ومن تم نتساءل عن العامل الأساسي أو الدافع وراء ذلك؟.

واننا لنرجح عاملين أو بالأحرى دافعين فالجدير بالذكر أن تداول الرسبونية في العالم الإسلامي يعود إلى القرن السادس ميلادي تبعاً لما صرح به **عبد الوهاب المسيري** ضمن "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"، تزامن ذلك مع الثورة الفكرية العربية القائمة بالأندلس والتي تشعب منها اليهود وبالتالي اتخذت الرسبونية كأداة لإسقاط الإبداع الفكري المتشعب منه، وإننا لا نستبعد أن يكون هناك روح المنافسة بين حاخامات الأندلس فيما بينهم وربما اشتملت على حاخامات المغرب ذوي السمعة الحميدة في هذا المجال وهذا ما انعكس بالإيجاب على الإنتاج الفكري دون غض النظر عن الإقبال المكثف للمستفتين وبالتالي تزايد الطلب أدى إلى التوسع والتدبر ومن هنا وفرة الإنتاج وتنوعه ولكن بتولي الموحدين عرش الأندلس عقموا الفكر وشتتوه تبعاً لمعاملتهم المجحفة لليهود حيث أقبل العديد منهم إلى الفرار منها قاصدين المدن الساحلية بالمغرب الإسلامي.

نزلوا أفواجا حاملين معهم موروتهم الثقافي وإبداعهم الفكري وهنا تدخل عامل جديد ألا هو الاختلاف الثقافي والفكري بين يهود المغرب ويهود الأندلس لم يتسق هذا الاختلاف جلياً إلا بعد أن تم خروجهم الكامل من الأندلس بفعل مرسوم الطرد سنة 1492م، وهنا تضاعفت الجهود للإرتقاء بالعقول وبث روح التجديد في الشريعة الشفوية الموسوية وأُعيد على التدوين والجمع خوفاً من ضياع الرسبونية فجعلت ضمن مجامع الفتاوى تبعاً للنوازل والحوادث فقد ذكر **"يوسف بن نعيم"** في كتاب **"أمراء الأحرار"** مائتين وإثنين وعشرين مكتوباً في الفتاوى والأحكام.⁽¹⁾

غالباً ما صبغت هذه الفتاوى بصبغة إسلامية وأصدق مثال فتوى أفتاها **"موسى بن ميمون"** تتعلق بالمرأة حيث أباح لها تعلم الشريعة المكتوبة قاصداً بذلك التوراة دون الشفوية أي التلمود، وهو بذلك يخالف تعاليم هذا الأخير الذي حرص على عدم التحاق المرأة بالمدارس الدينية لأن التفقه في الدين مقصوراً على الرجال دون النساء من جهة ومن جهة أخرى كونها ذات عقل خفيف لا تستطيع استيعاب الدين، وخاض أحد الحاخامات في هذا الشأن قائلاً: **"كل من يعلم إبنته التوراة فكأنما يعلمها السخافة"**.⁽²⁾

(1) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص 38.

(2) ظفر الاسلام خان، المرجع السابق، ص 58.

يجدر الإشارة إلى أن الفتوى التي يقرها حاخام منفرد تعرف بـ"الرسبونسة" أو الفتوى سواء إن كانت موجهة للفرد أو الجماعة، وأما إذا صدرت من قبل جماعة من الحاخامات حينئذ تعرف بـ"التقنوت"، (1) مفردها "تاقاناه" كلمة عبرية يقصد بها الاجتهاد والإصلاح، (2) وضعت هذه الأخيرة إما لتأكيد حكم أو تغييره أو للإضافة إليه أو للبحث في النازلة من النوازل، (3) بالمختصر المفيد جعلت لسد الفراغ الذي تركته التوراة.

فالجدير بالذكر أن يهود الأندلس "الميكورشيم" كانوا مولعين وملتزمين بـ"التقنوت" بغية الحفاظ على جماعتهم المنفية عامة وعلى عادات وأعراف أجدادهم الأندلسيين خاصة وقد ازدهرت على يد القشتاليين. (4)

ونظرا لتفوقهم الفكري والاقتصادي مقارنة مع بني جلدتهم من يهود المغرب المحليين "التوشابيم" ذاع صدهم، وتمكنوا من إدراج هذه الأخيرة تحت سلطتهم ولم يكتفوا بذلك فحسب بل بلغوا إلى الإشراف على شؤون الطائفة ككل وتم ذلك بعد صراع حاد طائفي ومذهبي كما سبق الغوض في ذلك آنفا. (5) وبمجرد ما استلموا زمام الأمور سارعوا إلى إدخال تعديلات جمة على القانون المعمول به من قبل "التوشابيم" والمتعلق بنظام الأسرة والميراث، وبرز في هذا المجال مجموعة من الحاخامات ومن أبرزهم نذكر حاخامات الجزائر وعلى رأسهم "ريباخ" * و"رشباخ" **. (6)

(1) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص96.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص219 .

(3) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص96.

(4) حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1987م، ص177.

(5) زبيدة محمد عطا، المرجع السابق، ص143.

* أي إسحاق بن شيشات برفات ولد بمدينة فلورنس سنة 1326م، حل بمدينة الجزائر سنة 1391م، توفي سنة 1408م، نصب مقدما وتولى شؤون الطائفة، أنظر:

J.Hanoune , Aperçu sur les israéliteAlgériens et sur la communauté d'Alger , Alger, 1922, p8.

** أي سيمون بن سماح دوران ولد بمدينة مايورقة سنة 1361م، قدم الى الجزائر بعد أن طرد من مدينة برشلونة سنة 1391م احترف الطب إلا أنه عكف عن ممارسته في الجزائر إلا نادرا، توفي سنة 1442م، خلف المقدم ريباخ في ادارة شؤون الطائفة، أنظر:

Ibid, p11

M.Eisenbeth, Les juifs en Algérie.. , extrait de R.A1875,tom XCVI, n° 431_433, Alger, 1952, p163. (6)

وقد تعمق الحاخام ريباخ في الدراسات الدينية وبرزا فيها حيث وضع شروحات وتعليقات على جزء من التلمود المعروفة بـ "كتوبوت" «ketoubot» فضلا عن شروحات أخرى لأجزاء أخرى منه، وبفضل درايته الدينية الواسعة إنهالت عليه رسائل حاملة في طياتها أسئلة دينية واجتماعية ردا عليها بفتاوي تعرف بـ "رسبونسه ريباخ".⁽¹⁾

شأنه شأن الحاخام رشباخ الذي انصب في تدوين كتب بالعبرية ذات صبغة دينية فلسفية تتجلى في مؤلفين أولهما كتاب "تاشباس" «Tachbés» تناول فيه العديد من المواضيع انطلاقا من تلك الأسئلة الدينية مروراً بالعادات والأخلاق والفكر والفلسفة وحتى الرزنامة وغيرها، نال إعجاب واهتمام الحاخامات وتم طبعه لأول مرة في امستردام سنة 1738م.

أردفه بكتاب آخر يعرف بـ "مباديء الآباء" «Pirké Aboth» وهو كتاب لاهوتي موسوي بالدرجة الأولى، إذ توسع الكاتب في فكر التنايم ضم المؤلف ستة أقسام، طبع في تونس سنة 1789م، تحت إشراف الراي "إبراهيم طوبيانا" «Abraham Toubiana» رئيس المذهب القبالي للطائفة اليهودية بالجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي.⁽²⁾

ونظرا لاختلاف التشريعات بين "الميكورسيم" و"التوشابيم" عمد الحاخامات لتكثيف الجهود بغية إيجاد حلول شافية للقضايا الشائكة وكان لهم ذلك، وتولد عن ذلك ثراء وتراكم التقانوت ومن تم قاموا بجمعها ضمن مجامع تعرف بـ "مجامع التقنوت" أهمها "كرمة النبيذ" مجموع جمعه "إفرايم انقاوة" فضلا عن مجموعة أخرى تعرف بـ "قصور تقنوت ربي قشتالة" بمعنى مختصر تقنوت أخبار قشتالة، ومن قضاياها النزاعات التجارية واحتكار بيع التبغ والقضايا الضريبية جمعت على يد "رفائيل بردكو".⁽³⁾

يجدر الإشارة إلى أن التقانوت قبل أن تسمي سارية المفعول فإنه يتم عرضها قبلا صبيحة صلاة السبت على الحاضرين بغية المصادقة عليها بعد موافقة الجماعة عليها، وغالبا ماتعد شادة كونها قانونا حاخاميا محضا، ومن تم نجد اعتناقها من قبل جماعة دون غيرها، وعلى أساس ذلك يصادق عليها، ويعمل بها.

Ab.Cahen, Op.Cit, pp57, 58.

J.Hanoune, Op.Cit , pp,11,12.

(1)

(2)

(3) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص98.

وفي حالة ما ينشب صراع حول مسألة ما يرجع كل من "التوشابيم" و"الميكورشم" لتشريعاتهم الخاصة التي ورثوها عن أجدادهم ف"التوشابيم" ينصبون على التشريعات التلمودية والمصقولة تبعا للعادات المحلية أي "الهالاخا"، أما "الميكورشم" فإنهم ينهالون على تشريعاتهم التي جلبوها معهم من إسبانيا. (1)

ومن هنا نستنتج أن التشريع اليهودي في المغرب الإسلامي قام على أساسين الرسبونسية والتقانوت حيث شكلوا بذلك مصدرا أساسيا للتعريف بالمجتمع اليهودي بالمغرب دينيا وفكريا وثقافيا واقتصاديا فضلا عن إجتماعي، بل هما مرآة عاكسة له.

وعصارة القول أن التشريع اليهودي والذي هو عماد الحياة الدينية للفرد اليهودي يرتكز على كل من الشريعة الكتابية والشفوية والفقهية، فالكتابية تتجلى في التوراة والذي يتضمن بدوره عدة كتب تعرف بالأسفار ويشار إليها إما "بالعهد القديم" أو "التناخ" وقد تم جمعها وتدوينها بعد العودة من السبي البابلي أي بعد الطفرة الفكرية التي واكبها اليهود دونت على يد عزرا الكاهن نظرا لضياع توراة سيدنا موسى عليه السلام.

وكذلك فيما يتعلق بالشريعة الشفوية فهي الأخرى جمعت ونسخت خوفا من ضياعها تعرف بـ "التلمود" تحتل المرتبة الثانية قداسة بعد التوراة لا وبل تماهى بعض الأحبار حيث اعتبروها أكثر قداسة منها وهي مصدر ثان للتشريع بعد التوراة، بالرغم من أن التلمود يعد الشارح الكامل للتوراة وضعه الحاخامات، وتم إلحاقه بكتب فقهية بغية تفسير ما إلتبس من نصوصه ونصوص وردت في العهد القديم تعرف هذه الكتب بـ "المدارش".

تجدر الإشارة إلى أن كل من نصوص التوراة والتلمود اتسمت بمحدودية المكان والزمان مما دفع بالحاخامات إلى التدبر في إيجاد حلول لقضايا ومسائل معاصرة لا يمكن إسقاطها لا على الشريعة الكتابية أو الشفوية، ومن تم اهتموا إلى "الرسبونسية" أي الفتاوى بالإضافة لـ "التقانوت" والتي شكلت مصدرا تشريعيًا هامًا بالمغرب الإسلامي.

(1) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 92.

الملفت للانتباه ما الرسبونة والتقانون إلا أداة للتشريع تتبع من مصدر واحد هو التوراة والتلمود ومن تم فهي تخضع لهما إلا أن هذه القاعدة لم تحترم دائما فغالبا ما نجد الرسبونة تتعارض لما جاء فيهما، والجدير بالذكر أن الرسبونة والتقانون محلية أي تخضع للمكان والزمان ومن تم تتباين فيما بينها وخير دليل التعارض بين شرائع "التوشابيم" و"الميكورشم" فيما يتعلق طقوس وقوانين الذبائح. ونختم قولنا بأن هذه المصادر التشريعية التي أسلفنا في ذكرها قد ساهمت في اتساق وانسحاق طوائف متباينة وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا.

2.1. الطوائف الدينية:

شهد اليهود انشقاقا في صفوفهم إذ انقسموا إلى عدة طوائف، تدّعي كل منها أن مذهبها هو الأصح والأمثل والأقرب إلى أصول الديانة اليهودية، فضلا عن اختلافهم فيما بينهم حول مدى الإعراف بأسفار التوراة والتلمود أو إنكار بعضها والطعن فيها من أبرز الفرق التي عرفها المغرب الإسلامي نذكر:

1.2.1. الربانيون:

يعرفون أيضا بـ "الربيون" اشتقت التسمية من الكلمة العبرية "ربانيم" أي الإمام أو الحبر أو الفقيه عربت هذه الكلمة إلى "رباني" وورد ذكرها في القرآن الكريم،⁽¹⁾ إذ قال تعالى: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما إستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"،⁽²⁾ تعد هذه الطائفة من أقدم الطوائف* والأكثر انتشارا والأشد عداوة لغيرها من الأمم،⁽³⁾ يؤمنون بالتوراة والتلمود.⁽⁴⁾

تعتنق الطائفة الربانية في المغرب الإسلامي التلمود الأورشليمي** وتتواجد بالمغرب الأوسط وفاس إلا أن البعض منها يتبعون التلمود البابلي، وفقا لما دلت عليه وثائق الجيزة من خلال الرسائل التي بعث بها بعض الحاخامين إلى الأكاديمية التلمودية ببابل تستقر عن بعض القضايا خلال القرنين 5هـ/11م و6هـ/12م.⁽⁵⁾

(1) قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو العثماني، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م، ص45.

(2) سورة المائدة: 43.

* تضم كل من السفارديم والأشكناز، أنظر: زبيدة محمد عطا، المرجع السابق، ص51.

(3) السموأل بن يحيى المغربي، إقحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، تقديم وتحقيق محمد عبد الله الشرفاوي، الطبعة الأولى، دار الهداية، مصر، 1982م، ص174.

(4) جودت السعد، أوهام التاريخ اليهودي، الطبعة الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998م، ص203.

** سمحت الفتوحات الفاطمية لليهود المغرب عامة ويهود القيروان خاصة بالإتصال بحاخامات فلسطين وإحياء التلمود الأورشليمي، أنظر: الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص422.

(5) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص94.

وخلال هذه الفترة برز علماء تلموديون ذاع صيتهم في المغرب نذكر منهم "ظمح بن مر بن بهلول"، "حوشيعيل بن هنن"، "حننيل"، "تميم بن يعقوب".⁽¹⁾

1.2.2. القراءون:

اشتقت التسمية من الكلمة العبرية "قرأ" (بفتح فضم ممدودا والالف ساكنة)، بمعنى قرأ أو دعى أو نادى، كونهم لم يؤمنوا إلا بالـ"مقرأ" أي ما يقرأ فيه، ويقصد بذلك التوراة فهم لم يعترفوا بأي كتاب غيره من الكتب اليهودية،⁽²⁾ وهاجموا المشنا وتمردوا على التلمود إذ لم يتقيدوا بتعاليمه، وقاطعوا الأكاديميات اليهودية،⁽³⁾ كما أنهم لم يجتهدوا في تأويل التوراة كالربانيين بل اكتفوا بظاهر نصوصها.⁽⁴⁾

اتفقت جل الآراء أن هذه الطائفة وليدة القرن 2هـ/8م أي حوالي 750م، تزامنا مع فترة حكم الخليفة العباسي "أبي جعفر المنصور" سنة 158هـ/778م،⁽⁵⁾ أسست على يد "عنان بن داوود"* تعرف بالطائفة "العنانية" خالف مؤسسها شعائر الربانيين متأثرا بتعاليم الإسلام ففي تقويمه للشهور اليهودية اعتمد على رؤية الهلال،⁽⁶⁾ فضلا عن مخالفتهم في السبت والأعياد، كما أنهم صدقوا النبي عيسى عليه السلام، واعتبروه وليا من أولياء الله الصالحين وليس بناسخ لما جاء في التوراة.⁽⁷⁾

(1) الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص ص421، 423.

(2) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص48.

(3) زبيدة محمد عطا، المرجع السابق، ص51.

(4) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص48.

(5) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص95.

* ولد خلال القرن الثامن ميلادي في أسرة عريقة يعود نسبها إلى النبي داوود عليه السلام، تتلمذ على يد أبرز العلماء، عرف عنه نبوعه في العلم إذ لقب بالعالم الجليل، رشح إلى رئاسة طائفته ولكن أرائه المعادية لليهودية الرسمية حرمته من ذلك، ومن أبرزها خلعه قداسية التلمود وحته على تركه، والتمسك بالتوراة، لذا أتهم بالزندقة وزج به في السجن أيام " الخليفة أبي جعفر المنصور" ثم أخلي سراحه بعد ذلك، توفي في نفس القرن تاركا خلفه كتاب عرف بـ"سفرها مصفوت" أي "كتاب الفرائض" مستمدا أحكامه من التوراة، وقد كان يشجع أتباعه على الإجتهد والإعتماد على القياس، أنظر: جعفر الهادي حسن، تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، المعارف للمطبوعات، بيروت، 2014م، ص ص21، 28.

(6) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة إدوارد سخاو، لنزاع، 1923م، ص ص58، 59.

(7) الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1975م، ص225.

رغم التباين الشاسع بين الطائفتين والصراع القائم بينهما حيث بلغ لحد التكفير، والوصف بالهرطقة والخروج عن الدين، إلا أن هاتين الطائفتين تجتمعان للصلاة يومين في السنة إحياءاً لذكرى يوم مهرجان التوراة ويوم عيد نزوله.⁽¹⁾

قدم القراءون إلى المغرب الإسلامي فرارا من الأندلس تبعاً لاضطهادهم من قبل المسيحيين والربانيين المعادين لهم،* ⁽²⁾ ومنهم من احتفى بالمغرب الإسلامي نازحاً من مصر وفلسطين، إثر اجتياح المغول لبغداد سنة 656هـ/1258م.⁽³⁾

أتى على ذكرهم الحسن الوزان حين صرح قائلاً: "جبل دمنسرة.... ويعتبرون هؤلاء اليهود في نظر يهود إفريقيا الآخرين خارجين عن العقيدة الصحيحة ويسمون كارائيم (قرايين)"، ⁽⁴⁾ أضاف قائلاً كذلك: "جبل هناتة... ويوجد في هذا الجبل العديد من الصانع اليهود الذين يدفعون الجزية لهذا الأمير وينتسبون جميعاً إلى مذهب القرائين...".⁽⁵⁾

ووفقاً لما سبق ذكره آنفاً نستنتج أن طائفة القرائين يعود تواجدها بالمغرب الإسلامي إلى عهود غابرة فهي ليست وليدة الاضطهاد المسيحي.

1.2.3. السامريون:

اشتقت التسمية من الكلمة العبرية "شرونيم" أي سكان سامرة**، يشار إليهم في التلمود بالفضة "كوشيم" أي الغرباء، تبعاً لما أطلقه عليهم حاخامات اليهود إلا أنهم يلقبون أنفسهم بـ"بني إسرائيل"، أو "بني يوسف" باعتبار أنهم من نسل يوسف عليه السلام.⁽⁶⁾

(1) بنيامين التيطلي، رحلة بنيامين التيطلي (561هـ - 560هـ/1165م - 1173م)، ترجمة عزرا حداد، دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ، المجتمع الثقافي، أبوظبي، 2002م، ص 349.

* فقد ذكر بنيامين التيطلي أن اليهودي يهودا ابن عزرا رفع شكوى ضد القرائين إلى ملك قشتالة فأصدر هذا الأخير أمراً بطردهم منها وكان ذلك سنة 1150م - 1157م، أنظر: نفسه، ص 381.

(2) نفسه، ص 381.

(3) عطا علي محمد شحاته ريه، المرجع السابق، ص 89.

(4) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص 123.

(5) نفسه، ص 154.

** فهم ينتسبون إلى مدينة سامرة العتيقة والتي قامت على أنقاضها مدينة نابلس الحالية، وعدت السامرة عاصمة مملكة إسرائيل فيما مضى لما إنشقت على عرش سليمان النبي عليه السلام بعد وفاته، أنظر: حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 247.

(6) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 484.

يطلقون على أنفسهم لقب "شومريم" بمعنى حفظة الشريعة، وذلك باعتبار انحذارهم من صلب يهود السامرة، ولم يرحلوا من فلسطين لما ألحق الدمار بالمملكة، ومن تم احتفظوا بنقاء الشريعة.⁽¹⁾ السامريون لا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة* حيث أنهم يتبعون نصوصها ومنطوقها بحرص شديد،⁽²⁾ يضاف إليه أحيانا كتاب "يوشع بن نون" باعتبار أنه منزل من الله، وينكرون الشريعة الشفوية ولا يؤولون نصوص التوراة شأنهم شأن القرئين.

كما أنهم لا يعترفون بأنبياء اليهود الذين جاءت أسفارهم بعد توراة موسى عليه الصلاة والسلام،⁽³⁾ ويؤمنون بالمسيح بل يزعمون أنه سيكون من آل يوسف مخالفين بذلك سائر اليهود الذين يعتقدون أنه من آل داوود.⁽⁴⁾

اتخذوا من "جبل جيرزيم"*** قبلة لهم للصلاة وللحج، بل أخذوا ينحرون فيه الأضاحي على حجر يعرف بالصخرة يشبه إلى حد كبير الصخرة الموجودة بالحرم الشريف،⁽⁵⁾ وله قادسية خاصة فهم يخلعون نعالهم عند مشيهم عليه.⁽⁶⁾

وقيل أنهم أقاموا عليه معبدا تم تهديمه من قبل اليهود بعد مرور ثلثمائة سنة (190 ق م) من تشييده، خلد اليهود انتصارهم عليهم بعيد يعرف بـ"يوم جيرزيم".⁽⁷⁾

انفرد السامريون بتقويم وأعياد خاصة بهم فضلا عن الأعياد الدينية اليهودية كعيد الغفران وعيد الفصح.

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 484.

* كتبت كتبهم المقدسة بالحروف العبرية القديمة حيث يزعمون أن اللغة والحروف جاءتهم صحيحة من عهد النبي موسى، تتكون التوراة السامرية من خمسة أسفار هي : التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، أنظر: نفسه، ص 486.

(2) بنيامين التيطلي، المرجع السابق، ص 375.

(3) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 485، 486.

(4) بنيامين التيطلي، المرجع السابق، ص 376.

** تصرح التوراة أن يعقوب الجد الأعلى للعبريين أي اليهود قد أقام معبد مكرس للرب في هذا المكان وسماه "بيت إيل" بمعنى "بيت الله"، أنظر: حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 248.

والسامريون يزعمون أن الله كلم نبيه موسى عليه السلام وهو على هذا الجبل ويصرحون أن كلمة "جرزيم" كلمة عبرية بمعنى "الفرائض" وفيه نزلت الوصايا العشرة على نبي الله موسى عليه السلام، أنظر: محمد حافظ الشريده وعمر عبد الخالق غورائي، الطائفة السامرية، الطبعة الأولى، مكتبة الرسالة، نابلس، 1994م، ص 71.

(5) بنيامين التيطلي، المرجع السابق، ص 372، 376.

(6) محمد حافظ الشريده وعمر عبد الخالق غورائي، المرجع السابق، ص 70.

(7) بنيامين التيطلي، المرجع السابق، ص 372، 376.

انحصر تواجدها بفلسطين وهي تتوزع بين نابلس وحولان بإحدى ضواحي تل أبيب، تعد كأصغر جماعة دينية في العالم وهي شبه منقرضة،⁽¹⁾ يتواجد البعض منها في المغرب.⁽²⁾ نستشف مما سبق ذكره آنفاً أن تباين مصادر التشريع أدى إلى تباين، وتشعب فرق دينية مختلفة، كل واحدة منها تتبنى مصدراً تشريعياً تستمد منه شرائعها.

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص486.

(2) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص96.

3.1 الشعائر الدينية:

من المتفق عليه أن الديانة اليهودية اتسمت بالغلو والتشدد في جل تلك الشعائر والطقوس التي تقيمها بغية التقرب من الرب تعرف هذه الأخيرة بـ "العبادات" نذكر منها:

1.3.1. الصلاة:

اعتاد اليهود على إطلاق اللفظة العبرية " تفيلاه " على الصلاة، ويقصد من ذلك تعذيب الذات وإظهار الخضوع،⁽¹⁾ وأحيانا تعرف بـ " عشر " بمعنى إلتمس ورجا وقدم قربانا.⁽²⁾ فالصلاة منذ ظهورها اقترنت بتقديم ذبيحة رمزا للخضوع للرب، وكان تقديمها نوعا من الصلاة لتأدية الشكر للرب اقتداءا بقابيل وهابيل.⁽³⁾ *
فقد ورد في سفر التكوين جملة من الصلوات المتفرقة والعبادات^{**} فضلا عن ذكر القرابين والذبائح^{***} التي يتم تقديمها للرب.⁽⁴⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص341.

(2) فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العليا، جامعة الدول العربية، 1968م، ص82.

* فقد ورد في سفر التكوين ما يلي: "وحدث من بعد أيام ان قابيل قدم من أثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه"، أنظر: سفر التكوين 4: 3_5

(3) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية المسيحية الإسلام، الطبعة الأولى، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2006م، ص89.

** كصلاة ابراهيم من أجل الملك أبيمالك، فقد جاء في سفر التكوين مايلي: " فصلى إبراهيم إلى الله فشفى الله ابيمالك وإمراته وجواريه فولدن"، أنظر: سفر التكوين 18:20.

فضلا عن صلاة غلام إبراهيم المكلف بتزويج ابنه إسحاق فقد ذكر في سفر التكوين: "أيها الرب إله سيدي إبراهيم يسر لي اليوم واصنع لطفا إلى سيدي إبراهيم"، أنظر: سفر التكوين 24: 12.

*** ورد في مايلي: " فلما أتيا الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضع على المذبح فوق الحطب"، أنظر: سفر التكوين 22: 9، للتوسع حول القرابين، أنظر: فؤاد حسنين علي، المرجع السابق، ص79، 83.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص341.

والجدير بالذكر أن الصلوات لم تكن محددة واجبارية بل كانت تتلى ارتجاليا تبعا للأحوال والاحتياجات الشخصية والعمومية*، ولكن بعد تخريب الهيكل والسبي البابلي بطل تقديم القرابين والمذابح وعوضت بالصلاة. (1)

والملفت للانتباه أن الصلاة في الشريعة اليهودية في تغير مستمر وتشعب لا نهاية له، تبعا لعدم تحديد التوراة أو أنبياء العهد القديم لماهيتها شكلا ومضمونا إلا بعد السبي البابلي، (2) تعد فريضة واجبة على المرأة والرجل، ولكنها تسقط عن المرأة وتظل فرضا واجبا على الرجل كونها بديل القران الذي كان يقدم للرب أيام الهيكل، وعلى اليهودي إقامة الصلاة إلى أن يعاد بناء الهيكل. (3)

* ففيما يتعلق بالمصلحة الشخصية نذكر منجاة يعقوب لله لكي يخلصه من أخيه عيسو تبعا لما ورد في سفر التكوين: "وقال يعقوب: يا إله إبراهيم و إله أبي إسحاق الرب الذي قال لي: إرجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك صغير أنا عن جميع الطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك فاني بعصاي عبرت الأردن والان صرت جيشين نجني من يد أخي من يد عيسو لأنني خائف منه أن يأتي ويضربني الأم مع البنين وأنت قلت إنني أحسن إليك واجعل نسلك كرمل البحر الذي لا يعد للكثرة"، أنظر: سفر التكوين 32: 9-12.

وأما فيما يخص المصلحة العمومية نورد مناجاة إبراهيم للرب من أجل سلامة مدينة سدوم من عقابه وفقا لما جاء في سفر التكوين: "وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب، فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم عسى أن يكون خمسون بارا في المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر، أن اتميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم حاشا لك! أديان كل الأرض لا يصنع عدلا فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين بارا في المدينة فاني أصفح عن المكان كله من أجلهم فأجاب إبراهيم وقال إنني قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد ربما نقص الخمسون بارا خمسة وأربعين أتهلك كل المدينة بالخمسة، فقال: لا أهلك إن وجدت خمسة وأربعين، فعاد يكلمه أيضا وقال عسى أن يوجد هناك أربعون فقال لا افعل من أجل الأربعين فقال إن وجدت هناك ثلاثين فقال اني شرعت اكلم المولى عسى أن يوجد هناك عشرون فقال لا أهلك من أجل العشرين، فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة، فقال لا أهلك من أجل العشرة، ذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه."، أنظر: سفر التكوين 18: 23-33.

(1) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص168.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص341.

(3) نفسه، ص341.

وهي نوعان إما فردية أو جماعية فالصلاة الفردية ارتجالية تتلى حسب إحتياجات الفرد الشخصية، لا تخضع للطقوس والمواعيد وتقام في أي محل كان كصلاة يونس في بطن الحوت.⁽¹⁾

وأما الصلاة الجماعية فهي تؤدي بالإشتراك مع جملة من الأشخاص لا يقل عددهم عن عشرة ذكور من سن الثالث عشر تبعا للنصاب الشرعي في اليهودية أو المنيان،⁽²⁾ تضبط تبعا لمواعيد ومواسم محددة وطقوس مميزة وفي أماكن مخصصة تقرر من قبل رؤساء الدين وكهنة.⁽³⁾

والجدير بالذكر أن ظهور العبادة الجماعية ارتبطت باقامة الخيمة بناء على طلب الرب حيث طلب من موسى أن يجمع من الشعب تقديرات ليصنع منها الخيمة ويسكن الرب وسط شعبه،⁽⁴⁾ تبعا لما ورد في سفر الخروج إذ جاء مايلي: "كلم بني إسرائيل أن ياخذوا لي مقدمة من كل ما يحبه قلبه، تأخذونه تقدمتي وهذه المقدمة التي تأخذونها منهم، ذهب وفضة ونحاس، فيصنعون لي مقدسا لاسكن في وسطهم".⁽⁵⁾

ومن شروط الصلاة طهارة موضع الصلاة من النجاسة وخلوه من الصور والتماثيل، وطهارة الجسم من كل دنس.⁽⁶⁾

* ذكر في سفر يونان: "فصلى يونان إلى الرب الهه من جوف الحوت، وقال: دعوت من ضيقي الرب فاستجابني، صرخت من خوف الهاوية، فسمعت صوتي لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار، فأحاط بي نهر، جازت فوقى جميع تياراتك ولججك، فقلت: قد طردت من أمام عينك لكنني أعود أنظر الى هيكل قدسك قد إكتنفتني مياه إلى النفس، أحاط بي غمر إلتف عشب البحر برأسي، نزلت إلى أسافل الجبال، مغاليق الأرض علي إلى الأبد، ثم صعدت من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي، حين أعيت في نفسي ذكرت الرب، فجاءت إليك صلاتي إلى هيكل قدسك، الذين يداعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم، أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك، وأوفي بما نذرته للرب الخلاص " وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر"، أنظر: سفر يونان 2: 10_1.

(1) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص ص 169، 170.

(2) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات.....، ص 115.

(3) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص ص 169، 170.

(4) فايز فارس، العبادة، دار الثقافة، بيروت، 2003م، ص ص 33، 34.

(5) سفر الخروج اصحاح 25: 9_1.

(6) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية اليهودية، المسيحية، الإسلام، الطبعة الأولى، الأوائل، دمشق،

2001م، ص ص 77.

الطهارة نوعان طهارة كبرى وصغرى، فالكبرى توجب إذا لمس اليهودي جثة ميت أو الحشرات أو الخنازير أو الجنابة، وبعد انقضاء فترة الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة، وتتمثل في غطس الرجل أو المرأة* في الماء ثلاثة مرات.**

أما الصغرى فتقع يوميا قبيل كل صلاة وتشبه عملية الوضوء في الإسلام، حيث يأخذ إناء من الماء الطاهر الصالح للشرب فماء البحر غير صالح للغسل، فيعمد إلى غسل اليدين ثلاثة مرات أولا قبل إدخالهما في الإناء ثم ينتقل إلى غسل كامل الوجه ثم يتمضمض وبعد الانتهاء من ذلك يمسح وجهه بمنديل، ويتبع عملية الغسل سلسلة من الدعاء وحمد الرب الذي وهبه الماء الطاهر.

ومن شروط الصلاة أيضا استحضار النية في القلب بما يعرف بـ"الكوانة" فبغياها تبطل الصلاة،⁽¹⁾ فضلا عن الاتجاه نحو القبلة*** أي اتجاه الغرب إلى بيت المقدس فالمقيم به يتجه نحو الهيكل.⁽²⁾ تميزت الصلاة في الشريعة اليهودية بطقوس خاصة تتجلى هذه الأخيرة فيما يلي: "يقوم المصلي أولا بالإغتسال فيغسل يديه فقط، ثم يتلو البركات أي الأدعية تعرف بـ"هبراخوت"، ينتقل بعد ذلك إلى وضع شال الصلاة أي "طاليت"**** يضعه على كتفه إن كان من العامة، ويغطي به رأسه إن كان من المتقين

* يعرف بالحمام الطقسي، وقد تم إكتشاف منطقة تقع في شرق نهر الأردن تعود إلى عهد النبي يحي عليه السلام (يوحنا) ولتلاميذه من بعده، تحتوي على العديد من الأحواض المعدة للإغتسال والتطهير، أنظر: هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة و...، ص 99. ** جاء في سفر العدد ما يلي: " هذه هي الشريعة إذا مات إنسان في خيمة، فكل من كان في الخيمة يكون نجسا لسبعة أيام، وكل إناء ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس، وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف أو ميتا أو عظم إنسان أو قبرا يكون نجسا لسبعة أيام، فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية، ويجعل عليه ماء في إناء، ويأخذ رجل طاهر زورفا ويغمسها في الماء، وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة، وعلى الأنفس الذين كانوا هناك، وعلى الذي مس العظم أو القتل أو الميت أو القبر، وينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع، ويظهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه، ويرحض بماء فيكون طاهرا في المساء"، أنظر: سفر العدد 19: 14-19، وللتوسع في أحكام الطهارة، أنظر إلى: سفر الملوك الثاني 15: 1-14.

(1) عبد الرزاق رحيب صلال الموحى، المرجع السابق، ص 77، 81.

*** إقتداءا بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام حيث صعد إلى جبل الموريا وأعلن فيه بالتوحيد وخصص القبلة وحددها لعين الغرب لأن قدس الأقداس في الغرب، أنظر: موسى بن ميمون تحقيق حسن أتاى، دلالة الحائرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت، ص ص 660، 661.

(2) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص 110.

**** عبارة عن رداء يشبه العباءة يتخذ غالبا الشكل مستطيل وفي كل ضلع من أضلعه حلقة مؤلفة من أهداب زرقاء ونضرا لاختلاف الحاخامات في درجة اللون الأزرق تقرر أن يكون اللون الأبيض على الرغم من ذلك أبقى على الأهداب الزرقاء بدرجتها حيث نجد منها مابلغ السواد في أطراف الشال، ينسج عادة من الصوف أو الكتان على غرار الحرير وخيوط الذهب الذي اقتصر على الأثرياء فقط، تختلف شيلان الصلاة من بلد إلى آخر اليمن سوداء وفي المغرب ملونة، أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 360.

أو الحاخامات إحتراما لتلاوة فقرات التوراة المقدسة، وغالبا ما يعتمد هؤلاء إلى إسدال أهداب الطاليت أي "الصيصيت" * بين أعينهم تضرعا وليقبلوها ثلاثة مرات أثناء تلاوتهم للفقرة التي ورد فيها وجوب صنع أهداب في أذيان ثيابهم**.

وحين يشرع المصلي في ارتداء الطاليت يتمم قائلا: "باركني يا سيدي يا ربنا ياملك العالم يامن عظمتنا بنزول التوراة وبوضعية دثار أنفسنا وبتهذيب زركشة حلتنا"،⁽¹⁾ ثم يربط "التفيل"*** الخاصة باليد اليسرى، وهو يردد قائلا: "مبارك أنت أيها الرب الهنا ملك العالم الذي قد سنا بشرائعه وامرنا أن نضع تفلين"، ثم يضع تفيلا أخرى عند وسط جبهته قائلا: "مبارك انت أيها الرب إلهنا ملك العالم الذي قد سنا بشرائعه وامرنا بشريعة التفلين"،⁽²⁾ امثالاً لما ورد في سفر التثنية حيث جاء مايلي: "إربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك".⁽³⁾

* الصيصيت كلمة عبرية تطلق على "الأهداب" أو "الشراريب" أو "الجداول" التي تتصل بأذيان ثياب اليهود بطريقة خاصة لكي يتذكروا وصايا الرب ويعملوا بها.

والملتزمون منهم يعملون تهذاجا لثيابهم وعند لبسها يرددون: "مبارك ذلك الذي قدسناه لذاته وامرنا أن نلبس أهدابا"، أنظر: رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية في اليهودية"، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2003م، ص ص 69، 71.

** جاء في سفر العدد مايلي: "وكلم الرب موسى قائلا: "كلم بني إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا أهدابا في أذيان ثيابهم في أجيالهم ويجعلوا على هذب الذيل عصابة من اسمانجوني فتكون لكم هدابا فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها ولا تطوفون وراء قلوبكم واعينكم التي أنتم فاسقون ورائها لكي تذكروا وتعملوا كل وصاياي وتكونوا مقدسين لألهكم"، أنظر: سفر العدد 15: 37-41.

(1) رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية في....."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، ص ص 61، 63. *** أي تميمة الصلاة وهي عبارة عن صندوقين صغيرين من الجلد يضمن فقرات من التوراة من بينها الشماع كتب على رقائق ويتم تثبيت الصندوقين بواسطة اربطة من الجلد، يوضع الصندوق الأول على الذراع اليسرى ويتثبت بالأربطة من الجلد يلف على الذراع ثم المساعد سبع لفات، ثم على اليد اليسرى، أما الثاني فيثبت بين العينين على الجبهة بأربطة أيضا كعصابة على الرأس ثم يعود ويتم لف الرباط الأول ثلاث لفات على أصبع اليد اليسرى، بعد الفراغ من الصلاة تنزع وفقا للنظام الذي وضعت عليه، يتم إرتداء التفيلة أثناء صلاة الصبح على طول أيام الأسبوع ما عدا يوم السبت والأعياد، أنظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص 362.

(2) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص 92.

(3) سفر التثنية 6: 9.

وعند إقامة صلاة الجماعة في المعبد كصلاة السبت أو الأعياد يستبدل المصلي الطاليت الصغير أي " طاليت قاطان" بقرين له أكبر منه يعرف بـ"طاليت جدول"، وإذا ما صلى صلاة الصبح "شحاريت" في جماعة يتوجب عليه وضع الشال الصغير والكبير معا،⁽¹⁾

فالمؤمنون يعتقدون أن الشال رداء روحي تلف به أرواحهم عند الصلاة فيجعلهم كالملائكة قديسون اصفاهم الله بحسن عنايته ورعايته،⁽²⁾ ومن تم اكتسب شال الصلاة قادسية خاصة فمن أحكام طهارته أن لا تلمسه النساء وأن يخصص له موضع في المنزل حتى لا تصل إليه الأيدي فتدنسه، وأن لا يرتديه اليهودي إلا عندما يبلغ سن التكليف* ويظل محتفظا به إلى أن يموت فيكفن به غالبا،⁽³⁾ هذا فيما يتعلق بالرجل المصلي أما فيما يخص المرأة المصلية فإنه يتوجب عليها إرتداء لباس محتشم وتغطية شعر رأسها بغطاء يعرف بـ"خيليا".⁽⁴⁾

نصت الشريعة اليهودية على إقامة ثلاثة صلوات يومية موزعة على اليوم تبعا لما نص عليه المزمور وهو كالتالي: "أما أنا فالى الله أصرخ والرب يخلصني، مساءا وصباحا وضهرا أشكو وأنوح، فيسمع صوتي"،⁽⁵⁾ ومن تم صيغت على الشكل الآتي:

أ. صلاة الفجر (الصبح): تعرف بـ"شحاريت" بمعنى السحر،⁽⁶⁾ يمتد وقتها من الفجر حتى نحو ثلث النهار،⁽⁷⁾ ولقد ورد في الهجاده أن النبي إبراهيم عليه السلام هو الذي أقام صلاة الصبح، وهي من أهم الصلوات فلا يجوز لليهودي أن يزاول أي نشاط أو يتناول أي طعام إلا بعد أدائها،⁽⁸⁾ تتلى فيها الأذكار والأدعية ويكثر فيها طلب الغفران فضلا عن التأكيد على وحدانية الله.⁽⁹⁾

(1) رشاد عبد الله الشامي، " الرموز الدينية في ..."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، ص ص61، 63.

(2) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص83.

* سن التكليف طبقا للشريعة اليهودية حدد بالثالث عشر سنة.

(3) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص182.

(4) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص82.

(5) مزمور 55: 16_18.

(6) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص107.

(7) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص342.

(8) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص107.

(9) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص88.

- ب. صلاة نصف النهار: تعرف بـ"منحا"، وأهميتها لا تقل عن سابقتها فقد ذكر حاخامات اليهود أن النبي إيليا عليه السلام* لم يستجب له إلا في هذه الصلاة.⁽¹⁾
- يمتد وقتها من نقطة الزوال إلى قبيل الغروب،⁽²⁾ وجاء في الكتابات أن النبي إسحاق عليه السلام وأضع صلاة العصر،⁽³⁾ وفيها يعترفون بالذنوب ويطلبون الغفران.⁽⁴⁾
- ج. صلاة المساء: تعرف بـ"صلاة الغروب"،⁽⁵⁾ تمتد من بعد الغروب إلى طلوع القمر،⁽⁶⁾ أقيمت في البداية فردية ولكن بعد ذلك أمست جماعية تبعا لما أقره أحد الربيين وبقيت كذلك رغم معارضة العديد عليها، ويقال أن النبي يعقوب عليه السلام هو الذي وضع صلاة العشاء،⁽⁷⁾ وأن النبي دانيال* هو أول من صلى ثلاثة مرات في اليوم، وفيها يتلون الأدعية والأذكار ويؤكدون التوحيد لله ويطلبون الغفران.⁽⁸⁾

* نبي من أنبياء الله ارسله الله عز وجل لهداية بني إسرائيل لما زاغ عن الصراط المستقيم وعبدوا "بعل"، إسم بالتزهد والبركة أينما حل، دخل في نزاع شديد مع كهنة بعل وأتباعه بعد أن صدوا عن دعوته وتغاضوا عن إنذاره لهم بالجفاف وشح السماء. وبعد إنقضاء ثلاثة سنوات من الجفاف والقحط دعاهم إلى مناظرته ليثبتوا ألوهية بعل أم الله عز وجل فأمرهم أن يدعو إلههم الذين يزعمون أن يرسل إليهم نار من السماء لتلتهم المحرقة فعجزوا عن ذلك وما أمطرت السماء نارا إلا لما دعا ربه فالتهمت المحرقة يعرف ذلك الموضع حاليا بـ"المحرقة" بعد أن كان إسمه جبل الكرمل سابقا، كما نبأهم بنزول المطر وصدقت بشارته، أنظر: بطرس عبد الملك وأخرون، المرجع السابق، ص102.

- (1) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص107.
- (2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص342.
- (3) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص107.
- (4) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص88.
- (5) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص107.
- (6) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص342.
- (7) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص107.

** نبي من أنبياء الله المرسلين إلى بني إسرائيل وهبه الله القدرة على تأويل الأحلام والمقدرة على التنبؤات، سبي إلى بابل أيام الملك "نبوخذ نصر" وكان من المقربين من الملك بعد أن أول له حلمه الذي عجز عنه أمهر المفسرين، وقلده بعد ذلك حاكما على بابل بعد أن أول له حلما آخر، وتتأبى بتولي "داريوس" العرش بعد وفاة الملك وخراب بابل في نفس الليلة، وصدقت رؤياه فكرم من قبل الملك الجديد وعين كأول وزير في دولة مادي وفارس، وعزل عنه لما رفض الصلاة للملك لمدة ثلاثين يوما واصر على التضرع لله وحده غضب الملك وألقى به في جب الأسود، فدعا ربه فنجاه وطلع منه سالما لم يمسه سوء، وهناك تنبأ باستمرار خراب أورشليم حتى انقضاء سبعين عاما، وقيام حروب الملوك، إسم سفره بالتشابه مع سفر الرؤية تبعا لورود العديد من التنبؤات فيه، أنظر: بطرس عبد الملك وأخرون، المرجع السابق، ص102.

- (8) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص88.

والصلتان الأخيرتان كانت تختزلان في صلاة واحدة تعرف بـ "منحا معاريف"⁽¹⁾ وبذلك اختلفوا عن القرائن الذين شرعوا في إقامة صلاتين واحدة في الصباح تقع بين الفجر وبزوغ الشمس تعرف بـ "بقر"، والثانية تقع بين غروب الشمس وذهاب الشفق تعرف بـ "عرف"، تم فرضهما على المرأة والرجل على حد سواء، واستدلوا في ذلك على ما ورد في سفر العدد حيث جاء ما يلي: "الخروف الواحد تعمله صباحا والخروف الثاني تعمله بين العشائين"⁽²⁾ وبما أن القرابين والذبائح استبدلت بالصلاة بعد السبي فأذن قربانان يشيران إلى صلاتين لا غير،⁽³⁾ شأنهم شأن السامريون في ذلك.⁽⁴⁾

تتكون الصلاة من:

ـ **الشماع:** مشتقة من لفظة "شماع" العبرية يقصد منها "اسمع"، وهي أهم قسم في الصلاة كونها شهادة التوحيد اليهودية،⁽⁵⁾ وذلك امتثالا لما جاء في سفر التثنية: "إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد".⁽⁶⁾

ـ **شمعونه عسرية:** عبارة عن أدعية وابتهالات تشتمل على تسعة عشر دعاء كانت في الأصل ثمانية عشر ومن هنا كانت التسمية، وهي أهم قسم في الصلاة بعد الشماع، تعرف في العبرية بـ "العميداه" ويعني الوقوف لأنها تتلى وقفا، يتم قراءتها صباحا ومساء.⁽⁷⁾

حصرها القراءون على الربانيين وانصرف عنها محتجين بأنها غير مستخلصة من التوراة وتم استبدالها بتلاوة بعض المزامير.⁽⁸⁾

ـ **دعاء قديش:** من أشهر التسابيح أصلها قديم تعود إلى عهد الهيكل الثاني،⁽⁹⁾ وهو الجزء الختامي في الصلاة اليهودية.⁽¹⁰⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 342.

(2) سفر العدد 28: 6.

(3) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص 387، 388.

(4) محمد حافظ الشريده وعمر عبد الخالق غورائي، المرجع السابق، ص 99.

(5) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 175.

(6) سفر التثنية 6: 4.

(7) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات.....، ص 108، 110.

(8) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص 388.

(9) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات.....، ص 117.

(10) A. Chouraqui, Le saga des juifs en Afrique du nord, Hachette, 1972, p 127, 128.

تشتمل على كلمات تمجيد الرب والخضوع لمشيئته والتحلي بالأمل فضلا عن التضرع لمجيء المسيح المخلص،* دونت باللغة الآرامية باستثناء خاتمتها وبعض الترددات حيث وردت بالعبرية، يستلزم إقامتها المنيان بغرض ترديد لفظة "أمين".⁽¹⁾

من المتفق عليه أن التوراة لم تفصل في حركات وأوضاع الصلاة مما أوجب استخلاصها من نصوصها نقلا عن ممارسة جل الأنبياء لها، ومن تم جاءت متشعبة ومتغيرة حيث نجد اليهود كانوا يصلون جلوسا ووقفا ويركعون ويسجدون** ويصومون ويكون في تضرعاتهم واعترافاتهم لغاية يومنا. وفي أيام المحن كانوا يلبسون الخشن من الثياب، ويزرون التراب أو الرماد على رؤوسهم، ويشقون ثيابهم***، ويحلقون شعر رؤوسهم، وكانوا يحرصون بوجوب وضع الأيدي على الصدر مع حني الراس قليلا للأيحاء بالاحترام.

وكان "الحزان" يقرأ الصلاة بصوت مرتفع والعاميدة بصوت منخفض ويكرر العميدة بصوت منخفض أيضا لكي يسمع الذين لا يعرفون القراءة.⁽²⁾

وبفعل الاحتكاك بالديانات الأخرى صقلوا صلاتهم فأتت على نسقها خير دليل صلاة القرائيين حيث اشتملت صلاتهم على الوقوف ورفع الأيدي إلى السماء والركوع والسجود فأُستشبهت بشبهة بصلاة المسلمين.⁽³⁾ وكذا بالمثل فيما يخص السامريين.⁽⁴⁾

* ظهرت هذه الفكرة بعد السبي البابلي حيث يزعم اليهود أن الله قد يرسل إليهم في آخر أيامهم المسيح المخلص بغية تحقيق الخلاص لهم، فيقيم مملكة الله على الأرض، ومن علاماته إنتسابه لبني داود، ويقوم بأعمال بطولية خارقة للعادة، ورد ذكره في سفر عاموس جاء فيه مايلي: " وفي ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة، وأحصن شقوقها وأقيم ردمها وابنيها كأيام الدهر...ها أيام تأتي يقول الرب يدرك الحارث الحاصد....، وارد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدن خربة ويسكنون ويضربون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون ثمارها واغراسهم في أرضهم ولن يقطعوا بعد ذلك من أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك"، أنظر: محمد حسن خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص ص 163، 165.

(1) حاييم الزعفراني، ألف سنة...، ص 114.

** جاء في مزامير ما يلي: "هلم نسجد ونركع ونجثوا أمام الرب خالقنا"، أنظر: مزامير 95: 6.

*** جاء في سفر يشوع ما يلي: "فمزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل ووضعوا تراب على رؤوسهم"، أنظر: سفر يشوع 7: 6.

(2) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، ص 171.

(3) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص 368.

(4) محمد حافظ الشريده وعمر عبد الخالق غوراني، المرجع السابق، ص 86.

على غرار طائفة الربانيين وغيرها من الطوائف التي تأثرت ب صلاة الكنائس فأمسوا يصلون جلوسا على الكراسي وعند تلاوة العميداه يقومون ويقرأونها وقوفا.⁽¹⁾

1.2.3.1. الصوم:

تعد فريضة الصيام من أقدم التشريعات اليهودية بعد شعيرة تقديم القرابين في الهيكل التي استبدلت بالصلاة.⁽²⁾

يعرف الصوم بالعبرية بـ "تسوم" المرادفة للفظة "تعنيت" العبرية،⁽³⁾ ولم يرد هذا الأخير لفظا صريحا في أسفار موسى الخمسة، ولكن كان يوم واحدا معينا وهو "يوم الكفارة" أو "الغفران"،⁽⁴⁾ امتثالا لما ورد في سفر اللاويين حيث نص على مايلي: "وتكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر التاسع في عاشر الشهر تذللون نفوسكم".⁽⁵⁾

ومن تم نستدل أن الصيام ماهو إلا تعبير عن تواضع النفس أمام الرب ولا يتم ذلك إلا عن طريق اذلالها، وهو التزام بطاعة الرب والقرب منه والالتجاء إليه لطلب الصفح عن المعصية* أو التماس شفاء** أو بعد نكسة أو خسارة*** غالبا ما الحق بالدعاء⁽⁶⁾ واقترن بالصلاة.⁽⁷⁾

(1) هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات....، ص105.

(2) عبد الرزاق رحيب صلال الموحى، المرجع السابق، ص 100.

(3) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص323.

(4) بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص386.

(5) سفر اللاويين 29:16.

* كصيام أخاب زوج إيزابيل لما بلغه النبي إيليا بنزول غضب الرب عليه لأنه تسبب في قتل نفس بريئة حيث أنه دبرا هو وزوجته مكيدة لقتل نابوت اليزرعيلي ليستولي على كرمه لأن هذا الأخير رفض أن يبيعه إياه، تبع لما جاء في سفر الملوك الأول حيث ورد مايلي: "ولما سمع أخاب هذا الكلام شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت"، أنظر: سفر الملوك الأول 27:11.

** كصيام داوود عليه السلام ورجاءه من أن يعيش ولده من زوجته أوريا، وفقا لما ورد في سفر صموئيل حيث نص على ما يلي: "لما كان الولد حيا صمت وبكيت لأنني قلت من يعلم ربما يرحمني الرب ويحيا الولد"، أنظر: سفر صموئيل الثاني 22:12.

*** كصيام معشر اليهود واقامتهم على الصلاة والصوم تقربا من الرب لكي ينقذهم من جيروت الفلسطينيين الذين زحفوا على أرضهم، تبع لما ورد في سفر صمويل إذ جاء ما يلي: "فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب وصاموا في ذلك ليوم وقالوا هناك قد أخطانا إلى الرب"، أنظر: سفر صمويل الأول 6:7.

(6) أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص ص40، 41.

(7) سفر يهوديت 9:4.

والجدير بالذكر أن الصيام لم يكن محددا ومفروضا على غرار ما ورد في أسفار العهد القديم* بل ارتجاليا وفقا للأحوال والاحتياجات الشخصية والعمومية،⁽¹⁾ ولكن بعد تخريب الهيكل والسبي البابلي تمسكوا به وطبعوه بطابع الحزن والحداد.⁽²⁾

ومن المتفق عليه أن الشريعة الموسوية فرضت الصيام على المرأة والرجل على حد سواء بعد بلوغهما سن التكليف،⁽³⁾ إلا أن القرائن لم يلتزموا بذلك فقد أوجبه على كل فرد سواء كان صغيرا أو كبيرا ففي "يوم الغفران" يصوم الأطفال بحجة تعويدهم على التحكم في النفس والتغلب عن شهوة الأكل والشرب شرطا أن لا يلحق بهم أذى.

يستدلون في ذلك بعبارة وردت في سفر اللاويين**:" أن كل نفس لا تذلل في هذا اليوم عينه تقطع من شعبها" فكل "نفس" يقصد منها كل فرد،⁽⁴⁾ وكذلك عند السامريين فهم يفرضون الصيام*** على الكبير والصغير والسليم والسقيم لا يعفى إلا الرضيع، ومن يخالف ذلك وجب قتله.⁽⁵⁾

والصيام نوعان شأنه شأن الصلاة إما فردي أي شخصي أو جماعي، فالصيام الفردي ارتجالي يعتمد إليه حسب احتياجات الفرد الشخصية، يعرف بـ"صوم الأسر" ويقع في حالات الحزن الفردي أو عند التكفير عن خطيئة اقترفها أحدهم، وأما الصيام الجماعي فهو غير ثابت وغالبا ما يلجأ إليه عند وقوع حزن عام، أو نزول بلاء كغارات الجراد أو الهزائم في الحروب.⁽⁶⁾

* ففي أيام النبي زكريا عليه السلام فرض على اليهود صوم الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر، ففي الشهر الرابع سقطت أورشليم، وخراب الهيكل في الشهر الخامس، ومقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه في الشهر السابع، واتخذوا من الشهر العاشر تذكارا لحصار أورشليم وسقوطها، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص386.

(1) نفسه، ص386.

(2) عبد الرزاق رحيب صلال الموحى، المرجع السابق، ص103.

(3) مراد فرج، اليهودية، مطبعة التوفيق، مصر، 1920م، ص116.

** سفر اللاويين 29:23.

(4) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص393.

*** لا يصومون إلا يوما واحدا من تشرين الأول يسكنون عن الأكل والكلام مع غير أهل ملتهم ويعكفون على الصلاة والدعاء من العصر إلى غاية المغرب الكاهن الأكبر هو المكلف بتحديد مدة الصيام، أنظر: محمد حافظ الشريده وعمر عبد الخالق غورائي، المرجع السابق، ص92.

(5) نفسه، ص92.

(6) عبد الرزاق رحيب صلال الموحى، المرجع السابق، ص102.

تميز الصيام في الشريعة اليهودية بطقوس خاصة تتجلى هذه الأخيرة فيما يلي: " كان الصائمون فيما مضى يرتدون الخيش ويضعون الرماد على رؤوسهم تعبيراً عن الحزن،⁽¹⁾ فضلاً عن شق ثيابهم لحد المسموح به وعدم تمشيط الشعر أو غسل الجسم،⁽²⁾ ومنهم من امتنع عن ارتداء الأحذية الجلدية من الغروب في يوم السابق حتى الغروب في يوم الصيام".⁽³⁾

وقد التزم الريانيون بذلك على غرار القرائين حيث جعلوا من الإمتناع عن الجنس والغسل والتعطير ولبس الأحذية أمراً مستحباً لا ضرر في تركه، إلا أنهم اتفقوا على الامتناع عن التزواج وأكل اللحم وإقامة الاحتفالات عند صيام.⁽⁴⁾

وفي يوم الغفران يلبس اليهودي اللباس الأبيض (الطليت) ويسمى الصوم الأبيض، أما أيام الصيام الأخرى المستحبة يرتدي اللباس الأسود ويسمونه أيام الصوم السود، ويستحب عند الصيام إخراج الصدقات للفقراء والمساكين واطعامهم الطعام التقليدي.⁽⁵⁾

ومن المتعارف عليه أن صيام اليهود كان يمتد من العتمة إلى العتمة، في حالة ما إذا صلى أحدهم العتمة ونام، حرم عليه الطعام والشراب، والنساء، وإلى مثلها من مبطلات الصيام.⁽⁶⁾

لقد وزعت أيام الصيام المستحبة على السنة تبعاً لما سنه حاخاماتهم وجلها تحمل في طياتها الحزن والحداد تتجلى هذه الايام في: _الأول من نيسان مقتل أولاد هارون في المخيم.

_ العاشر من نيسان وفاة النبية مريم.

_السادس والعشرين من نيسان وفاة يشوع بن نون.

_العاشر من إيار وفاة إيل الكاهن الأعلى وأولاده وأسر الفلسطينيين للملك.

_التاسع والعشرين من إيار وفاة صموئيل الكاهن.

_الثالث والعشرون من سيوان توقف الإسرائيليون عن جلب باكورة المزروع والحيوانات.

_الخامس والعشرون من سيوان إعدام الكهنة سيمون بن جايد واسمائيل بن ايليثار.⁽⁷⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص323.

(2) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص103.

(3) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص323.

(4) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص ص394، 395.

(5) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص ص103، 105.

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية، دار طبية، الرياض، 1971م، ص497.

(7) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص106.

- _ السابع والعشرون من سيوان إحتراق حنينة عندما كان ممسكا بصحيفة التوراة.
- _ السابع عشر من تموز انكسار الألواح وتوقف أيام الأضاحي وحرق أبو سيطموس للتأبوت وادخاله حتما إلى المكان المقدس ودخول الرومان للمدينة.
- _ الأول من أب ذكرى وفاة هارون الكاهن.
- _ التاسع من أب ذكرى خراب المعبد في القدس للمرة الأولى والثانية.
- _ الثامن عشر من أب انطفاء النور الغربي زمن الأحاد.
- _ السابع عشر من أيلول وفاة الجواسيس نتيجة حدوث وباء.
- _ الثالث من تشري مقتل جداليا وجماعته في مدينة مراح.
- _ الخامس من تشري وفاة عشرون إسرائيليا في سجن أكيبا.
- _ السابع من تشري اليوم الذي سن به بقتل الإسرائيليين بالسيف والجوع بسبب العجل الذهبي.
- _ السادس عشر والسابع من حشوان الذي أفقا فيه نبوخذ نصر عيون صدقيا وقتل أولاده.
- _ السابع عشر والثامن عشر من أكسيلو اليوم الذي حرق فيه يهوه ياغيم النصوص التي كتب عليها باروخ ما أملاه عليه أرميا.
- _ التاسع من طيببت ترجمة التوراة اليونانية زمن بطليموس ظلمة العالم لثلاثة أيام.
- _ التاسع من طيببت وفاة عزرا.
- _ العاشر من طيببت حصار نبوخذ نصر للقدس.
- _ الثامن من شباط وفاة المنقيين دون يشوع.
- _ الثالث والعشرون من شباط تجمع الإسرائيليين لحرب قبيلة بنيامين.
- _ السابع من أذار وفاة موسى عليه السلام.
- _ التاسع من أذار الخصام بين بيت شمال وبيت هليل.
- وبذلك يصوم اليهودي خمسة وعشرين يوما في السنة من الغروب إلى الغروب.⁽¹⁾
- فضلا عما سبق ذكره آنفا نجد الإقبال على الصيام في أيام خاصة كصيام اليهودي في ذكرى وفاة أبويه أو أستاذه أو صيام العريس والعروس في يوم زفافهما، أو صيام الحاضرون في المعبد إذا سقطت لفائف التوراة، وفي الماضي كان اليهودي يصوم بعد رؤيته للكابوس في نومه.⁽²⁾

(1) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص 106، 107.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 323.

دون غض النظر عن الصيام التطوعي والمتمثل في صوم ثلاثة أيام أو اثنين في الأسبوع، وغالبا ما تقع في أيام الإثنين والخميس تحديدا وهي الأيام المخصصة لقراءة وتدارس التوراة.⁽¹⁾

1.3.3. الختان:

أهم شعيرة من الشعائر الدينية في الشريعة اليهودية بل هو علامة من علامات العهد بين الرب وإبراهيم وبني إسرائيل، ينسب إلى "النبي إبراهيم عليه السلام" حيث تلقى الأمر من ربه فقد جاء في سفر التكوين ما يلي: "قال الله لإبراهيم أما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غزلكم فتكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام منكم كل ذكر في أجيالكم وليد البيت والمبتاغ بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك، يختن ختان وليد بيتك والمبتاغ بفضتك فيكون عهدي في لحمكم هذا ابديا، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غزله فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكت عهدي".⁽²⁾

ومن تم نستشف أن الختان فريضة على كل ذكر من نسل بني إسرائيل دون الأنثى، ومن تعدى على حدود الرب ونكت العهد سلط عليه غضب الرب ومصيره الزوال.

يعرف الختان في العبرية بـ "الميل"،⁽³⁾ وتتم عملية الختان في اليوم الثامن لولادة الطفل فقد أوجب الرابانيون ختان المولود في هذا اليوم المنشود دون مراعاة أي عارض حتى ولو كان صحيا مخالفاً بذلك القرائين والسامريين،⁽⁴⁾ وفي حالة ما إذا توفي المولود قبل أن يختم اليوم الثامن فإنه يختن ويمنح إسما عبريا، فحتى إن تزامن موعد الختان مع يوم السبت أو عيد الغفران فلا مجال للتأخير لأنه لا يدنس قداستهما.⁽⁵⁾

تجرى عملية الختان داخل المعبد نهارا بحضور عما لا يقل عن عشرة أشخاص من الذكور أي "المنيان"، يوضع المولود على ركبتَي "السندك" على كرسي مجاور لكرسي خال يعرف بـ "كرسي

(1) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص103.

(2) سفر التكوين 14:11-14.

(3) A. Chouraqui, Le saga des juifs ..., p132.

(4) السيد عاشور، الختان في اليهودية في الشرائع السماوية والوضعية، مؤسسة المصري للكتاب، القاهرة، د ت، ص24.

(5) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص311.

* وهو الشخص المكلف بالاحتضان الرضيع أثناء عملية الختان، وعند يهود المغرب الإسلامي تسند هذه المهام للجد، أنظر: حاييم الزعفراني، يهود الأندلس، ص427.

اليهود "فاليهود يعتقدون أن النبي إيليا عليه السلام ينزل إلى الأرض ليحضر حفلة ختان كل طفل يهودي ليباركه ويحميه. (1)

يستهل الموهيل* المتمرس عملية الختان بقطع القلفة وإبعادها عن التمرور وتجفيفها بمص الدم منها، مستعينا في ذلك بسكين مسنن الحدين من الصيوان**، (2) وبعد أن يفرغ من التجفيف، يقوم برش محل الختن بشراب كحولي يسمى الروم بـ "ماء حيا" أو العرق، موقفا النزيف بضمادة مسكنة. (3) وقبل الشروع في هذه الشعيرة يتم ترديد بركات الختان المتمثلة في: "مبارك بالله الهنا التي أوصيتنا بفريضة الختان***"، ثم تتلى فقرات من سفر حزقيال: 16، بالإضافة لما تيسر من المزامير كمزامير: 128 والذي يبدأ بـ "طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك طريقه".

تجرى عملية الختان والحاضرون واقفون، وبعد الفراغ منها يتم إرسال كأس النبيذ الذي ارتشف منه الحاضرون، وبللت به شفاه المولود بعد أن أعلن عن تسميته، إلى أمه لتشرب منه ليتواصل الاحتفال في البيت بعد ذلك. (4)

ويجدر الإشارة إلى وجود اختلاف طفيف بين يهود المشرق الإسلامي ويهود المغرب الإسلامي فيما يتعلق بمكان أداء الشعيرة فضلا عن التسمية وطريقة الاحتفال.

ففي المغرب الإسلامي تقام عملية الختان ومراسيم الاحتفال غالبا في بيت الأبوين، بالغرفة التي تم فيها الإنجاب، تزين هذه الأخيرة بالسفارييم أي بلفائف التوراة المستعارة من المعبد بغية حماية المولود. (5) وبعد إتمام عملية الختان، يتم توزيع باقات الريحان والورود على الحضور، بالإضافة إلى تقديم عجين زكي الرائحة يتعين على كل واحد أن يشمه، عندما ينطلق الرياني بالدعاء، ولا يكتسي شم هذا

(1) السيد عاشور، المرجع السابق، ص 24.

* الشخص المكلف بالختان وغالبا ما يكون رجل دين.

** يعرف بـ "حرب أو حبروت" بالعبرية عند يهود المغرب الإسلامي، أنظر:

Paul Eudel, Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du nord Maroc, Algerie, Tunisie, Tripolitaine, Ernest Leroux, Paris, 1906, P72

(2) السيد عاشور، المرجع السابق، ص 24.

(3) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 427.

*** أو قولهم: "الحمد لله رب العالمين الذي سن لنا هذا الدين وأمرنا بختان البنين"، أنظر: إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 17.

(4) السيد عاشور، المرجع السابق، ص 25، 27.

(5) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 426.

العبرية أية صبغة سحرية، بل يقصد بذلك شكر الله الذي خلق النباتات الأريجة، وبوجه عام الأشجار والفواكه. (1)

وبعد الانتهاء من مباركة النباتات المعطرة، تبدأ المشاورة في شأن اختيار اسم للمولود* ولا بد من اتباع قواعد معينة لاختياره، تتباين هذه القواعد حسب الأعراف، وتبعا للأصول العرقية فـ "الميكورثيم" يسمون الوليد باسم الجد الحي، في حين يسميه "التوشابيم" باسم الجد المتوفي، ولا يريدون به بديلا. يرفق إحتفال الختان كباقي الاحتفالات الأخرى اجباريا بشعيرة أخرى تتمثل في إنشاد البيوطيم الخاصة بالختان يشارك في إنشادها كل الحاضرين، (2) بالإضافة لوجبة الطعام التي يجتمع حولها المدعوون. (3)

4.3.1. الذبح الشرعي:

من أبرز الشعائر الدينية اليهودية لا تقل شأنًا عن سالفتها يطلق عليها في العبرية بـ "الشحيطة"، (4) بمعنى تلك التشريعات التي سنّها الحاخامات في "الهالاخاه" تبعا لما أنزل على سيدنا موسى عليه السلام في سيناء حيث أمره الرب قائلا: "تذبح مثلما أوصيتك". (5)

ومن تم لا يجوز ذبح الذبيحة إلا من قبل ذابح مؤهل لذلك يعرف بالعبرية بـ "الشوحيط"، وجب أن يكون يهوديا بالغًا عاقلا سليم البدن تقيا وعلى دراية بتعاليم الشريعة الموسوية، ليتم الذبح تبعا للمقتضيات الدينية. (6)

اشتراط في الذبيحة أن تكون من الحيوانات ذات الأربع والتي لها ظلف مشقوق وليس لها أنياب وآكلة العشب وتجتز، (7) ولا بدا أن تكون سليمة خالية من العطب والجروح والكسور والأمراض. (8)

(1) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 17.

* وإذا تم الختان يوم التاسع من شهر أغسطس فان أهل المولود يطلقون عليه اسم "ميناحيم" أي المواسي، حتى يجلب السعادة لأهله ولنفسه، وكلمة "ميناحيم" تشير للإسم الذي أطلق على المسيح، حيث يقال بأنه ولد يوم التاسع من شهر أغسطس على الساعة الثالثة زوالا، وقد سمي هكذا لأن الله من وطأة الشؤم الذي كان الإسرائيليون يتخطون فيه يوم الخراب، أنظر: نفسه، ص 11.

(2) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 427.

(3) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 17.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 318.

(5) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية....، ص 287.

(6) غازي كامل السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، الطبعة الأولى، دار الجليل، عمان، 1994م، ص 65.

(7) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 315.

(8) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص 65.

ويراعي عند الذبح عدم الجمع بين الأم وولدها أو الأب وولده في يوم واحد فضلاً عن التعجيل والتيسير في عملية الذبح رأفة بالذبيحة وذلك لا يتم إلا باستخدام سكين حاد، وينهى أن يلحق بها أذى كان يقطع منها عضوا وهي حية فذلك يبطل الشعيرة. (1)

تستهل عملية الذبح بفحص الذبيحة ثم توجه نحو القبلة غرباً، (2) لتتلى بعد ذلك بركات الذبح الشرعي فيردد الذابح قائلاً: "بارك أنت يارب إلهنا ملك العالم الذي قدستنا بوصياك وأوصيتنا بالذبح"، يمرر السكين مرة واحدة وباتجاه واحد على عنقها ويتم الذبح في الزور، وعلى وجه التحديد في القسبة الهوائية والبلعوم، فعلى الذابح أن يذبح في أول القسبة الهوائية بين اللوزتين على أن يبقى على قليل منها في أعلى الزور، فإن لم يبق منها شيئاً أو ذبح فوقهما فالذبيحة محرمة، وإن ضغط بالسكين على الزور كما لو أنه يقطع شيئاً ما أو كمن يضرب بسيف حرمت الذبيحة كذلك، (3) وكذا بالمثل في حالة ما إذا غطى الريش أو الشعر السكين فالذبيحة محرمة كذلك، (4) وبعد الفراغ من عملية الذبح يتم فحص الذبيحة مرة ثانية للتأكد من صحة الذبح.

وفقاً للشرعية اليهودية يحرم أكل الشحم وعرق النساء والدم بالإضافة للحم غير مسحوب الدم منه، لذا يهتدى إلى تمليحه بعد غسله لمدة كافية بغية التخلص من الدم العالق به تعرف هذه العملية بالعبرية بـ"المليحاه"، ليغسل مرة ثانية بعد ذلك لإزالة الملح والدم منه، ليصبح صالحاً للأكل بعد ذلك أي "كاشير". (5)

1.3.5. الحج:

اتخذت جل الأمم والديانات المتباينة أماكن مقدسة فشدت إليها الرجال لإقامة شعائرها الدينية بما يعرف بـ"الحج"، تؤدي هذه الشريعة جماعة وتعد كرايط متين بين العبد وربّه ففيه يقر العبد بوحدانية وعظمة الرب، وهذا ماأقره القرآن الكريم فقد قال تعالى: "لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم". (6)

(1) موسى بن ميمون، المرجع السابق، ص 573، 689.

(2) مراد فرج، المرجع السابق، ص 118.

(3) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص 66.

(4) فؤاد حسنين علي، المرجع السابق، ص 121.

(5) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 315، 316.

(6) سورة الحج: 67.

والحج فريضة على كل ذكر عاقل بالغ سليم العقل والجسد فالأعمى والأعرج والمريض والمسن يرفع عنه التكليف شأنه شأن الأنثى في ذلك.⁽¹⁾

إلا أن هذا الشرط قد يخل به غالبا تسليما بما صرح به وليام شالر حيث ذكر قائلا: "وكثير من اليهود المسنين ومن ذوي العاهات الذين يشعرون أن أجلهم قد اقترب وأنهم لن يلبثوا أن ينفصلوا عما يملكونه في هذا العالم يسلمون كل ممتلكاتهم لورثتهم ولا يبقون لأنفسهم إلا ما يسمح لهم بسد الرmq في القدس التي يقصدون إليها ليلفظوا هناك أنفاسهم الأخيرة، ولقد شاهدت في سنة 1816م عددا من اليهود المتقدمين في السن وهم يبحرون في آخر حج لهم على متن سفينة إستؤجرت لنقلهم إلى شواطئ سورية".⁽²⁾

وفقا للشريعة الموسوية فإن الحج يؤدي ثلاث مرات في السنة وفي أوقات محددة تبعا لما جاء في سفر الخروج حيث ورد فيه مايلي: "ثلاث مرات يعيد لي في السنة... عيد الفطير... عيد الحصاد... عيد الجمع في نهاية السنة*"⁽³⁾، بالإضافة لما ورد في موضع آخر في نفس السفر مايلي: "ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل".⁽⁴⁾

الملفت للانتباه أن اليهود لم يتقيدوا بما نصت عليه شريعة موسى فهم يقصدون بيت المقدس مرتين في السنة فقط ويعتكفون أسبوعا كاملا انطلاقا من يوم الجمعة، وطول هذه الفترة تقام احتفالات يحضرها الوافدون ويقودها الكهنة، ومن ثم يتم التجمع والتوحد والتعارف على بعض.⁽⁵⁾

وتبعا للمصادر اليهودية فإن خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد أقبلت وفود من اليهود تحج قاصدة موضع تابوت العهد، وكانوا لا يكتفون بحجة واحدة، ويستخدمون الآلات الموسيقية المختلفة خلال رحلاتهم لتخفف عنهم أتعابهم بترنم،⁽⁶⁾ ويصطحبون معهم أبقار مستغلات أرضهم وأبقار أغنامهم ويجب

(1) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص117.

(2) وليام شالر، المرجع السابق، ص92.

* سنتطرق إليه لاحقا عند تناولنا للأعياد اليهودية الشرعية.

(3) سفر الخروج 23: 14-17.

(4) سفر الخروج 34: 23.

(5) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص302.

(6) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص118.

أن تكون حديثه الولادة قد مر على ولادتها سبعة أيام ففي اليوم الثامن وما يليه تقدم قربانا للرب،⁽¹⁾ امثالاً لما ورد في سفر الخروج اذ نص على مايلي: "أول أباكأ أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك لا تطبخ جديا بلبن أمه".⁽²⁾

وإن كان اليهود بمختلف طوائفهم إتفقوا على أداء هذه الشعيرة إلا أنهم إختلفوا في موضعها، فالسامريون وكما سبق ذكره آنفاً أنهم اتخذوا من "جبل جرزيم" قبلة لهم، على غرار الطوائف الأخرى حيث جعلت من بيت المقدس قبلة لها.

والجدير بالذكر أنهم قد يستغنون عن الذهاب إلى بيت المقدس ويكتفون بزيارة الأماكن المقدسة عندهم كأضرحة الحاخامات والكنائس التي لها مكانة خاصة عندهم وأصدق مثال ما جاء على لسان المقرئ حين تطرق إلى كنيسة دموة* إذ صرح قائلاً: "ولهذه الكنيسة عيد يرحل اليهود بأهاليهم إليها في عيد الخطاب (الأسابيع) وهو في شهر سيوان** ويجعلون ذلك بدل حجهم إلى القدس".⁽³⁾

1.6.3.6. الموت:

أي "الفناء" و"الزوال"، حظي بمكانة خاصة في الفكر اليهودي كونه خلاصة الحياة، ويوم الدين وتقدير الحساب أي "يوم هادين يوم دين وحشوبوت" وفقاً للتعبير العبري، وهو اللحظة المصيرية التي يقرر فيها نهائياً الصفة التي سيكون عليها وجوده الأبدي العقاب أو التواب.

ومن تم وجب على المحتضر أن يسارع في مراجعة النفس والاعتراف بالخطايا والندم عليها ثم إعلان التوبة، قبل أن تلحق روحه بخالقها لتطمئن النفس.⁽⁴⁾

(1) هويدا عبد العظيم رمضان، اليهود في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى العصر الأيوبي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001م، ص192.

(2) سفر الخروج 23: 19.

* سنتطرق إليها لاحقاً عند تناول طرز المعابد اليهودية.

** أي أواخر شهر ماي وبداية شهر جوان، سنتطرق إليه لاحقاً عند تناول التقويم اليهودي.

(3) تقي الدين أبي العباس ابن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت، د.ت، ص164.

(4) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص473.

امتنالا لما ورد في سفر أيوب حيث نص على ما يلي: "يختم على يد كل إنسان ليعلم كل الناس خالقهم"،⁽¹⁾ وخلال ذلك وجب عليه أن يردد كلمات سيدنا سليمان عليه السلام قائلا: "الكل إلى نفس الغاية، الكل من تراب ويعود إلى تراب".

والجدير بالذكر أن عند سكرات الموت ينادى على الجماعة المكلفة بالغسل والصلاة ودفن الأموات المعروفة بـ "الحبيرا قديش" أو "حبرت حسد امت" أي إخوان الرحمة والحقيقة.⁽²⁾ فيجلس أعضاؤها بالقرب من المحتضر يرتلون بعض الأدعية من نص "شماع إسرائيل" * للتخفيف عنه.⁽³⁾

وفي لحظاته الأخيرة تغسل يديه ويدعي بالدعاء المعهود ثم يغطي رأسه بالطاليت لينطق بالشهادة قبل أن تفارق الروح الجسد فيردد قائلا: "الإله الأبدي حق، وتوراته حق، وموسى نبيه حق، وأقوال الحكماء حق، تبارك مجد الله وملكوته أبد الأبد".

وللإشارة وجوب تطويق الحضور للمحتضر مشكلين بذلك حلقة ضيقة عند اللحظة التي تسلم فيها الروح حتى لا ينفذ إليه أي نفس خارجي، تشعل شمعة أو سراج عند رأسه * وتفتح نوافذ الغرفة، ووجب ضرورة غياب المرايا من البيت وفي حالة ما وجدت يتم تغطيتها أو قلبها، وجرت العادة إبعاد ذوي القلوب الضعيفة كالوالدين والأقرباء عنه.⁽⁴⁾

(1) سفر أيوب 37: 7.

(2) حايم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص ص، 473، 480 .

* وهي شهادة التوحيد إذ تتمثل في ترديدهم في وقار: "إسمع يا إسرائيل، الخالد ربنا، لا إله إلا هو"، أنظر: نفسه، ص 482.

(3) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 78.

** عادة كنعانية فالنار المشتعلة ترمز إلى خلود الميت لطالما عبادة الأجداد قائمة وتنتقل من الأب إلى الإبن ثم الحفيد، أنظر:

حسن الباشا، الميثولوجيا الكنعانية والإغتصاب التوراتي، الطبعة الأولى، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1988م، ص 113.

(4) حايم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص ص 481، 483.

وحين يلفظ نفسه الأخير يشرعون في التلاوة " فيحيا أدوناي سيمليخ" أي أن الله ملك الأرض وما عليها، ثم يدعون الإبن البكر ليمرر قطعة من الثوب على عيني أبيه*،⁽¹⁾ قد يستعاض عنها بتراب من الأرض المقدسة ينتر على عيني المعني إن وجد،⁽²⁾ في حين تتعالى أصوات الحضور بتلاوة "أنوخي إيريدي" وهو قول خاطب الله به يعقوب عليه السلام قبل دخوله مصر.⁽³⁾

ينتقل بعد ذلك إلى غسل الميت فيتكفل أعضاء الحبيرا بذلك يستهلون العملية بتجريده من ثيابه ووضع عاريا على الأرض لتتم تغطيته بعد ذلك بالإزار، ويحدث كذلك أن يتم عزله بستار يعلق بين الحائطين،⁽⁴⁾ وقد يوضع على طاولة معدة لهذا الغرض إن توفرت، فيباشرون في غسله منهم من يغسل له رأسه بالصابون والماء المعطر، ومنهم من يتولى غسل اليدين والرجلين، وبعد الانتهاء من غسله غسلًا تامًا يكفن بكفن أبيض أثناء التكفين.⁽⁵⁾

ويمكن أن يتخلل عملية الغسل طقس خاص يعرف بـ"إنزال العقوبات الأربع" لغرض تطهير النفس من الخطايا يمارس هذا الأخير على الأفراد الأتقياء ويتجلى في عملية "الرجم مستقلة" فـ"الإحراق شرقة" ثم "الذبح هرك" و"الخنق خنق".

يباشر الطقس بـ"الرجم" فيتناول أحد أعضاء الحبيرا سبع حجرات يقذف الواحدة تلو الأخرى جهة قلب المتوفي، وهو يردد ثلاث مرات العبارة التالية: "هكذا يفعل للإنسان الذي تمرد على خالقه ويجب الآخرون مهممين الويل لنا يوم الحساب الويل لنا يوم العقاب".

ثم ينتقل إلى "الحرق" فيتم حرق مناخير الميت حرقا خفيفا بقطرات تقطر من شمعة مشتعلة، تليها عملية "الذبح" فتشد رجلاه ويهز هذا ويجر خطوات كمن يراد ذبحه، ثم يتظاهر بـ"خنقه خنقا" فيشد عنقه بنفس الحبل أو شريط من الثوب، وتصحب هذه العمليات بالإبتهال والدعاء والتضرع.⁽⁶⁾

* امتثالا لما جاء في سفر التكوين حيث ورد ما يلي: "فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال يعقوب يعقوب فقال هانذا ، فقال أنا الله إله أبائك لا تخف من النزول إلى مصر لأنني أجعلك أمة عظيمة هناك ، أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضا ويضع يوسف يده على عينيك "، أنظر: سفر التكوين 46: 2_3.

(1) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص78.

(2) حايم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص483.

(3) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص78.

(4) حايم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص ص483، 484.

(5) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص79.

(6) حايم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص484.

يبتعدون عن الميت تارة ليعودوا إليه تارة أخرى وهم يرددون: "إنك أخونا، إنك أخونا، إنك أخونا، ومنذ اللحظة التي قبلت فيها الحكم غفر الله لك وتجاوز عن سيأتك ورفع عنك اللعنة والحرمان". ترفق عملية التطهير والغسل بترديد تضرعات التوبة والمغفرة ويطول الترتيل بقراءة المزامير والإبتهالات والتوسلات وقراءة العقائد الثلاثة عشر، وتنتهي اللحظة بطقس خاص يسمى "صدوق هاالدين" أو "قبول امر الله"، ترفق القراءة بعملية لـ"قريعة"، بمعنى شق الثياب وتمزيقهم رمزا للفراق الأبدي.

وقبل المباشرة في عملية التكفين يتم تجفيف الجسد بشراشف نظيفة ليكفن، يتخذ الكفن غالبا من نسيج كتان أو قطن، ويتم تكفين الميت وفقا للشعائر الدينية إذ يغطي الرأس بـ"العراقية"*، ويلف القسم السفلي في سروال أما العلوي بقميص وسترة ويستعمل الطاليت الخالي من الأهداب، فضلا عن معطف خيط كله ليكون "وجه كفن".

جرت العادة أثناء التكفين في المجتمعات اليهودية وضع الإبهام في كف اليد ليرمز مع بقية الأصابع الأخرى إلى صفة من صفات الله وهي القادر "شداي" حيث يكون هذا الوضع حرف الشين ثلاثة أصابع والదال أصبع واحد والياء نقطة يعني بسط اليد أيضا على هذه صورة التجرد من كل متاع الدنيا. وبعد الفراغ من ذلك يوضع الميت على لوح يعرف بـ"الميطا" بالعبرية أي "النخش"، يغطي بغطاء أسود أو جلاباب كان يرتديه الفقيد في حياته، وعند حمله على الأكتاف للخروج به من المنزل يراعى أن يكون رأسه في المقدمة.

ويجب أن يكون النخش في رأس الموكب وعلى كل شخص يلتقيه أن يسير خلفه ويتم التشهير به عند مروره بالبوق وأثناء السير بالموكب يترنم بترتيل المزامير ونشيد الإنشاد فضلا عن بعض المراثيات والترانيم الصوفية،⁽¹⁾ وجرت العادة عند اليهود عدم دفن موتاهم خلال الأيام المقدسة.

* قطعة قماش تستعمل لتغطية الرأس.

** غالبا ما تلحق لفظة "شداي" بالميزوزا إذ تاخذ هذه الأخيرة هيئة صندوق صغير يضم لفافة من جلد حيوان تدون عليها "شهادة التوحيد اليهودية" "شماغ"، وفي الوجه الآخر عبارة "من أجل أنكم تسمعون"، تلحق بثقب صغير تلف الليفة بطريقة معينة لكي يظهر لفظ "شداي" من الثقب، و"شداي" بالعبرية تعني "شومير دلاتوت إسرائيل" يقصد بها "حارس أبواب إسرائيل"، تعلق على مداخل الدور لغرض الحماية والوقاية من العين أو الحسد وما دون ذلك تتخذ من مادة صلبة سواء من الخشب أو المعدن، أنظر: سفر التثنية 4: 6-8.

رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية...."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، ص 81،

(1) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 488، 490.

يلحق الموكب الجنائزي اليهودي بـ"اللولوة على الميت" حيث يتم تأجير سيدة أو أكثر لهذا الغرض تعود نفقتها على حساب مصاريف الجنازة،⁽¹⁾ امثالاً لما جاء في سفر أرميا* حيث كانت المراثي تتقدم الموكب وينشدن المراثي ويضربن الطبول.⁽²⁾

والجدير بالذكر أن شعيرة اللولة وثنية تعود إلى عهود غابرة حيث عرفت عند المصريين القدماء،⁽³⁾ فقد كان الموكب الجنائزي يلحق بجماعة من نساء نائحات محترفات يمشين سوياً في ملابس ذات اللون الأزرق داكن وهو لون الحداد، ويصرخن بصوت عال ويذرفن الدموع ويمزقن جلابييهن ويضربن على أجسامهن، ويذرين التراب على رؤسهن وملابسهن.⁽⁴⁾ ويبدو أن هذه الأخيرة لقيت إستهجان عند يهود المغرب الإسلامي على غرار نظيره**، فقد حرم صاحب كتاب "تأحلات ابوت" على النساء مصاحبة الموكب سواء في المقدمة أو المؤخرة، معللاً ذلك أن العرف المحلي يمنع ذلك.⁽⁵⁾

وعند وصول النعش إلى المقبرة يوضع في قاعة مخصصة له تعرف بـ"بيت هاميدارش" أي "بيت الدرس"، ليلقي أكبر الأحبار الموعظة الجنائزية أو "دارشا"، وبالمجرد ما يتم وضعه يشرع بالطقوس "هاقافوت" أي الطواف يقصد به تشكيل حلقة ضيقة من قبل عشرة أفراد مشدودي الأيدي يطوفون سبع دورات حول النعش وهم يرددون دعاء خاص، الغرض من هذا الطقس إبعاد الأرواح الشريرة.⁽⁶⁾

(1) هويدا عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 294، 297.

* جاء في سفر أرميا مايلي: "هكذا قال رب الجنود ، تأملوا وأدعوا النادبات فياتين وأرسلوا إلى الحكيمات فيقبلن ويسرعن ويرفعن علينا مرتاة فتذرف أعيننا دموعاً وتفيض أجفاننا ماء ، لأن صوت رثاية سمع من صهيون وعلمن بناتكن الرثاية والمرأة صاحبته الندب"، أنظر: سفر أرميا 9: 17-21.

(2) نفسه.

(3) هويدا عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 297.

(4) ياروسلاف تشرنى، الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدرى ومحمود ماهر طه، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1996م، ص 145، 146.

**ومن مراسيم الموكب الجنائزي اليهودي في الإسكندرية أن السيدات والرجال يسيروا خلف النعش يسبقهم قائد جوقة الترتيل وسيدة تنوح وإثتان يعزفان على الفلوت، أنظر: نفسه، ص 297.

(5) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 494.

(6) نفسه، ص 492.

وذلك امتثالاً لما ورد في سفر المزامير حيث نص على مايلي: "الأشرار يتمشون من كل ناحية عند ارتفاع الأردال بين الناس".⁽¹⁾

بعد أن يفرغ من ذلك يتم حمله إلى القبر فإذا كان الفقيد من أهل الصلاح والتقوى يتزايد ويتنافس عليه من ينزله الى القبر.⁽²⁾

وللإشارة أنه يراعى عند حفر القبر أن يسع حجم الميت ويحرص على بناء جانبيين منه من الحجر ويمتد ذلك من القعر إلى نصف العلو.⁽³⁾

وبعد إنزاله يتم وضع بضع برادة الذهب أو قطع ذهبية في زوايا القبر الأربعة،⁽⁴⁾ عملاً بما ورد في سفر التكوين*،⁽⁵⁾ يهدف هذا الطقس إلى إرضاء وإرشاء الأرواح الشريرة لإبعادها عن الفقيد، وهو نوع من التحصين، وبعد الختم من ذلك ينهال التراب على الجثة ويتداول على ذلك الحاضرون، إذ يتناول كل واحد منهم حفنة من تراب الأرض المقدسة ويرميه في حالة ما وجد.⁽⁶⁾

وبعد الفراغ من دفنه لا يبنى القبر إلا بعد مرور سنة على ذلك، ويختلف كل بناء عن آخر إلا أنه لا يخلو من ذلك الفراغ الصغير المتخذ عند أحد طرفي القبر المستغل لإشعال الشموع،⁽⁷⁾ يراعى عند وضعه توجيهه إلى القبلة فإن كان من الرابانيين أو القرائيين يوجه إلى بيت المقدس وإن كان من السامرة يوجه إلى جبل جرزيم.

(1) سفر المزامير 12: 9.

(2) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 493.

(3) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 79.

(4) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 493.

* نص سفر التكوين على مايلي: "وأما بنو السراي اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً الى أرض المشرق وهو بعد حي"، أنظر: سفر التكوين 25: 9.

بمعنى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام سعى لدفع الشر والمكائد عن ابنه إسحاق عليه السلام عن طريق الدفع لأبناء زوجاته هاجر وقطورة.
(5) نفسه.

(6) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 493، 495.

(7) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 79.

وبعد الانتهاء من ذلك يعودون أدرجهم ليجتمعوا في "بيت هاميدارش" لأداء شعيرة "صدوق هالدين" أي "الرضا بقضاء الله" وتلاوة "الهشكاف" أو الصلاة من أجل راحة الفقيد، فضلا عن ترديد "قاديش" خاص للمناسبة*.

وقبل الخروج من المقبرة ينزع الحاضرون عشب من الأرض ويرموه خلف رؤوسهم تعبيرا عن الألم والحزن وعن الأمل في البعث ومجيء المخلص،⁽¹⁾ تصديقا لما ورد في سفر أشعيا إذ جاء فيه مايلي: "فترون وتفرح وتزهر عظامكم كالعشب..."،⁽²⁾ وكانوا يحرصون حرصا تاما على ضرورة غسل الأيدي وعدم مسحها بالثوب أما البعض فيذهبون على غسل الوجه كذلك وهم يرددون: "ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه"*** وفي حالة ما إنعدم الماء يستعملون الرمل أو الحجر.⁽³⁾

وبمجرد ما يعودون أدرجهم يدخلون في فترة الحداد ويعلن عن ذلك بأعداد عشاء الموساة المتمثل في توزيع البيض على الحضور وإن كان الفقيد طفلا يستعاض عنه بالزيتون.⁽⁴⁾ وللاشارة أن فترة الحداد تشتمل على ثلاثة مراحل، ففي المرحلة تدوم لسبعة أيام تنطلق من عشاء الموساة وتنتهي باليوم السابع بعد الدفن.

تتسم بكثرة المحرمات والمحظورات إذ يمنع فيها الإغتسال ويترك فيها الشعر دون حلق ويغطي الوجه بالتراب والإبتعاد عن الملابس المزركشة،⁽⁵⁾ إرتداء الأحذية إذ تترك الأرجل حافية أو ينتعل حذاء مصنوع من القماش ولا ينبغي حمل التأفيلين أثناء الصلاة ولا دراسة التوراة أو المشنا أو الهالاخا أو التلمود، بل يجب قراءة سفر أيوب وأرميا وبعض القنوت.⁽⁶⁾

* والجدير بالذكر أن هذا الطقس يتم إجراءه بعيدا عن القبر من أجل عدم بلوغ صياح الميت مسامع الحاضرون، حيث يزعم أن الميت خلال هذه اللحظة يسعى للإفلات من متواه فيصيح قائلا: "إنتظروني لأذهب معكم"، ومن يدرك صياحه سيتوفى في ذات السنة، أنظر: حايمم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص494.

(1) نفسه، ص ص493، 495 .

(2) سفر أشعيا 66:14.

** سفر أشعيا 25: 8.

(3) حايمم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص495.

(4) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص79.

(5) هويدا عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص292.

(6) حايمم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص497.

يتلوها وهو جالس في الركن الأيسر لغرفة الفقيد على فراش أو سجادة أو على سرير مقلوب مطبقاً على رأسه جب جلبابه الأسود وعليه أن يصوم عن الكلام فلا يرد التحية وأن لا يغادر البيت إلا عند الذهاب إلى البيعة أو المقبرة*.

وعند حلول اليوم السابع من الحداد يتم إحياء الذكرى السبعية أي "بديقات هاشبوع" بالعبرية أو "المسمارا" كما هو متعارف عليها عند يهود المغرب الإسلامي.

ففي المساء تتلى نصوص التوراة والمشنا وغيرها، تليها تقديم وجبة طعام خفيف يستدعى إليها أفراد جماعة الحبراء والأخبار وكل المدعوين الحاملين معهم الكعك وهو حلوى من العجين المحلى بالسكر يشبه الإكليل، تختتم هذه الأخيرة في اليوم التالي في المقبرة والتي تصاحب بطقوس الطهارة**⁽¹⁾. يتابع أهل الفقيد الحداد بحيث لا يحلقون شعورهم ولا يقيمون الاحتفالات ولا حتى يحضروها،⁽²⁾ وبعد مرور ثلاثون يوماً على انقضاء الذكرى السبعينية يحيون الذكرى الثلاثين أي "بديقات هاشلوشيم" بالعبرية مقيمين نفس الشعائر السابقة الذكر.

وبعد انقضاء سبعة أشهر أو إحدى عشر شهراً تقام ذكرى لمرور سنة على فراق الفقيد، تعرف بـ"بديقات هاشنه" أي الذكرى السنوية، لا تختلف في شعائرها عن سابقتها إلا أنها تزيد عنها بوضع شاهد على القبر أي حجر، وتوزع صدقات لأطفال المدرسة أو المعبد وتتخذ هذه الأخيرة شكل إسفنج أو كسكس.⁽³⁾

ويجدر بنا أن نشير إلى شعيرة إشعال مصباح في غرفة الفقيد بعد موته حيث يظل موقداً طول فترة الحداد وبعد مرور سنة على ذلك، يرسل إلى الكنيس (المعبد) التي كان يقصدها الفقيد تخليداً لذكراه.⁽⁴⁾

* يرى الحاخام إسحاق برشيشات برفات (ريباخ) أن زيارة المقبرة في الأيام السبع الأولى للحداد تقليداً لعرف إسلامي مغربي ولا حرج في التمسك بهذا العرف وما يليه من تقديم الصدقات، أنظر: حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 498.

** تذكر المصادر اليهودية أن الذي يغسل ميتاً يظل نجساً لسبعة أيام لا يصلي فيها ووجب عليه أن يغتسل فيها، أنظر: هويدا عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 294.

(1) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص ص 497، 499.

(2) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 79.

(3) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص 499.

(4) إيلي مالكا، المرجع السابق، ص 79.

1.7.3.1. قداسة السبت:

أي "شبات قودش" * بالعبرية،⁽¹⁾ اتخذ اليهود من يوم السبت عيداً أسبوعياً أو يوم راحة، فهم يزعمون أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، وأمرهم بذلك وحدثهم على ضرورة التمسك بشعائر السبت كعهد دائم بين الرب وبني إسرائيل، ومن تعدى على حرمة هذا اليوم يعدم رجماً.⁽²⁾

يجدر الإشارة إلى أن اليوم السابع الوارد في الكتاب المقدس عند التطرق إلى قصة الخلق ليس بالسبت المنشود فالسبت كيوم عبادة لم يرد إلا بعد خروج بني إسرائيل من مصر، جاء في المصادر اليهودية أن موسى عليه السلام أمرهم بحفظ السبت كيوم عطلة قبل استلامه الشريعة.⁽³⁾ ومن تم إكتسب هذا الأخير قداسة حيث ذكر ذلك في أكثر من موضع من أسفار موسى الخمسة*، فقد جاء في سفر الخروج مايلي: "أذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك أما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملاً ما أنت وإبنك وإبنتك وعبدك وبهيمنتك ونزليك الذي داخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض و البحر وكل ما فيها وإستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقده".⁽⁴⁾

وللحفاظ على قداسة وحرمة هذا اليوم دعا الحاخامات إلى ضرورة الكف عن العمل وإيقاد النار حتى لا يتم تدنيته.⁽⁵⁾

* "شبات" أي السبت مشتقة من الفعل "شافت" بمعنى إستراح وانقطع عن العمل، أنظر: محمد الهواري، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، الطبعة الأولى، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، 1988م، ص11.

(1) نفسه، ص13.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص320.

(3) محمد الهواري، السبت والجمعة في، ص ص24، 25.

** جاء في سفر التثنية ما يلي: "إحفظ يوم السبت وقده كما أمرك الرب إلهك، في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك أما اليوم السابع فهو سبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملاً أنت وإبنك وإبنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك والغريب النازل في داخل مدنك ليستريح عبدك وأمتك مثلك، وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد قديرة وذراع ممدودة وهو لذلك أمرك بأن تحفظ السبت"، نستشف هنا أن يوم السبت لم يرتبط بالراحة فقط بل بالتححرر من العبودية والخروج من مصر، أنظر:

سفر التثنية 5: 21-6.

(4) سفر الخروج 20: 8-12.

(5) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص200.

يشرع في الاحتفال بيوم السبت من غروب شمس يوم الجمعة حتى غروب شمس يوم السبت،⁽¹⁾ وقبل غروب شمس يوم الجمعة تسارع ربة البيت إلى إشعال "شموع السبت" وهي تردد قائلة: "مبارك أنت يارب إلهنا ملك العالم الذي قدسنا بوصاياه وأمرنا بإشعال شموع السبت"، ثم تعد مائدة السبت تضع رغيفين من خبز السبت المظفر* لكل وجبة من الوجبات الثلاث بالإضافة لنبيذ "قيدوش" تغطي الطعام بعد ذلك بالمفرش، يذهب رب البيت حاملاً معه شمعة إلى المعبد ليجتمع مع إخوانه لتلاوة مزامير داود ولانشاد الأناشيد الدينية تحت ضوء الشموع، بعد أن يفرغ من ذلك يتجه نحو البيت، وبعد أن يبارك الأبوان أطفالهما ببركات خاصة، يجتمعان حول مائدة الطعام فيبارك الخبز والنبيذ قبل الأكل بـ"قيدوش" ويختتم الاحتفال ببركات "الهافدالاه"،**⁽²⁾ تعقب بتسابيح وتهاليل.⁽³⁾

والمتمحص للطقوس يوم السبت عند الرابانيين يجد أن هذا اليوم "يوم سعادة وفرح" حيث يقبلون على ارتداء كسوة السبت واعتماد الطاليت بعد الاغتسال،⁽⁴⁾ وكذلك السامريون حيث يسارعون إلى ارتداء السراويل البيضاء والطرابيش الحمراء،⁽⁵⁾ على غرار القرائين الذين نهوا عن ذلك فلا يجوز لا الإغتسال ولا تغيير اللباس ففي هذا اليوم بالذات يعكفون في البيوت للعبادة فقط ولا يطلعون منه إلا وهم قاصدون المعبد وإن وقع الصيام في هذا اليوم لا يؤجلونه كالرأبانيين بل يصومون فيه فـ"السبت يوم عبادة" ولا ضرر في ذلك.⁽⁶⁾

(1) محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970م، ص132.

* تمثّلان الشريعة المكتوبة والشريعة الشفوية، أنظر: حاييم الزعفراني، ألف سنة...، ص ص230، 235.

** لفظة عبرية تعني "التميز" وهي عبارة عن شكر وابتهاالات تتلى على النبيذ وشموع السبت والتوايل احتفالاً بانتهاء شعائر السبت، أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص320.

(2) محمد الهواري، السبت والجمعة في...، ص ص132، 136.

(3) حاييم الزعفراني، ألف سنة...، ص235.

(4) محمد الهواري، السبت والجمعة في...، ص ص100، 137.

(5) محمد حافظ الشريده وعمر عبد الخالق غوراني، المرجع السابق، ص97.

(6) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص ص381، 382.

4.1. الأعياد والإحتفالات اليهودية:

من المتفق عليه أن جل الأديان سواء السماوية أو الوضعية اتخذت أعياداً متباينة الطقوس والممارسات والشعائر، ولتوزيعها دعت الضرورة لوضع تقويم مضبوط تحدد فيه هذه الأعياد والمواسم، وهذا ما كان من أمر اليهود فقد اتخذوا تقويماً خاصاً بهم حددوا فيه أعيادهم بحسب ما تقتضيه تعاليمهم الدينية، ومن تم ارتأينا التطرق إليه.

فالجدير بالذكر أن التقويم اليهودي يتميز بالتعقيد فالأشهر فيه تتبع الدورة القمرية أما السنين فتخضع للدورة الشمسية ومن تم لا يمكن أن تتطابق السنة القمرية مع الشمسية فالفرق بينهما عشرة أيام، ومن تم اهتدوا إلى إحداث شهر من ثلاثين يوماً يعرف بـ"أذار الثاني" ألحق بالسنة الكبيسية التي تأتي مرة في ثلاث سنوات مؤلفة من ثلاثة عشر شهراً.⁽¹⁾

والتقويم عند اليهود يبدأ من بدأ الخليقة وتبعاً لما حدده حاخاماتهم إستناداً على التواريخ التوراتية فإنه يعود إلى عام 3760 قبل ميلاد المسيح، وتبدأ السنة اليهودية من شهر "أذار" وليس "بتشري" كما سيتضح في جدول الشهور السنة العبرية لاحقاً⁽²⁾، وذلك راجع لأهمية هذا الشهر وقداسته عندهم ففيه خرجوا مع سيدنا موسى عليه السلام من مصر، وفيه أهم عيد "عيد الفصح".⁽³⁾

(1) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص192.

(2) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص141.

(3) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص9.

شهور السنة العبرية	عدد الأيام	شهور السنة الميلادية
1. تشري	30 يوما.	أكتوبر.
2. حشبان	29 أو 30 يوما.	أكتوبر_نوفمبر.
3. كسلو	29 أو 30 يوما.	نوفمبر_ديسمبر.
4. طيبث	29 يوما.	أكتوبر_ديسمبر.
5. شباط	30 يوما.	أكتوبر_فبراير.
6. آذار	29 يوما.	أكتوبر_مارس.
7. نيسان	30 يوما.	أكتوبر_أفريل.
8. إيار	29 يوما.	أكتوبر_ماي.
9. سيوان	30 يوما.	أكتوبر_جوان.
10. تموز	29 يوما.	أكتوبر_جويلية.
11. آب	30 يوما.	أكتوبر_أوت.
12. إيلول	29 يوما.	أكتوبر_أوت.

1.4.1. الأعياد اليهودية:

اتخذ اليهود العديد من الأعياد ذات طقوس خاصة، متباعدة فيما بينها منها الشرعية، ومنها غير الشرعية، ومنها الخاصة بأهل المغرب الإسلامي دون سواهم.

1.1.4.1. الأعياد الشرعية: وهي تلك الأعياد الخمس التي نصت عليها التوراة،⁽¹⁾ تتمثل في: أ. عيد رأس السنة العبرية:

أو "روش هاشانا" حمل العديد من التسميات في أداب العهد القديم إذ يعرف بـ"يوم هزخرون" أي يوم التذكار بأحداث الخلق، و"يوم تروجه" أي يوم البوق ففيه ينفخ في البوق تذكير بحادثة فداء إبراهيم عليه السلام بابنه إسحاق عليه السلام قربانا للرب، و"يوم هدين" أي يوم الدين ففيه تعرض مصائر الناس على الرب فيقضي في أمرها.⁽²⁾

يحل في الأول من شهر "تشري" ويحتفل به لمدة ثلاثة أيام متتالية،⁽³⁾ يعلن عن أول أيامه بالنفخ في البوق إن لم يدرك يوم السبت وإن وقع ذلك يؤجل لليوم الثاني،⁽⁴⁾ تبعا لما دعى إليه الربانيون على غرار القرائين الذي لم يحدد له يوما من أيام الأسبوع ولم ينفخ في البوق واستبدلوه بالتسابيح،⁽⁵⁾ ونظرا لكونه يوم حساب سنوي تبعا لمعتقدهم فعلى كل إمرء أن يحاسب نفسه على ما قدم من خطايا طيلة السنة الماضية، وفيه أول أيام التكفير التي تمتد لعشرة أيام لتختتم بـ"عيد الغفران"،⁽⁶⁾ ومن ثم يكثرون من الصلاة* ويعلنون التوبة،⁽⁷⁾ ويقبلون على "صوم جدليا"**. ⁽⁸⁾

جرت العادة عند يهود المغرب الإسلامي خاصة إقامة طقس خاص في هذا العيد حيث يتجهون في جماعات صغيرة صوب البحر أو الأنهار أو الأبار أو السواقي بعد الظهيرة لقذف أي شيء في الماء وغالبا ما تكون حصى وهم يقذفونها يرددون قائلين: "ستقذف بكل خطاياهم في ظلمات البحر"***، ثم

(1) أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، الجزء الثاني، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913م، ص436.

(2) حاييم زعفراني، ألف سنة....، ص ص279، 280.

(3) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص202.

(4) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص46.

(5) محمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين في أضواء أوراق الجيزة، دار الزهراء للنشر، القاهرة، 1994م، ص47.

(6) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص ص11، 12.

* يضيفون لصلاة الصبح شحريت صلاة النافلة والتي تعرف بـ"مساف" تهيمن عليها ثلاثة مواضيع يمكن تلخيصها في ثلاثة كلمات: "ملكوت" ملك، "زخروت" ذكرى، "شيفروت" نفخ الصور، أنظر: حاييم زعفراني، ألف سنة....، ص280.

(7) نفسه، ص280.

** جدليا ابن اخيقام بن شافان أقامه "نبوخذ نصر" وكيلا وحاكما على فلسطين بعد غزو "أورشليم"، أغتيل غدرا من طرف أحد أفراد الأسرة الحاكمة، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص175.

(8) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص202.

*** سفر نحemia: 7: 19.

يقومون بإفراغ جيوبهم وإبرازها للخارج ويهزون بجلابيبهم، وبعد الفراغ من ذلك يعودون إلى بيوتهم وقد تخلصوا من أثقال الخطايا، تعرف هذه الشعيرة بـ"إبعاد الخطايا" أو "وتشليح" و"سترمي" في المغرب الإسلامي.

ولمائدة الطعام خلال هذا العيد نكهة خاصة فالجلب السعادة والفال الحسن يتجنب عند إعداد الوجبة الملح والليمون ويقبل على العسل والخبز والتفاح المغموس في العسل وورقات العسل فضلا عن الإكثار من تناول الفواكه كالرومان والتفاح والتمر بالإضافة للخضروات الخضراء والإبتعاد عن النبيذ الأحمر وإستبداله بالأبيض.⁽¹⁾

ب. عيد الغفران:

أو " عيد كيبور" يحل في اليوم التاسع من شهر "تشري" ويعد من أقدس الأعياد لذا سمي بـ"سبت الأسبات"،⁽²⁾ يشرع في الاحتفال به بعد غروب شمس اليوم التاسع من تشري إلى اليوم التالي فيه يصومون ليلا ونهارا ويتفرغون للعبادة*،⁽³⁾ وهم يزعمون أن الله قد أمرهم في هذا اليوم بالصوم الكبير.⁽⁴⁾

يختم الاحتفال في اليوم التالي بصلاة النعيلة والتي يعلن فيها أن السماوات قد أغلقت أبوابها، بالنفخ في البوق نفختين متتاليتين يخشع لها الحاضرون، يتم توديع عيد الغفران.⁽⁵⁾ ومن شعائر هذا العيد شعيرة "كاباروت" حيث يقبل يهود المغرب على التضحية بالديك** فيقوم الحبر بإدارته مرارا وتكرارا على رأس المعنى وهو يردد اسمه قائلا: "أنه فداك، وبديل لك، والتكفير عما قمت به من الخطايا، فيذبح هذا الديك لتتمكن أن تحيا حياة مديدة ومطمئنة"، وما الديك إلا بديل لكبش الفداء الذي كان يقدم قربانا أيام الهيكل.⁽⁶⁾

(1) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص ص278، 280.

(2) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص12.

* تصل عدد الصلوات المقامة في المعبد إلى خمس صلوات منها الصلوات الثلاث المقررة في اليوم يضاف عليها صلاة الموساف والنعילה التي يختم بها اليوم، أنظر: حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص280.

(3) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص202.

(4) أبي العباس أحمد القلقشندي، المرجع السابق، ص436.

(5) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص279.

** يتم فداء الرجل أو الطفل بالديك أما المرأة أو الطفلة بالدجاجة توزع الذبيحة على الفقراء، أنظر: نفسه، ص279.

(6) نفسه، ص279.

ج. عيد المظال:

او "عيد السكوت"، أو "العرش" يحل في الخامس عشر من شهر "تشري" ويحتفل به لمدة سبعة أيام،⁽¹⁾ تخليداً لذكرى خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام فرارا من فرعون واحتمائهم داخل الخيام الهشة في الصحراء قبل دخولهم لأرض فلسطين،⁽²⁾ وهو في الأصل عيد المحاصيل لذا سمي بـ "حج أسيف".⁽³⁾

ومن التقليد في هذا العيد إقامة أكواخ من أغصان الشجر في الخلاء تعرف بـ "سوكا" لكنهم اليوم يكتفون بمضلات يلحقونها بشرفات المنازل،⁽⁴⁾ مثلما سرت العادة عند يهود الجزائر خلال العهد العثماني إذ كانوا يجهزون سطوح منازلهم بأكواخ من القصب،⁽⁵⁾ فضلا عن صنع لولب متضمن لكل من سعف النخيل والريحان والصفصاف والأترج*،⁽⁶⁾ وفقا لما إعتادا عليه الريانيون أما القراؤون فاتخذوا من هذه النباتات أداة لتزيين المظلة.⁽⁷⁾

تختتم الأيام السبعة للظلال بتلاوة "هوشعنه ربه" أي "اعنا يارب"، تلحق باحتفال آخر يعرف بـ "بعيد شمعنه عسريت" أي في اليوم الثامن للاجتماع يدوم ليومين يسمى آخر يوم منه بـ "سمحت توراه" أي "فرحة التوراة" ففيه يتم ختام تلاوة التوراة.⁽⁸⁾

وعند الاحتفال يقومون بالطواف حول "المقرا"*** ويرقصون حاملين لفائف التوراة وينشدون الأغاني فتعم البهجة المكان.

(1) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص 13.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 402.

(3) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 203.

(4) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص 13.

(5) Boyer, la vie quotidienne à Alger a veille de l'intervention française, Hachette, Paris, 1963, p177.

* امتثالا لما جاء في سفر اللاويين إذ نص على مايلي: "وتأخذون لأنفسكم في اليوم الأول ثمر أشجار بهجة وسعف النخيل وأغصان غيباء وصفصاف الوادي"، أنظر: سفر الاووين 23: 40.

(6) حاييم زعفراني، ألف سنة....، ص 252.

(7) محمد الهواري، الاختلاف بين....، ص 48.

(8) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص 46.

** وهي عبارة عن منصة للقراءة تتواجد في المعبد.

جرت العادة عند يهود المغرب الإسلامي في المساء آخر يوم العيد إقامة طقس "تبريانوت" أي إضرام النار حيث يقدم الأهالي على إضرام النار في سقف الأكواخ، ويأمرون أولادهم أن يقفز فوقها ثم يطوفوا حولها، ولا يتم توديع هذا العيد إلا بعد إقامة صلاة الاستسقاء أي "تقوت هكشيم".⁽¹⁾

يقدمون إلى المعبد حاملين معهم الأغصان يضربون بها الكراسي حتى تتساقط منها الأوراق فحسب إعتقادهم مع تساقط الأوراق من الغصن تتساقط ذنوبهم منهم.⁽²⁾

ومن طقوس الطعام يتم إعداد حساء الفول في الجزائر بينما في المغرب الأقصى يستبدل بحساء اليقطين،⁽³⁾ كما يتم الإقبال على الطعام المتضمن للحليب والعسل رمزا للتوراة.⁽⁴⁾

د. عيد الفصح:

أي المرور، حمل العديد من التسميات منها "حج همصوت" أي عيد الفطر، و"زمن حيروتينو" أي زمن الحرية، و"حج هابيب" أي الربيع.⁽⁵⁾

ومن تم نشف أن عيد الفصح يجسد مرحلة المرور من العبودية إلى التحرر كما يمر فصل الشتاء ليحل فصل الربيع، يقع في الخامس عشر من شهر "نيسان" يحتفل به لمدة ثمانية أيام خارج فلسطين وسبع داخلها.⁽⁶⁾

يمجد فيه ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر ونجاتهم من فرعون وتحررهم من العبودية، وصادف ذلك اليوم حلول "عيد الفطير" * وفقا لما جاء في التوراة،⁽⁷⁾ ويحتفل فيه بهذا العيد بتناول الخبز غير المخمر والخالي من الملح ومن خالف ذلك خلع من ملته.⁽⁸⁾

(1) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص 255، 256.

(2) حسن ظاها، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 205.

(3) A. Chouraqui, Marche vers l'occident....., p152.

(4) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص 250.

(5) حسن ظاها، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص 206، 207.

(6) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص 14.

* جاء في سفر الخروج ما يلي: "تحفظ عيد الفطير، تأكل فطيرا سبعة أيام كما أمرتك في وقت شهر أبيب لأنه فيه خرجت من مصر"، أنظر: سفر الخروج 23: 15.

(7) نفسه.

(8) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص 14.

وذلك تذكيرا لهم بفرارهم من فرعون وخروجهم مع موسى عليه السلام مسرعين حاملين معهم الخبز غير المخمر*⁽¹⁾ وتداولت الأقاويل أن بعض اليهود كانوا يخلطون عجينة فطيرة الفصح بدماء بشرية ويفضل أن يكون دم الضحية من المسيحيين أو المسلمين.⁽²⁾

ولعل هذا ما أدى بداي الجزائر أن يهددهم بالقتل الجماعي حين بلغ باختطافهم لطفل مسيحي وذلك سنة 1760م**، ولم يغفر لهم إلا بعد أن أثروا خزانة بيت المال بمساعدات مالية ضخمة.⁽³⁾

تفتح أول ليلة من هذا العيد بالتفتيش عن الخميرة في البيت،⁽⁴⁾ تعرف بـ "ليل شمريم" أي ليلة الحفظ، وتتخذ هذه الليلة والتي تواليها مناسبة لعشاء يتناول فيه طبقا من اللحم المشوي تعويض عن خروف الذي كان يقدم أيام الهيكل، يطلق على الاحتفالات الأولى منه بـ "سدر" أي التوالي.⁽⁵⁾

تقام جلها في المعبد إلا هذه الشعيرة حيث تقام في البيت ويتولى الأب تلقين الأطفال تعاليم الشريعة ويجسد لهم قصة الخروج من مصر وخلال ذلك يمسك بفطيرة من الفطائر الثلاث يشقها إلى شطرين، وهو يردد قائلا: "وهكذا شق الله البحر إلى إثني عشر مسلكا عندما خرج أجدادنا من مصر"، تعقب بتسابيح وتهاليل.⁽⁶⁾

تسمى الأيام الأربع التي تفصل اليومين الأولين عن اليومين الآخرين بـ "حول هموا عيد" أي خارج العيد أو نصف العيد وفيهما يتم الكف عن العمل إلا عند الضرورة، ويعد آخر يوم عيدا كبيرا لأنه يذكر بالتححر وال خلاص.⁽⁷⁾

* امثال لا لما ورد في سفر التثنية جاء ما يلي: "... لا تأكل عليه خميرا سبعة أيام تأكل عليه فطيرا خبز المشقة لأنك بعجلة خرجت من أرض مصر لكي تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك"، أنظر: سفر التثنية 16: 3_4. (1) نفسه.

(2) محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، الجيزة، 2001م، ص160. ** تزامن مع فترة حكم علي باشا الملقب بـ "بوصباغ" خليفة محمد باشا تقلد الحكم سنة 1168هـ الموافق لـ 1754م، لم تشهد فترة حكمه أحداث تذكر على غرار صراعاته مع حاكم تونس علي باشا، وإخماده لثورة الاسرى المسيحيين، فضلا عن شبه إستقلال مدينة تلمسان، توفي سنة 1179هـ الموافق لـ 1765م، ليوصي بخلافة محمد باشا المجاهد خلفا له، أنظر: أحمد شريف الزهار، المرجع السابق، ص14، 21.

(3) وليم سينسر، المرجع السابق، ص101.

(4) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص220.

(5) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص43.

(6) حاييم زعفراني، ألف سنة....، ص242.

(7) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص43.

جرت العادة أن توضع خمس كؤوس من النبيذ على المائدة فالأربعة منها تشير إلى وعد الله لبني إسرائيل بانقاذهم من فرعون بنفسه دون وساطة أما الكأس الخامس فيترك دون لمس خصص للنبي إيليا الذي سينزل من السماء قبل قدوم المسيح المخلص.⁽¹⁾

وفي المغرب الإسلامي يتم إعداد حساء من الخضر يعرف بـ "المسقي" في تونس وبـ "التسقية" في الجزائر، يتكون من اللحم والخضر والفطر، أما في المغرب الأقصى يستبدل بحساء من الترفاس والخضر واللحم المشوي،⁽²⁾ بالإضافة للزغائف أو الفطائر المخمرة الخالية من الملح والخميرة تبعا للشريعة.⁽³⁾

هـ. عيد الحصاد:

او "عيد شبعوت" أي عيد الأسابيع يحل في السادس من شهر "سيوان"،⁽⁴⁾ أوجب أن يقع يوم الأحد عند القرائين والسامريين على غرار الربانيين.⁽⁵⁾ يحتفل به تذكيرا لذكرى نزول الوصايا العشر على موسى عليه السلام في طور سيناء ومخاطبة الرب لشيوخ بني إسرائيل لذا يطلق عليه "عيد الخطاب" و"عيد عشرتا" أي الاجتماع.⁽⁶⁾ أتت على ذكره التوراة بـ "يوم البواكير" حيث كانت تقدم بواكير المنتج إلى الهيكل،⁽⁷⁾ يرمز "عيد الفصح" للخلاص من قيود العبودية أما "عيد الغنصرة" فيدل على الخلاص من قيود الوثنية، وفيه يتفنن اليهود في صنع حلوى القطائف تذكيرا بالمن الذي مناه الرب إياهم.⁽⁸⁾

(1) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص 15، 16.

A. Chouraqui, Marche vers l'occident....,p155 .

(2)

(3) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص 237.

(4) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص 43.

(5) محمد الهواري، الاختلاف بين...، ص 44.

(6) أبي العباس أحمد القلقشندي، المرجع السابق، ص 437.

(7) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص 43.

(8) أبي العباس احمد القلقشندي، المرجع السابق، ص 437.

2.1.4.1. الأعياد الغير شرعية:

أ. عيد التدشين:

أو "عيد الحانوكه" أو "عيد الافتتاح" أو "عيد النور"،⁽¹⁾ يحل في الخامس والعشرون من شهر "كسلو" يحتفل به لمدة ثمانية أيام،⁽²⁾ على غرار القرائين فهم لا يعترفون به.⁽³⁾ جعل تخليدا لذكرى انتصار المكابيون على اليونانيين الذين دنسوا المعبد بضم التماثيل فيه وفرضوا على اليهود اعتناق الوثنية جبرا وكان ذلك سنة 165 قبل الميلاد.⁽⁴⁾ وفي الليلة الأولى يحتفل فيه بإشعال شمعة واحدة وتليها في الليلة الثانية شمعتان وهكذا دواليك حتى تصل إلى ثمانية شموع وفقا لثمانية ليال.

وهذا التقليد يعود إلى المعجزة التي يزعمون أن المكابيون لما دخلوا المعبد لم يجدوا الا النزر القليل من الزيت والتي لا تسد إلا حاجة ليلة واحدة ولكن بمشيئة الرب استمرت مشتعلة لثمانية أيام متتالية،⁽⁵⁾ فضلا عن اعتكافهم للصلاة وتلاوة التوراة وإنشاد الأغاني الدينية،⁽⁶⁾ وهو عيد فرح وسرور لذا لا يجوز الصوم فيه.⁽⁷⁾

ومن مظاهر السعادة يعدون الحلويات ففي المغرب الإسلامي يقبلون على أكل السفنج والعسل، وترك الأطفال يمرحون ويتسلون حاملين شمعدانات من الطين أو النحاس يجوبون بها في الشوارع.⁽⁸⁾ ب. عيد النصر:

أو "عيد بوريم" أي "الحظ" أو "القرعة"،⁽⁹⁾ أو "عيد استير" نسبة لتلك المرأة اليهودية التي تمكنت من إحباط مؤامرة حاكم بابل الذي أراد قتل يهود بابل.⁽¹⁰⁾

(1) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص46.

(2) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص14.

(3) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص386.

(4) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص205.

(5) أبي العباس أحمد القلقشندي، المرجع السابق، ص437.

(6) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص205.

(7) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص46.

(8) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص237.

(9) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص46.

(10) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص14.

يحل في ليلة الثالثة عشر من شهر "أذار" وتكون ليلة صيام تعرف بـ"صيام استير" ويحتفل فيه في اليوم الرابع عشر من آذار ليستمر ليومين.⁽¹⁾

ومن تقاليد السارية في المغرب الإسلامي أن يفتح المؤمنون هذه المناسبة في يوم السبت السابق للعيد أي سبت الذكرى أو "سبت زخور" بطقس خاص ألا وهو تلاوة "مي كموخا" بمعنى ما متلك يا آلاه تردها جل الطوائف في صلاة الصبح.

أما في مساء اليوم الرابع عشر من آذار تدمج قراءة سفر استير في صلوات الشكر "بركت همزون" أي مباركة النعمة التي تتبع "وليمة بوريم" التي تقام قبل الغروب، وفي اليوم التالي أثناء صلاة الصبح يتم تمرير كأس بوريم أي "تشت بوريم" على الحاضرين ليلقوا بعض من النقود للتصدق بها للفقراء.⁽²⁾

واليهود عامة خلال هذا العيد يصرفون في الشرب ويتكرون بارتداء الأقنعة لذا عرف عند العرب بـ"عيد المساخرة"،⁽³⁾ باستثناء القرائن الذين يعتدلون في ذلك ويستغلون المناسبة لتبادل الهدايا فيما بينهم.⁽⁴⁾

ومن مظاهر الاحتفال في المغرب الإسلامي الإفراط في الملذات والمآكل فالأطفال يتسلون بألعاب الضجيج وضرب الأرض بالقدم فضلا عن عزف الناي وغيرها أما الكبار يتهافتون على لعب النرد والقمار ففي هذا العيد يباح ذلك، فضلا عن الإقبال على تحضير حلويات مصنوعة من العسل كالمقروط والشباكية مختلف الأنواع من الفستق واللوز ومن السكاكر الزاهية الألوان، واعداد وجبات من الدجاج ولحم الخروف المحشي دون غض النظر عن النبيذ.⁽⁵⁾

(1) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي.....، ص207.

(2) حاييم زعفراني، ألف سنة....، ص259.

(3) غازي كامل السعدي، المرجع السابق، ص14.

(4) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص385.

(5) حاييم زعفراني، ألف سنة....، ص263.

3.1.4.1. أعياد يهود المغرب الإسلامي:

انفرد يهود المغرب الإسلامي بإقامة أعياد ذات طابع محلي، وليدة الحركة الصوفية القبلية* التي انتشرت في القرن الرابع عشر ميلادي فضلا عن الإقبال على كتاب الزوهار** الذي لا يقل أهمية عن التلمود،⁽¹⁾ ومن أبرز هذه الأعياد نذكر:

أ. عيد الميمونة:

يعتقد أنها مشتقة من لفظة "أمون" العبرية والتي تعني الإيمان، و"الميمونة" في العربية تعني صاحبة الحظ،⁽²⁾ لا يعرف أصل هذه المناسبة إلى أن جل الآراء أجمعت على أنها نابعة من فكرة الخلاص الذي وعد الرب به بني إسرائيل، يحتفل به في اليومين الآخرين من عيد الفصح.⁽³⁾

ينفرد هذا العيد بتقاليد خاصة ففيه يتركبون أبواب منازلهم مفتوحة سعيا للبركة والرخاء ويرتدون ملابس الأعياد ويلقون التهاني فيما بينهم بـ"تفرحوا تسعدوا".⁽⁴⁾

ومع جيرانهم المسلمين حيث يزورونهم حاملين معهم السمك والشعير والقمح والفلول والخس والفواكه بالإضافة إلى الحلوى والحليب واللبن والسمن والعسل وأكوابا مليئة من الزيت الصافي.⁽⁵⁾

* "القبالا" تلك التفسيرات والتأويلات الباطنية الصوفية، فتبعا للفكر القبلي أن الأبجدية العبرية لها دور في الخلق وتتطوي على قوى غريبة ومعان خفية والتوراة مخطط الإله للخلق لذا وجب دراسته والتوقف عند كل كلمة منه كونها تضم سرا داخليا ومن تم تصبح النظرة الباطنية الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها، والتصوف اليهودي على شقين:

التوحيدي: ويصدر عن الايمان بالاله يتجاوز مخلوقاته ولهذا وجب التزهد وكبح الغرائز، تعبيرا عن حب الإله وللتقرب منه. الغنوصي: فهو المحاولة للوصول إلى فهم طبيعة الاله من خلال التأمل والمعرفة بغية التأثير في إرادته، ومن هنا أخذ شكل تعبيرات باطنية وصنع تائم وتعاويد، أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ص244، 247.

** "الزوهار" لفظة عبرية تعني "الإشراق" يعد من أبرز الكتب التراثية القبلية الصوفية وهو مجموعة من تعليقات وشروح صوفية لنصوص العهد القديم، ينسب إلى "الحاخام شمعون بن يوحان" في القرن 2م، وقيل أن "موسى ذي ليون" هو واضعه خلال القرن 13م، لأن الزوهار في أسلوبه يشبه المواعظ اليهودية الاسبانية، أنظر: نفسه، ص272.

لعب دورا هاما في الفكر الديني اليهودي المغربي إذ نال مكانة خاصة ومن تم أخذت نصوص منه وادمجت في الصلوات، كما خصصت له جمعيات تعرف بـ"باريويحي" عقدت جلسات ليلية لغرض دراسته، ومن أبرز الباحثين نذكر "ابراهيم بن موردوخاي ازولاي" واضع تفاسير وتعليق وحواشي لكتاب الزوهار القبلي، أنظر: حاييم زعفراني، ألف سنة، ص199.

A. Chouraqui, Le saga des juifs...., p126.

(1)

(2) حاييم زعفراني، يهود الأندلس....، ص534.

(3) حاييم زعفراني، ألف سنة....، ص ص241، 243.

A. Chouraqui, Marche vers l'occident....,p 160.

(4)

(5) حاييم زعفراني، يهود الأندلس....، ص505.

وفي صباح اليوم التالي يقصدون الحقول والبساتين المتضمنة للسواقي والأبار لتناول الغذاء ومنهم من يقصد البحر فيغطس قدمه في الماء وهو جالس على الصخر.⁽¹⁾

ومن تم نستشف أن عيد الميمونة هو رمز للتعايش بين الطائفتين وأن الربيع اتخذ كطالع سعد عند اليهود تبعا لارتباطهم بالطبيعة وتشبعهم بالفكر القبلي الصوفي.

ب. عيد الهيلولة:

تعود لفظة الهيلولة" إلى أصول آرامية والتي تعني العرس في اللغة الآرامية، ومن تم فـ"عيد الهيلولة" يقصد به الاحتفال بزواج الرباعي مع الرب.⁽²⁾

جعل تخليدا لذكرى وفاة أحد الأولياء الصالحين وأهل الكرامات تسليما بما نادى به الزوهار،⁽³⁾ وتصديقا لما ورد في سفر الجامعة: "يوم الممات خير من يوم الولادة"،⁽⁴⁾ ومن أبرز الاحتفالات نجد "هيلولة الرباعي شمعون يوشع" أشهر القباليين وقبله يهود المغرب الإسلامي، إذ تشد إليه الرحال في 18 أيار من كل سنة،⁽⁵⁾ شأنه شأن "الرباعي افرام عنقاوة" بتلمسان.⁽⁶⁾

يفتح يوم الهيلولة في البيعة إلا أن الاحتفالات وطقوس الزيارة لا تجرى إلا في المقبرة تتجلى هذه الأخيرة في: التجمع حول قبر الولي في يوم تخليد ذكره أي "الهيلولا"،⁽⁷⁾ يقع ذلك غالبا في يوم الخميس والإثنين فضلا عن عشية "روش هاشانا" أي رأس السنة، و"كبور" أي الغفران، ويحرص أن لا تتكرر الزيارة مرتين في نفس اليوم للقبر الواحد.⁽⁸⁾

(1) حاييم زعفراني، يهود الأندلس...، ص 505.

A. Chouraqui, Le saga des juifs..., p141.

(2) حاييم زعفراني، يهود الأندلس...، ص 505.

(3) حاييم زعفراني، يهود الأندلس...، ص 505.

A. Chouraqui, Le saga des juifs..., p141.

Ibid, p139.

(4) سفر الجامعة 7: 1.

(5) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص 117.

A. Chouraqui, Le saga des juifs..., p142.

وتستمر الزيارة العادية من ثلاثة أيام* إلى سبعة أيام متتالية حيث يقوم المرضى والنساء العاقرات بالمبيت بجوار ضريح الأولياء يصلون** ويتضرعون ويتوسلون لقضاء حوائجهم في غرف مخصصة لذلك،⁽¹⁾ و قد تضرب الخيام في حالة ما عجزت عن إستيعابهم.

وخلال هذه الفترة يعتكف الحاخامات ليلا ونهارا في إقامة الصلوات وتلاوة ماتيسر من التوراة فضلا عن كتاب الزوهار واشعال الشموع بينما ينشغل الحاضرون في الغناء بصوت مرتفع والرقص الصوفي مع الصياح والنحيب أملا في إيقاظ روح الولي الصالح لكي تستجيب لدعواتهم.⁽²⁾

ويبدو أن طقوس الهيلولة تتباين من ولي إلى آخر هذا ما نستشفه من خلال تصريحات أحد الحجاج القادمين من "هيلولة الربى إفرائيم عنقاوة" حيث صرح قائلا: "... وبمجرد ما ننزع أحييتنا نسارع إلى القبر فنضع أيدينا العاريتين على شاهد القبر، ثم ننحني من جهة ونظل نقبله عدة مرات، مرددين أمنييتنا بصمت، وبعد ذلك نأخذوا قطعة سكر نجعلها فوق القبر، ثم نتناول قارورة خمر نسقي بها القبر وإن لم تتوفر لدينا نستعين بماء الينبوع المقدس، ولما ننتهي من ذلك نتناول قطعة السكر الموضوعة على القبر ونحن نردد الأمنية سرا ... ولما ننتهي من تلاوة الصلاة على قبر "الحاخام عنقاوة"، نتجه الى باقي القبور...والتي تعود إلى أفراد عائلته ... ، ننحني أمامها ونضع فوق البعض منها قطعة السكر فضلا عن سقيها بالخمر، وتكتفي بلمسها براحة اليد أو بأطراف الأصابع ونقبل الأصابع، وعند ختام ذلك نتوجه إلى الينبوع المقدس الكائن في المغارة والذي يصب في حوض...غسلت يداي بمائه، وملاءت قنيتي، ثم شربت منها النزر القليل ورددت أمنييتي سرا".⁽³⁾

بعد الانتهاء من الزيارة والعودة إلى الديار يلتزم الحجاج بإقامة الصلاة وتقديم الصدقات والمساعدات للفقراء.⁽⁴⁾

* تدوم هيلولة "الرابي افرائيم عنقاوة" ثلاثة أيام لا اكثر، ففي اليوم الأول يتم تنبيه الربى بقدوم المؤمنين لطلب قضاء الحاجة، وفي اليوم الثاني يتقدموا بالطلب، وفي اليوم الثالث والأخير يتم شكر الربى على قبول الزيارة، أنظر:

R. Attal R. Attal, Regard sur les juifs d'Algérie, Edition L'harmmattan, Paris, 1996, p357.

** ولقد إقتصرت الصلاة على الرجال دون النساء حيث يكتفين بالدعاء والتضرع والنحيب، أنظر

Ibid, p354.

(1) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص ص 117، 118 .

A. Chouraqui, Le saga des juifs..., pp141,143.

R.Attal, Op.Cit, pp354,357.

A. Chouraqui, Le saga des juifs..., p143.

ومن أبرز المزارات التي يقصدها الحجاج بالمغرب الإسلامي نجد ضريح "الربي عمران بن ديوان" بمدينة وزان بالمغرب الأقصى، وضريح "إفرايم عنقاوة" والربيين المنحدرين من سلالة^{*}. فضلا عن ضريح "الربي الركيذ" بتلمسان القادم إلى المدينة خلال القرن 9هـ/15م، دون غض النظر عن ضريح الحاخامين ريباح وراشباخ بمدينة الجزائر وانفردت تونس ضريح "الربي يوسف الفاسي" بالحامة بتونس.⁽¹⁾

ج. عيد بوريم:

لم ينحصر "عيد بوريم" على تخليد ذكرى إستير بل تعدى ذلك فيهود المغرب اتخذوا بوريم خاصا بهم محليا، جعل لتمجيد البطولات ففي الجزائر نجد "بوريم الجزائر" يحتفل به في الرابع من شهر "حسبان" تمجيدا لإنصار الأسطول الجزائري على شاركان سنة 1541م. وفي المغرب نجد "بوريم النصارى" يحل في شهر "أب" وهو يخلد ذكرى إنتصار مولاي عبد الملك على حاكم البرتغال.

د. عيد هصوم:

يعرف بـ"أيام الشؤوم"⁽²⁾ يحل في السابع عشر من شهر "تموز" ويمتد إلى غاية التاسع من شهر "أب".⁽³⁾

أقيم لتخليد ذكرى خراب الهيكل للمرة الأولى على يد نبو خذنصر البابلي وسبيهم، والثانية على يد الرومان فضلا عن طردهم من الأندلس والذي بمثابة تخريب ثالث للهيكل على حد تعبيرهم، وخلال

* ولد الربي عمران بن ديوان في حبرو (الخليل) قدم إلى المغرب من أجل جمع أموال الصدقات من يهود المغرب بغية تشييد مدارس دينية، وخلال رحلته مرض ابنه في فاس فبقي هناك حيث وهب حياته من أجل شفاء ابنه، توفي بوزان إنفرد عن غيره بكرامات عديدة من جعلتها إعادة البصر للعميان وتسهيل المخاض للنساء الحوامل، فضلا عن النساء العاقرات بغية الإنجاب، دون غض النظر عن مقدرته في شفاء المشلولين وذلك بمجرد حرق برنوس المعنى على قبر الربي، ومن تم تداعى صده وأمسى مقصدا لكل من اليهود والمسيحيين والمسلمين على حد سواء، أنظر: A. Chouraqui, Le saga des juifs..., pp138,139.

** يقصد بذلك الربي صامويل عنقاوة الذي شغل منصب والده مقدما للطائفة اليهودية بمدينة تلمسان بعد وفاة والده أتى على ذكره دارمون عند زيارته لضريح الربي إفرايم عنقاوة حيث صرح قائلا: "ولم يقتصر تبجيل هذا الضريح على يهود المدينة وماجاورها فقد عدا قبلة لجل يهود المغرب الإسلامي... وعلى جوار قبره نجد قبر الربي صامويل ابن الربي إفرايم عنقاوة فضلا عن كل افراد العائلة، أنظر: Darmon, «origine et constitution...», In: R.A1870, Vol14, pp377,379.

A. Chouraqui, Le saga des juifs..., pp138,139.

(1)

(2) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص ص 264، 265.

(3) أحمد شحلان، المرجع السابق، ص 48.

يعلنون حدادهم فيصومون ويكثر من الشكوى والنحيب لمدة ثلاثة أسابيع متتالية،⁽¹⁾ لغاية التاسع من شهر "أب" حيث يرفع الحداد بعد أن تمتد فترة الصيام فيه لخمس وعشرون ساعة.⁽²⁾

تعرف أيام الحداد بـ"فترة الشدة" فالأولى منها تعرف بـ"الشدة الكبيرة" والوسطى بـ"ما بين الشدة والضيق" والآخرى بـ"الشدة الصغيرة".⁽³⁾

ومن أبرز شعائرها الإفطار على طعام جنازي وهو عبارة عن حساء من العدس والبيض المسلوق ومنهم من يذرون الرماد عليه بدلا من الملح، وفي المعبد تطفأ الأنوار وتقلب الكراسي أثناء صلاة الغروب فالصلوات تؤدي على أنوار خافتة يجلس الحاضرون على الأرض أو الحصير، تتلى مرثي أرميا وتتشد الأغاني الحزينة وطول هذه الأسابيع يكتفون بتلاوة سفر أيوب ونصوص الأنبياء.

وفي صبيحة اليوم التاسع من شهر "أب" تؤدي صلاة الصبح بدون طاليت وتقليين، ويقلب غلاف التوراة المخملي، ويتخلّى عن اليد الفضية أثناء القراءة، ويذر الشماس* الرماد على لفائف التوراة، كما يذر الحاضرون القليل منه على رؤوسهم.

وفي المساء يقطع الصيام بجو من البهجة والسرور فيتناول حساء من القمح أي الهريسة بالإضافة إلى الشاي والحلوى المصنوعة من الجلابان أو العجين المخلوط بماء محلى، وعند العشاء تعد وجبة من القرع والبصل المطبوخ مع اللحم المقدد.⁽⁴⁾

نستخلص مما سبق ذكره آنفا أن تباين الفرق الدينية المعتقدة لمصادر تشريعية مختلفة والتي تستمد منها شرائعها، أدى الى استعملت الممارسات والشعائر الدينية، وهذا ما اتسق لنا جليا عند تطرقنا للعبادات الدينية.

ونظرا لاحتكاك اليهود بمفكرين مسلمين في الأندلس أدى إلى ظهور طفرة في الفكر اليهودي مما ولد حركة صوفية قبلية متشعبة من الفكر التصوفي الإسلامي.

نشطت هذه الأخيرة في المغرب الإسلامي دون سواه تبعا لقابلية إستقبال هذه الأفكار والممارسات المستمدة من العادات الوثنية المتجلية في تقديس الأضرحة والتبرك بها تجسدت في "الهيلولة".

(1) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص 264.

(2) أحمد شحان، المرجع السابق، ص 48.

(3) حاييم زعفراني، ألف سنة...، ص ص 266، 267.

* وهو خادم المعبد سنتطرق إليه لاحقا عند تناول النظام الداخلي للمعبد أو البيعة.

(4) نفسه، ص ص 266، 267.

2. المنشآت الدينية:

من المتفق عليه قيام علاقة وطيدة بين الخالق والمخلوق منذ الأزل، حيث سعى هذا الأخير إلى اتخاذ مكان مقدس ليمارس فيه شعائره الدينية، تعددت مسميات هذا المكان من معبد في الديانات الوضعية إلى "بيعة" عند اليهود، ثم كنيسة عند المسيحيين إلى المسجد عند المسلمين.

1.2. المعبد :

- **لغة: المعبد** مشتق من الفعل "عبد" بمعنى تذلل، وقال تعالى: "اعبدوا ربكم" أي أطيعوا ربكم، وقال ابن الأثير: ومعنى العبادة في اللغة هي الطاعة والخضوع.⁽¹⁾
- **إصطلاحاً:** فقد تعددت المسميات حيث قال الزجاج: والبيع موضع صلاة النصارى أما الصلوات والكنائس فهي مكان صلاة اليهود، وقيل هي مواضع صلوات الصابئين.^{(2)*}

أضاف **المجاهد والضحاك** قائلاً: "والبيع بيع النصارى مفردها "بيعة" يقصد بها كنيسة النصارى، وأما "الصلوات" فهي كنائس اليهود يطلق عليها في العبرية بـ"صلوتا"، والصوامع صوامع الرهبان، وقال قتادة أما الصوامع فهي صوامع الصابئة".⁽³⁾

وما الصوامع إلا منار للراهب سميت بذلك تبعاً لدقة رأسها ولاارتفاعها عن سطح الأرض.⁽⁴⁾

(1) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المادة "عبد"، تحقيق عبد العزيز مطر، ومراجعة عبد الستار أحمد فراج، الجزء الثامن، الطبعة الثانية، التراث العربي، الكويت، 1994م، ص21.

* أو المندانيون أو الناصوريون، تلك الطائفة الصغيرة الموجودة في جنوب العراق وإيران، يزعمون أنهم ينحدرون من يوحنا المعمدان، إتخذوا لهم لغة خاصة وهي مزيج بين عناصر سامية وإيرانية، يرجع أول تدوين لنصوصهم المكتوبة إلى القرن الثامن قبل الميلاد، إلا أن مضمونها أقدم من ذلك بكثير، وهم يندرجون ضمن المجموعات الباطنية الخاصة إذ لا يسمح إلا للرجال بالإطلاع على النصوص الدينية الأكثر سرية، يشتركون مع المسيحيون في الإعتماد على التعميد للحصول على الخلاص وتشكل الوجبة القربانية جزءاً من التعميد، أنظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، ترجمة عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي، الجزء الخامس، مكتبة دار التكوين، دمشق، 2018م، ص ص21، 22.

(2) الزجاج، معاني القرآن وأعرابه، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الجزء الثالث، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ص34.

(3) البغاوي، تفسير البغاوي معالم التنزيل، حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، المجلد الخامس، دار كتيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1991م، ص389.

(4) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المادة "صمغ"، ...، ص358.

وأما البيعة بالكسر يقصد بها الكنيسة، أي كنيسة النصارى وقيل كنيسة اليهود كذلك نقلا عن ابن منظور،⁽¹⁾ جمعها "بيع" تبعا لقوله تعالى: "الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز".⁽²⁾

صرح الأزهري قائلا نقلا عن ابن منظور: "فان قال قائل فلم جعل الله هدمها من الفساد وجعلها كالمساجد وأتى بالقرآن الكريم ناسخا لما قبله؟، فالجواب في ذلك أن البيع والصوامع كانت متعبدات لهم إذ كانوا مستقيمين على ما أمروا به غير مبدلين ولا مغيرين لشرعية الله، فاخبر الله جل ثناؤه أن لولا دفعه الناس عن الفساد ببعض الناس لهدمت متعبدات كل فريق من أهل دينه وطاعته في كل زمان، لذا بدأ بذكر البيع على المساجد لأن صلوات من تقدم من أنبياء بني إسرائيل وأمهم كانت فيها قبل نزول الفرقان وقبل تبديل من بدل وأحدثت المساجد وسميت بهذا الاسم بعدهم فبدأ الله جل ثناؤه بذكر الأقدم وآخر ذكر الأحداث لهذا".⁽³⁾

وأما الكنيس فقد صرح ابن قتيبة قائلا نقلا عن المقرئ: "والكنيس كلمة عبرية معناها بالعربية الموضع الذي يجتمع فيه اليهود للصلاة ولهم بديار مصر عدة كنائس كدموه بالجيزة وجوهر بالقرى الغربية..."⁽⁴⁾، ومن ثم فان جمع "كنيس" كنائس، والملفت للانتباه الإقبال لا وبل تداول هذا المصطلح على لسان يهود المغرب الإسلامي بكثرة مقارنة بغيره حيث نجد ورود كنيس الغربية أو كنيس دمدوه وغيره، كما سيتضح لنا جليا لاحقا.

ولقد ورد في وثائق المحاكم الشرعية مصطلح "كنيسية"، وفقا لما نصت عليه الوثيقة المؤرخة في عام 1202 هـ الموافق لـ 1787م_1788م: "أن الحانوت الكاينة بالكنيسية.... يمين الداخل بدار الدباغ خارج باب عزون... بتاريخ اليوم الخامس عشر ربيع الثاني عام سنتين ومائتين والـ".⁽⁵⁾

(1) ابن منظور، لسان العرب، المادة "بيع"، المجلد الثامن دار صادر، بيروت، د.ت، ص 24.

(2) سورة الحج: 40.

(3) ابن منظور، المرجع السابق، ص 25.

(4) تقي الدين أبي العباس ابن علي المقرئ، المرجع السابق، ص 162.

(5) علبة رقم 16(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 52، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم .

- التسميات بالعبرية: يطلق عليه في العبرية "بيت هنكسيت" أي بيت الاجتماع، أو "بيت هاتيفالا" أي بيت الصلاة، أو "بيت هامدارش" أي بيت الدراسة.⁽¹⁾

2.2. تطور دور العبادة:

وفقا لما سبق ذكره آنفا أن الصلاة كانت فردية ارتجالية تتلى عند الحاجة مقترنة بالذبيحة والقربان، ولذا لم تدع الحاجة لتخصيص مكانا للعبادة، واكتفي بأقامة المذابح* بغية تقديم الذبائح والقربان، تزامن ذلك منذ عهد نوح وإبراهيم عليهم السلام إلى غاية خروج موسى عليه السلام من مصر، عرفت هذه المذابح بـ"بيت ايل"**.⁽²⁾

وخلال التيه في الصحراء أوحى الله لنبيه أن يتخذ خيمة كمكان عبادة ليسكن الرب في وسط شعبه حيث تراه لموسى عليه السلام على سفح الجبل شكل خيمة***، فامتثل لذلك وصنع خيمة صغيرة جعلها مكانا يطلب فيه بنو إسرائيل ربهم دعاها بـ"خيمة الاجتماع"، وكان نبي الله يتلقى أوامر الرب من داخل الخيمة، حيث يتجسد الرب له في شكل عمود سحب يقف عند مدخلها، وإذا لمح بنو إسرائيل خروا ساجدين له.

وبعد ذلك أمر الرب موسى عليه السلام أن يتخذ له "خيمة إجماع" وفقا للأوصاف التي يحددها له وكان له ذلك.⁽³⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص326.

*جاء في سفر التكوين مايلي: "وبنى نوح مذبحا للرب واخذا من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصعد محرقات للرب...."، وهي صلاة الشكر التي اداها نوح عليه السلام بعد نجاته من الطوفان، أنظر: سفر التكوين 8: 20.

** جاء في سفر التكوين مايلي: "ظهر الرب لابرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض فتبني هناك مذبحا للرب، فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له ثم نقل من هناك إلى الجبل الشرقي بيت إيل فنصب خيمته"، أنظر: التكوين 12: 7-8.

جاء كذلك في سفر التكوين مايلي: "ثم أتى يعقوب سالما الى مدينة شكيم ... وأقام هناك مذبحا ودعاه إيل إله إسرائيل"، أنظر:

سفر التكوين 33: 18-20

(2) سفر التكوين 8: 20.

سفر التكوين 12: 7-8.

سفر التكوين 33: 18-20.

*** جاء في سفر الخروج مايلي: "وتقيم المسكن كرسمة الذي أظهر لك في الجبل"، أنظر: سفر الخروج 26: 30.

(3) فايز فارس، المرجع السابق، ص 34، 35، أنظر: سفر الخروج 33: 7-10.

إذ أقيمت الخيمة وسط الخيام ذات شكل مستطيل مجهزة بقدس الأقداس المتضمنة لتابوت العهد وألواح الوصايا العشر، جعل أمام التابوت مباشرة مائدة طعام وشمعدان ومذبح خشبي ومبخرة الذهب وأمام فتحة الخيمة وضع مذبح خشبي كبير مغطى بالنحاس اتخذ لتقديم الأضاحي، وظل بنو إسرائيل يتعبدون في الخيمة إلى غاية عهد سليمان عليه السلام.⁽¹⁾

جاء في سفر الملوك أن بعد مرور أربعة مئة سنة وثمانين من خروج بني إسرائيل من مصر وفي السنة الرابعة من تولي سليمان عليه السلام الحكم تم تشييد "بيت الرب" أي الهيكل، إستمر البناء لمدة سبع سنوات.⁽²⁾

ومن خلال المصدر السابق نسترجع تصميم الهيكل حيث نجد أنه اتخذ شكل المستطيل امتد من الشرق إلى الغرب اشتمل على:

_ **قدس الأقداس:** وهي عبارة عن غرفة مربعة، قسمت إلى قسمين بفضل ستار.

القسم الأول منها: جهز بتابوت العهد المكتنف من الجانبين بتمثالين للكرابين.

أما القسم الثاني: تضمن للمذبح الذهبي المعد للقرابين، على يساره منضدة تحمل شمعدان يضاء عند إقامة الصلاة، وعلى يمينه منضدة أخرى تعرف بـ"منضدة الخبز التقدمة" الذي يدمج في الطقوس.

_ **البهو المقدس:** يلي قدس الأقداس يفصله عنها باب، صف على جانبي البهو مناظير لوضع المسارج والشموع، وهو المكان الخاص بالعبادة وإقامة الشعائر.

_ **قاعة المدخل:** تلي البهو المقدس خالية من الأثاث الديني يليها مدخل الهيكل، المزدان بعمودين، وضع على جانبي الصحن الخارجي المكشوف أحواض لغسل الذبائح، ومذبح في الهواء الطلق لتصعيد القرابين التي تحرق في النار يصعد إليه بفضل سلمين يؤديان إلى الطوابق العليا المجهزة بغرف الكهنة ومرافق الهيكل وعن يسار المذبح الخارجي حوض نحاسي كبير تحمله إثني عشر ثور من البرونز.⁽³⁾

أزدان المبنى ككل على زخرفة تمثلت في رسوم جدارية لبراعم النباتات والنخيل، فضلا عن نقش ونحت تجسدت في الكروبيين.⁽⁴⁾

(1) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية...، ص 199.

(2) سفر الملوك 6: 1.

سفر الملوك 6: 28.

(3) حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 1987م، ص 50.

(4) سفر الملوك 6: 39.

ولما استولى "نبوخذ نصر" على أورشليم جعل عاليها سافلها وهدم هيكلها وسبي أهلها من اليهود إلى بابل في سنة 588 ق م، ⁽¹⁾ وبعد وفاته خلفه "قورش البابلي" سنة 539 ق م، فأعلن التسامح الديني العام وأعاد الاعتبار لآلهة بابل، ومن تم سمح لليهود بالعودة من السبي وترميم هيكلهم في أورشليم وذلك سنة 538 ق م، ولم يشرع في تعميره إلا في سنة 516 ق م. ⁽²⁾

وقيل أن قورش البابلي نذر على نفسه أن يعيد بناء الهيكل فجمع رؤساء الجالية*** وبنوا بيت على المقدار الذي أمرهم به وأقاموا المذبح على حدوده وقربوا القربان على واجبها وكان يطلق لهم كل سنة ما يحتاجون إليه لخدمة بيت الله من الحنطة والزيت والخمر والبقر بالإضافة للمال الوفير. ⁽³⁾ ورد ذكر هذا الهيكل المعروف بـ "هيكل زربابل"**** في المصادر دون وصفه ومن تم نفتقر لمخططه المعماري وحلته الفنية. ⁽⁴⁾

ومع انقضاء عهد قورش وتداول خلفائه على الحكم تغيرت الأوضاع السياسية في المنطقة فلم تعد مستقرة، حيث شهدت مناوشات عديدة بين السلطة واليهود مما دفع بهم للانقلاب عليها والمساهمة في

* أحد ملوك السلالة العاشرة في بابل 205 ق م - 562 ق م ابن نبوبولاسر، كان في صراع دائم مع حاكم مصر للسيطرة على سورية وفلسطين، ففي العام 605 ق م إنتصر عليه ومن تم طلب هذا الأخير مساعدات من اليهود وكان له ذلك، مما جعل نبوخذ نصر يثور عليهم ويحاصر أورشليم ويسبي أهلها إلى بابل بعد أن حذرهم من ذلك سابقا حين قلدا صدقيا حاكما عليهم سنة 597 ق م - 586 ق م، أنظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 841.

(1) جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارة الأولى، ترجمة عادل زعتر، الطبعة الأولى، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2009م، ص 60. ** ولد سنة 590 ق م في مدينة فرسيس (فارس) سليل أسرة نبيلة، خلفا والده "الملك قمبيز الاول" وقضى بجدارة على منافسيه من الحكام، ثم إتجه إلى بابل ليغزوها إستولى عليها دون مقاومة وكانت تضم كل من سوريا وفلسطين، ولما فرغ من ذلك زحف إلى المناطق الواقعة شرق بحر قزوين أملا منه أن يستولي عليها إلا أنه عجز عنها فوقع أسيرا وذبح بعد ذلك، تميزا ببراعته العسكرية وتسامحه الديني فبفضله تم الإبقاء على المجتمع اليهودي فلولا لنقرضا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، أنظر: أنيس منصور، الخالدون مائة أعظمهم مجد رسول الله ﷺ، المكتب المصري الحديث، دت، ص ص 170، 173.

(2) فون باجوت جلوب، اليهود واليهودية في العصور القديمة، ترجمة وتقديم رشاد عبد الله الشامي، الطبعة الأولى، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات، القاهرة، 2001م، ص ص 137، 138.

*** عزرا الكاهن، نحميا، مردخاي، يشوع بن يوصادق وزربابل، أنظر: يوسفوس اليهودي، تاريخ اليهود، اعداد الراهب انطونيوس الأنطوني، الطبعة الأولى، شركة الطباعة المصرية، القاهرة، مصر، 2006م، ص 47.

(3) نفسه، ص ص 47، 48.

**** لفظة أكادية يقصد بها " زرع بابل" أي المولود في بابل، قادة أول دفعة من اليهود العائدة الى أورشليم، عينه قورش حاكما عليها، ووضع أسس الهيكل وساهم في عودة الطقوس الدينية اليهودية، لقبه النبي حجي بالمسيح المنتظر، لذا عرف الهيكل بالاسمه، أنظر: نفسه، ص 48.

(4) حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي...، ص 51.

إسقاطها، وسارعوا بالترحيب بالسلطة الجديدة المتجسدة في الحكم اليوناني* تحت قيادة "الإسكندر الأكبر" سنة 320 ق م ثم البطالمة من بعده وختاما بالحكم الروماني.⁽¹⁾

ففي سنة 63 ق م اكتسح الرومان أورشليم ويبدو أن المدينة قد خربت تبعا لكونها بؤرة صراع ومن تم قام الرومان باعادة تعميرها ومن أبرز المنجزات إقامة هيكل خلفا لهيكل سليمان حيث شرع "هيرودس" سنة 60 ق م في تشييده عرفانا بالمساعدات التي قدمها اليهود له ظل هذا الأخير قائما إلى غاية سنة 70م حيث خرب على يد "تيتوس"****.⁽²⁾

* أدار الحكام الفرس الحكم بعد وفاة الملك قورش فوجدوا اليهود على عهدهم يطيعونهم كونهم يحسنون اليهم ويصلونهم بالأموال الكثيرة ويطلقون لهم ما كان قورش يطلق لهم من القرابين وغيرها، كما كانوا يجلبون بيت الله ويعظمونه، إلا أن تقلد الملك احشوروش الحكم واتخذ هامان وزيرا له ورفع منزلته بين الناس وأمر باعطائه السجود، تغيرت الأوضاع تغييرا جذريا فهذا الأخير يكن العداء لليهود بسبب الملك شاؤول ورفض مردخاي ابن عم استير السجود له فضلا عن احباطه لمؤامراته في قتل الملك هنا اشتدا غيظه وعزم على هلاك اليهود فلولا لطف الرب عليهم ودهاء استير وابن عمها مردخاي لنال مراده، أنظر: سفر استير 3: 1-13. سفر استير 8: 1-17.

** ولد في مدينة بيلا عاصمة مقدونيا وهو نجل "الملك فيليب الثاني" تمكن هذا الأخير من إقامة إتحاد من الدويلات اليونانية الخاضعة لسلطته وكان يطمح أن يقضي على إمبراطورية فارس شرع في ذلك سنة 336 ق م إلا أنه توفي قبل أن ينال مراده فخلفه ابنه، الذي زحف على بلاد فارس سنة 334 ق م فسقطت آسيا الصغرى تحت قبضته إتجه بعدها صوب سوريا ثم إمتدا نحو الجنوب إلى صور لبنان وضيق الخناق على الفرس وحاصروهم لمدة سبعة أشهر وواصل في زحفه إلى أن بلغ غزة وفتحها بعد شهرين ثم إنتقل إلى مصر ليعود إلى الأراضي الفارسية سنة 331 ق م، ليفتح بابل وكان ذلك سنة 330 ق م، وفي سنة 320 ق م توفي الإسكندر فيها، أنظر: أنيس منصور، المرجع السابق، ص 135، 138.

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 87.

*** وهو الإبن الثاني لـ"الملك أنتيباس الأدومي" تهودت الأسرة بالقوة سنة 125 ق م، عين القيصر الملك أنتيباس حاكما على اليهود ومن تم قام هذا الأخير بتقسيم المملكة على أولاده الخمسة وقد وصل "هيرودس" إلى العرش بعد وفاة والده وأخويه الأكبر منه، في سنة 37 ق م تمكن من فتح القدس بمساعدة الرومان.

إتسم بقسوة القلب والمكر فضلا عن ولعه بالتشييد والبناء، حيث أقام المدن والشوارع والأبنية تخليدا لإسمه ومن أبرز المدن نذكر: "مدينة القيصرية" التي شيدها بالشاطيء البحر المتوسط بالإضافة إلى ترميم مدينة السامرة وتسميتها بـ"سبسطيا" وتحصين القدس وتزويدها بالملاعب والقصور وترميم الهيكل وتزيينه، شهدا في أواخر أيامه ميلاد المسيح عليه السلام، توفي في أريحا بعد أن أصيب بمرض خطير وعند ساعة موته أمر بقتل وجهاء القدس ليعم الحزن المدينة، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص 673، 674. **** ولد بمدينة روما سنة 51 ق م، ينحدر من أسرة نبيلة فهو نجل "الإمبراطور فيسبيسيان الروماني"، وكل من طرف أبيه ليستولي على أورشليم عند قيام نزاعات بين اليهود وروما، إمتدت هذه الحروب من سنة 66 م إلى 70م، وإلخامها قام "تيتس" بتدمير المعبد واحراق المدينة سنة 70 م، و بعد مرور إحدى عشر سنة على ذلك تقلد العرش وبقي محافظا عليه إلى ان وفته المنية سنة 96م، أنظر: سامي بن عبد الله المغوث، أطلس الأديان، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، 2007م، ص 133، 134.

(2) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 87.

وعلى الأرجح أنه لم يبق منه إلا جزء من الجدار الغربي والذي يعرف عند اليهود بـ"الجدار الغربي أو حائط المبكى".⁽¹⁾

نستشف مما سبق ذكره أننا أن هيكل سليمان عليه السلام قد جاء بسيطا بعيدا عن الفخامة والضخامة فأبعاده لا تتجاوز 32م طولا و11م عرضا و127م ارتفاعا بالتقريب تبعا لما ورد في سفر الملوك،⁽²⁾ ومن تم فهو لا يضاهي المعابد الآشورية أو المصرية أو الكنعانية الفينيقية أو غيرها إلا أنه تأثر بها ومن تم حمل سيماتها.

فالتأثيرات الآشورية نلمسها في "قدس الأقداس" التي صبغت بالصبغة الآشورية، فقد جرت العادة عند الآشوريين عزل "تمثال الإله" بستارة أو حصيرة.⁽³⁾

رعي ذلك في "قدس الأقداس" حيث تم عزل "تابوت العهد" المزدان بالكروبيين عن الأنظار بواسطة ستار، وبذلك يحل محل تمثال الإله لا وبل الإله نفسه تسليما بما ورد في سفر الخروج أن الرب كلم موسى عليه السلام من فوق غطاء التابوت من بين الكروبيين.*⁽⁴⁾

والملفت للانتباه الإقبال المكثف على الكروبيين فبعد أن أدمجت بتابوت العهد، نسجت على ستائر الخيمة التي اتخذها موسى عليه السلام هيكلًا امتثالا لأمر الرب**،⁽⁵⁾ فضلا عن اعتمادها في زخرفة جدران هيكل سليمان حيث جعلت كوحدة زحرفية.⁽⁶⁾

وكما أسلفنا سابقا أن الكروبيين ليست بوليدة الثقافة اليهودية بل مستمدة من نظيرتها الآشورية فمن المتفق عليه أن الملوك الآشوريون زينوا مداخل قصورهم بتمائيل ضخمة لحيوانات مجنحة برؤس آدمية تتباين هذه الأخيرة بين الثيران والأسود.⁽⁷⁾

(1) حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي...، ص54.

(2) سفر الملوك 1: 4-6.

(3) أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق القديم، الطبعة الأولى، آشوربانيبال، بغداد، العراق، 2005م، ص22.

* لقد ورد في سفر الخروج مايلي: "وأنا أجمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبيين الذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنيا"، أنظر: سفر الخروج 25: 22.

(4) سفر الخروج 26: 18-20.

** جاء في سفر الخروج مايلي: "وتصنع حجابا من أسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم. صنعة حائك حاذق يصنعه بكروبيم"، أنظر: سفر الخروج 31: 26.

(5) نفسه.

(6) سفر الملوك 6: 33.

(7) نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط القديم قبل الاسلام، دار المعارف، مصر، د.ت، ص164.

اعتمد على الكروبيين بغية التأثير على الزائر وإشعاره بعظمة ملوك آشور كما هو الحال في قصر الملك سرجون* حيث ازدان مدخله بحيوانات خرافية ضخمة نحتت على الحجر فتباينت بين الأسود والثيران المجنحة.⁽¹⁾

كما استغلت في حراسة في المعابد، إذ تم العثور في مدينة تشادوم (شادوب) تل حرمل شرقي بغداد على معبد يتضمن حجرة مستعرضة تليها باحة مستطيلة المسقط تقضي الى مصلى أمامي مستعرض يليه مصلى آخر رئيسي مزود بمحراب وتحرس المدخلين تماثيل أسود مجنحة من الطين المشوي.⁽²⁾ وفيما يتعلق بتجهيزات "قدس الاقداس" أي مذبج القرابين ومنضدة التقدمة، فقد تم استوحاؤها من المعابد الآشورية، وفقا لما عثر عليه في "معبد عشتار" في آشور بـ "حجرة الإله" أو "بيت الرئيس".⁽³⁾ وهذا ما ينطبق على السلميين الجانبيين للهيكل المفضيين للطابق العلوي حيث تم اقتباسهم من "معبد تل العبيد" الآشوري.⁽⁴⁾

* نسج حول مولده وطفولته العديد من الأساطير وفقا لما جاء على لسانه: "أن أمه كانت كاهنة وأبوه متجولا أنجبته في مدينة أزوفيرا، وتخلت عنه بعد ذلك فوضعت في صندوق ورمته في النهر حمله ساقى واتخذ ولدًا، وعينه بستانيا..". عمل كساقى لدى ملك مدينة كيش، ثم أقام حكما جديدا في مدينة جديدة تعرف بـ"أكادا" أو "أكده"، إمتدا نفوذه إلى منطقة الخليج، حيث أن سفن ملوفا (عمان) وتلمون (البحرين) كانت ترسو في ميناء عاصمته، كما امتدا على حساب المدن الواقعة على طول "نهر الفرات" واجزاء مهمة من إيران كبلاد "علام" آخر غزواته دام حكمه لـ 56 سنة انقضت بوفاته، انظر:

طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الوراق للنشر، بيروت، 2009م، ص 398.

(1) نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص 164.

(2) خزعل الماجدي، "المعتقدات الأمورية"، عن: سلسلة التراث الروحي للانسان، العدد السادس، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر

والتوزيع، عمان، 2004م، ص 111.

** تعد عشتار ضمن أشهر الآلهة عند السوماريين والبابليين، يطلق عليها السامريون إسم "نني" أو "ننا"، ولها مكانة سامية من بين مجموعة الآلهة البابلية، كونها وصيفة الإله "أنوا" قبل أن تصير زوجته، ومن ثم صارت تعبد بجانبه في معبده في "الوركاء"، وعلى الإجمال تعد كالهة للحب والشهوة واللذة والحرب، تسمى أحيانا بـ "بغي الآلهة" تبعا لعقدها صلات غرام كثيرة مع البشر والحيوانات، حيث تسببت لمعظم عشاقها بالموت أو الفناء كالاله "تاموز"، وخصت لها العديد من المعابد بداية في مدينة "أورككا" ثم "أور" و"كيش" و"بابل" و"أكد" و"آشور" و"كالح" و"نينوى" و"أربل"، أنظر: طه باقر، "ديانة البابليين والآشوريين"، عن: مجلة سومر، العدد الثاني، الجزء الأول، مطبعة النفيس الأهلية، بغداد، 1946م، ص 24.

(3) أسامة عدنان يحي، المرجع السابق، ص ص 23، 24.

*** يعود تاريخ تأسيسه إلى الطور الثالث لعصر السلالات، والجدير بالذكر أن هذا الأخير بعد فترة زمنية من تشيده أصابه حريق وتدمير، حيث سقطت أعمدته ولم يبق منه إلا الدكة التي شيد فوقها والذي كان يرتقي إليه بسلمين من حجر، أنظر: طه باقر، مقدمة في...، ص 302.

(4) نفسه، ص 302.

واننا نرجح أن الحوض النحاسي المحمول على إثني عشر ثور المتواجد بصحن الهيكل ينبع من عمارة بلاد الرافدين كونه شبيها لما يعرف بـ"الخران" أي "بسو" الملحق بمعابدها،⁽¹⁾ ورد ذكره في النصوص المسمارية التي تعود للعصر البابلي القديم والحديث حيث جاء فيها مايلي: "حوض الماء المقدس يظهر معبد الآلهة، حوض الماء المقدس ينظف معبد الآلهة، حوض الماء المقدس يجعل معبد الآلهة متألقا".⁽²⁾

إلا أننا نعجز عن تحديد فترة ظهوره ومن المؤكد أنه يعود لعهود غابرة، تسليما لما تم الكشف عنه في أريحا*، فقد عثر على عدة مبان تقوم على حجرة واحدة يتوسطها حوض وبها ما يشبه المذبح، يرجح أنها معابد تعود إلى فترة الفخار.⁽³⁾

المتخصص لهذا الأخير نجده يقوم على زخرفة حيوانية تجسدت على هيئة "ثور" والسؤال الذي يتبادر للأذهان لما تم الاعتماد على هذا الأخير دون غيره؟

من المتفق عليه أن "الثور" في الميثولوجيا الرافدينية يرمز للخصوبة منذ عصور ما قبل التاريخ تبعا لتلك الدلائل الحجرية المنحوتة على شكل رأس ثور، بالإضافة للأواني الفخارية التي حملت تصاوير لرأس الثور يعود تاريخها إلى أربعة مئة سنة قبل الميلاد،⁽⁴⁾ استمرا تداوله وتقديسه فيما بعد وتم ادماجه مع آلهة أخرى.

(1) أولبريت وليم، آثار فلسطين، ترجمة زكي اسكندري ومحمد عبد القادر محمد، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971م، ص115.

(2) أمل عبد الله أحمد، "الأواني الطقسية والنذرية في معابد العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، عن: مجلة التربية والعلم، المجلد عشرون، العدد الرابع، جامعة الموصل، 2013م، ص129

* مدينة كنعانية تعرف حايا بـ"تل السلطان" قامت فيها العديد من التتقيبات منذ عام 1867م إلى غاية 1952م، توصلت إلى عدة اكتشافات كالمنشآت السكنية التي تعود إلى الألف السابع وهي الأقدم في التاريخ فضلا عن معبد ومذبح يرتقي إلى العصر الحجري الحديث فضلا عن مدافن جماعية تعود إلى العصر البرونزي الوسيط وغيرها، أنظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص73.

(3) رولان دوفو، "بنو اسرائيل مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم"، ترجمة عبد الوهاب علوب، عن: سلسلة الدراسات التاريخية، العدد الثاني وأربعين، الجزء الأول، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2010م، ص534.

(4) هاله عبد الامير محسن، "المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين"، عن: مجلة الجامعة المحكمة، العدد الثاني، جامعة الإمام جعفر الصادق، العراق، 2014م، ص36.

كالاله "بعل" حيث ظهر رفقة الثور والصاعقة وتم وتبجيله عبادته فأقيمت له معابد في بابل واشور،⁽¹⁾ وكذلك في مصر حيث أقبلوا عليه وقلدوه إله عرف بـ "منيفس" وضموه لعبادة الشمس في معبد الشمس في تل العمارنة⁽²⁾.

المتخصص لنصوص العهد القديم يجد ورود لفظة "البعل" أي بعل في صيغة الجمع، في أكثر من موضع من جملتها ما نص عليه سفر الملوك الأول إذ ورد فيه مايلي: "بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعل،.. أنبياء البعل ..، وأنبياء السواري^{***}.. "،⁽³⁾ ومن تم نستشف أن بني إسرائيل زاغوا عن التوحيد وعكفوا على عبادة آلهة أخرى، وظلوا على ذلك مما اثارا غضب الرب فسلط عليهم العذاب تسليما بما جاء في سفر القضاة حيث نص على مايلي: "وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في الرب، فشدد الرب عجلون ملك موآب على إسرائيل، لأنهم عملوا الشر في عيني الرب"⁽⁴⁾

واننا نرجح الإقبال على الثور الحيوان المقدس للاله "بعل" كونه رمزا للخصوبة وبمأن الفكر الإسرائيلي متشعب بالأفكار الوثنية القادمة من بلاد الرافدين ومصر، تمسك بهذا الأخير وقده لدرجة أنه

* بعل بمعنى الرب أو السيد أو الزوج يعد ضمن أكبر الآلهة الكنعانية وهو ابن الاله "إيل" وزوج الآلهة "علة" أو "عشيرة" أو "عات" أو "عشروت" ويعرف بـ "الاله هدد"، وهو اله المزارع ورب الخصب في الحقول وفي الحيوانات والمواشي، وقد ولع أهل المشرق بعبادته حتى أنهم كانوا يقدمون له الذبائح البشرية، وقد عكفوا على عبادته منذ عهود غابرة ومن تم تعددت مسمياته تبدا كلها غالبا بلفظة "بعل" كبعل حمون المعبود القرطاجي، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص 126، 127.

(1) تقي الذباغ، "آلهة فوق الأرض"، عن: مجلة سومر، العدد الثالث والعشرون، الجزء الثاني، بغداد، العراق، 1971م، ص 105.

** شهدت الديانة المصرية خلال فترة حكم إمنحوتب الرابع تغييرا جذريا إذ دعى إلى الوحدانية، واتى بدين جديد بجل فيه اله فتى يعرف بـ "أتون"، نددا بالاخلاص له، وزعم أن "أتون" يكمن في تلك الطاقة التي تشعها الشمس، ولأءا لمعبوده غير إسمه إلى "أختاتون" أي "أتون راض"، وغير عاصمته من "طيبة" التي كانت مخصصة لعبادة "الاله أمون" إلى "أختاتون" التي تعرف اليوم بـ "تل العمارنة"، وشيدا فيها المعابد ومن بينها معبد الشمس لتقديس إلهه، ولم تتسخ ديانة أتون وتهجر تل العمارنة إلا بعد وفاته سنة 1357 ق م، أنظر: هاشم عبود الموسري، موسوعة الحضارات القديمة، الطبعة الأولى، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، 2013م، ص 55.

(2) أولف أرمانة، الديانة في مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحمد انور شكري، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص 51.

*** مفردا "ساري" يقصد بذلك عشيرة خليفة الاله يهوه.

(3) سفر الملوك الأول 18: 19.

(4) سفر القضاة 13: 2.

أُقرن بـ"يهوه" وفقا لما كشفت عنه التنقيبات بموقع أجروود إذ عثر على معبد صغير متضمن لنقوش متفرقة تذكر أسماء الآلهة إيل وبعل ويهوه.⁽¹⁾

على ما يبدو أن هذا الأخير يندرج ضمن معابد الخصب التي تكرر لاقامة طقوس الخصب الكنعانية التي جرت اقامتها في أواخر عهد المملكة اتي ذكرها على لسان النبي حزقيال*، حين صرح قائلا: "صنع شيوخ بني إسرائيل تمثالا ضخما نصبونه عند الجهة الشمالية من باب المذبح، وعلقوا على جدران قدس الأقداس من الداخل صور ووضعوا تماثيل، قدموا بخورهم أمامها، وعند باب الهيكل الشمالي نسوة جلسات يبكين على موت الاله تموز، وبين الرواق الداخلي والمذبح هناك خمسة وعشرون كاهنا يسجدون للشمس".⁽²⁾

وإن اردنا استخلاص التأثيرات الفرعونية المصرية من الهيكل، فإنها تتسق لنا جليا في تلك الزخارف النباتية التي حليت بها جدرانها، حيث تجلت في كل من "براعم النباتات" و"النخيل". ولقد شاع الإقبال على الزخرفة النباتية القائمة على زهرة الاقحوان وزهرة البردي والعنب وسعف النخيل بالاضافة لبراعم النباتات في العماائر المصرية، وغالبا ما تتخذ على هيئة اشربة زخرفية او أعمدة أو افايز، وحتى تيجان.⁽³⁾

فقد تم الاعتماد في معبد الأقصر** على تيجان ذات زخرفة نباتية قائمة على مجموعة من براعم النباتات،⁽⁴⁾ وكثر استعمال الأعمدة المقتبسة من شكل النخيل.⁽⁵⁾

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، الطبعة الثالثة، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، 2003م، ص204.

* سنتطرق اليه لاحقا حين نتناول ضريحه.

(2) سفر حزقيال 8: 11_5.

(3) محي الدين طالو، المشهور في فنون الزخرفة عبر العصور، د.ط، د.ت، ص41.

** شيد معبد الاقصر على يد "الملك امنحوتب الثالث" على ضفة النيل الشرقية في طيبة، خصص لعبادة نالوث طيبة الذي يتالف من: "أمون"، "راع"، و"موت"، وابنهما "خنسو"، يعد من أجمل المعابد بناء والأحسن حفاظا، وهو يمثل لنودجا لمخطط المعابد المصرية، انظر: محمد أنور شكري، العمارة في مصر القديمة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، مصر، 1970م، ص199.

(4) نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص99.

(5) نفسه، ص89.

لو سلمنا جدلا بما ورد ذكره آنفا كيف نفسر الحضور الدائم والمتكرر لشجرة النخيل على الأختام الإسطوانية منذ بواكير الحضارة الرافدية القديمة، رفقة الإلهة "إينانا" أي "عشتار" في مشاهد تبدو أنها تصور سهل أيدن*، مما يعزز القناعة في أن النخيل هو أبرز وأهم الأشجار في بلاد سومر، وأكثرها إحتراما وتقديسا وتبجيلا، ومن تم نسلم طوعا أنه تأثير رافديني لا محال.⁽¹⁾

وكما سبق ذكره آنفا أن الفكر الإسرائيلي** كان متشعبا بمعتقدات بلاد الرافدين ومصر وبرز لنا التأثير المصري جليا عند التطرق إلى تابوت العهد المتضمن لألواح الشريعة فهو بمرتبة الناموس عند المصريين.

فمن المتعارف عليه أن فرعون هو اله ومن تم لا يحق لغيره أن يلمس أو يقترب من الناموس غيره ولا يطلع على الشعار الموهوب الحافل بالأسرار إلا هو لا غير ومن تم فهو بمثابة التابوت الذي لا يلمسه إلا الكاهن.⁽²⁾

وأخيرا ننتقل إلى التأثيرات الكنعانية الفينيقية والتي نستشفها من خلال تخطيط الهيكل حيث نجد أنه شيد على الطراز الفنيقي، فهو شبيه لذلك المعبد الذي عثر عليه في موقع حزور (تل قادش) بفلسطين حيث تضمن نفس التقسيم الثلاثي الذي يقوم عليه الهيكل إلا أن سعة الصحن فيه أضيق من الأجزاء الأخرى، كما ازدان صحنه بعمودين أيضا لم يبق منهما إلا قاعدتان من حجر البازلت.⁽³⁾

يعرف هذا النمط عند علماء الآثار بنمط المعبد السوري التناظري يقصد بذلك المعبد الذي يقوم على: مدخل مفتوح على الباحة يكتنفه من الجانبين عمودان يحملان سقف المدخل، غالبا ما يفتح على قاعة خارجية تقضي بدورها على قاعة رئيسية، يليها المحراب أو قدس الأقداس وهي عبارة عن قاعة داخلية ترتفع قليلا عن الأرضية تفصل عن القاعة الرئيسية بحجاب في جدارها الجبهي ينتصب تمثال الإله.

* يقصد بذلك جنة عدن التوراتية وقد تم اقتباسها من مصادر رافدينية، أنظر: عزت السعداني، "جنة عدن"، عن: مجلة تحقيقات، العدد مئة وثلاثة وعشرون، 1998م، ص 17.

(1) عبدالأمير الحمداني، "صورة النخلة في المعتقدات الرافدينية"، عن: مجلة الآداب السومرية، العدد: الرابع، السنة الثانية، العراق، 2009م، ص 7.

** هو الاسم البديل لنبي الله يعقوب بن اسحاق، وعرف بها ابناؤه بأبناء يعقوب ولما صار اسمه إسرائيل سموا بالإسرائيليين أو بنو إسرائيل، و"إسرائيل" لفظة عبرية يقصد بها يصرع الله أو يجاهد الله، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص 51.

(2) جوستاف لوبون، المرجع السابق، ص 89.

(3) أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 104.

شاع انتشار هذا النمط في بلاد الشام فيما بين أواسط الألف الثاني وأواسط الألف الأول قبل الميلاد.⁽¹⁾ إذ كشفت التنقيبات في بلاد الشام حتى الآن على أكثر من عشرون معبدا بني وفق هذا النمط في كل من تل الطعينات*، ألالاخ(تل العطشانة) وعين دارا** وكركميش*** على الفرات الأعلى، ومجدو**** وحاصور***** وشكيم (شرق نابلس) وبيت شان (تل الحصن) في فلسطين.

يبيد معبد عين دارا المشيد خلال الفترة الممتدة ما بين 1300 ق م _ 1000 ق م،⁽²⁾ شيها واضحا بهيكل سليمان عليه السلام مما أفاد في كشف بعض الغموض الذي حل بأوصاف الهيكل ومن جملتها الرواق الخارجي المحيط به والذي يتألف قسمه الأعلى من طابق أو أكثر يحتوي على غرف علوية جانبية،⁽³⁾ امتثالا لما ورد في سفر الملوك الأول إذ جاء فيه مايلي: "...وعمل غرفات في مستديرها"⁽⁴⁾

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم ...، ص ص85، 87.

* منطقة كنعانية في الجليل بالقرب من مجدو، كشفت التنقيبات على آثار تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، تجلت في ألواح مسمارية، وأغراض تتعلق بشعائر العبادة وأدوات فخارية، أنظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص275.

** موقع أثري على بعد 16 كلم من بلدة عفرين شمالي حلب، يعود الى مطلع الألف الأول قبل الميلاد، عثر فيه على معبد كسيت جدرانه بألواح ضخمة مزخرفة بنقوش ناضرة منحوتة على النمط الفن الحثي المتأخر، أنظر: نفسه، ص230.

*** عاصمة الحثيين الشرقية تقع غربي نهر الفرات وشمالا مكان التقائه بساجور، تميزت بموقعها التجاري هام مما مكنها من دفع جزية كبيرة للملك أشورناصربال سنة 885 _ 860 قبل الميلاد، استولى عليها رجون سنة 717 قبل الميلاد، سقطت بسقوط الدولة الحثية، سميت في العهد الروماني بـ"كركيسيوم" وتعرف حاليا بـ"جرابلس"، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص598.

**** حصن في سهل يزرييل على بعد 33 كلم جنوبي حيفا يعرف حاليا بـ"تل المتسلم" يشرف هذا الأخير على الطريق المؤدية من مصر الى سورية مما اكسبه أهمية خاصة، اتى ذكره في احد المراسلات التي عثر عليها في تل العمارنة تعود الى القرن 14 ق م، استولى عليه النبي داوود أثناء حكمه وجعل منه النبي سليمان عليه السلام مدينة للعربات والخيول، تراجع شأنه بعد وفاة الملك يوشيا سنة 609 ق م، أنظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص774.

***** مدينة كنعانية تقع في الجليل الأعلى تعرف حاليا بـ"تل القدح"، وردت في نصوص مصرية تعود الى القرن 19 قبل الميلاد، دلت الحفريات على انها ترتقي الى حوالي سنة 2600 قبل الميلاد، ضمت الى مملكة يهوذا أيام القضاة، تم تحصينها أيام النبي سليمان عليه السلام الا انها دمرت على يد الحاكم بيلاصر الثالث الأشوري سنة 732 قبل الميلاد انتعشت أيام الحكم الفارسي وظلت الى العصر الهلنستي وحتى المكابي، أنظر: نفسه، ص ص337، 338.

(2) محمود حمودة، الديانة السورية خلال عصري البرونز الحديث والحديد 1600 ق م _ 333 ق م، طباعة مطابع الهيئة العامة السورية

للكتاب، دمشق، سوريا، 2014م، ص 245.

(3) فراس السواح، تاريخ أورشليم ...، ص87.

(4) سفر الملوك الأول 6: 5.

ظل هذا الأخير غامضاً إلى غاية اكتشاف معبد عين دارا المكرسة للاله "بعل"، فالطابق السالف الذكر التي في مستديره هو نفس الرواق الخارجي لمعبد عين دارا والتي تدل سماكة جدره الخارجي على أنه كان يحمل طابقاً علوياً أو أكثر يضم بدوره على غرف لانستطيع إلا التكهن بوظيفتها،⁽¹⁾ ومن غير المستبعد أن تتخذ أحداها للخلوة وأخرى للنذور بالإضافة لحجرات الذبح وفقاً لما ذهب إليه الباحث "أبو عساف".⁽²⁾

فضلاً عن السمة المشتركة بين المعبدتين فإن الباحث "John Manson" بعد دراسته المفصلة لمعبد عين دارا صرح قائلاً: "بأن ثلاثة وثلاثين تفصيلاً من أصل خمسة وستين تفصيلاً مذكوراً في وصف هيكل سليمان تتطابق مع مخطط وديكورات ومنحوتات معبد عين دارا".⁽³⁾

وفيما يتعلق بالمذبح الخارجي الذي يعلو الهيكل نرجح اقتباسه من تلك المذابح الكبيرة التي كانت تقام في العراء أو على مداخل المدن بغية تقديم القرابين الحيوانية أو البشرية تبعاً للتقاليد الكنعانية الفينيقية التي عرفت انتشاراً في المدن الفينيقية.⁽⁴⁾

وعلى رأسها قرطاج حيث ألحق بمينائها مذبح يعرف بـ "مذبح سلامبو" * والذي كانت ترتفع عليه عدد لا يحصى من النصب،⁽⁵⁾ وهو شبيه بـ "مذبح بيت حنون" بأورشليم.⁽⁶⁾ وبعد أن قمنا بإبراز جلّ تلك التأثيرات التي حملها هيكل سليمان عليه السلام، نتساءل هنا ما هو الدافع وراء إلحاقها به؟

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم...، ص 88.

(2) علي أبو عساف، آثار الممالك القديمة في سورية 8500 ق م إلى 535 ق م، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988م، ص 331.

(3) فراس السواح، تاريخ أورشليم...، ص 88.

(4) خزل الماجدي، "المعتقدات الكنعانية"، عن: سلسلة التراث الروحي للإنسان، العدد الخامس، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2001م، ص 241.

* أي سلامبيل وهو إسم لموقع يقع في قرطاج جرت فيه الحفريات سنة 1944م واستمرت إلى غاية سنة 1947م، عثر فيه على معبد تانيت وفخريات وجرار ومرامد، يعود المعبد إلى ما قبل تأسيس قرطاج وقدر بالآلاف الثانية أو بداية الألف الأول قبل الميلاد، أنظر: عبد المنعم المحجوب، معجم تانيت، الطبعة الأولى، دار الكتاب العالمية، بيروت، 2013م، ص 127.

(5) خزل الماجدي، "المعتقدات الكنعانية..."، عن: سلسلة التراث الروحي للإنسان، العدد الخامس، ص 241.

(6) مادلين موريس ميدان، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، 1981م، ص 81.

واننا لنرجح أن العلة تكمن في الاستعانة باليد العاملة الأجنبية وعلى رأسها اليد الفينيقية،⁽¹⁾ نظرا لنقص الخبرة فاليهود لا يفقهون في الفن أو العمارة.⁽²⁾

كونهم رعاة والدليل على هذا أنهم خلال خروجهم من مصر رفقة موسى عليه السلام زاولوا هذه المهنة طول فترة التيه، كما أنهم اتسموا ببساطة الفكر لذا لم يول الجانب الديني اهتماما فلم يشيدوا المباني المقدسة، ولم يوثق ماجرى في التيه إلا روايات شفوية قيدت بعد العودة من السبي البابلي.

واكتفوا باتخاذ الخيام مساكن لهم وخيمة الاجتماع معبدا لأداء شعائهم الدينية، بعد أن كانوا قبلا يتعبدون في منازلهم، ففي التيه تمسكوا بتأبوت العهد حيث كانوا يحملونه معهم عند ترحالهم.⁽³⁾

وخلال هذه الفترة مال بنو إسرائيل إلى التوحيد تبعا لاحتكاكهم بالقبائل البدوية التي كانت على معرفة تامة بـ"يهوه" فقد ذكرت المصادر العربية أن القبائل العربية في الجاهلية اعتنقت التوحيد وخير دليل على ذلك أنها كانت تهلل في الحج مرددة: "لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، هو لك فبملكه ومملك".⁽⁴⁾

انشغل بنو إسرائيل في التيه في الصحراء وبعدها قاموا بالتوغل على حساب جيرانهم فشنوا حروبا وصراعات من أجل اثبات وجودهم واتسمت طول فترة حكم سيدنا داود عليه السلام بالنزاعات وعدم الاستقرار.*⁽⁵⁾

(1) سفر الملوك الأول 5:1-6.

(2) جوستاف لوبون، المرجع السابق، ص 25.

(3) فون باجوت جلوب، المرجع السابق، ص 106، 141.

(4) فراس السواح، لغز عشتار، الطبعة الثامنة، دار علاء الدين، دمشق، 2002م، ص 363.

* سبقتها فترة القضاة وهي الفترة التي زحف فيها بني إسرائيل على المدن المجاورة مستغلين ضعف الحكام، وخلال هذه الأخيرة تم تعيين ولاول مرة في تاريخ بني إسرائيل حاكما يقودهم ألا وهو "الملك شاموئيل" الذي خاض صراعات مع المؤيدين والعموميين وسمح لبني إسرائيل دخول أرض كنعان، ورد ذكره في سفر صموئيل الأول فجاء مايلي: "واخذ شاول الملك على إسرائيل وحارب جميع أعدائه حواليه مواب وبني عمون وأدوم وملوك صوبة والفلسطينيين وحيثما توجه غلب"، قتل على يد الفلسطينيين خلفه بعد ذلك النبي داود عليه السلام، أنظر: سفر صموئيل الأول 47:14.

(5) إبراهيم مالمات، المرجع السابق، ص 204، 216.

إلى أن أستعيدا الأمن والسلم في عهد سليمان عليه السلام وبسطت الخيرات وعمت بني إسرائيل* وذلك بفضل سيطرته على طرق التجارة الرئيسية التي تربط أرام النهرين وسوريا ومصر،⁽¹⁾ بالإضافة إلى ربطه لعلاقات تجارية مع ملك صور**.⁽²⁾

ونظرا للمستوى الرغد الذي وصل إليه بنو إسرائيل أرادوا مضاهات الأمم المجاورة لهم فعزموا على تشييد الهيكل وبما أنهم ليسوا بأهل صناعة أو فن، اهتموا إلى جلب الصناع من المناطق المجاورة وتبعا للعلاقة الطيبة التي تجمعهم مع ملك صور طلبوا منه إرسال عماله لبناء الهيكل المنشود،⁽³⁾ وأمهر الحرفيين لزخرفته***⁽⁴⁾ بالإضافة لمواد البناء كخشب الأرز والسرور والذهب.⁽⁵⁾

فالمتمحص لنصوص العهد القديم يجد اسهابا في وصف النقوش والصور التي ازدان بها الهيكل، والمتمثلة في كل من: الثيران والاسود بالاضافة للكروبيم والنخيل وبراعم زهور كذلك. امتثالا لما ورد في سفر الملوك الأول حيث نص على ماييلي: "...وعلى الأتراس التي بين الحواجب أسود وثيران وكروبيم...الأسود والثيران قلائد زهور، ونقش على ألواح أياديها، وعلى أتراسها كروبيم وأسودا ونخيلا...وقلائد زهور....".⁽⁶⁾

* ورد في سفر الملوك الأول ماييلي: "وقد أعطيتك أيضا ما لم تساله غنى وكرامة حتى أنه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل ايامك"، انظر: سفر الملوك الاول 13:14.

(1) إبراهيم مالمات، المرجع السابق، ص 217.

** ورد في سفر الملوك الأول ماييلي: "وأعطى سليمان عشرين ألف كر حنطة طعاما لبيته، وعشرين كر زيت ارض، هكذا كان سليمان يعطي حيرام سنة فسنة"، انظر: سفر الملوك الأول 11:15.

(2) نفسه.

(3) سفر الملوك الاول 5: 1_6.

*** ورد في سفر الأخبار الثاني ماييلي: "ابن امرأة من بنات دان، وأبوه رجل صوري ماهر في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجارة والخشب والأرجوان والأسمانجوني والكتان والقرمز، ونقش كل من النقش، واختراع كل اختراع يلقي عليه، مع حكمائك وحكماء سيدي داود أبيك"، انظر: سفر الأخبار الثاني 2: 14.

(4) نفسه.

(5) سفر الملوك الاول 11:5.

(6) سفر الملوك الاول 1: 29_37.

وكما أسلفنا سابقا أن هذه العناصر الزخرفية مستوردة من حضارات مجاورة كبلاد الرافدين ومصر إلى أنها صيغت بأيادي فينيقية تبعا للاقبال عليها في الزخرفة فالأسود نحتت باتقان جعلت لحمل تابوت الملك حيرام*⁽¹⁾ والثور جسدا في مشهد جداري تزيني بقصر ملكي بماري** يصور كاهنا يحمل أضحية وإلى جانبه ثور صغير،⁽²⁾ اما الكروبيم فألحقت بختم اسطواني داخل دبوس ذهبي بغطاء من ايبلا*** يظهر ستة رجال كل اثنين متقابلين بعض برؤوس أسود وأحدهم برأس طير والوسطان لهما أجنحة مرتفعة إلى الأعلى وكل واحد فيهم يحمل آلة بيده اليسرى وجميعهم يحملون أسود من أرجلهم وهم يتدلون إلى الأسفل وبين الشخصين الذين على اليمين والذين على اليسار زهرة لها أحد عشر ورقة زهرية،⁽³⁾ والجدير بالذكر أن الزخارف الزهرية ذات الأسلوب المحدد مثل الدوائر الزهر وفروع الزهر المنحنية اتخذت في زخرفة معبد بعلبك.⁽⁴⁾

وفيما يتعلق بالنخيل وجدت بـ"لوحة تنصيب الملك زمري-ليم" ففي مشهد يمثل حفل طقسي يظهر فيه الملك رافعا يده اجلالا للآلهة عشتار بتاجها ذي القرون المسطحة وهي تحمل أسلحة متدلاة من كتفها ويحيط بمجمل المشهد آلهات شقيقات يحملن الماء بالإضافة إلى رسوم كائنات الحماية وفي المشهد أشجار تحمل ثمارا وأشجار نخيل ينطلق من قمة إحداها طائر أزرق بينما يتسلق البشر جذوعها، رسمت أشجار النخيل بتفاصيل دقيقة أقرب ما تكون إلى الطبيعة.⁽⁵⁾

نستشف مما سبق براعة الفنان الفينيقي في التقليد والتحوير لذا اوكل اليه مهمة الاشراف على زخرفة الهيكل ومن تم تشبع بزخارف فينيقية صرفة، وكفى اشادة نصوص العهد القديم بذلك.

* وجد بالمقبرة الملكية بـ"بيبوليس" يعود إلى القرن 1 قبل الميلاد، أنظر: نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص 129.

(1) جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ريا الخش، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1998م، ص 63. ** تقع بالفترات الأوسط، عرفت من خلال ماجاء عنها اللوائح الملكية لبلاد ما بين النهرين باعتبارها مقر سلالة الملكية بعد الطوفان وما ورد من تلميحات في اسمها في النصوص السومرية والبابلية وما عثر عليه من لقي في أماكن مختلفة، أهمها قصر ملوك ماري يعود الى الالف 3 ق م ، أنظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 174.

(2) أمل ميخائيل بشور، الحضارة السورية القديمة، الطبعة الأولى، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2017م، ص 190. *** أو "عبلا" بمعنى الصخرة البيضاء أو الصلبة والعلة في ذلك قيامها فوق ارض بيضاء من النوع الكلسي، تعرف حاليا بـ" تل مردوخ"، دلت الحفريات على مرورها بستة أطوار تاريخية، أنظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 174.

(3) خزل الماجدي، "المعتقدات الأمو..."، عن: سلسلة التراث الروحي للانسان، العدد السادس، ص 101.

(4) ج. كونتو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 2001م، ص ص، 199، 200.

(5) أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص 190.

واننا نرجح أن تخطيطه وتشبيده أوكل إلى عامل فينيقي كذلك تبعا لبساطته، نستدل في ذلك بتلك المعابد البسيطة التي عثر عليها في "بيبلوس" * المؤرخة بسنة 1900 ق.م،⁽¹⁾ بالإضافة إلى "معبد الاله بعل" بمدينة "أوغاريت" ** المشيدة في القرن 14 ق م، حيث لا تدل عمارته على تقدم فن العمارة.⁽²⁾ وهذا ما أكدته الأبحاث الأثرية التي تناولت المستوطنات الفينيقية بالحوض البحر المتوسط فعند تمحيص علماء الآثار لهوية معابد فينيقية أخرى، منتشرة في كل من مالطا وصقلية *** بـ"موتيا" وفي منطقة باليرمو (مغارة ريجينا).⁽³⁾

* طبقا لما أطلقه اليونانيون عليها بعد أن حوروا إسمها الفينيقي "بعلت جبال" ليتقلص هذا الأخير ويصبح "جبيل" عند العرب، حضيت "بيبلوس" أو "بعلت جبال" بأهمية دينية حيث عدت كمركزا هاما لعبادة "الالهة عشتار"، إكتسبت هذه الشهرة من تلك الأساطير التي تزعم أن المدينة بنيت على يد "الاله ايل"، فالجدير بالذكر أن أهميتها الدينية لا تقل عن أهميتها التجارية، فقد نشطت فيها تجارة البردي والخشب خاصة خشب الأرز، مما سمح لها بربط علاقات تجارية مع جيرانها، أنظر: محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1994م، ص ص 132، 133.

وفي سنة 1961م تم التنقيب في أنقاض معبدها المحروق المشيد خلال مطلع الألف الثالث، وجدت به مجموعة من قرابين أصلها مصري وعليها تواريخ متضمنة في خراطيش فرعونية، بالإضافة إلى فأس وخنجر ذهبي وتمائيل جصية مطلية بالميना، وبفضل الحفريات تمكن علماء الآثار من كشف سبب أفل نجمها إذ يكمن في ذلك الحريق الذي نشب بها في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد مستدلين في ذلك بتكلس أحجار معبدها بفعل الحرارة المرتفعة النابعة من الحريق، أنظر: نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص 78.

(1) نفسه، ص 115.

** أو "أوجاريت" أي "راس الشمر"، أشتق إسمها من "أوجار" بالسومارية، و"أوكار" بالفارسية، و"عقار" بالعربية بمعنى رقعة الأرض، جاء ذكرها في الوثائق المصرية والحيثية وغيرها، إنطلقت الحفريات بها منذ 1929م الى غاية 1939م، حيث كشفت على قبور وفخار وتمائيل صغيرة وعظام حيوانية فضلا عن نصوص دونت بلغات متباينة كالأكادية والمصرية و الحيثية وغيرها، بالإضافة إلى وثائق ملوك أوغاريت عثر عليها سنة 1953م إشتملت على رسائل لملوك حثيين وغيرهم تعود إلى سنة 1500_1400 قبل الميلاد، وفي سنة 1200 قبل الميلاد خربت المدينة وعدت في طور النسيان، أنظر: نفسه، ص 83.

(2) نفسه، ص 115.

*** كشفت الأبحاث الأثرية على بقايا أثرية ذات طابع فينيقي بالقسم الغربي للجزيرة، من أهم مدنها "موتيا" دلت البقايا الأثرية بها أنها تعود الى القرن 8 قبل الميلاد كما كشفت البقايا الفخارية الشبه القائم بينها وبين فخار مدينة الميناء القديمة مما يدل انهم قدموا اليها من شمال سوريا، وكذا بالمثل في ملطا يعتقد أن إسمها سامي "مالط" بمعنى هرب، عثر فيها على قبور فينيقية يحتمل أن تعود الى القرنين 9 و 8 قبل الميلاد، أنظر: محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 89، 90.

(3) فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994م، ص ص 117، 118.

بالإضافة لسردينيا* في مواقع عديدة، كما هو الحال في نورا وفي رأس سانت انيوخو بالقرب من ثاروس** حيث عثر على معبد أزلي يتألف من ثلاثة عناصر أساسية جعلت على التوالي: رواق، صالة وسطى، غرفة المذبح، فضلا عن معبد آخر وجدا في جبل سيراى المرتفع يعود الى القرن 4م وهو على نفس النمط ومن تم نستدل أنه سيمة من سيمات فن البناء الديني الفينيقي،⁽¹⁾ الذي تعود أصوله للنمط المعبد السوري التناظري المشتق من معابد الخصب الكنعانية***.

ومن تم نستخلص أن العمارة الدينية لم تصقل على يد الفينيقيين بل ضلت امتدادا طبيعيا للثقافة السورية، تبعا لعدم الاهتمام بها على غرار العمارة المدنية وعلى رأسها القصور وخير دليل قصر الملك سليمان عليه السلام.⁽²⁾

هذا فيما يتعلق بالبناء أما الأعمال النحاسية فانها من سبك فنان صور،⁽³⁾ اتسم بالمهارة والتفاني في العمل لذا أوكل إليه الملك سليمان عليه السلام جل الأعمال.⁽⁴⁾

وإذا سلمنا بما سبق ذكره أنفا نتساءل كيف بالتأثيرات الفنية الآشورية والمصرية تتغلغل إلى الهيكل؟ فمن المرجح أن بني إسرائيل عند تشتتهم وخضوعهم للسلطة الأجنبية كانوا قد احتكوا بشعوب وحضارات ولعوا بها وعند اتخاذهم للهيكل مركزا للسلطة والسيادة السياسية أرادوا مجاراتها في العمارة والفن. وبحكم عجزهم عن ذلك استعانوا بالفينيقيين حيث أوكلت إليهم مهمة البناء ولذا جاءت التأثيرات بارزة ومحتشمة فهي لا تضاهي فخامة وضخامة معابد الأمم السالفة.

* دلت الدراسة الأثرية التي أجريت في هذه الأخيرة على أن ركنها الجنوبي يشتمل على عدة مستوطنات فينيقية من أبرزها مدينة نورا التي تتمتع بأهم ميناء عثر المنقبون الآثريون بها على بقايا أثرية من بينها نصب تذكاري مزدان بكتابة فينيقية ثبت بعد فك رموز كتابتها بأنها تعود الى نهاية القرن 9 قبل الميلاد، وهي بذلك معاصرة لتشييد مدينة قرطاجة، أنظر: محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 87.

** لازلت التنقيبات قائمة بها تبعا لغناها بالبقايا الأثرية الفينيقية، اعتقد الباحثون بأن التواجد الفينيقي بها يعود الى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، بيذا أن الاكتشافات الأثرية تغند ذلك فضلا عن غياب الكتابات التاريخية، الا أن من المتفق عليه أن الفينيقيين كانوا قد ربطوا علاقاتهم التجارية مع شعوب ايطاليا عند مطلع القرن 8 قبل الميلاد، أنظر: نفسه، ص 87.

(1) فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص 118.

*** عثر في كل من بيت شان ولخيش المفترض انطوائهما تحت سلطة المملكة الموحدة على معابد الخصب الكنعانية فضلا عن رموز آلهة الخصب وجدت في كل من مكان من المستويات الأركيولوجية التي تعود إلى القرن 10 قبل الميلاد، مما يوحي بانتشار هذه العبادة المتأصلة بالثقافة الكنعانية، أنظر: فراس السواح، تاريخ أورشليم...، ص 88، محمود حمودة، المرجع السابق، ص ص، 173، 192.

(2) سفر الملوك الأول 7: 12_1.

(3) رولان دوفو، "بنو اسرائيل مؤسساتهم..."، ترجمة عبد الوهاب علوب، عن: سلسلة الدراسات التاريخية، العدد الثاني وأربعين، الجزء الأول، ص 529.

(4) سفر الملوك الأول 7: 13_14

وما كان اختيارهم للفينيقيين هباءاً فمن المتعارف عليه أن الفينيقيين متأثرون بالثقافة الفنية المصرية والآشورية بحكم موقعهم الجغرافي فضلاً عن علاقاتهم التجارية، وقد اتسمت عمائرهم بالجمع بين هذين التيارين وهذا ما يبرز جلياً في الهيكل الذي طمس من الوجود على يد تيتوس وتشتت القوم في مختلف الأمصار، ومن ثم اهتموا إلى اتخاذ المعابد أي المجمع اليهودية بدلاً من الهيكل وتعود فكرة نشوئها إلى فترة التهجير البابلي، ويبدو أن اليهود كانوا يجتمعون للصلاة في هذه الأماكن تبعاً لما ورد في الكتابات اليهودية.⁽¹⁾

ففي البداية اتخذت كمكان للتجمع لغرض تلاوة التوراة مع حشداً من المؤمنين، ثم تبلورت الفكرة ليصبح مكاناً للصلاة ودراسة وتلاوة التوراة على مسامع المؤمنين،⁽²⁾ إذ يعد ظهور المعبد مرحلة تحولية في الجانب الديني ففيه أُمست عبادة الرب مباشرة بدون وساطة، وانحصرت العبادة فيه في الصلاة وقراءة التوراة بدلاً من تقديم القرابين*، فغالباً ما يتم تشييد المعابد في الأماكن المرتفعة، تتخذ الشكل المستطيل، تتجه صوب الهيكل أي بيت المقدس، تفتح في جدرانها العديد من النوافذ وتحلى بالزخارف الفنية، وينال الجدار الأساسي المتجه نحو بيت المقدس بأهمية خاصة من الناحية الفنية.

ومن أبرز التجهيزات التي تلحق بالمعابد نجد "تابوت العهد" الذي كان يوضع في البداية في حجرة جانبية ثم إنتقل إلى قاعة المعبد، وفي فترة من الزمن كان يوضع بجوار واجهة القاعة التي تعرف بقُدس الأقداس،⁽³⁾ ليستبدل بعد ذلك بفجوة في مقدمة المعابد تغطيها ستارة ثم أصبحت عبارة عن دولا ب تابثا تعرف بـ "تابوت لفائف الشريعة" توضع فيه اللفائف عوضاً عن ألواح الوصايا العشر.

وهي أكثر الأشياء قداسة في المعبد تقابل قدس الأقداس في الهيكل، ويتم تجهيز المعابد من الخارج بحوض بغية استغلاله في غسل اليدين قبل الشروع في الصلاة.⁽⁴⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 326.

(2) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية....، ص 56.

* كان الكاهن يقوم كل صباح بتنظيف ضريح القرابين من الرماد ثم يزكي النيران وبعد ذلك يقوم بتقديم قرابين جديدة مكونة من حمل وخبز ومشروبات وغالباً ما يذهب الكاهن الأعظم إلى البهو المقدس بغية تنظيف الشمعدان وإحراق البخور على مذبح البخور ويقدم قربان خبز الوجه عند الغروب وهكذا دواليك وفي يوم الغفران كان الكاهن يدخل إلى قدس الأقداس ويتلفظ بالإسم يهوه بغية الإتصال بين الكاهن والرب، أنظر: عبد الله المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1999م، ص 270.

(3) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية....، ص 56.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 327.

3.2. دور المعبد:

يعتبر المعبد أو "الكنيس" أو "البيعة" دارا للصلاة وللدراسة وللإجتماع، فهو مقر الطائفة حيث تجتمع فيه للتباحث في شؤونها الدينية والاجتماعية وغالبا ما كانت تنشب صراعات حول الطقوس،⁽¹⁾ وفيه تبرم عقود الزواج والطلاق والبيع وينظر في الشكاوي وتتخذ القرارات بعد أن تتم دراسة القضايا المعروضة في الأسبوع المنصرم ومن ثم تصدر من المحكمة أي "بيت دين" بعد أن يتم المصادقة عليها ويعلن عنها فيه.⁽²⁾

ومن جملة هذه القرارات نذكر "قرار الحرمان" الذي خص الجماعة المعارضة لقرارات الطائفة المصادق عليها داخل المعبد من قبل المجلس والمعلن عنها عن طريق التكانوت. يفرض هذا الأخير المقاطعة الدينية والاجتماعية والفكرية للفرد المعارض إذ يتم عقابه بعزله عنهم حيث لا يسمح بالتقرب منه أو مشاركته في عمل ما أو الأكل من خبزه أو الشرب من نبيده، وهو معفى من خدمات المعبد ويمنع من الولوج اليه.

وفي المعبد يتم جمع الجزية والضرائب، فضلا عن دفع الرسوم الدينية على إستهلاك اللحم والنبيذ،⁽³⁾ وعن هسبرج نقلا عن نجوى طوبال صرح بأنه: "قد جرت العادة عند اليهود جمع مساهمات خيرية في فترات منتظمة من السنة ومنها تلك الضرائب المفروضة على تجار المواد الغذائية التي لا يستهلكها إلا اليهود كالرغيف والنبيذ واللحم اليهودي، وقد خصص يوم في السنة لشراء المأكّل المتمثل في القمح وآخر لشراء الملابس وآخر لدفع ديون فقرائهم وفي عيد الفصح كانوا يحرصون على إقتناء اللحم والنبيذ للجميع حتى يتمكن كل من فقرائهم وأغنيائهم من الاحتفال على حد سواء".⁽⁴⁾

تبعاً لجل هذه الوظائف التي يؤديها المعبد دعت الضرورة إلى إلحاقه بمنشآت متباينة أدمجت به وأمست جزءاً لا يتجزأ منه تتجلى هذه الأخيرة في كل من: المحكمة والمدرسة للتلقين الديني للكبار أي "بيت مدارش"، فضلا عن قاعة للاحتفالات وصالات للاجتماعات وأخرى للزواج، وقاعة أخرى لجمع الصدقات والنذور والهبات، دون غض النظر عن حمام للطهارة والوضوء.

(1) M.Eisenbeth, Les juifs en Algerie et en ..., extrait de R.A1875,tom XCVI, n° 431_433, Alger, 1952, p132.

(2) H. Zafrani, Les juifs du Maroc, vie sociale,économique et religieuse, Paris, 1973, pp 132,136.

(3) M.Eisenbeth, Les juifs en Algerie et en....., extrait de R.A1875,tom XCVI, Alger,1952, pp131,132.

(4) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص148.

غالبا ما كان الأبحار يحثون بني جلدتهم بالإقامة بالمدن التي تتوفر على الحمامات، وتبعا لتطور الحياة ضمت إليه بعد ذلك حبرات للاستراحة المسافرين والتجار زودت هذه الأخيرة بالخدمات الضرورية.⁽¹⁾

4.2. النظام الداخلي للمعبد:

أ.الناجد: أي "شيخ اليهود" أو "الرئيس"،⁽²⁾ أو "القائد"،⁽³⁾ أو "المقدم" كما هو متداول في وثائق المحاكم الشرعية* لمدينة الجزائر.

يعين من طرف الداي،⁽⁴⁾ أو من طرف البايات فيما يتعلق بالبيالك ويراعى عند اختياره أن يكون ثري وذو نفوذ ليصبح اهلا للمنصب،⁽⁵⁾ وهذا ما أكدته شالر حين صرح قائلاً: "ان منصب رئيس الطائفة اليهودية إنما يحصل عليه صاحبه بالرشوة والتآمر وهويمارس وظيفته بقمع واططهاد يساوي ما ينفقه من المال والجهد للاحتفاظ به".⁽⁶⁾

ومن تم لم يكن المقدم في مأمن في منصبه فغالبا ما تحاك حوله السدائس والمؤامرات حيث ينقلب عليه ويفصل ليخلفه ألد أعدائه، ولذا نجد معظم الشخصيات التي تقلدت المنصب تميزت باليقظة والبداهة والمكر بغية الحفاظ على المنصب،⁽⁷⁾ فيما جرت العادة سابقا أن يراعى في اختياره أن يتمتع بالنزاهة والتوسع في أمور الدين وملما بالكتب المقدسة.⁽⁸⁾

(1) عطا أبو رية، المرجع السابق، ص258.

(2) حاييم زعفراني، ألف سنة ...، ص126.

(3) A.Chouraqui, Le saga des juifs ..., p132.

* ورد في وثيقة تعود الى بيع ملكية "دار بن ضوء" مؤرخة بتاريخ 1166هـ الموافق لـ 1752م_ 1753م جاء فيها مايلي: "شهد به الذمي يوسف مقدم اليهود ابن ابراهيم اليهودي"، انظر: علبة رقم 9 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم وورد في وثيقة تعود الى بيع ملكية "دار بن معطي" مؤرخة بتاريخ 1197هـ الموافق لـ 1782م_ 1783م جاء فيها مايلي: "شهد به عن نفسه انه باع... من الذمي جلابي بن معطي مقدم اليهود"، انظر: علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 27، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

وورد في وثيقة تعود الى بيع ملكية "دار النخلة" مؤرخة بتاريخ 1177هـ الموافق لـ 1763م_ 1764م جاء فيها مايلي: "شهد به عن نفسه الذمي عقيبات مقدم اليهود"، انظر: علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 59، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(4) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص48.

(5) Ab.Cahen, Op.Cit, p75.

(6) وليام شالر، المرجع السابق، ص91.

(7) Ab.Cahen, Op.Cit, p76.

(8) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص43.

ويجدر الإشارة إلى أن منصب "الناجد" أو "النكيد" استحدث خلال العهد الفاطمي في مصر* ويرجع ظهوره في المغرب الإسلامي إلى النصف الأول من القرن الخامس الهجري والعاشر ميلادي،⁽¹⁾ فقبل ذلك كانت جماعة اليهود تخضع لسلطة "الأخبار الديانيم" المعينين من قبل رأس الجالوت في العراق.⁽²⁾ يتمتع المقدم بجل الصلاحيات الدينية والاجتماعية،⁽³⁾ فهو الوسيط بين الطائفة والسلطة الحاكمة لذا يسعى جاهدا إلى حفظ مصالح وحقوق بني جلدته،⁽⁴⁾ ومن تم قلدا وظيفة الشرطة لتسقط عنه بعد ذلك وتقوم كوحدة خاصة عرفت بـ"شرطة الطائفة اليهودية" أديرت تحت رئاسته.⁽⁵⁾ كما تسند إليه مهام جمع الضرائب والجزية والغرامات التي تفرض على أفراد طائفته، وهو مكلف بالتطبيق الحرفي لقرارات مجلس الطائفة التي يتأهه غالبا فضلا عن قرارات المحاكم الرببية.⁽⁶⁾ وله الحق في تعيين الحاخامات والقضاة والموظفين، واتخاذ مساعدين له،⁽⁷⁾ وعلاوة على ذلك يحظى بامتيازات تجعله فوق القانون.⁽⁸⁾

وفيما يتعلق بمنصب المقدم بمدينة الجزائر نجد أنه أمسى منصبا متوارثا بين أفراد العائلة وخير دليل حكر المنصب على عائلة الحاخام "سيمون سماح بن دوران" لستة أجيال متتالية، لتفقد المنصب بعد ذلك، ثم تعود لاسترجاعه بعد انقضاء 71 سنة، حيث تولى أحد أفرادها وهو "دابيد بن دوران" منصب مقدم للطائفة.

* من المرجح أنه بعد تولى الفاطميين دفة الحكم في مصر قطعت علاقة يهود مصر الخاضعين للسلطة الفاطمية بيهود العراق الموالين للخلافة العباسية من تم التجيء الى خلق منصب رئيس الطائفة ليتولى شؤونها، انظر: نفسه، ص43.

(1) نفسه، ص43.

(2) عطا أبو رية، المرجع السابق، ص268.

(3) M.Eisenbeth, Les juifs en Algerie et en ..., extrait de R.A1875,tom XCVI, n°431_433, Alger,1952, p130.

(4) حاييم زعفراني، ألف سنة، ص126.

(5) E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous...», In: Journal asiatique n°240,1952, p207.

(6) Ab.Cahen, Op.Cit, p76.

(7) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص49.

(8) حاييم زعفراني، ألف سنة، ص126.

أطلق عليه أفرادها لقب "المنجد والظاهر العفيف"، على الرغم من ذلك لم يبق فيه إلا شهور معدودة ففي سنة 1806م أقاله الداوي أحمد باشا*.

وبما أن المنصب متاح لأهل الجاه والمال أمسى مقتصرًا على العائلات الثرية بالمدينة ومن ثم عدا بؤرة صراع وتنافس فيما بينهم، تتمثل هذه الأسر في كل من: عائلة دوران، عائلة بوشعرة، عائلة بوشناق أي بوجناح، عائلة بكري أي بكري. (1)

ب. مجلس الطائفة:

يتكون من النخبة المثقفة بغية تسيير شؤون الطائفة ومن تم يختار من بين الأعضاء "الأخبار الرسميين" أي "حزيم" والقضاة أي "ديانيم"، وهم أصحاب الأمر والنهي في الأمور الشرعية، بالإضافة إلى "الأعيان"، فغالبا ما يسيطر هؤلاء على الطائفة فيحلوا لهم ما لا يحل لغيرهم. (2)

ففي مدينة الجزائر يتضمن مجلس الطائفة أربعة أعضاء من أبرزهم "المقدم" المعين من طرف الداوي، (3) أما الأعضاء الآخرون فيرشحون من قبله كونه المسؤول الأول عن الطائفة ومن تم يحق له تعيين مساعديه بغية تسيير مهامه. (4)

واننا نرجح أن الاختيار يقع على الحاخامات تبعا لتلك التكانوت التي كانت تصدر من المجلس والتي تسعى في مجملها إلى تطبيق تعاليم التوراة والتلمود والتمسك بالتعاليم والتقاليد والعادات اليهودية وأصدق دليل الرسوم الدينية لمستهلكي اللحم والنبيذ وقانون الحرمان الذي سبق التطرق إليه سابقا.

وكانت تسند إليهم مهمة جمع التبرعات والصدقات وتوزيعها، (5) فضلا عن الضرائب وتسيير البيع والمؤسسات الدينية، (6) ولإتمام المهام على أكمل وجه يتم الاستعانة بأعضاء آخرين وهم:

* تولى الحكم سنة 1220 هـ الموافق لـ 1805م_1806م دامت فترة حكمه ثلاثة سنوات إتسمت بالعديد من المناوشات والفتن سواء الداخلية والخارجية عرف عنه تعطشه لدماء المسلمين، مما تسبب في مقتله وذلك رميا بالرصاص في منتصف رمضان سنة 1223 هـ الموافق لـ 1808م_1809م، أنظر: أحمد شريف الزهار، المرجع السابق، ص 95، 98.

(1) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 134، 135.

(2) حاييم زعفراني، ألف سنة ...، ص 125.

(3) E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous... », In: Journal asiatique n°240, 1952, p207.

(4) عائشة غطاس، الحرف والحرفيين...، ص 49.

(5) الهادي روجيه ادريس، المرجع السابق، ص 422.

(6) حاييم زعفراني، ألف سنة.....، ص 125.

مقدم الشهر: يتولاها عضوان من المجلس يعرفون بـ"مقدم الشهر" يقومون بدراسة القضايا الطارئة والمستعجلة، فيتخذون القرارات الحاسمة في أقرب وقت، دون انتظار موعد انعقاد المجلس الطائفة الشهري،⁽¹⁾ ومن بين مقامي الشهر الوارد ذكرهم في وثائق المحاكم الشرعية نذكر:

الذمي يوسف مقدم اليهود ابن إبراهيم اليهودي،⁽²⁾ الذمي عقوبات مقدم اليهود،⁽³⁾ الذمي جلابي بن معطي مقدم اليهود.⁽⁴⁾

الجزبار: يتولاها أربعة أعضاء ينحدرون من أسر ثرية وذات نفوذ يتقلدون المنصب لمدة سنة كاملة، تسند إليهم مهمة الإشراف على موارد ومصارف البيعة فضلا عن تغطية حاجيات فقراء الطائفة من مأكّل ومأوى وملبس أثناء الأعياد الدينية انطلاقا من عيد روشهاسناه.⁽⁵⁾

وفي حالة ما عجز صندوق تبرعات الطائفة من تغطية احتياجات أفرادها يلجؤون إلى التبرع باثنين أو ثلاثة آلاف ريال مقابل الحصول على اللقب الشرفي "حياكف" مدى الحياة.

الجباي: يتم توكيل أربعة أعضاء للمنصب يرشحون لمدة سنة كاملة، مكلفين بإقتناء مستلزمات الدفن والأموات، مع الإشراف على موكب الجنازة انطلاقا من منزل الفقيد إلى غاية مدخل المقبرة، بالإضافة إلى تغطية تكاليف دفن الفقراء منهم.⁽⁶⁾

الشابر: تسند إليه مهام الإشراف على الدفن والزواج معا،⁽⁷⁾ وينتقى لهذا المنصب أربعة أعضاء يمنحون لقباً شرفياً، يشرعون في مهامهم عندما تدخل الجثة المقبرة فلا يعودون أدراجهم إلا بعد أن توارى التراب أما فيما يتعلق في الزواج فانهم مكلفون بإيصال العروس اليهودية إلى بيت زوجها.⁽⁸⁾

ويجدر الإشارة أن مجلس الطائفة خضع خلال القرن الثامن عشر للهجرة والرابع عشر ميلادي إلى القوانين الحاخامية القشتالية وانتشر في جل المدن الكبرى والساحلية كمدينة فاس ومكناس بالمغرب الأقصى، وتلمسان، وهران، ومليانة فضلا عن مدينة الجزائر بالمغرب الأوسط، بالمقابل نجد أن المدن

Ab.Cahen, Op.Cit, p76.

(1)

(2) علبة رقم 9(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم

(3) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 59، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(4) علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 27، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous...», In: Journal asiatique n°240,1952, p207.

(5)

Ab.Cahen, Op.Cit p79.

(6)

E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous...», In: Journal asiatique n°240,1952, p207.

(7)

Ab.Cahen, Op.Cit, p79.

(8)

الصحراوية والداخلية تقوّعت على نفسها ولم تتقبل التغييرات واكتفت بالمحافظة على التقاليد التلمودية والحقوق الموسوية عرفت بـ"الميفورشم" وهي بذلك تختلف عن نظيرتها "التوشابيم".

ويرجع الفضل في ذلك إلى الحاخام "إسحاق بن شيشات برفات" و"سيمون بن دوران سماح" اللذين تمكنا بجدارة على إدخال القوانين الحاخامية القشتالية بالمجلس الجماعة بمدينة الجزائر.⁽¹⁾

ج. المحاكم الربية: تعرف بـ"بيت دين" أي "دار العدالة"،⁽²⁾ تتضمن لثلاثة قضاة أي "ديانيم" وهي مستقلة عن سلطة المقدم حيث أنها تحت قيادة الحاخامات فحرصوا على تطبيق تعاليم الشريعة الموسوية بحذافيرها وعاقبت كل من يخالفها.⁽³⁾

ومن هنا دعت الضرورة إلى هجرها والإقبال على المحاكم الإسلامية، وهذا ما أدى إلى استهجان حاخاماتها لهذا التصرف واتخاذات الإجراءات اللازمة وعلى رأسهم "سيمون بن سماح دوران" حبر مدينة الجزائر الذي سارع إلى سن قوانين تعسفية بغية الحد من هذه الظاهرة، إلا أنه لم يفلح بل زاد الطين بلة.⁽⁴⁾

تسند إلى المحاكم الربية الإشراف على الشؤون الخاصة بالمواليد والوفيات والزواج والطلاق والميراث وجل ما يخص الأحوال الشخصية.⁽⁵⁾

كما تفصل في النزاعات القائمة بين أفراد الطائفة وتترفع عن ذلك إن كان النزاع قائما بين أفراد الطائفة والأهالي أو الأتراك، وهذا ما جرى حين نشب صراع بين مسلمين مالكي دار بأسفل سوق السمّن وشركاء يهود لمحل تجاري ملاصق لهذه الدار، تبعا لخلفهم للشرط الذي وضعه مالك الدار والذي ينص على ضرورة الزيادة في علو الجدار الفاصل بين الدار والمحل في حالة ما تم البناء فوق هذا الأخير، ومن تم رفعت القضية الى المحكمة المالكية، وفقا لما نصت عليه الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1135هـ الموافق لـ1722م-1723م جاء فيها مايلي: "الحمد لله هذه نسخة رسمين اثنيين ..للحاجة إليهما والتوثيق بهما الضرر الشركة...بالمحكمة الملكية من بلد الجزائر المحمية..حضر لدى شهيده شركاؤهم أحمد الانجشاري ابن الحاج محمد والذميون وهم شالوم...ابن شمعون اليهودي، وموشي بن علواش اليهودي و...كشيش اليهودي وموشي بن حفون ويوسف بن هارون كوهين..على ان الشركة

A. Chouraqui, Le saga des juifs ..., pp120,122.

(1)

(2) حاييم زعفراني، ألف سنة، ص128.

E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous...», In: Journal asiatique n°240,1952, p207.

(3)

M.Eisenbeth, Les juifs en Algerie et en ..., extrait de R.A1875,tom XCVI, n° 431_433, Alger,1952, p131.

(4)

E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous...», In: Journal asiatique n°240,1952, p208.

(5)

تقررت بينهم في جميع الدار الكاينة أسفل سوق السمن بسوق عطاري اليهود المقابلة لسكة غير نافذة المجاورة...بحكم تقديم لما عليهم من شركائهم المذكورين في الرسم أعلاه يليه جميع هواء النصف بن الحائط المشترك بينهم من جميع الحانوت اللصيقة للدار المذكورة على أن يقرر البايعون المذكور بحائط القرية المذكورة جزء إن أرادو بناء فوق حانوتهم المذكورة وانهدامه فيكون بناء عليهم من مالهم الخاص بهم وذلك يحدث البايعون...أوائل قعدة خمسة وثلاثين ومائة وألف.⁽¹⁾

وكذلك إن تعلق الأمر بجنحة أو خيانة فإن المحاكم الربية تتبرأ منها وتوجه إلى المحاكم الإسلامية،⁽²⁾ ويختص الداي بتحديد نوع العقوبة سواء بقطع الرأس أو الشنق أو الحرق حيا ولكن في الآونة الأخيرة أصبح العقاب الشائع فرض الأشغال الشاقة على المذنب.⁽³⁾

ومن أبرز القضاة الذين ورد ذكرهم في عقود المحاكم الشرعية نجد كل من: ياسف بن جلاّد معطي،⁽⁴⁾ سميح بن يمين بن دوران،⁽⁵⁾ عمران بن يعقوب بن عمار،⁽⁶⁾ إسحاق بن نطان طيار،⁽⁷⁾ إسحاق بن مرتخاين بن شمويل،⁽⁸⁾ إسحاق بن هارون بلخير،⁽⁹⁾ إسحاق بن مردخاي بلخير،⁽¹⁰⁾ دابيد بن شالومو يعيش،⁽¹¹⁾ يعقوب بن زرحية،⁽¹²⁾ ابراهيم بن ميمون، يعقوب بن شلومو،⁽¹³⁾ يعقوب بن موشي بقاية.⁽¹⁴⁾

يتسق لنا مما سبق ذكره أنفا أن منصب القضاة عند اليهود كان متوارثا شأنه شأن منصب المقدم وخير دليل على ذلك عائلة بلخير التي مارس فردان منها نفس المهنة.

-
- (1) علبة رقم 9(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (2) E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous... », In: Journal asiatique n°240, 1952, p207.
 (3) وليام شالر، المرجع السابق، ص 47.
 (4) علبة رقم 57، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 27، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (5) علبة رقم 10(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 18، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (6) علبة رقم 9 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (7) علبة رقم 2، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 6، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (8) علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (9) علبة رقم 4، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 29، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (10) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 57، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (11) علبة رقم 16(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 228، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (12) علبة رقم 16(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 189، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (13) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 63 (7)، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.
 (14) علبة رقم 49، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 19، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

د.المرتل: أي "حزان" بالعبرية وهو المنشد المكلف بتلاوة التوراة في المعبد وانشاد القصائد الدينية،⁽¹⁾ وهو الإمام الذي يصلى بالناس على حد تعبير القلقشندي،⁽²⁾ وهو المعلم الذي يلقي الأطفال التعاليم الدينية.⁽³⁾

والملفت للانتباه أن منصب الحزان لم يكن قائما خلال العصور القديمة استحدث حديثا بعد هجران اللغة العبرية ومن تم دعت الضرورة لخلق هذا المنصب بغية أداء الصلاة والطقوس الدينية باللغة العبرية.⁽⁴⁾

هـ.الشماس: يؤدي عملا مقدسا إذ يعتبر خادما للجماعة وهو مكلف بتنظيف وحراسة المعبد،⁽⁵⁾ فضلا عن تدريب النشء على الطقوس الدينية، وتدريس التوراة.⁽⁶⁾

يعد كل من الرابي والمرتل والشماس الثالوث المصاحب للطائفة اليهودية دائما وأبدا منذ القرن السادس عشر ميلادي، ويجدر الإشارة إلى أن الشماس يتخذ مساعدين في الطوائف اليهودية الكبيرة.⁽⁷⁾ والجدير بالذكر أن المرتل والشماس يتمتعون بالإعفاء الضريبي فضلا عن تلقيهم مساهمة متواضعة من ميزانية الطائفة، كون أن أجرهم زهيد جدا.

ن.الختان: سبق التطرق إليه سابقا.

و.الشوحيط: أو "الذباح" فضلا عما سبق ذكره آنفا، نشير إلى أن الذباح يتكفل بامداد طائفة اليهود باللحم الحلال "كوشير"،⁽⁸⁾ ولقد ورد في وثائق المحاكم الشرعية ذكر "دار اللحم" الواقعة قرب دار الجرابية،⁽⁹⁾ وسوق الجرابية.⁽¹⁰⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص340.

(2) أبي العباس أحمد القلقشندي، المرجع السابق، ص484.

(3) A. Chouraqui, Le saga des juifs ..., p132.

(4) عبد الله المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص340.

(5) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية....، ص298.

(6) A. Chouraqui, Le saga des juifs ..., p133.

(7) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية....، ص298.

(8) حاييم زعفراني، ألف سنة.....، ص131.

(9) علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 34، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.

(10) علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 17، محفوظة بالأرشفة الوطني ببئر خادم.

يشير دوفو في مخطوطه أنها تقع في حومة البرادعية من اختصاصها إمداد الطائفة بـ"الكوشير"، وأضاف قائلاً: "... تتوفر على طابق أرضي جعل كمخبر، وقد عرفت عند العامة بمجزرة اليهود... ". (1)

أتى على وصفها كاثكارت اسير الداوي في أواخر القرن 12 هـ / 18 م حين تطرق لوصف الحي اليهودي إذ صرح قائلاً: "... في حي اليهود حيث يوجد مذبح الطائفة الذي تتصاعد منه روائح كريهة لا تطاق ". (2)

نالت هذه الدار شهرة واسعة تضاهي بذلك "دار النخلة" إلا أننا لم نتمكن من معرفة جل مالكيها على غرار الذمي "موشي ابن داوود كهين اليهودي" الوارد ذكره في أحد الوثائق المؤرخة في أواسط محرم من عام 1166 هـ الموافق لـ 1752 م - 1753 م، حيث اشارت الى أنه ملك "علو دار اللحم"، تسليماً لما نصت عليه الوثيقة إذ جاء فيها مايلي: "... وبمعرفة الذمي شلوم اليهودي بن الذمي موشي بن داوود كهين اليهودية به عرف معرفة تامة معتبرة شرعا يشهد بأن له مالا من ماله وملكا صحيحا من جملة أملاكه جميع ربع العلوي الكاين بدار اللحم المجاور لعلوي موشي اليهودي جملة أملاكهم السدس الواحد شايعا من جميع العلو الكاين بسقيفة دار اللحم الكاينة قرب دار الجرابية... "، (3) ولقد اتخذت هذه الأخيرة كمعلم لتحديد الملكيات الموجودة بالسوق الكبير سواء دور أو علويات أو حوانيت أو غيرها، امتثالاً لما جاء في وثائق المحاكم الشرعية.

ومن تم نستدل بوثيقتين الأولى تعود إلى أواخر ذو القعدة من عام 1166 هـ الموافق لـ 1752_1753 م ورد فيها مايلي: "... من جميع العلوية الكاينة بسوق الكبير داخل المحروسة الجزائر الذي هو فوق الدكانيين... المجاورة من احدى جهاتها لدار اللحم... ". (4)

أما الوثيقة الثانية فترجع إلى أواسط ربيع الثاني من عام 1166 هـ الموافق لـ 1752_1753 م نصت على مايلي: "جميع الثمن الواحد مشاعا من جميع الدار الكاينة بسوق الكبير قرب دار اللحم داخل المحروسة الجزائر الشهيرة بدار بن ضوة... ". (5)

A. Devoulx, Alge....., p149.

(1)

(2) كاثكارت، المرجع السابق، ص102.

(3) علبة رقم 119_120، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 34، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

(4) علبة رقم 10(1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 1، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

(5) علبة رقم 9(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 9، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

5.2. طرز المعابد:

من المتفق عليه انعدام تواجد طراز معماري خاص بالمعبد يمكن أن نسميه بالمعبد اليهودي فهذا الأخير يختلف بالاختلاف الحضارة الأم التي ينتمي إليها.⁽¹⁾

حيث نجد أن المعابد اليهودية حليت بالطراز الهلنستي حين احتكت بها وخير دليل "معبد دورا او روبوس" * المشيد سنة 565م سلوقية أي السنة الثانية من تولي فيليب العربي *⁽²⁾ تبعا للكتابة التأسيسية الآرامية التي ازدان بها المعبد.

يعتبر هذا الأخير أحد معابد الديانات المكتشفة في الموقع يقوم على باحة تحيط بها ثلاثة أروقة: قسم لرجال الدين وقاعة عبادة مستطيلة المسقط طولها 13،3م وعرضها 7،70م وارتفاعها 7م، فتحت بها بابان أحدهما رئيسي في الوسط يلج اليه المصلون خص للرجال أما الآخر الثانوي خص للنساء.⁽²⁾ حليت الجدران الداخلية للمعبد بلوحات من الفسيفساء موزعة على أربعة صفوف متوازية الصفوف الثلاث العلوية تجسدت في صور أشخاص ومشاهد مقتبسة من العهد القديم جعلت على الطراز الهلنستي بحيث يوجد تناظر بين شخصيات العهد القديم والشخصيات الأسطورية الهلنستية، فضلا عن رسوم للأفلاك والأرواح والرسوم النباتية.⁽³⁾

أما القسم السفلي فهو يختلف عن العلوي بمواضيعه حيث نجد به صورة فهد أو لبؤة وامرأة تمثل إستر البطلة اليهودية.⁽⁴⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص328.

* أكتشف الموقع عام 1920م ثم ترك عرضة للإهمال إلى أن قدمت بعثة دار أوروبيس الغربية السورية لإتمام العمل فيها، أنظر: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص127.

** يعرف بـ "جوليوس مارنيوس" ولد عام 200م في قرية صغيرة عرفت فيما بعد باسمه "فيليبوبوليس"، إنخرط في الجيش وأرتقى من منصب لأخر، حتى أصبح أحد قواد الحرس الإمبراطوري في عهد الإمبراطور "جورديان الاول" سنة 238م، ليقلد بعد ذلك إمبراطورا بعد إنقلاب الجيش على الإمبراطور "جورديان الثالث" وكان ذلك سنة 244م، وبإدارته دفعة الحكم سارع إلى عقد صلحا مع الساسانيين وضرب النقود باسمه بـ "أنطاكيا"، فضلا إلى إدخاله لاصلاحيات وتمكن بجدارة عن رد الاعتبار لمجلس الشيوخ، زال حكمه بعد أن تم الإنقلاب عليه وخيانة قائد جيشه له، حسم مصيره في معركة دارت في "فيرون" الإيطالية سنة 249م إنتهت بموته، أنظر:

بشير زهيدي، الإمبراطور فيليب العربي، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م، ص ص، 92، 93.

(2) سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص127.

(3) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص328.

(4) سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص127.

دون غض النظر عن معبد آخر شبع بالطراز الهلنستي والذي يكمن في المعبد الذي عثر عليه في حمام آل ليف قرب قرطاج يعود إلى العهد الروماني وإلى زمن تخريب تيتوس للهيكل بالتحديد، اشتمل على: رواق من الأعمدة يتقدم قاعة العبادة التي تفتح بدورها على قسم آخر عبارة عن خزانة جدارية واسعة، كانت تستغل لوضع دولا ب لفائف التوراة، كسيت الأرضية بفسيفساء ضمت بدورها كتابة تأسيسية تشير إلى ماهية المبنى وهي في حالة جيدة. (1)

ولقد شهدت حركة البناء وتشديد المعابد انتكاسة خلال الفترة المسيحية، ولكن بعد حركة الفتوح الإسلامية قام أعضاء الجماعات اليهودية بإنعاش هذا المجال، ومن تم شيدت المعابد الفاخرة على الطراز الأندلسي في الأندلس. (2)

ك "معبد سانتا ماريا" أو "كنيس طيلطة" * المشيد سنة 100م بطيلطة، وأعيد بناؤه سنة 1200م على يد "يوسف بن سوسان"، حمل سيمات العمارة الأندلسية إذ جعل تخطيطه المعماري مطابقا لمسجد مدينة الزهراء عند تشييده في البداية، ثم أعيد تحويله عندما أعيد تعميره فطبع بالطابع الموحدى متأثرا بالمساجد الموحدية، وهو خير دليل على انتشار الفن الأندلسي واستمراره على يد الفنانين المدجنين. (3)

يقوم المعبد على: قاعة العبادة ذات مسقط مستطيل قسمت إلى خمسة بلاطات شكلت بفضل بوائك تقوم على دعائم ثمانية المسقط حملت عقود حذوة الفرس، وأعمدة مزدوجة ارتكزت عليها عقود مفصصة بخمسة فصوص، حظيت البلاطة الوسطى، والتي تعرف في المساجد بـ "رواق القبلة" بأهمية خاصة حيث زيدت في مساحتها وأثريت زخرفتها، فتحت بها نوافذ جعلت للاضاءة والتهوية.

D· Cazés, Op.Cit, p23

(1)

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص328.

* حول عند مطلع القرن الخامس عشر إلى كنيسة للنصارى ثم أمسى خلوة للمتسكين ثم ثكنة عسكرية، أنظر:

الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016م، ص361.

يعد كمعبد رئيسي من ضمن تسعة معابد التي كانت بالمدينة، شيد على نمطه معبد الترانستو، أنظر: باسيليو بابون مالدونادو، عمارة المساجد في الأندلس وطليطلة واشبيلية، ترجمة علي إبراهيم منوفي، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، 2011م، ص127.

(3) ارنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، الطبعة الأولى، دار صادر ألمانيا ودار هورست أردمن في هرن ألب، بيروت، 1996م، ص129.

انفرد "معبد سانتاماريا" بالإقبال المكثف على العقود المفصصة سواء ذات سبعة فصوص أو خمسة فصوص مدببة لتشكيل بوائكه، وقد تميزت البلاطة الرئيسية باشتمالها على عقود متباينة منها المفصصة بسبعة فصوص واحداها حذوية (حذوة الفرس)، حملت سقف جملوني من الخشب زين بزخارف مشابهة للعقود التي استخدمت في عمائر إشبيلية خلال عهد الموحدين،⁽¹⁾ ومن تم نستشف أن الفنان المدجن الطليطي، قد متشبع من الفن الإسلامي الأندلسي، والدليل على ذلك تلك التواقيع التي حملها معبد قرطبة والتي تنسب إلى صناع مدجنين من طليطلة تعود إلى عامي "1311م و"1315م".⁽²⁾ ويجدر الإشارة إلى أن الطراز الأندلسي لم يكن حكرا على المدجنين بل امتد إلى كل الأمصار التي تشبعت منه، وأصدق مثال "كنيس دبدوا" بحي الملاح الذي يعود إلى القرن الرابع عشر ميلادي أي بعد طرد اليهود من الأندلس.

تتسق لنا هذه السمات من خلال تمحصنا لصورة الكنيس المنشورة في مجلة ليكسوس الملحقة بمقال الأستاذ "محمد بن دحو" قد اعتمدناها في وصفنا، ومن تم نجد "كنيس دبدوا" يتكون من قاعة العبادة ذات مسقط مستطيل، تقوم على أعمدة تحمل السقف المستوي، اشتمل على أعمدة أسطوانية ضخمة أدمجت بالجدار حملت عقد حذوة فرس.

قسمت الغرفة إلى ثلاثة بلاطات أوسعها الوسطى، ألحقت بها خزانة جدارية خشبية تتضمن دولا بلفائف التوراة، زينت بنجمة داوود حملت بدورها زخرفة كتابية، وضع في مواجهتها منبر خشبي*، وتم فتح نافذة بعقد حذوة الفرس في البلاطة التي تليها، اتخذت للتهوية والإنارة لأن الكنيس صغير الحجم إن لم نقل ضيق، بينما تضمنت البلاطة الأخرى المدخل الرئيسي للكنيس.

عد هذا الأخير مركزا دينيا حيث تقام فيه الصلوات، حفظ فيه سفر التوراة من الحجم الصغير، عرف بـ"سفر توراة زبروا" نسبة إلى كاتبه "الرابي موشي زبروا"، تعلق يهود دبدوا بهذا السفر وأولوه أهمية خاصة إذ أنهم يلجؤون إليه عند المصائب والنكبات.⁽³⁾

(1) باسيلييو بابون مالدونادو، المرجع السابق، ص 125، 133.

(2) أحمد الصاوي، "المعبد اليهودي في طليطلة يشهد على حضارة وسماحة المسلمين"، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد السابع والخمسون والثامن والخمسون، جامعة دمشق، 1996م، ص 87.
* يعرف بـ"بimah" سننطرق إليها لاحقا عند تناولنا للوحدات المعمارية.

(3) محمد بن دحو، "ملاح من تاريخ اليهود بمدينة دبدوا الأثرية": عن مجلة ليكسوس، العدد العاشر، فيفري 2017م، ص 140.

بالإضافة لـ "كنيس الغربية" المشيد خلال فترة السبي البابلي لما لجاء اليهود إلى سواحل شمال إفريقيا، فاستوطنوا جزيرة جربة واستقروا بحي "ديغت" فشيدوا الحارة الصغيرة سنة 586 ق م، ثم معبدهم الذي يعرف بـ "كنيس الغربية" سنة 500 ق م.⁽¹⁾

يتكون الكنيس من قاعة العبادة ذات مسقط مستطيل، تقوم على أعمدة تحمل السقف المستوي، اشتمل على أعمدة أسطوانية حملت عقد حذوة فرس شكلت بائكتين، قسمت الغرفة إلى ثلاثة بلاطات أوسعها الوسطى، ألحقت بها خزانة جدارية خشبية، تضمن دولاب التوراة على لفائف الشريعة جلبت من الهيكل شأنها شأن قوس المدخل الحجري.⁽²⁾

تم فتح نوافذ عديدة به لغرض التهوية والإنارة لأنه صغير الحجم نسبيا فهو ضيق يمتد طوليا، تحيط بقاعة العبادة مقاعد حجرية كسيت بالزليج ألحقت به من ضمن التعديلات كراسي خشبية صفت على جانبيين، شغلت الأساكيب، من الملاحظ تحليلت المعبد بالطراز المغربي وذلك بعد تجديده يتسق جليا في اقواس حذوة فرس والزليج الذي يكسو الجدران.

يجدر الإشارة الى ان "كنيس الغربية" يشتمل على قبو اتى على ذكره ناحوم في كتابه تاريخ اليهود واليهودية في إفريقيا حيث صرح قائلا: "انه خلال اقامة الكنيس الحق به قبو وهذا ما يوحي بتعلقهم بالعبادة في الكهوف".⁽³⁾

واننا لنرجح بأن ذلك القبو يشير إلى اعتناقهم لديانة وثنية فتية تعرف بـ "الميتراية" جلبوها من بلاد الرافدين، فمن المتعارف عليه أن هذه الديانة عرفت انتشارا في بلاد فارس ثم في بابل خلال تولى كورش الحكم سنة 539م حيث تبناها كهنة بابل تبعا لاحتكاكهم بكهنة فارس.⁽⁴⁾

* واننا لنرجح ان لفظ "الغربية" مشتق من لفظة "الغريب" بمعنى الغريب عن الديار وما يرسخ هذا الرأي هو أن جل المعابد المشيدة خلال السبي البابلي، أو بعد الطرد النهائي من الأندلس حملت هذا الاسم وأصدق نموذج معبد الغربية ببسكرة ومعبد الغربية بعنابة، أنظر:

R. Attal, Op.Cit, p149.

V.Assan, « Les synagogues dans l'Algérie coloniale du xIx siècle », In: Archive juive, vol37, 2004, p73.

(1) يوسف بن أحمد الباروني، جزيرة جربة في موكب التاريخ، تحقيق وإعداد يوسف الباروني، د.ط، 1998م، ص12.

(2) Brain, « L'afrique du nord illustrée », In : Journal Hebdomadaire d'actualités nord Africaines Algerie ,Tunisie,Maroc,n°675,Année 1929, p9.

Ibid, p9 .

(4) توفيق وهبي، اليزيدية بقايا الديانة الميتراية، بحزاني للثقافة والنشر، د.ت، ص4.

وبطريقة غير مباشرة امتدت هذه الديانة إلى جربة بحكم التجارة ربما فالموقع الاستراتيجي للجزيرة سمح بتنشيط حركة التجارة، وقد جرت العادة عند اليهود الإقبال على آلهة وثنية متأثرين بغيرهم من الأمم ولعل تعلقهم بالاله "ميترا" * نبع وفقا لورود فكرة الخصوبة.

فالأسطورة تزعم أن الاله ميترا ولد قبل ولادة الاله الثور مما دفع بهذا الأخير إلى الفرار منه ومن تم قام ميترا بذبحه وإراقة دمائه عقوبة له وبفضل دمائه المراقبة تخصب الأرض وتعود إنعاش الحياة،⁽¹⁾ وكما سبق ذكره آنفا أن الثور له مكانة خاصة في الفكر العقائدي اليهودي شأنه شأن الخصوبة. وهناك كنيس آخر صُنع بالصبغة الأندلسية حتى وإن كانت محتشمة تجلت في كنيس الكبير** بتلمسان بحي الصاغة اليهود الذي كان يقوم على قاعة العبادة ذات مسقط مستطيل، شغل جدارها المقابل للمدخل الرئيسي بخزائن جدارية استخدمت لحفظ الكتب الدينية، وأما الوسطة منها خصت لاحتواء لفائف التوراة الملفوفة بقماش فاخر مطرز.⁽²⁾

* يعد من أبرز الآلهة الفارسية كونه اله للشمس والنور حيث يمثل فيه الحق وتغمره الفضيلة التي هي ضد الظلام والظلم، وهو في نظر المؤمنين بطلا مخلصا صور في الكهوف كشاب قوي بزي شرقي وهو ينحر ثوره بكل هدوء، كما أنه صاحب نعم على البشر وشفيعا لهم يوم القيامة أمام رب النور الأعظم أهورامازدا وهو الرقيب والحسيب ومخلصهم من خطاياهم، أنظر: أحمد علي عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان الوثنية القديمة، الطبعة الأولى، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2006م، ص120.

تعتبر الديانة المترائية عبادة ذكورية محضة تغلغت في روما عام 60 ق م، وانتشرت في أرجاء الامبراطورية حيث وصلت الى بريطانيا في القرن 2م فتعلق بها جنود روما، أنظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ...، ص20.

(1) أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص119.

* شيدته الحاخام افرايم عنقاوة لما استقر بالمدينة، تضاربت الآراء في تحديد تسميته فمنهم من يطلق عليه " معبد الغساليين" فيما رأى البعض أنه لا يعرف الا بـ"معبد إفرايم عنقاوة" نسبة لمؤسس الطائفة، تم خريبه قبل الإحتلال الفرنسي للمدينة، فبمجرد أن ولجت إليها في سنة 1842م، قامت السلطات العسكرية بترميمه ووضع لوحة على بوابته، أنظر:

Darmon, «origine et constitution ... », In : R. A. 1870, vol14, p381.

Alfred Bel, Tlemcen et sa région, guide illustré, Le syndicat d'intiative de Telemcen, 1921, p39. (2)

1.5.2. المعابد ذات التخطيط البازيليكي:

حيث خُطت تبعا لمخطط البازيليكا ومن المتعارف عليه أن هذه الأخيرة تقوم على صفوف من الأعمدة تشكل بدورها أروقة يتراوح عددها بين ثلاثة إلى خمسة أروقة، قد تمتد لتشمل سبعة إلى تسعة أروقة مثلما جسد في بازيليكات شمال إفريقيا، يتسم "الرواق الأوسط" بالارتفاع والشساعة مقارنة بالأروقة الأخرى.⁽¹⁾

ومن العناصر الرئيسية التي تقوم عليها البازيليكا نجد "الشرفة" وهي تمثل طباقا ثانيا يعلو الأروقة الجانبية وهي تشرف بدورها على الرواق الأوسط وعلى البازيليكا عبر سلسلة من الأعمدة والدعامات التي تتغلغلها.⁽²⁾

ونظرا للاختلاف القائم بين الطائفة الربانية والقرائية انفردت كل منهما بصيغ دور عبادتها بصيغة خاصة.

ومن تم جاءت معابد الطائفة الربانية شبيهة بالكنائس معتمدة على التخطيط البازيليكي تباينت بين الفخامة والبساطة مثلما جسد في "معبد دموه" بالجيزة* المتسم بالبساطة والشبه بالكنائس القبطية عامة ومعبد القديسين بالفسطاط خاصة،⁽³⁾ على غرار "معبد تركيه" بصقلية** المتسم بالبهاء والفخامة حيث ازدان بالأعمدة والأرضية الرخامية فضلا عن رقائق النحاس التي رصعت بها جدرانه.⁽⁴⁾

(1) أحمد أمين، "العمارة المسيحية المبكرة"، عن: سلسلة الكراسات القبطية، العدد الخامس، مكتبة الإسكندرية، الاسكندرية، مصر، 2015م، ص43.

(2) نفسه، ص46.

* نسجت حول هذا المعبد العديد من الأساطير من جملتها أن النبي موسى عليه السلام أقام في هذا المكان وهو المكان الذي كان يقصده ليرسل منه رسائل إلى فرعون وفي هذا المكان بالذات إستقر فيه نبي الله عليه السلام بعد عودته من مدين حتى خروجه من مصر رفقة بنو إسرائيل.

كما تضاربت حوله الآراء فتارة يذكر المقرئ في خطه أنه شيد بعد أربعين سنة من تحطيم الهيكل وتارة يشير إلى أنه دير مسيحي ابتاعه اليهود واتخذة معبدا وجل الآراء التي قدمت من بعده ايدت هذا الرأي، أنظر: تقي الدين أبي العباس ابن علي المقرئ، المرجع السابق، ص163.

(3) يعقوب لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية 1517م-1914م، ترجمة جمال أحمد الرفاعي وآخرون، المجلس الأعلى للغات، القاهرة، 2000م، ص407.

** سمي بمعبد تركيه نسبة للمرأة الخيرة التي أوقفت أموالها لبنائه وحوار الاسم من التركيه إلى التركية مع مرور الوقت، أنظر: نفسه، ص410.

(4) نفسه، ص410.

دون غض النظر عن "معبد عزرا"^{*} الذي يقوم على قاعة عبادة مستطيلة المسقط قسمت الى ثلاثة أقسام بواسطة صفين من الأعمدة الرخامية، بلغ عددها إثني عشر عموداً، مزدان بتيجان متباينة، محلات بزخارف مختلفة، وضع في الجدار الشرقي منه هيكل تضمن دولا ب لفائف التوراة جعل مرتفعاً عن مستوى أرضية القاعة يصعد إليه بسلم رخامي.

اتخذ الهيكل من الخشب المطعم بحشوات من الصدف والعاج تشكل عناصر زخرفية هندسية إسلامية يعلوها عقدا مزدان باللون الأبيض والأسود جعلت بالتناوب، على جانبيه كتابة عبرية دينية تعلوه لفظ الجلالة "الله" وكذلك الوصايا العشر كتبت بالعبرية.

نجد على جانبي الهيكل غرفتين صغيرتين اتخذت للجباي وكبار الضيوف، وضع أمام الهيكل مصباح يترك دائماً مضاء بالإضافة إلى عدة مصابيح كهربائية وثرثرات نحاسية، وفي وسط القاعة جعلت منصة رخامية يصعد إليها بعدة درجات تدار الصلاة والمواعظ وإلى جوارها نجد لوحة تذكارية رخامية مستطيلة الشكل تضمنت كتابات تذكارية عبرية نصت على أن سيدنا موسى عليه السلام كان يعبد الله في هذا المكان ويصلي ويدعو الله أن ينقذ بنو إسرائيل من بطش فرعون بالإضافة إلى تدوين أسماء المتبرعين.

وفيما يتعلق بالجناح الخاص بالنساء فقط تم خلق فضاء لهن بفضل تلك الشرفة الواقعة في الطابق العلوي يتم الوصول إليها عن طريق سلم خشبي فتح خارج المبنى من الجهة الجنوبية، تطل الشرفة على قاعة العبادة وهي تحيط به من جهاته الثلاث على غرار الجهة الشمالية التي خصت بغرفة مغلقة مفتوحة من الأعلى عدت كمخزن لايداع الكتب والأوراق عرفت بـ"الجنيزا"⁽¹⁾ يجدر الإشارة إلى أن المعابد الربانية تأثرت بالكنائس أو الكتدرائيات.⁽²⁾

* تروي المصادر اليهودية أن مياه النيل كانت تفيض في هذا المكان حيث أنتشل الصندوق الذي وضع فيه النبي موسى عليه السلام وهو صبي التقطته إحدى بنات فرعون، وتكررت كذلك أن سيدنا موسى عليه السلام بعد أن كلف برسالته كان يقف في هذا المكان ويصلي ويدعو الله لينقذ بنو إسرائيل من بطش فرعون، أنظر: محمد خليفة حسن والنبوي سراج، "الجنيزا في المعابد اليهودية في مصر"، عن: سلسلة الدراسات الدينية التاريخية، العدد التاسع، جامعة القاهرة، 1999م، ص133.

(1) نفسه، ص ص137، 138.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص328.

2.5.2. المعابد ذات التخطيط المسجدي:

تتجسد في معابد الطائفة القرآنية المتأثرة بالمساجد الإسلامية حيث جاءت معابدها مشبعة بالملاحم الشرقية فهي شديدة البساطة شبيهة لحد بعيد بالمساجد الإسلامية، إذ أنها تخلو من المذبح حيث تم استبداله بمكان لتلاوة التوراة، وقد جرت العادة أن تحفظ فيها نسخة قديمة وجميلة مزخرفة من التوراة، تحدد لها مكان خاص شأنها شأن كتب الصلاة، ولقد انفردت بخلوها من الكراسي واشتمالها على العديد من الفوانيس الموزعة على نحو المساجد الإسلامية.

وغالبا ما تلحق بحوض يوضع على مقربة منها بغية أن يقوم المصلي بغسل يديه ورجليه قبل الولوج إليها، حيث أنه يخلع حذاءه ويهم بأداء صلاته من ركوع وسجود وجلس على الأرض، ويتم الفصل بين الرجال والنساء حيث جعل للنسوة مكان في الأعلى بعيدا عن نظر الرجال.⁽¹⁾

ونظرا لمكانة السجود عند القرائيين سميت معابدهم بـ"بيت هتشفوت" أي "موضع السجود" أو "المسجد".⁽²⁾

ومن أبرز المعابد القرائية نجد "معبد موسى بن ميمون" بالقاهرة اتخذ المبنى المسقط المستطيل يتقدم قاعة العبادة فناء مكشوف جزء منه فتح في هذا الأخير مدخلان الأول بالجهة الشرقية ويفضي مباشرة لبيت العبادة والهيكل، أما الثاني بالجهة الجنوبية يؤدي إلى ثلاث حجرات.

الأولى عبارة عن "بيت وضوء" فهي تضم حوض جعل للطهارة، يليها الحجرتان الصغيرتان إحداها مخصص لمبيت شخص أو أحد المرضى الذين يترددون على الضريح الملحق بالمعبد، أما الأخيرة فقد اتخذت ضريحا دفن فيه العلامة موسى بن ميمون وهي متصلة بالمعبد بواسطة باب فتح في الجهة الشرقية للفناء، وقد كانت تستغل هذه الغرفة في عهد موسى بن ميمون للتدريس وتعليم أبناء الطائفة الشريفة الموسوية،⁽³⁾ فضلا عن كل من "كنيس ابن شميخ" و"كنيس القرائيين" بحارة الزويلة،⁽⁴⁾ وآخر بالممصوصة.⁽⁵⁾

(1) جعفر الهادي حسن، المرجع السابق، ص 298.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص 328.

(3) محمد خليفة حسن والنبوي سراج، "الجنيزا في المعابد اليهودية ..."، عن: سلسلة الدراسات الدينية التاريخية، العدد التاسع، ص 100.

(4) تقي الدين أبي العباس ابن علي المقرئ، المرجع السابق، ص 162.

(5) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الامصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص 101.

ومن تم نتساءل لما شيدت المعابد الربانية وفقا لمخطط البازيليكاات والكنائس على غرار القرائية التي قامت على خطط المساجد؟

واننا لنرجح أن ذلك يعود إلى فترة بزوغ كل طائفة فالتائفة الربانية بحكم قدمها احتكت بالديانات الوثانية فعرفت معابدها وتأثرت بها، ومن تم أرادت مضاهاتهم وتبعا لعدائها للاسلام كما سبق ذكر ذلك آنفا، لم تسمح بالمؤثرات الإسلامية أن تتغلغل إليها فتقوقعت على نفسها وبقت متمسكة بالبازيليكا ثم الكنائس والأديرة.

على غرار القرائية التي تشبعت بالحضارة الإسلامية وأقبلت عليها، فمن المتعارف عليه أنها انبثقت بين أحضانها فظهرها يعود إلى القرن الثامن ميلادي ومن تم انهالت عليها وصبغت بها فجاءت معابدها شبيهة بالمساجد.

3. المعابد اليهودية في الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال المؤلفات:

من المتعارف عليه أن مدينة الجزائر قد احتضنت الهجرات اليهودية المتدفقة إليها من كل صوب وحذب فاستقروا في المدينة وبفضل الحرية والتسامح الديني الذي منحهم إياه السلطة، تجمعوا في أحياء خاصة بهم وشيدوا معابد لهم لإقامة الشريعة الموسوية.

ومن تم لفتوا أنظار العديد من الرحالة وعلى رأسهم هايدو الذي قدم إلى المدينة سنة 1578_1581م إذ صرح قائلاً: "انقسم اليهود إلى مجموعتين ضم كل حي مجموعة يصل عدد المنازل فيها إلى 150 منزل اجمالاً، انفرد كل حي بمعبد أين يجتمع فيه كل يوم السبت... وقيمون الاحتفالات ويغنون بصوت عال وبدقة (المزامير) العبرية والعديد منهم يقيمون صلواتهم كل يوم فيه"،⁽¹⁾ داعماً لما جاء به دوغرامون الذي عاش في المدينة خلال القرن 9هـ/15م حيث صرح قائلاً :
" أن مدينة الجزائر تشتمل على معبدتين".⁽²⁾

ومن المرجح بأن عدد المعابد لم يتضاعف على الرغم من ارتفاع عدد اليهود بالمدينة إلا خلال القرن 10هـ/16م مما دفع بشوفاليه أن يحتج قائلاً: "على الرغم من أن اليهود عددهم كثير بشكل عام إلا أنهم لا يملكون إلا العدد النزير من المعابد".⁽³⁾

وخلال القرن 11هـ/17م فقد تضاعف العدد ليصل إلى سبعة معابد،⁽⁴⁾ ولعل هذا ما نستشفه من تصريحات لوجي دي تاسي حين ذكر قائلاً: "يوجد بالمدينة 5000 عائلة يهودية ..."،⁽⁵⁾ تنحدر كل منها من موطن وقبيلة وتنتمي إلى طائفة تنفرد بدورها بمعبد خاص بها" وذلك خلال القرن 12هـ/18م،⁽⁶⁾ واستمر العدد في الإرتفاع وتضاربت الآراء في تحديده فقد تراوح بين 10 إلى 11 معبد حسب الإحصاءات التي أقيمت في سنة 1833م.⁽⁷⁾

F.D.Haédo, Topographie et, pp222,226.

H.D De Grammont, Op.Cit, p44.

A. Chevalier, D'envoyé extraordinaire du Roi à la porte, consul d'Alger de tripoli, 1et autre échelles du levant, tome5, Librairie Charles Jean Bastiste Delespine, Paris, 1735, p232.

S. Missoum, Op.Cit, p88.

L.De Tassy, Op.Cit, p74.

Ibid, p292.

E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous... », In: Journal asiatique n°240, 1952, p210.

(1)

(2)

(3)

(4)

(5)

(6)

(7)

وفقا للاحصاء السابق الذكر، يتسق لنا التباين الشاسع بين مختلف تقديرات الرحالة مما يوحي بالمراحل التي مرت بها طائفة اليهود بالمدينة.

فخلال الفترة الأولى نجد أن عدد الوافدين قليلا مما جعل المدينة تتوفر على معبدتين فقط وحيين، واننا نرجح بأن كل حي إختص بمجموعة خاصة فحي اشتمل على "التوشابيم" على غرار نظيره الذي ضم "الميفورشيم" لغرض الفصل بين اليهود البلديين والوافدين. ومع استمرار تدفق الهجرات وتطور المدينة في جل المجالات وتوفرها على الحماية، وحركة الجهاد البحري وتطور النشاط التجاري مما جعلها قبلة لليهود، وبفضل التسامح الديني وحرية التنقل إرتفع عدد اليهود، فضلا عن إحتكاكهم بالحكام وعلاقتهم الطيبة معهم التي سمحت لهم بالتمتع بامتيازات جمة ومن تم اخذوا في التوسع، وإرتفع العدد دواليك إلى أن بلغ عشرة إلى إحدى عشر معبد توزعت على أحياء المدينة.

وكما سبق التطرق إليه سابقا أن اليهود بعد أن تفوقوا في حيين إنفتحوا بعد ذلك واخذوا ينتقلون بكل حرية في المدينة، فأمسى الحي اليهودي يشتمل على معبد واحد أو أكثر فمثلا حي الليفورنيين* تضمن "شنوغة" أي معبد خاص بهم على غرار حي سبع لويات وزنقة الجرابة المتضمنين لأكثر من معبد نظرا للكثافة السكانية بهما،⁽¹⁾ على الرغم من ذلك لم يات على ذكر ذلك بالوثائق حيث لم يتم الإشارة الا لمعبدتين فقط.⁽²⁾

ومن هنا نتساءل لما عزفت الوثائق عن ذكرهم؟، لما لم تتخذ المعابد كمعالم كالمساجد كما هو متعارف عليه في وثائق المحاكم الشرعية؟، واننا نرجح بأنه تعمد الغض عن ذكرها لكي لا تتطبع المدينة على أنها يهودية وتهمش السلطة الحاكمة ويعلى أمر الطائفة على السلطة.

* أي الليفورنيين

A. Devoulx, Alge...,p 150.

T. Shuval, Op.Cit, p160.

(1)

(2)

1.3. دراسة تاريخية لنماذج المعابد:

1.1.3. معبد سبع لويات:

الموقع: يقع بـ "زقة سبع لويات".

تاريخ التأسيس:

من المرجح تشييده أواخر القرن 9/15م ومطلع القرن 10/16م تسليماً بأقدمية الحي الكائن به إذ يعود تواجد أفراد الطائفة به إلى ما قبل سنة 1575م،⁽¹⁾ وقدرت الكثافة السكانية به لما يقارب 2300 شخص سنة 1830م، فالاستيعاب هذا الكم اهتدي إلى تشييد إحدى عشر معبداً من جملتهم "معبد سبع لويات"، خربت كلها سنة 1837م تنفيذاً لمرسوم وزاري صدر في 27 نوفمبر 1833م، ينص على تطوير المدينة وذلك بإنشاء طرقات عن طريق توسيع الشوارع وفتحها على بعضها لخلق فضاءات تسمح للمنارات العسكرية ألحق هذا المشروع بالقسم السفلي من المدينة.⁽²⁾

المؤسس:

نجهل المؤسس الفعلي لهذا المبنى إلا أننا لا نستبعد أن يكون حاخاما فقد جرت العادة أن يقلد الخادم منصب مقدم ويتولى شؤون الطائفة كالحاخام "إفرايم عنقاوة" الذي أقام معبداً بمدينة تلمسان عرف بـ "معبد إفرايم عنقاوة".⁽³⁾

التسمية: عرف بـ "معبد سبع لويات" نسبة لوجوده بهذا الحي العريق.

المعبد من خلال المؤلفات:

أشار إليه شوفال حين تطرق إلى الأحياء اليهودية بالمدينة حيث قال: "يوجد أحياء يهودية في الجهة الغربية لشارع باب عزون وبالخصوص بحي سبع لويات أين يوجد كنيس لليهود...".⁽⁴⁾

T. Shuval, Op.Cit, p205.

V. Assan, «Les synagogues», In: Archive juive, vol37, 2004, pp73,74.

Darmon, «origine et constitution ... », In : R. A. 1870, vol14, p381.

T. Shuval, Op.Cit, p160.

(1)

(2)

(3)

(4)

2.1.3. معبد الكبير أو جامع اليهود:

الموقع :

يقع عند إلتقاء كل من شارع حسين باشا داي وشارع بن عيسى ملايكة، به ثلاثة واجهات الواجهة الرئيسية تطل على شارع ساحة الموحدون، والشمالية على شارع حسين باشا داي أما الجنوبية على شارع عيسى ملايكة .

تاريخ التأسيس:

يخلو المبنى من الكتابة التذكارية على غرار توقيع المهندس المعماري "قيوشان" الذي يحمل تاريخ 1845م جعل لتزيين القبة المركزية للمبنى.

المؤسس:

يذكر دوفو قائلا: " أن المعبد عرف سابقا بمسجد بن فارس تغيرا لما كان يطلق عليه من قبل، حيث كان يعرف بمسجد سيدي الحربي نسبة لأحد الأولياء الصالحين، وتم تغيير التسمية إلى بن فارس نسبة إلى الحي الذي يقيم فيه أندلسي يحمل إسم الحاج علي بن فارس".⁽¹⁾

وهذا ما نصت عليه وثيقة مؤرخة بتاريخ 1151هـ الموافق لـ 1738م_1739م: " الحمد لله يشهد به من يوضع اسمه فيه إثر تاريخه شاهدا بمضمونه وبمعرفة الذمي اليهودي ابن عاشور اليهودي وأن له ملكة من أملاكه جميع الدويرة الصغيرة على يسار الداخل لها التي بوسط الدار الكاينة بزقة بن فارس...بتاريخ أوائل القعدة الحرام عام واحد وخمسين ومائة والـ".⁽²⁾

أخذا هذا المسجد رقم 18 من شارع كاتون ثم صودر بحجة الخراب والاهمال في ديسمبر 1842م، وتم تشييد دار على النمط الفرنسي على جزء من أرضه ثم هدمت وبنيت مكانها كنيسة لليهود وساحة عامة بلاس راندون،⁽³⁾ على يد المهندس المعماري "قيوشان" سنة 1845م.

(1) A .Devoulx, Les édifices religieux de l'ancien Alger, Typographie Bastide,Alger, 1910, p205.

(2) علبة رقم 6، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 2، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(3) A .Devoulx, Les édifices religieux....., p206.

التسمية: عرف بداية عند أفراد الطائفة بالمعبد الكبير منذ يوم تشييده إلى غاية سنة 1914م حيث حول اسمه ليصبح "معبد الحاخام إبراهيم بلوش" ، أما الأهالي فقد أطلق عليه لقب "جامع اليهود" نسبة للطائفة التي كانت تمارس فيه شعائرها، أما حاليا فبعد تحويله الى مسجد أصبح يعرف بـ "جامع بن فارس".

المعبد من خلال المؤلفات:

أتى على وصفه مرسال خلال القرن 13هـ/19م فصرح قائلا: " ازدان المعبد الكبير بمظهر خارجي يوحي بالأناقة والجمال فواجهته الرئيسية يتقدمها سلم واسع من حجر الغرانيت، عدا هذا الأخير موطن للكنوز من جملتها، تلك الثريا المتدلية من القبة المركزية التي تشع منها الأنوار المشرقة التي تضيء رونقا على المظهر، ويمكن أن نبهر من روعة المبنى حين نقف عند القبة المطوقة بكورنيش مزدانة بشمسيات محلات بزجاج ملون في غاية الجمال، فضلا عن المنبر المنحوت بدقة واتقان المكتنف من الجانبين بلوحتين رخاميتين مطعمتين بالبرونز نقشت عليهما أسماء جنود من أفراد الطائفة استشهدوا فداء لفرنسا دون غض النظر عن لوحات أخرى معاكسة لنظيرتها دونت عليها الأعمال الجليلة للطائفة... حمل هذا الأخير سمات الطراز الموريسكي** نلمسه في تلك الأعمدة الرخامية والزخرفة الجصية الشبيهة بالدانتيل فضلا عن المربعات الخزفية ذات المواضيع الزخرفية العثمانية معظمها جلبت من المعابد المخربة. " (1)

* نسبة للحاخام ابراهيم بلوش الفرنسي الجنسية القادم من اقليم الالاز الذي افدى فرنسا بحياته ، أنظر :

<https://www.judaicalgeria.com/pages/patrimoine-historique/synagogues-d-algerie.html>

** يقصد بذلك الفن الأندلسي.

(1) p.Marcel, Alger La casbah, transmit par R.Pastor, extrait de la Revu AFN,n°56, Paris, s.d, p21.

2.3. دراسة وصفية لمخططات المعابد المدروسة:

1.2.3. الطراز المحلي:

1.1.2.3. معبد سبع لويا

الوصف: اتخذ المعبد المسقط المستطيل، قامت قاعة العبادة على أعمدة حلزونية متوجة بتيجان ذات لفائف جانبية تحمل عقود متجاوز منكسر.

كسيت جدرانه بالزليج امتدت الكسوة الخزفية الى السقف المستوي القائم على أوتاد خشبية، جهز هذا الأخير بسدة جعلت للتخزين، تدلت منه ثريات اتخذت للانارة، و للتهوية تم فتح نافذة مستطيلة الشكل مسيجة بقضبان حديدية بأحدى الجدران. (صورة رقم 13)

2.2.3. الطراز الوافد:

1.2.2.3. المعبد الكبير أو جامع اليهود: (مخطط رقم 1)

مقاسات قاعة العبادة:

المعبد الكبير	طول	عرض
الرواق	19,65م	16,90م

مقاسات الأروقة: (مخطط رقم 1)

حجرة الصلاة	طول	عرض
الرواق الشمالي	7,20م	2,80م
الرواق الغربي	7,20م	2,80م
الرواق الجنوبي	7,20م	2,80م

الوصف:

يتكون المعبد الكبير من قاعة عبادة تقوم على فراغ مركزي، غطي بقبة مركزية مثمثة، ولقد تم الاستعاضة عن الحنايا الركنية فقد وضعت القبة المثمثة مباشرة على قاعة العبادة المثمثة المسقط، فتحت بها أربع نوافذ، وزعت بالتناوب على أضلاعها. (صورة رقم 14)

تبعاً للتحويلات التي ألحقت به تم طمس دولا ب الشريعة بالجدار الغربي، من الملاحظ تعدد الخزائن الجدارية بالمبنى فهي تتخذ شكل نوافذ غير نافذة.

نظراً لتحويل المعبد إلى جامع تم فتح محراب بجدار القبلة اتسم بالبروز والمسقط النصف دائري، عقد بعقد مفصص حمل على أعمدة حلزونية ذات تيجان كورنتية استحدثت سنة 1989م، وبذلك تم سد المدخل الرئيسي للمعبد. (صورة رقم 9)

شغل الجدار الغربي والشمالي والجنوبي بسدة خشبية مستحدثة، حملت على عمودين مضلعين حجريين، رعي في صفهما التناظر ومن تم اشتملت قاعة العبادة على ستة أعمدة، عقدت بعقود مفصصة .

3.3. الدراسة التحليلية:

1.3.3. قاعة العبادة:

تميزت المعابد في الجزائر خلال العهد العثماني، باتخاذها غالبا المسقط المستطيل، نفس التخطيط الذي عرفته المعابد في مصر والشام والمغرب الإسلامي والاندلس، فقد استوحته من أماكن العبادة السابقة للإسلام، ففي الغرب الإسلامي انتشرت المسيحية فكانت كنائسهم ذات تخطيط مستطيل.

ولقد تبنت المعابد في الجزائر التخطيط المستطيل، لذا نجد أن عمقها أكثر من عرضها أو العكس، وتم إخضاع المعابد الأولى لهذا التخطيط كمعبد سبع لويات في أواخر القرن 9/15م ومطلع القرن 10/16م، ومعبد الكبير في تلمسان عند مطلع القرن 10/16م،⁽¹⁾ تأثرا بالمعابد الأولى كمعبد الغربية،⁽²⁾ ومعبد دورا أوروبوس،⁽³⁾ بالإضافة لمعبد سانتا كلارا،⁽⁴⁾ ومن تم أمست شبيهة بالمساجد القائمة على الطراز المحلي المزدانة بالتخطيط المستطيل والمحلات بالزليج وعقد حذوة الفرس هذا ماكان من شأنها مما دفع بماينز أن يصرح قائلا: "تمتع اليهود بحرية تشييد المنازل والمعابد ومن تم أقاموها على الطراز الموريسكي، إذ تضمنت بيعهم رواق يتقدم قاعة العبادة يستغل لدراسة تعاليم الشريعة الموسوية يفضي بدوره إلى قاعة العبادة المزدانة بجدران مكسوة بالزليج.."⁽⁵⁾ (صورة رقم 13)

إلا أن هذا لا ينفي تأثرها بالطراز الوافد من اسطنبول المتشعب بالتقاليد البيزنطية، المعتمد في مساجد تركيا ومساجد مدينة الجزائر المقتصرة على المذهب الحنفي المعتقد من طرف الطبقة الحاكمة إذ حرصت هذه الأخيرة على إقامتها لتأكيد سيادتها على الإيالة، كجامع صفر سنة 940 هـ / 1534 م وجامع الداوي بالقلعة سنة 1234 هـ / 1819 م ، والدليل على التأثير بها ومجاراتها الاعتماد على القبة المركزية المحاطة بأروقة من جهاتها الثلاثة مثلما جسد في المعبد الكبير، ومن هنا تتبادر إلى ذهننا العديد من التساؤلات هل تم اعتناق هذا الطراز خلال السيادة العثمانية أم بعدها؟.

(1) Darmon, « origine et constitution de ... », In : R .A 1870 , vol14, pp378, 379.

(2) يوسف بن احمد الباروني، المرجع السابق، ص12.

(3) سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث، المرجع السابق، ص127.

(4) باسيلون مالدونادو، المرجع السابق، ص123 .

(5) E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous...», In: Journal asiatique n°240,1952, p210.

فمن المرجح أنه لم يتبن إلا بعد انجلائها من ساحة الحكم تبعا للعلاقة المتوترة التي كانت تربط الطرفين، ولعل الدافع يكمن في مشروع تطوير المدينة الذي دفع الى تغيير المنظر الخارجي للمعبد اذ امسى شبيه بالكنيسة إلا أنه لا يضاهاها حيث أبقي على حلته الموريسكية من الداخل، حتى وان جهز على منوالها، يعلل مؤرخ الفن **Domminique jarassé** نقلا عن **V. Assan** أن الغرض من ذلك هو محاولة الارتقاء بالجالية اليهودية مع عدم دمجها بالمجتمع الأوروبي (المعمر)، فيهود المغرب الإسلامي غير طاهرين في نظر يهود أوروبا.⁽¹⁾

2.3.3. الهيكل:

أو تابوت الشريعة من الملاحظ غياب الهيكل بالجدار الغربي المتجه لبيت المقدس، بالمعبد الكبير حيث تم تعويضه بخزانة جدارية ضمت دولا ب الشريعة حليت بستارة. (صورة رقم 23) وعلى ما يبدو أن هذه خاصية اتسمت بها جل معابد اليهودية بالمدينة تسليما بما جاء به ماينز حين صرح قائلا: ".....، والملفت للانتباه غياب الهيكل في الجدار إذ عوض بخزائن جدارية أحيطت بجدران القاعة من مختلف الجهات، جعلت لحفظ لفائف التوراة،، وهو الطراز الذي كان قائما بالمدينة قبل سنة 1946م".⁽²⁾

شأنها شأن كنيس الغربية بجزيرة تونس وكنيس دبدو بالمغرب الأقصى فضلا عن المعبد الكبير بتلمسان، وكأنه طراز خاص تم تنبيهه في المغرب الإسلامي. تمحوا لما سبق ذكره أنفا يتسق لنا أن جل هذه المعابد على نمط معبد حمام آل ليف المتسم بالمسقط المستطيل والخزانة الجدارية المعوضة للهيكل فضلا عن الفسيفساء الجدارية التي ازدانت بها الجدران.

ومن الملاحظ أنه تم المحافظة على هذه السمات مع إدخال بعض التغيرات الطفيفة حيث استبدلت الفسيفساء بالزليج، ومن تم جاءت المعابد في المغرب الإسلامي بسيطة كونها مستمدة من التقاليد السابقة للإسلام، مصقولة بالطراز الموريسكي القائم على عقد حذوة فرس والزليج.

V.Assan , «Les synagogue dans l'Algérie», In: Archive juive, vol37, 2004, p76. (1)

E. Mainz, « Les juifs d'Alger sous...», In: Journal asiatique n°240, 1952, p210. (2)

نستخلص مما سبق أن المعبد اليهودي منبتق من الهيكل وهو وليد السبي البابلي، وقد مر بمراحل عدة ساهمت في صقله وتبلوره ومن تم تباينت طرزه فتارة نجده متشعبا بالطراز الهلنستي وتارة بالطراز الموريسكي وهكذا دواليك.

ونظرا لتباين الفرق الدينية تعددت خططه فمنه ما قام على الطراز البازيليكي ومنه ما قام على الطراز المسجدي وفقا للفرقة المتبنية له.

4. الضريح:

■ لغة: مشتق من الفعل "ضرح" فـضرح الشيء بمعنى شقه وقطعه، وضرح القبر بمعنى حفره، وضرح الرجل بمعنى نحاه ودفعه.

والضَّرح جمع اضراح بمعنى التباعد والوحشة، واما الضريح فجمعه اضرحة وضرائح اي البعيد.⁽¹⁾

■ اصطلاحاً: هو شق في وسط القبر أما إذا كان الشق في جانب القبر فيسمى بالحد، وقد سمي ضريح لأنه يشق الأرض شقاً، ويسمى القبر كله ضريح، كما قد يسمى القبر الذي بلا لحد ضريح كذلك.⁽²⁾

والضريح عبارة عن بناء تغطيه قبة يقام على رفاة سلطان أو أمير أو إنسان له مكانة دينية أو دنيوية تدعو لتخليد ذكراه، أما معمارياً فهو تلك الغرفة المشتملة على قبر أو تربة تعلوها قبة.⁽³⁾ قد يكون البناء بسيطاً منفرداً قائماً بحد ذاته كضريح عزرا بالعمارة،⁽⁴⁾ وضريح رحيل ببيت لحم*،⁽⁵⁾ أو يلحق بالمعبد حيث يكون ملاصقاً له كضريح موسى بن ميمون بالقاهرة،⁽⁶⁾ وضريح الربى إسحاق الغاؤوني ببغداد**.⁽⁷⁾

(1) عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص171.

(2) سامي محمد نوار، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002م، ص112.

(3) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص172.

(4) يوسف رزق الله غنيمه، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، الطبعة الأولى، مطبعة الفرات، بغداد، 1934م، ص189.
*زوجة النبي يعقوب عليه السلام ووالدة النبي يوسف عليه السلام واخوه بنيامين، تعسر عليها الإنجاب ولما اشتدا عليها الأمر رفعت يديها الى الله راجية منه أن يهبها ولداً صالحاً، وكان لها ذلك إذ أنجبت يوسف عليه السلام الذي اصطفاه الله دون إخوته بالنبوة، ظلت مع زوجها في العراق لمدة عشرين عاماً، تعبد الله الواحد القهار مخالفة بذلك قومها العاكفين على عبادة الأصنام، حتى أمر الله نبيه عليه السلام أن يعود إلى مسقط رأسه ببلاد المقدس، فجمع ماله وأولاده الذين إمتثلوا لأمره جميعاً، وفي الطريق ولدت ببنيامين لكنها ماتت أثر ذلك ودفنت ببيت لحم، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص267.

(5) خوري إبراهيم سلامة، الدليل السياحي لأهم الأماكن الدينية والأثرية في الأرض المقدسة، الطبعة الأولى، مكتبة البيرة، القدس، 1997م، ص34.

(6) محمد خليفة حسن والنبي سراج، "الجنيزا في المعابد اليهودية..."، عن: سلسلة الدراسات الدينية التاريخية، العدد التاسع، ص100.
** وهو الربى إسحاق الغاؤوني المتوفي سنة 620 لخراب بيت المقدس، ضريحه عبارة عن قاعة مربعة يتوسطها تابوت مغطى بقماش مطروز بالذهب، سقت هذه الأخيرة باقية متقاطعة وبلطت أرضيتها ببلاطات خزفية من اللونين الأزرق والأبيض، أنظر: يوسف رزق الله غنيمه، المرجع السابق، ص208، الغاؤوني لفظة عبرية بمعنى العزة اتخذها اليهود في عصور متأخرة بمعنى الرئيس أو الزعيم أو قائد الجماعة ومن تم أطلق على رؤساء المدارس الدينية، أنظر: بنيامين التطيلي، المرجع السابق، ص191.

(7) يوسف رزق الله غنيمه، المرجع السابق، ص208.

ويجدر الإشارة بأن غرفة الضريح قد تشتمل على أكثر من قبر وأصدق مثال ضريح الحاخاميين إسحاق بن شيشات برفات" و"سيمون بن سماح دوران" بالجزائر العاصمة، فضلا عن ضريح "أولاد زميرو" * بأسفي الذي اشتمل على سبعة قبور كل قبر مجاور للآخر.⁽¹⁾

■ الضريح عمارة:

وهو عبارة عن صالة مربعة مغطاة بقبة، ولتحويل المسقط المربع إلى دائرة جعلت منطقة انتقال مثنى المسقط، تم تطويرها مع مرور العصور الإسلامية فتعددت أشكالها في البلاد الإسلامية، وذلك باستعمال الحنايا الركنية أو المثلثات الكروية أو الاثنين معا، مع تشكيل هذه الأسطح بالمقرنصات في بعض الأحيان، كما تنوعت طرق تشكيل السطح الخارجي لمنطقة الانتقال.

وأما السطح الخارجي للقبة فقد اعتمد على زخارف جصية ملونة وغير ملونة، إن تم البناء بالطوب فضلا على الكسوة الخزفية إذ تم استعمال المربعات الخزفية أو الطوب المزجج مثلما شاع في إيران وتركستان وبعض مباني الأناضول.

أما في حالة استعمال الحجارة كما هو الحال في العمارة المملوكية في كل من مصر وسوريا حيث تم الإقبال على الزخارف الهندسية أو النباتية أو تشكيل مشترك من الاثنين.⁽²⁾

■ تسميات الضريح: شاع استعمال العديد من التسميات التي تدل عليه منها:

ـ "المشهد" أي الموضع الذي أستهجد فيه الشهيد أو الموضع الذي يشاهد فيه ولي من أولياء الله الصالحين بالحقيقة والرؤيا، وغالبا ما اقترنت هذه التسمية بالأضرحة العلوية والفاطمية وانتشرت في كل من مصر والعراق.⁽³⁾

* تزعم العديد من الروايات أن لأولاد زميرو بركات تبعا لصلاحهم وتقواهم فقد انصرفوا لعبادة الله ليلا ودراسة التوراة وانكبوا على ذلك حتى ابتلعتهم الأرض، ومن المتداول أن ضريحهم يضم رفات إبراهيم وإخوته إسحاق وإسماعيل ويوسف وأبناء إخوانه وأخواته يهودا وصموئيل ومسعود وشيرشير، ويشاع كذلك بأن قبورهم توجد بأرض كانت هدية من السلطان أبوالحسن المريني ليهود المدينة، أنظر: فاطمة الفدادي، "هيلة أولاد زميرو.. عادات وتقاليد يهود أسفي تقاوم النسيان"، عن: مجلة هيسبرس الالكترونية المغربية، العدد الخامس عشر، 2013م، ص12.

(1) نفسه، ص12.

(2) صالح لمعي مصطفى، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص23.

(3) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص172.

ـ"المقام" أخذاً بقوله تعالى: "فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين".⁽¹⁾

ومن تم اقتبس ليدل على المكان الذي فيه قبر أحد الأنبياء عليهم السلام، كمقام إبراهيم عليه السلام في الخليل.⁽²⁾

ـ"المزار": أي المكان الذي يضم قبر أحد الأولياء الصالحين، أو لا يحويها وهو الموضع الذي تجري فيه فروض العبادة ضمن دار العبادة داخله أو بجواره،⁽³⁾ ويقصده الناس في مواسم معينة للزيارة والتبرك.⁽⁴⁾

واننا نرجح بأن هذا الأخير قد لقي استحساناً في أوساط يهود العراق وخير دليل "ضريح عزرا" الذي يعرف بـ"مزار عزرا"، ويجدر الإشارة إلى أن الضريح في المغرب الإسلامي عرف بـ"المربوط"،⁽⁵⁾ لعل التسمية اشتقت من لفظة "المرباط" أو "المرباطي"، والتي يقصد بها الرجل الصالح التقى وولي من أولياء الله ولازال هذا اللقب متداول إلى غاية يومنا يلقب به أهل التقوى والصلاح.

فضلاً عما سبق ذكره نجد تسمية أخرى للضريح ألا وهو مصطلح "القبة"،⁽⁶⁾ نسبة للقبة التي تعلو المبنى وقد عرف هذا الأخير انتشاراً واسعاً.

الضريح بالعبرية:

لم نجد تعبيراً صريحاً له إلا أن من المتعارف عليه تسمية المقبرة بـ"بيت هاحاييم" أي "بيت الأحياء" عند اليهود إجمالاً وتعرف بـ"المعيرة" أي "المغارة" عند يهود المغرب الإسلامي نسبة لأماكن وطريقة الدفن التي كانت تمارس قديماً بالأرض المقدسة.⁽⁷⁾

(1) سورة ال عمران: 97.

(2) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص172.

(3) قتيبة الشهابي، مشيدات دمشق نوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995م، ص11.

(4) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص172.

(5) صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص23.

(6) A. Chouraqui, Le saga des juifs ..., p138.

(7) حاييم الزعفراني، يهود الأندلس ...، ص486.

1.4. تطور العمار الجنائزية:

من المتفق عليه أن الشريعة الموسوية نصت على التعجيل في دفن الميت إكراما له، فقد سارع نبي الله يعقوب عليه السلام في أن يواري جثمان زوجته رحيل التراب لما توفيت في بيت لحم ولم يؤجل ذلك إلى أن يبلغ أرض المقدس، وجاء في سفر التكوين مايلي: "فماتت راحيل ودفنت في طريق افراطة التي هي بيت لحم، فنصب يعقوب عمودا على قبرها وهو عمود قبر راحيل إلى اليوم".⁽¹⁾

اقتداء بنبي الله إبراهيم الخليل الذي سارع في دفن زوجته سارة بعد أن بلغه نعيها، إذ ورد في سفر التكوين مايلي: "وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبيكي عليها... أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي"،⁽²⁾ بغية تقادي تنجس الطاهر فلمس جسد الميت ينجسه، وتحسبا من تحلل الجثة وتعفنها تبعا لطبيعة الجو الحار ببلاد الشرق.

واننا لنرجح أن العلة تكمن في جهلهم بالتحنيط وخباياه ومن تم نجد أن العهد القديم لم يذكر أن الأنبياء عليهم السلام قد حنطوا ماعدا يعقوب عليه السلام لأنه توفي في مصر، وكان قد وأوصى بدفنه إلى جوار آبائه، ونظرا لبعد المسافة بين مصر وأرض كنعان أهتدي الى تحنيطه حتى لا يتعفن ويتحلل جسده وتم ذلك على يد المصريين المهرة*، تبعا لما ذكر في سفر التكوين حيث ورد مايلي: "...لاتدفني في مصر بل اضطجعني مع آبائي فتحملني من مصر وتدفني في مقبرتهم"،⁽³⁾ كذلك ابنه يوسف عليه السلام الذي تم تحنيطه في مصر ووضع في تابوت لينقل إلى أرض آبائه، فقد ورد في سفر التكوين مايلي: "وعندما مات يوسف "حنطوه، ووضعوه في تابوت في مصر"،⁽⁴⁾ ومن تم نرجح أن بني إسرائيل لم يعرف التوابيت من قبل، والدليل على ذلك عدم ورود مصطلح "التابوت" في موضع آخر في نصوص العهد القديم، الا أننا نعجز عن تفسير تلك الصناديق الطينية (توابيت) التي عثر عليها بمدافن غزة مع العلم أن خلال عصر البرونز المتوسط تم الاقبال عليها.⁽⁵⁾

(1) سفر التكوين 35:19-20.

(2) سفر التكوين 23:1-4.

* ورد في سفر التكوين مايلي: "وامر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه إسرائيل"، أنظر: سفر التكوين 47:2.

(3) سفر التكوين 29:30-30.

(4) سفر التكوين 50:26.

(5) أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص322.

وكانوا يستخدّمون المحفة (النّعش) التي تحمل على الأكتاف لنقل الميت على غرار الملك أسا* الذي حمل على سرير تم وصفه في سفر الملوك الثاني حيث ذكر مايلي: " .. واضطجعوه في سرير كان مملوءا أطيابا وأصنافا عطرة حسب صناعة العطارة..." (1)

اتسمت قبورهم خلال عهد الأباء بالبساطة فهي عبارة عن حفرة تسد بكومة من الأحجار ترص فوق القبر، بغية إبعاد الحيوانات عنه، ولتحديده اعتمد على الشواهد والأعمدة كنصب تذكاري للمتوفي، مثلما فعل يعقوب عليه السلام بقبر زوجته رحيل عليها السلام حيث نصب عمودا فيه بغية تحديده، (2) فوجود القبر على وجه الأرض، أو في العراء يعد نجسة على غرار المغمور في الأرض. (3)

والملفت للانتباه الإقبال على المقابر العائلية أو الجماعية حيث يتم الدفن عبر السلالات المتعاقبة (4) فضلا عن الفردية**.

تتجلى المقابر الجماعية إما في كهفا طبيعيا يجهز برفوف حجرية لوضع الجثث، اذ يستمر الدفن فيها على مدى أجيال متعاقبة، كمغارة المكفيلة في حقل عفرون التي اشتراها نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام منه***. (5)

* تولى حكم يهوذا سنة 912 ق م إلى غاية 871 ق م، وهو حفيد رحبعام ابن سليمان عليه السلام، إتسمت العشر سنوات الأولى من حكمه بالازدهار والسلام، عرف عنه التوحيد ونبذ عبادة الأوثان التي كانت قائمة في عهد آبائه، أرسل اليه الرب نبي من أنبيائه "عزريا" ليشد به أزره فدعى قومه ليجددوا العهد مع الرب، ولكنه إنقلب في آخر أيام حكمه إذ أنه إبتعد عن طلب العون من الرب في صد الغزاة وللشفاء من المرض، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص 5، 6.

(1) سفر الملوك الثاني 14: 16.

(2) سفر التكوين 35: 20.

(3) محمد الهواري، الاختلافات بين، ص 64.

(4) أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص 321.

** فقد دفن النبي صموئيل عليه السلام في بيته، وفقا لما نص عليه سفر الملوك الأول حيث ذكر ما يلي: "فاجتمعوا جميع إسرائيل ونذبوه ودفنوه في بيته في الرامة"، أنظر: سفر الملوك الأول 1: 25.

*** جاء في سفر التكوين مايلي: " وكلمهم قائلا إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر، أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له التي في طرف حقله بثمن كامل يعطيني إياه في وسطكم ملك قبر"، أنظر: سفر التكوين 23: 8-9،

ولفظ " مكفيلة" تسمية عبرية يقصد بها المزدوجة بمعنى المغارة المزدوجة، تعرف اليوم ب"الحرم الإبراهيمي الشريف" وهي قبلة لليهود والمسيحيين والمسلمين معا، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص 611.

(5) سفر التكوين 23: 8-9.

أتى وصفها على لسان الرحالة بنيامين التطيلي حيث صرح قائلاً: "فيفتح له بابا من حديد يرتقي عبره إلى أسلافنا طاب ذكركم فينحذر منه إلى مغارة خاوية... ومنها، يلج إلى المغارة الثانية وهي خالية أيضاً، ومنها إلى الثالثة حيث يجد ستة أضرحة* متقابلة فيقرأ على الأول هذا قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام... وهكذا، فوق القبور قناديل مرتبة ليلاً ونهاراً، وفي هذا الغار عدد من القوارير مملوءة بعظام الموتى، فقد جرت عادة اليهود أن يجلب عظام موتاهم إلى هذا المقام".⁽¹⁾

واننا لا نستبعد الاقبال على نحت القبور في الصخر تتخذ هذه الأخيرة شكل مغارة، فغالبا ما عمد الكنعانيون القدماء إلى ذلك منذ عصر البرونز المتأخر، فقد عثر في أوغاريت على مجموعة من القبور يقوم الواحد منها على مغارة صخرية مربعة الشكل أو مستطيلة جدرانها صخرية ومنخفضة قليلاً إلى الداخل والسقف عبارة عن لوحات حجرية مستوية الشكل، احتوى بعضها على غرفة داخلية بيد أن أكثريتها كانت حفرة لجثة واحدة وهي التي اكتشفت في الشاطيء وفي السهول الداخلية السورية، وكذلك في فلسطين إذ كشفت التنقيبات على مقابر على شكل كهوف كبيرة ضمت حوالي 200 جثة في تل قارة وفي مجدو.⁽²⁾

والمتخصص لنصوص العهد القديم يجد أنه تم الإشارة إلى ذلك حين تطرق إلى موت الملك آسا وطقوس دفنه فقد جاء في سفر الأخبار الثاني مايلي: "ثم اضطجع آسا مع آبائه ومات في السنة الحادية والأربعين لملكه، فدفنوه في قبوره التي حفرها لنفسه في مدينة داود، واضجعوه ... وأحرقوا له حريقة عظيمة جدا"⁽³⁾

* بها قبر رحيل وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وليئة وفقا لما ورد في سفر التكوين إذ جاء مايلي: "هناك دفنوا إبراهيم وسارة إمرأته، هناك دفنوا إسحاق ورفقته إمرأته، وهناك دفنت لينة"، انظر: سفر التكوين 49: 39.

والقبر السادس فهو موضع جدل إذ ينسب إلى يوسف عليه الصلاة والسلام، إلا أن العهد القديم يخالف ذلك فقد ذكر أن يوسف عليه السلام دفن في شكيم (نابلس) تسليماً بما نص عليه سفر يوشع حيث ورد مايلي: "وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم، في قطعة الحقل التي إشتراها يعقوب من بني حمو أبي شكيم بمئة قسيطة فصارت لبني يوسف"، أنظر: سفر يوشع 24: 32 وهذا مذهب إليه السامريون فهم يزعمون بأن قبر يوسف الصديق عليه السلام عندهم وهم ينحدرون من صلبه، أنظر: بنيامين التطيلي، المرجع السابق، ص 244.

(1) نفسه، ص 258.

(2) أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص 322.

(3) سفر الأخبار الثاني 16: 13_14.

لفظة " فدفنوه في قبوره التي حفرها لنفسه " نستشف أنه جهز قبور منحوتة في صخر، قبل وفاته تبعاً لمشقة النحت والمدة المستغرقة في ذلك، شأنه شأن النبي سليمان عليه السلام المضطجع بجوار أبائه بمدينة داوود أبيه عليه السلام*⁽¹⁾

نستشف مما سبق بأن بني إسرائيل أقاموا المقابر داخل المدينة، وهذا ما أشار إليه الرحالة بنيامين التطيلي حين صرح قائلاً: " جبل صهيون عليه بيعة للنصارى وثلاثة مقابر قديمة لليهود فوق كل قبر حجارة محفورة عليها تاريخه " ⁽²⁾.

واننا نرجح بأن الإقبال على المقابر الجماعية أو العائلية أدى إلى إقامة مقابر طائفية حيث أمست كل طائفة تتفرد بمقبرة خاصة بها تخضع لتعاليمها الدينية.

وأبرز نموذج مدينة القاهرة التي اشتملت على ثلاثة مقابر خصت كل واحدة منها لطائفة محددة دون غيرها،⁽³⁾ ولا نستبعد مدينة الجزائر التي اشتملت على ثلاثة مقابر كذلك**⁽⁴⁾، وهذا خير دليل على تنوع في الطوائف أو ارتفاع في عدد اليهود فضلاً عن التسامح وهذا ما سيتضح لنا لاحقاً.

يجدر الإشارة أن قبور بني إسرائيل ظلت طول فترة الأباط و خلال السبي البابلي بسيطة بعيدة عن الترف والفخامة ولكن بعد العودة من السبي حليت بحلة جديدة، وليدة الاحتكاك والانفتاح على مختلف الأمم والحضارات، فقد شهد الفكر الإسرائيلي تطوراً ملحوظاً انعكس على الجانب العمراني، حيث تم الإقبال على بناء عمائر جنازية فخمة تعد ك "الأضرحة".

* وقد تضاربت الآراء في موقع الدفن فالرحالة بنيامين التطيلي يذكر أن النبي داوود عليه السلام وسائر الملوك من آل دافن في جبل صهيون ، أنظر: بنيامين التطيلي، المرجع السابق، ص244.

بينما يصرح شهاب الدين ابن الواسطي في تصنيفه قائلاً والصحيح أن سليمان عليه السلام دفن إلى جانب أبيه داوود عليه السلام في بيت لحم وهما في المغارة التي بها مولد النبي عيسى عليه السلام، أنظر: ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حققه كامل سليمان الجبوري، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العالمية، لبنان، 1971م، ص 269، 270.

(1) سفر الملوك الأول 11: 42.

(2) بنيامين التطيلي، المرجع السابق، ص253.

(3) يعقوب لاندو، المرجع السابق، ص265.

** سنتطرق إلى هذه المقابر بالتفصيل لاحقاً عند تناولنا للأضرحة اليهودية في العهد العثماني من خلال المؤلفات.

H. Klien, feuillets1937, pp80,81.

(4)

ومن أبرزها "ضريح النبي حزقيال عليه السلام" المشيد من طرف الملك يكنية** العائد من السبي رفقة أتباعه،⁽¹⁾ من المرجح أن تاريخ تشييده يعود لفترة تولي يكنية شؤون بني جلته المقيمين في شرقي الفرات ببتصيبا من الملك "أويل مروداخ البابلي"*** وكان ذلك سنة 562 ق م.⁽²⁾

لفت الأنظار إليه فعدا مقصدا لكل من الرحالة والرييون، فسارعوا إلى وصفه وهذا مانستشفه من خلال تباين المصادر التي تناولته.

نستهل دراستنا بما أتى على ذكره "الرحالة بنيامين التطيلي" في القرن 6هـ/12م**** حين وصفه قائلا: "مرقد حزقيال على شاطيء الفرات، وهو بناء جسيم يحتوي على ستين صومعة لكل منها برج يتوسط

* أحد أنبياء بني إسرائيل، ولد في أورشليم ونشا في بيئة الهيكل أثناء خدمة النبي أرميا عليه السلام، سبي إلى بابل رفقة الملك يكنية سنة 597 ق م، تولى الدعوة النبوية أثناء السنة الخامسة للسبي، إستمرت دعوته لمدة 22 سنة، عرف بنبؤاته التي تشبه لحد كبير نبؤات النبي أرميا، وله سفر يعرف بـ"سفر حزقيال" لم يذكر فيه متى وكيف توفي، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص210.

قيل أنه النبي ذي الكفل المذكور في القرآن الكريم حين قال تعالى "واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين"، أنظر: شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، معجم البلدان، المجلد الأول، مادة "برملاحة"، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت لبنان، 1977م، ص393.

ويزعم أنه سمي ذي الكفل لأنه كفل بني إسرائيل بالنجاة من أسر البابليين، أنظر: أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001م، ص133.

** أو "يهوياكين" الملك التاسع عشر الذي أدار دفة الحكم في "مدينة يهوذا" خلفا لوالده "يهوياقيم" وكان ذلك سنة 597 ق م، إستمر حكمه مدة قصيرة فهي لا تتعدى ثلاثة أشهر وعشر أيام، تبعا لسقوط المدينة على يد الملك "نبوخذ نصر" الذي حاصر القدس، فاعتقل الملك وعائلته ورؤساء اليهود فضلا عن نصبه لخزائن بيت الرب، ظل الملك يكنية أسيرا ببابل لمدة 37 سنة، إلى غاية وفاة الملك البابلي وتولي ابنه الحكم "أويل مردوخ" وذلك سنة 562 ق م، أنظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص931، وسفر الملوك الثاني 24: 8-16، سفر أخبار الثاني 36: 9-10.

(1) هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص931.

*** أو "اميل مردوخ" ابن الملك نبو خذنصر تقلد الحكم بعد وفاة والده سنة 562 ق م، دام حكمه لمدة سنتين فقط، ففي سنة 560 ق م، تم قتله إثرًا إنقلاب داخلي دبره كهنة بابل، أنظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ص608.

عرف عنه علاقته الطيبة مع الملك "يهوياكين"، فقد أخرجته من السجن في السنة الأولى من توليه العرش، وقرّبه منه واصطفاه عن باقي الملوك، وسمح له بالأكل على مائدته طول أيام حياته، أنظر: سفر الملوك الثاني 25: 27.

(2) هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص931.

**** الجدير بالذكر أن خلال القرن الثاني عشر ميلادي كانت العراق في قبضة السلطة السلجوقية التي أدارت الحكم فيها منذ سنة 513هـ/1119م تحت قيادة "السلطان السلجوقي سنجر" و"خليفته السلطان محمود" إلى أن أفل نجمها سنة 590هـ/1193م، بعد إغتيال آخر سلاطينها "السلطان طغرل بن أرسلان شاه" سنة 588هـ/1191م بعد مؤامرة حيكّت له من طرف زوجته، أنظر: حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، 1965م ص ص91، 120.

أكبر هذه الصوامع منبر*، خلفه مرقد النبي حزقيال بن بوزي الكاهن، تعلوه قبة كبيرة هي آية في حسن الإنشاء، ويقال أنها بناء يكتينية الملك وأتباعه بعدما سرحهم الملك أويل مروداخ البابلي، ومرقد حزقيال على فرع من فروع الفرات يدعى كيبار، منقوش على حجارته اسم يكتينية الملك وأتباعه، وفي آخر التبت (تابوت) اسم حزقيال النبي، وهذا المقام يعظمه اليهود ويحجونه من أقاصي البلاد، للتبرك به وإقامة الصلاة فيه".⁽¹⁾

وبعد مرور سبع سنوات على ذلك قام "الرابي بتاحيا الراتسبونى" بزيارته فقدم لنا وصفا مفصلا مقارنة بسلفه إذ صرح قائلا: "أن من يشاهد البناء الجميل المقام فوق القبر يجزم بأنه لم يشاهد بناء جمالا قبله فجدرانه مغشات بالذهب وفوق القبر ضريح مرتفع نحو القامة مكسو بخشب الأرز المطعم بالذهب ولم تقع العين على مثل هذا المنظر الجميل من قبل وفيه نوافذ يمكن للناس إدخال رؤوسهم من خلالها وتلاوة الصلوات والأدعية، تعلوه قبة مذهبة بالبلور تتدلى فيها السجوق الجميلة وتحت القبة ثلاثون قنديلا مرتبة بالزيت تضيء المقام ليلا ونهارا، ويغشى مدخله سجاد جميل".⁽²⁾

وفي القرن 12هـ/18م أتى الرحالة بنيامين الثاني وأشاد به قائلا: "...وهو عبارة عن صندوق حجري مربع الشكل ذو حجم ضخم مطلي بالطباشير (يقصد أنها مطلية بالجبص)، شيدا بجواره معبدا يتصل به بفضل الباب الذي فتح في إحدى جدرانه، اتسم الجدار الموجه لبيت المقدس بعدم اكتماله وخلوه من الزخرفة علامة على الحداد على الهيكل على غرار الجدران الأخرى التي زينت برسومات جدارية نسخت مع مرور الزمن توحى بأنها ذات أشكال آدمية وهي تصور النبي حزقيال والملك يكتينية بحجم يضاهي قامة الرجل العادي، فضلا عن رسومات أخرى حلي بها جدار مدخل المعبد اتسمت بثكاتها ورصها على صفوف وكأنها كتابات هيروغليفية".⁽³⁾

نستشف مما سبق أن ضريح حزقيال عليه السلام جاء بسيطا بعيدا عن الفخامة والضخامة، فهو لا يضاهي الأضرحة المصرية إلا أنه تأثر بها ومن تم حمل سيماتها، وكذا بالمثل الفينيقية.

* ينسب الرحالة بنيامين الثاني هذه الأبراج والصوامع للقلعة التي شيدها الملك يكتينية بعد عودته من السبي رفقة أتباعه، أنظر:

Israel -Joseph BenjaminII, Cinque Années de voyage en orient, Imprimerie -Librairie De M, Paris, 1856,P87.

(1) بنيامين التطيلي، المرجع السابق، ص 309، 310.

(2) بتاحيا الراتسبونى، رحلة بتاحيا الراتسبونى 571هـ_1175م/576هـ_1180م، ترجمة ودراسة وتحقيق فؤاد عبد الرحيم الدويكات، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر، الاردن، 2012م، ص112.

Israel -Joseph BenjaminII,Op. Cit, P88.

(3)

فالتأثيرات المصرية نلمسها في تخطيطه حيث تم اتخاذ "غرفة للتابوت"، حيث جرت العادة عند المصريين وضع التابوت في غرفة خاصة تعرف بـ "غرفة التابوت"، تتقدمها ردهة،⁽¹⁾ تزدان بأعمدة قلما تتضمنها الردهة، قد تلحق إحداها بغرف جانبية وأصدق مثال مقبرة الملكة نفرتاري زوجة* رمسيس الثاني.** (2)

فضلا عن "التابوت" نفسه فمن المتعارف عليه أن بني اسرائيل لم يصنع أو يتخذ تابوت من قبل إن غضينا النظر عن تابوت سيدنا يعقوب وابنه يوسف عليه السلام كونه مصري الصنع وقد سبق الخوض في ذلك سابقا، فحتى القبة التي تعلو الضريح اقتبست من العمارة الجنازية المصرية القديمة ففي عهد المملكة الوسطى سقفت المدافن بأشكال قباب دائرية،⁽³⁾ وإذا سلمنا بما سبق ذكره آنفا نتساءل كيف بالتأثيرات الفنية المصرية تتغلغل إلى ضريح حزقيال عليه السلام؟

فمن المرجح أن الفضل يعود إلى السبي البابلي، والاحتكاك بمختلف الأمم والحضارات فضلا عن التطلع عليها سابقا فعلى سبيل المثال الملك يكتبة نرجح أنه كان متطلعا على الثقافة الفنية المصرية بحكم علاقته الطيبة مع ملك مصر، ومن المحتمل ولوعه بها لذا سمح بتغلغلها في عمارة ضريح النبي حزقيال عليه السلام ومن ثم اتسقت للعيان، ومن غير المستبعد الاستعانة باليد الفينيقية في البناء والزخرفة كونها متشعبة من هذه الثقافة بفضل موقعها الجغرافي وعلاقاتها التجارية معها كما سبق ذكر ذلك آنفا.

(1) محمد أنور شكري، المرجع السابق، ص 429.

* بمعنى "أحسنهم أو أفضلهم"، ويبدو أنها احتلت مكانة مرموقة حيث لقبت بـ "ربة مصر العليا والسفلى" و "زوجة الاله"، وللإشارة أنها ليست السباقة لهذا اللقب إذ سبقتها في ذلك ملكة أخرى تعرف بـ "احمس نفرتاري" ويبدو أنها سميت بهذا الاسم تيمنا بها، ومن المرجح أنها من نفس العائلة.

تزوجت الملك رمسيس الثاني قبل إعتلائه العرش وكانت المفضلة عنده حيث رفعها إلى مرتبته، وخير دليل إحدى لوحات جبل السلسلة التي تعود إلى السنة الأولى من حكمه 1290 ق م تصور الملكة وهي تشارك الملك في أدائه للطقوس الدينية أمام الآلهة، أنظر: عبد الحليم نور الدين، مقبرة الملكة نفرتاري، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، د.ت، ص 10، 11.

** أي رعمسيس الثاني ميامون فرعون مصر من سلالة التاسعة عشر (1301 ق م - 1135 ق م)، حاول إغتصاب سورية من يد الحثيين، وجرت له معهم معارك لم تكن جميعا لصالحه، من أبرزها معركة "قادش" التي انتهت باتفاق ومصاهرتة ملك الحثيين "حتوسيل" سنة 1278 ق م، أنظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 462.

(2) محمد أنور شكري، المرجع السابق، ص 429.

(3) صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص 17.

فضلا عن جدارتها في الاقتباس والتقليد والتحوير كذلك، فقد عثر في ريف دمشق وفي المنطقة الشمالية والجنوبية على غرف تضم قبور حفرت في الأرض، اتسمت واجهة هذه الغرفة بالفخامة فهي شبيهة بواجهات الأبنية.⁽¹⁾

وعلى ما يبدو أن هذا الطراز عرف انتشارا فقد عثر مؤخرا في موقع خربة الكوم شرق مدينة حبرون على غرفة مبنية بالحجر نقش على جدرانها الجملة التالية " لتحل عليك بركة يهوه وعشيرته" وتحت الجملة هناك كف يد انسانية محفورة على الصخر، ترتقي إلى القرن 8 ق م.⁽²⁾

دون غض النظر عن براعتهم في صناعة التوابيت الحجرية كتابوت "الملك حيرام" الذي وجد في مدينة بيلوس يعود تاريخه إلى 975 ق م.⁽³⁾

واننا نرجح أن تخطيطه وتشبيده أوكل إلى عامل فينيقي وانه لا يختلف عن طراز المدافن التي تعود الى الحقبة الثانية من عصر البرونز الوسيط المنتشرة في الشام، تتميز بوجود حجرة الدفن والمدخل الشاقولي أقبل عليها في المدافن بين اريحا في فلسطين وجبيل على سواحل الشام بالإضافة للمقابر الملكية في ايبلا.⁽⁴⁾

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان كيف تم جلب الصناعات ولم خلال هذه الفترة بالذات؟
يجدر الإشارة إلى أن الملك نبوخذ نصر قد فرض سلطته على الدويلات الكنعانية الفينيقية كدمشق وصور وصيدا واورشليم، فأخذ منهم الإتاوة والجزية، ولكنه دمر مدينة عسقلون* بسبب ثورة ملكها.⁽⁵⁾

(1) إبراهيم عميري وسوزان روبه، المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، 2012م، ص33.

(2) فراس السواح، تاريخ أورشليم....، ص204.

(3) نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص157.

(4) خزعل الماجدي، "المعتقدات الأمو..."، عن: سلسلة التراث الروحي للانسان، العدد السادس، صص 114، 115.

* ترجع الى 2000 سنة ق م عرفت بـ "أشقلون" الذي حور إلى "أسفلون"، خضعت مرة لليهود في عهد القضاة ثم استرجعت بهزيمة الملك شاوول سنة 1000 ق م، ثم سقطت في يد الاشوريين سنة 731 ق م والبابليون سنة 602 ق م- 562 ق م، والاسكندر المقدوني سنة 332 ق م، فالبطالمة والسلوقيين شهدت هذه الفترة ثورات المكابيين، وأخيرا ضمت للنفوذ الروماني سنة 64 ق م والذي لم يبسط سلطته بشكل كامل إلا سنة 135م لما قض على دسائس اليهود، تم فتحها سنة 23هـ/ 233م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنظر: عبد الرحيم أحمد حسين، قصة مدينة المجدل وعسقلان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، د.ت، ص7، 30.

(5) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات....، ص603.

فمن المسلم به أنه بعد إخماده للثورة يقوم بسبي المتسببين في اندلاعها كما فعل مع أهل مملكة يهوذا، ومن ثم نعلل الإقدام على استقطاب اليد الفينيقية تبعاً للإحتكاك بها في بابل أثناء السبي، والرجوع برفقتها من السبي، ففعل من أتباع الملك يكنية صناع فينيقيون متشبعون بالفن المصري لذا جاءت التأثيرات محتشمة وبسيطة.

من المتفق عليه من أيام الهيكل أن الفكر الإسرائيلي متطلع على الثقافة المصرية واليد الفينيقية المهرة، فإنا نرى لم يبق القبور بسيطة بدائية ولم يقبل على الأضرحة إلا بعد السبي البابلي؟ يتراءى لنا أن السبب يكمن في تأثير المغلوب بالغالب فـ"الملك يكنية" تأثر بالمنشآت المعمارية التي أقامها "الملك نبوخذ نصر" بمدينة أور* حيث أعاد بناء معبد سن وزقورة يكيش - شير - كال، والفناء الرئيسي في جنوب المنطقة المقدسة، كما قام بتشييد مزارين شغلا المساحة الموجودة ما بين سلالم الزقورة الثالث، ولم تتوقف الاقتباسات على المزارات فقط، بل وصلت لتلك التحصينات المتجلية في الأبراج والأسوار التي ألحقها "الملك يكنية" بمدينة إن لم نقل مستوطنته القائمة على ضفاف نهر خيبر، والتي أتى على ذكرها كل من الرحالة بنيامين التظلي وبنيامين الثاني، تذكرنا بتحصينات مدينة بابل** إلا أنها لا ترتقي لها. (1)

ومن هنا نستخلص أن "الملك يكنية" أراد اتخاذ مدينة لا تقل رقياً عن المدن البابلية، لذا قام بمجاراتها ولتمسي مدينته قبله لبني جلدته شيد ضريحاً للنبي حزقيال عليه السلام إكراماً له، فقد كان كنفاً وسندا لليهود المسيبين أيام السبي من جهة، وتخليداً لأيام السبي من جهة أخرى لذا لم يتم تزيين جدار المعبد الموجه لبيت المقدس حزناً على تهديم الهيكل.

* مدينة أزلية سابقة للوجود السومري في المنطقة إلا أنها تصنف ضمن المدن السومرية في عهد الملك لوجال زجيسي في الألف 3 ق م وقعت بعد ذلك تحت سيطرة الحوثيين للتستقل بعد فترة لتخضع لسيطرة أيسن ولاسار ظلت محتقظة بأهميتها إلى غاية القرن 7 ق م، أنظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 147.

** من المرجح تشييدها على يد الأكاديون سنة 235 ق م_215 ق م، وفدا إليها الحوثيون ثم الأموريون عام 200 ق م، وحدث في عهد السلالة الملكية البابلية الأولى سنة 1830 ق م_1530 ق م واتخذت كعاصمة، شهدت ازدهاراً على يد حمورابي أقل نجمها بسقوطها تحت يد الكاسيون، خلفهم الآشوريون خلال القرن 9_8 ق م. عرفت إنعاشاً على يد نبوخذ نصر سنة 605 ق م_526 ق م إذ أعاد لها رونقها وأحكم حمايتها، ولكنها لم تصمد طويلاً بعد موته حيث غزاها الفرس فلم يسطع نجمها إلا في عهد اسکندروس الثالث الكبير الذي رمم معابدها وبموته اقلمرة أخرى، أنظر: نفسه، ص 193، 197.

(1) حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني 604_562 ق م، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1983م، ص 97، 98.

2.5 طرز الأضرحة:

من المتفق عليه انعدام تواجد طراز معماري خاص بالضريح يمكن أن نسميه بالضريح اليهودي فهذا الأخير يختلف بالإختلاف الحضارة الأم التي ينتمي إليها، وهذا ما سيتجلى لنا لاحقاً خلال دراستنا. وعودة إلى وصف الربى بتاحيا الراتسبونى لضريح حزقيال عليه السلام عند زيارته له خلال القرن 12هـ/12م، أي خلال الحكم السلجوقي في العراق. نستشف من خلال ما أتى على ذكره الربى أن الضريح قد صبغ بصبغة إسلامية سلجوقية، أدخلت في إطار الإصلاحات والتعديلات فمن المستحيل أن يبقى المبنى محافظاً على شكله الأول مع مرور الأيام والأحقاب والعصور.

فمن المتعارف عليه أن السلاجقة أولوا اهتماماً بالغاً بالعمارة الدينية عامة والأضرحة خاصة، ومن تم انتشرت أضرحة على شكل برج أو على شكل قبة.⁽¹⁾ تتميز هذه الأخيرة باحتوائها على عدة طبقات من المقرنصات من الحجم الكبير نسبياً تعلو الواحدة تلو الأخرى، ويضيق عدد مقرنساتها حتى تشبه مخروطاً ذا زاوية حادة على هيئة قبيبة،⁽²⁾ ومن أبرز النماذج ضريح السيدة زمرد خاتون المعروف بـ"ضريح الست زبيدة" المشيد سنة 599هـ/1203م*،⁽³⁾ وضريح النبي حزقيال عليه السلام إلا أن المقرنصات استبدلت بعقود مذببة صماء، قامت قبة ضريح الست زبيدة على قاعدة مثمثة.⁽⁴⁾

(1) أرنست كونل، المرجع السابق، ص 60.

(2) فريد الشافعي، العمارة العربية الإسلامية ماضيها حاضرها ومستقبلها، الطبعة الأولى، الشركة العربية السعودية، الرياض، 1982م، ص 193.

* وهو اللقب الذي أطلقه عليها جدها أبا جعفر المنصور فحين كان يلعبها ويرقصها وهي صغيرة يقول لها: "أنت زبيدة تبعا لبياضها"، أصل إسمها أم العزيز العباسية الهاشمية القريشية، كانت أحب الناس إلى قلب زوجها هارون الرشيد تمتعت بالحسن والبهاء والمال والديانة والصدقة والبر، توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة 216هـ / 820م، أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء العاشر، الطبعة الثامنة، مكتبة المعارف، لبنان، 1996م، ص 271.

(3) صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص 32.

(4) نجدة خماش، دراسات في الآثار الإسلامية، الطبعة الرابعة، حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق، دمشق، 1998م، ص 97، أنظر: سيماء عطا الله حسين، "العناصر المعمارية في مرقد نبي الله ذي الكفل"، عن: مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد اثنين وأربعون، جامعة الكوفة، الكوفة، السنة 2012م، ص ص 235، 236.

وكذا بالمثل قبة ضريح حزقيال عليه السلام ومن تم يتسق لنا الطراز السلجوقي الذي حلي به الضريح سواء من الخارج أو الداخل، فقد زينت جدران حجرة الضريح بعقود مذببة صماء .

وأما الطراز المملوكي جسدا في ضريح موسى بن ميمون حيث نجد منطقة انتقال القبة الصغيرة ذات القاعدة المربعة التي غطت القسم الأوسط للحجرة ذات المسقط المستطيل قد فتحت بها نوافذ صغيرة حليت بزجاج ملون جعل للاضاءة.⁽¹⁾

فقد جرت العادة خلال العصر المملوكي استمرارية تسقيف الأضرحة بالقباب مع استعملت طفيف مس مناطق الانتقال حيث أستبدلت المثلثات الكروية والحنايا الركنية البسيطة بعدد أكبر من الحنايا المركبة التي وزعت على صفوف بدلا من صفين، كما أستبدلت عقود الحنايا المذببة إلى عقود منكسرة، واتصلت حنايا مناطق الانتقال بفتحات الشبابيك بعد أن كان كل منهما مستقل تماما عن الآخر،⁽²⁾ زينت هذه الأخيرة بالزجاج المعشق،⁽³⁾ وأبرز نموذج لها قبة ضريح موسى بن ميمون.

وفيما يتعلق بالطراز العثماني فيتسق لنا جليا بضريح راحيل زوجة يعقوب عليه السلام حيث تم تسقيف حجرة الضريح ذات المسقط المربع بقبة صغيرة الحجم فتحت بها نوافذ جعلت للإنارة والتهوية، تنتهي القبة بثلاثة كريات معدنية، وهي بذلك لا تختلف عن القباب العثمانية المتميزة بالشكل الذي يقل عن نصف الكرة وخاصة تلك القباب ذات الأحجام الكبيرة والمتوسطة أما ذات الأحجام الصغيرة منها فكان الكثير منها يغلب عليه القطاع المذنب.⁽⁴⁾

والجدير بالذكر أن قبر رحيل لم يتخذ شكل الضريح إلا خلال العهد العثماني، ففي القرن 12/هـ وصفه الرحالة الإدريسي قائلا: "...وبيت المقدس أميال وفي وسط الطريق قبر رحيل أم يوسف وأم بنيامين ولدي يعقوب عليه السلام قبر عليه إثنا عشر حجرا وفوقه قبة معقودة بالصخرة".⁽⁵⁾

-
- (1) محمد خليفة حسن والنبوي سراج، "الجنيزا في المعابد اليهودية ..."، عن: سلسلة الدراسات الدينية التاريخية، العدد التاسع، ص100.
 - (2) أحمد عبد الرزاق أحمد، العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي 21هـ_923هـ/641م_1517م، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 2012م، ص192.
 - (3) علياء عكاشة، العمارة الإسلامية في مصر الإسلامية، البردي للنشر، الجيزة، 2008م، ص34.
 - (4) فريد الشافعي، المرجع السابق، ص198.
 - (5) الادريسي، المرجع السابق، ص169.

فضلا عما جاء على لسان الرحالة بنيامين التطلي حيث صرح قائلا: "قبر رحيل فوقه بناء مشيد من إثنا عشر حجرا بعدد أبناء يعقوب وعليه قبة معقودة بأربعة أعمدة ومن عادة الزوار اليهود يكتبوا اسماءهم على حجارة البناء".⁽¹⁾

ومن تم نستخلص بأنه عبارة عن قبة قائمة على أربعة أعمدة تغطي القبر بمعنى أن هذا الأخير لم يلحق بحجرة أو دهليز أو مصلي إلا خلال العهد العثماني.

فمن المتعارف عليه أن الولاة العثمانيين قاموا بتبجيل الشخصيات الدينية التي لها صدى في قلوب المؤمنين وأصدق مثال بناء ضريح لـ "العزير أو عزرا كاتب التوراة"، فبعد أن أهمل قبره وتحول بالتدريج إلى تل من الخرائب، فرض السلطان العثماني على الطائفة اليهودية في العراق، أن تنقل رفاته إلى الموضع الذي يرقد فيه، وأن تبني له ضريحا، ولما أخذ هذا الأخير يتصدع سارع والي بغداد أحمد باشا** في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بإعادة بنائه فحلاه بقبة مزدانة بكسوة خزفية زرقاء اللون.⁽²⁾

وفي سنة 1904م تهدم مرة أخرى فجدا بناءه***، وألحقت به بناية تتكون من طابقين تضم أماكن للنزلاء، وخلف السياج الذي يحيط بالضريح وبالبناية المخصصة لإستقبال الزائرين، أقيمت بلدة كاملة تعيش بشكل كامل على الزائرين الذين يؤمنون بالضريح.⁽³⁾

(1) بنيامين التطلي، المرجع السابق، ص255.

* وهو عزرا المنفرد بسفر له في التوراة حيث يذكر فيه فضله في إعادة بناء الهيكل وبث روح العبادة في أوساط بنو إسرائيل تبعا للشرعية الموساوية بعد العودة من التهجير البابلي، أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص ص427، 428.

** تقلد هذا الأخير الحكم خلال الفترة التي كان الولاة يحرصون الى ضرورة وحدة العراق تخوفا من ترك ثغرات بالسياسة الداخلية مما يفتح المجال أمام التدخلات الإيرانية، إلا أنه لم يلتزم بذلك فقد تشرش بحدود الموصل حيث تعرض للايزيديين باقليم سنجار سنة 1733م، مما أدى إلى مواجهة عسكرية بينه وبين والي الموصل سنة 1738م، ولم تصلح العلاقة بينهما إلا بعد أن غزا بدر شاه الاراضي العراقية سنة 1744م، هنا لجاء إلى حماية وسند والي الموصل حسين باشا الجليلي وكان له ذلك، أنظر: إيناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث، الطبعة الأولى، عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2004م، ص ص214، 125.

(2) يوسف المحداوي، "عزرا نبراس الذاكرة"، في: جريدة الذاكرة العراقية للتاريخ... الإنسان... الموقف، 12 جوان 2018م.

*** في هذا الصدد يذكر يوسف غنيمة انه بعد سنوات من زيارته لضريح عزرا الكاتب بلغه نعي جماعة من زوار الضريح من اليهود حيث هوى عليهم قسم من بناء منزل، نتج عن ذلك موت العديد منهم تحت الردم، فضلا عن بتر اعضاء الناجيين، أنظر: يوسف رزق الله غنيمة، المرجع السابق، ص195.

(3) يوسف المحداوي، "عزرا نبراس الذاكرة"، في: جريدة الذاكرة العراقية للتاريخ... الإنسان... الموقف، 12 جوان 2018م.

الملفت للانتباه عمارة الضريح جعلت على الطراز المحلي دون الطراز الوافد العثماني، فالإشارة أن جل الإيالات التي انطوت تحت راية الدولة العثمانية شهدت إقبالا على الطرازين معا المحلي والوافد، وهذا ماسيتسق لنا من خلال دراستنا لضريح عزرا.

فالطراز المحلي نستشفه من خلال القبة البصلية ذات الرقبة الطويلة التي تنتهي بكريات كمثرية نحاسية تعلوها لفظ الجلالة " الله " وأقرب نموذج لها قبة ضريح الإمام علي رضي الله عنه المعروفة بالعتبات المقدسة في النجف الشريف، والجدير بالذكر أن القبة البصلية تعد من أفضل الأشكال والشائع في بلاد التركستان وفارس وبلاد الرافدين.⁽¹⁾

استعملت هذه الأخيرة لغرض تسقيف القسم الأوسط من حجرة الضريح ذات المسقط المستطيل، تم دهنها من الخارج بدهان أزرق لامع، أما رقبته فقد كسيت بالفسيفساء الخزفية ذات اللون الأزرق، شكلت هذه الأخيرة زخرفة هندسية حليت بها رقبة القبة، فتحت بها نوافذ معقودة، اعتمد في منطقة الانتقال على حنايا كبيرة معقودة بعقود مذببة، ضم كل ركن من أركان الحنايا مثلثات مقلوبة قمتها في الأسفل وقاعدتها للأعلى زينت بمقرنصات.

تم الإقبال على المثلثات ليشاركا منطقة الانتقال في إكمال استدارة القبة، ومن تم نجد منطقة الانتقال تنطلق من ثلثي جدران المربع المقامة عليها القبة تنتهي قمتها مع انتهاء المربع.

والجدير بالذكر أن استعمال المقرنصات في تشكيل الأركان الداخلية للقباب في منطقة الانتقال ظهر خلال الفترة المملوكية،⁽²⁾ وقد سبق التطرق إلى ذلك آنفا وتجلى لنا في قبة ضريح موسى بن ميمون.

حليت القبة من الداخل بمقرنصات، وزخارف نباتية تمثلت في فروع نباتات متداخلة فيما بينها، تخرج منها زهور تمثلت في زهرة الاله والقرنفل وأزهار، حليت بها حنيات نوافذ القبة، وبذلك يتسق لنا الطراز العثماني الوافد فالزهرة اللالة والقرنفل عدا من أبرز العناصر الزخرفية التي قام عليها الفن العثماني، فضلا عن تلك الثريا الشبيهة بتلك الثريات التي تم الإقبال عليها في العمائر الدينية والمدنية العثمانية المتدلية من القبة.

تتجلى لنا التأثيرات جليا في مدخل الضريح حيث اتسم هذا الأخير بانخفاضه فالمرء يضطر إلى الانحناء عند الدخول، وربما تعدد ذلك لغرض إظهار الوقار والاحترام والخضوع لصاحب الضريح، وهو بذلك يذكرنا بأبواب قصر طوب قابي سراي.

(1) محمد حمزة إسماعيل حداد، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993م، ص 136.

(2) صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص 29.

حلي مدخل الضريح باطار من الرخام الأبيض معقود ومحلي بشرفات ورقية، أما الباب فهو من دفتين اتخذ من الخشب، ولإضفاء الصبغة العبرية للمبنى اعتمد على الكتابات العبرية التي اتخذت على شكل لوحات رخامية نقش عليها كتابات عبرية ازدان بها المدخل الضريح، والقاعة التي تتقدمه فضلا عن حجرة الضريح نفسها، واتخذت كعنصر حرفي زينت بها القبة من الداخل.

صفوة القول أن ضريح عزرا الكاتب شهدا مزجا بين الطرازين معا، وهو بذلك يختلف عن ضريح رحيل زوجة يعقوب عليه السلام القائم على الطراز العثماني الوافد، إلا أنه يجتمع معه في تلك البصمة العبرية الملحقة بالمبنى ففي هذا الأخير تجسدت في تلك اللوحات الحجرية ذات الكتابات العبرية تعود الى زوار الضريح، اتخذت هذه اللوحات كزينة حليت بها جدران المبنى.⁽¹⁾

وفيما يتعلق ببلاد المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة نجد أنه تم الإقبال على أنماط متعددة من الأضرحة وقبابها حيث نجد القباب ذات الشكل النصف كروي أويميل إلى ذلك، فضلا عن تلك ذات الشكل البيضوي تعود أصولها في الإنشاء البدوي بالطين بأعالي الجزائر، أقيمت هذه الأخيرة على مسقط يتناقص تدريجيا في الاتجاه الرأسي،⁽²⁾ ومنها المثمثة القائمة على حنايا مخروطية.

وبتعدد القباب تباينت كذلك الرقاب بين المربعة والمثمثة، ورغم الاختلاف في القباب ورقابها إلا أنها بقيت محافظة على استعمال عقد حذوة الفرس،⁽³⁾ وأصدق نموذج ضريح ريباخ ورشباخ* .

(1) عوني محمد العلوي، "قبررحيل وقف إسلامي"، في: جريدة دنيا الوطن، 8 فيفري 2013م.

(2) صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص30.

(3) كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت، ص ص166، 167.

* أنظر لوصف الرحالة سبيروا نقلا عن أثال تطرقنا اليه عند تناولنا للضريح من خلال المؤلفات.

5. المقابر والأضرحة اليهودية في الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال المؤلفات:

ذكر الأستاذ كلاين في هذا الصدد قائلاً: "كان لليهود مدينة الجزائر قبل سنة 1830 ثلاثة مقابر يهودية، وجدت كلها خلف باب الوادي، وقد عثرنا على شواهد القبور في بعض دروب أحياء باب الوادي، تعود معظمها الى هذه المقابر السابقة الذكر آنفاً.

تتجلى هذه المقابر في كل من : مقبرة ريباخ الواقعة خلف باب الوادي مباشرة، ومقبرة مدارش المجاورة لها من الناحية الجنوبية، فضلاً عن مقبرة بكري المحادية لمقبرة مدارش".⁽¹⁾

وهذا ما أكدته الوثيقة التي تعود الى سنة 1102هـ الموافق لـ 1690م حيث جاء فيها مايلي: "...البحيرة والرقعة اللصيقة بها الكاينة من خارج باب الوادي أحد أبواب البلد المذكور المجاورين لمقابر جماعة اليهود يحدهما غرباً وادي قريش وجنوباً باب الوادي....".⁽²⁾

دلت المعطيات التاريخية أن "مقبرة ريباخ" تعد من أقدم المقابر اليهودية بالمدينة، إذ يرجع تاريخ إقامتها إلى زمن استقرار الحاخام "إسحاق بن شيشات أي ريباخ" بالمدينة⁽³⁾، وكان ذلك سنة 1394م،⁽⁴⁾ حيث تمكن من استمالة حاكم المدينة الذي تنازل له عن قطعة أرض، وجدت قرب "وادي قريش" أي "وادي المغاسل"، تلتها مقبرة "مدارش"⁽⁵⁾.

H. Klien, feuillets1937, p80.

(1)

(2) مجموعة 3205، الملف الثاني، رسالة رقم 52، السنة 1002هـ الموافق لـ 1594م، محفوظة بالارشيف المكتبة الوطنية الحامة، الرصيد العثماني، (رسالة من ورقة).

H. Klien, feuillets1937, p80.

(3)

* تضاربت الآراء في تاريخ تحديد قدمه إلى مدينة الجزائر فالأستاذ Cahen ذكر أن إسحاق بن شيشات عرج أولاً على مدينة مليانة وكان ذلك سنة 1391م، ثم استقر بمدينة الجزائر بتاريخ 1394م، بينما يرى الأستاذ Hanoun أنه قدم مباشرة إلى مدينة الجزائر وذلك سنة 1391م، أنظر:

Ab.Cahen, p56 .

J.Hanoun, Op.Cit , p13.

Ab.Cahen, Op.Cit, p56.

(4)

H. Klien, feuillets1937, p80.

(5)

التي وسعت على حساب قطعة أرض كانت ضمن أوقاف الجامع الأعظم، منحها الحاج شعبان باشا* لليهود لغرض توسيع مقربتهم التي ضاقت عليهم مقابل تنازلهم عن دار أسفل سوق "الجمعة" المعروفة بـ"دار الفار" لصالح الجامع الأعظم، وكان ذلك بعد موافقة المجلس العلمي.

تبعا لما نصت عليه الوثيقة المؤرخة بسنة 1102هـ الموافق لـ 1690م اذ جاء فيها مايلي: "...البحيرة والرقعة اللصيقة بها... غلتها وفي مصالح الجامع الأعظم.. استقر على ملك جماعة اليهود القاطنين بالبلد المذكور وهم شالوم الذمي المذكور مبتاعا في الرسم الآخر من الرسوم الملصقة بعضها ببعض... والجماعة مبتاعا لهم بالرسم الموصى اليه جميع الدار الكاينة أسفل الدار الكاينة أسفل سوق الجمعة داخل البلد المذكور المعروفة بدار الفار المذكورة معهم بالابتياح الصحيح والثلث المقبوض من أمين بيت المال السيد أحمد... التركي الناظر... على شغل المواريث الخزينة بالبلد المذكور.. أن الباعة المذكورين ضاق المال عليهم في مقابرهم ولم يجدوا موقعا يشترونه ويعملونه مقبرة لدين موتاهم وارادوا معاوضتها جميع الدار المذكورة ورجعوا أمرهم في ذلك إلى الملك الهمام... السيد الحاج شعبان... وذلك أمر السلطان الأعظم المذكور... إلى أمام المسجد المذكور وإلى المجلس العلمي المنعقد في الجامع المذكور في البلد المذكور... عام اثنين ومائة بعد الألف**". (1)

* عين من الباب العالي حاكما على البلاد في شهر جويلية سنة 1592م خلفا لخضر باشا، ادار دفعة الحكم لمدة ثلاثة سنوات ليشدا رحاله الى اسطنبول في شهر جويلية سنة 1595م، لم تشهد الجزائر طول فترة حكمه احداث تذكر على غرار الطاعون اللي استمر بها ثلاثة سنوات والمجاعة أنظر:

F.D.Haédo, Histoire des rois d'Alger, Alger, 1881, pp214.217.

** الجدير بالذكر أن سنة 1102 هجري يوافق لـ 1690 ميلادي، وهو لا يتوافق مع فترة حكم الداوي شعبان باشا المذكور في الوثيقة، اذ ان فترة حكمه تمتد من سنة 1592م الى غاية 1595م ويقصد بذلك بأن هذه الوثيقة أعيدا كتابتها سنة 1102 هـ الموافق لـ 1690م.

(1) مجموعة 3205، الملف الثاني، رسالة رقم 52، السنة 1002هـ الموافق لـ 1594م، محفوظة بالارشيف المكتبة الوطنية الحامة، الرصيد العثماني، (رسالة من ورقة)، أنظر: الملحق رقم 51.

ومنذ أن توافد الاستعمار الفرنسي إلى المدينة، والصراع قائم على هذه المقبرة فتارة تصادر عن أصحابها، ثم تدفع إليهم بعد ذلك كما حدث سنة 1832م، ليعاد اغتصابها مرة أخرى لتستغل لأغراض تخدم الهيئة الحاكمة، أو بحجة استغلالها في أحسن صورة كما وقع ذلك سنة 1844م.

ومازاد الطين بلة شق الطرقات فيها مما تسبب في إزالة العديد من القبور، ومن تم سارعت الجالية اليهودية إلى إنقاذ مايمكن إنقاذه، ووقع الاختيار على القسم الذي يضم قبور "الحاخامات اي الأولياء الموقرين" ومن تم طوقت بجدران وكان ذلك سنة 1867م.

ولما ضاقت عليهم المقبرة تم التنازل عنها مقابل الانتقال إلى مقبرة حديثة ألا وهي مقبرة "القديس أوجين اي سانت اوجين".*

وأخيرا "مقبرة البكري" الأحدث التي تم تشييدها سنة 1794م، دفن بها أفراد من عائلة البكري بالإضافة لأخرين،⁽¹⁾ تزامن تاريخ بنائها مع فترة حكم الداوي حسان باشا الذي جمعه علاقة طيبة مع هذه العائلة كما سبق ذكر ذلك آنفا.

واننا نرجح بأنها اقتصررت على مجموعة اليهود الليفورنيين الذين حضوا بمكانة خاصة في قلوب الحكام حيث سمح لهم بممارسة مختلف نشاطاتهم بالحرية كالتجارة وغيرها على الرغم من السمعة غير طيبة التي عرفوا بها عند الأجانب، ومن علامات الاهتمام المتسقة للعيان انفرادهم بمعبد خاص في حيهم كما سبق ذكر ذلك آنفا، فضلا عن مقبرة خاصة ذات طابع عائلي وطائفي.

* بولوغين حاليا.

H. Klien, feuillets, 1937, p81.

(1)

1.5 دراسة تاريخية لنماذج الأضرحة:

1.1.5. ضريح إسحاق بن شيشات برفات" و"سيمون بن سماح دوران":

الموقع : يقع بحي بولوغين أو سانت أوجين سابقا.

تاريخ التأسيس:

هناك تضارب في الآراء فالأستاذ كلاين يرجح أن تاريخ التشييد يعود إلى سنة 1896م مرافقا لنقل رفاة الحاخامين، يعلل ذلك قائلا: "...إذ تم دفنهم بداية في مقبرة ريباخ وبعد توافد الفرنسيون الى المدينة تم اقتطاع قسم من هذه المقبرة وعوض أصحابها بمبلغ مالي قدره 852، 14 فرنك وذلك سنة 1844م، اشتمل القسم المتبقي منها على ضريح الحاخامين المبجلين، ولتقديسهم قامت الطائفة اليهودية ببناء ضريح لهم على الطراز الموريسكي سنة 1862م، وبعد أربع سنوات حليت جدران المقبرة بكتابات تذكارية جعلت باللغة العربية والعبرية وكذلك الفرنسية، قيدا فيها تاريخ وفاة الحاخام سيمون بن سماح دوران، استغلت المقبرة في ضم قبور نساء اليهود من الإسبانيات والعرب وجعلت كمكان للحج، وفي سنة 1896م تم هجرها نظرا لعجزها عن تغطية حاجات الطائفة..."⁽¹⁾

اما الأستاذ حانون يذكر أن المبنى أحدث من هذا التاريخ إذ يرجع إلى سنة 1909م، على الرغم من أنه تم نقل الرفاة قبل ذلك بثلاث عشر سنة.⁽²⁾، وهذا مادلت عليه الكتابة التأسيسية التي ازدان بها الضريح.

الكتابات التذكارية:

ازدان الضريح بالعديد من الكتابات التذكارية، وجدت بالقاعة التي تتقدم قاعة الضريح وتمثلت في:

الكتابة الأولى: (صورة رقم 2)

ازدان بها الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح، نفذت بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، على لوحة رخامية مستطيلة الشكل.

H. Klien, feuillets, 1937, pp80,81
J.Hanoun, Op.Cit, p12.

(1)

(2)

ارتفاعها: 199سم، عرضها: 150سم.

يتكون النص من أربعة عشر سطرا، كتب النص باللغتين العبرية والفرنسية معا.

سطر (1): شيذا هذا المبنى.

سطر (2): على شرف.

سطر (3): تبجيل أكبر الحاخامات.

سطر (4): إسحاق ابن الربى شيشات برفات.

سطر (5): ولد في فالونسا (اسبانيا) توفي في الجزائر.

سطر (6): وفي سنة 1408م توفي عن عمر 82 سنة.

سطر (7): سيمون ابن الربى سيماح دوران.

سطر (8): ولد في برشلونة سنة 1361م وتوفي في الجزائر.

سطر (9): وفي سنة 1444م* توفي عن عمر 83 سنة.

سطر (10): تحت إشراف.

سطر (11): ا.ماردوشي ليفي_ فالونسي.

سطر (12): والمتسابقين الكرماء.

سطر (13): والأستاذ. ا. سوزي المهندس المعماري**.

سطر (14): بتاريخ 20 أبريل 1909م بالجزائر.

* يجدر الإشارة بأن التاريخ المدون على اللوحة التذكارية غير صحيح وفقا لما أتى على ذكره حانون فقد حدد تاريخ وفاة بسنة 1442 كما سبق ذكر ذلك أنفا، أنظر: J.Hanoune, Op.Cit, p8 .

** بفضل مهارة هذا المهندس تم إستخراج جثث الحاخامان من دون لمسها عن طريق إزالة الحجارة المتدلية وحفر خنادق عميقة حول المدافن، فضلا عن وضع الواح خشبية ودوائر حديدية تحتها، بعد ذلك تم صب طبقة خفيفة من الإسمنت لمنع إنهيار الأرض، وباستخدام الرافعة القوية تمت إزالة الكتل التي تشكلت في ضربة واحدة، أنظر:

<https://www.skyscrapercity.com/showthread.php?t=1876569>.

الكتابة الثانية: (صورة رقم 3)

وجدت على يمين مدخل قاعة الضريح.

نفدت بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، على لوحة رخامية مستطيلة الشكل معقودة من الأعلى.

ارتفاعها: 145سم، عرضها: 84سم.

يتكون النص من ستة عشر سطرا، كتب النص باللغة العبرية.

سطر (1): هذا المعلم.

سطر (2): رمم من طرف.

سطر (3): طائفة يهود.

سطر (4): الجزائر تحت.

سطر (5): شرف الحاخام.

سطر (6): إسحاق بن شيشات .

سطر (7): المولود بالإسبانيا.

سطر (8): والمتوفي.

سطر (9): في الجزائر.

سطر (10): سنة .

سطر (11): 1442.

سطر (12): عن عمر.

سطر (13): 88 سنة.*

سطر (14): في الجزائر.

سطر (15): في 11.

سطر (16): فيفري.

سطر (17): 1866م . (1)

الكتابة الثالثة: (صورة رقم 3) .

وجدت على شمال مدخل قاعة الضريح، نفذت بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، على لوحة رخامية مستطيلة الشكل معقودة من الأعلى.

ارتفاعها: 145سم، عرضها: 84سم.

يتكون النص من سبعة عشر سطرا، كتب النص باللغة العبرية.

سطر (1): هذا المعلم.

سطر (2): رمم من طرف.

سطر (3): طائفة يهود.

سطر (4): الجزائر.

سطر (5): وعلى ذكرى

سطر (6): الحاخام الكبير الجليل

* يجدر الإشارة بأن التاريخ المدون على اللوحة التذكارية غير صحيح وفقا لما أتى على ذكره حانون فقد حدد تاريخ الوفاة بسنة 1408 م

J.Hanoune, Op.Cit, p8.

كما سبق ذكر ذلك أنفا، أنظر:

H. baeyer, Le livre d'or des israélites Algériennes, Alger, 1872, p4.

(1)

سطر (7): سيمون دوران

سطر (8): المولود سنة

سطر (9): 1361م بـيرشلونة

سطر (10): المتوفي

سطر (11): عن عمر

سطر (12): 83 سنة

سطر (13): بالجزائر

سطر (14): في 24 أغسطس

سطر (15): سنة 1444

سطر (16): بالجزائر

سطر (17): 1866.⁽¹⁾

يجدر الإشارة أن هذه الأخيرة وسالفتها تشبه لحد كبير في تصميمها للوحة الرخامية التي ازدان بها مدخل ضريح عزرا بالعراق.

الكتابة الرابعة: (صورة رقم 5).

جعلت بجانب الكتابة التذكارية الثانية، نفذت بأسلوب الحفر الغائر المملوء باللون الأسود، على لوحة رخامية اتخذت الشكل نصف دائري.

ارتفاعها: 30سم، عرضها: 40سم.

يتكون النص من سطر واحد، كتب النص باللغتين العبرية والفرنسية.

سطر (1): ريباخ.

الكتابة الخامسة: (صورة رقم 6).

جعلت بجانب الكتابة التذكارية الثالثة، نفدت بأسلوب الحفر الغائر المملوء باللون الأسود، على لوحة رخامية اتخذت الشكل نصف دائري.

ارتفاعها: 30سم، عرضها: 40سم.

يتكون النص من سطر واحد، كتب النص باللغتين العبرية والفرنسية.

سطر (1): أرشباخ.

صاحب التسمية:

هما الحاخامان "إسحاق بن شيشات" المدعو بـ"هاريباخ" أو "ريباخ"، و"سيمون بن سماح" المدعو بـ"هارشباخ" أو "رشباخ"، تطلق عليه أفراد الطائفة لقب "دوران".

كانت لهم سمعة طيبة في نفوس الأهالي وأفراد طائفتهم إكتسبها بفضل هجرتهم الأسطورية من إسبانيا إلى الجزائر، وفرارهما من السجن بمعجزة إلهية.

إذ تزعم الأسطورة أن الحاخامين قد زج بهم في السجن رفقة حاخام آخر وصديق لهما زنجي، فضلا عن أعيان القوم من بني جلدتهم، تم الضغط عليهم لردهم عن دينهم، مما دفع برفقائهم في السجن للتذمر والرغبة في الخلاص في أقرب وقت، حثهم الحاخامات بضرورة الصبر والاحتساب حتى يأذن لهم الرب بذلك، وجاءت مشيئة الرب ونادى مناد يطلب منهم رسم سفينة على جدار السجن بقطعة من فحم وبمقدرة إلهية، أمسى الرسم حقيقة فبمجرد ما يضع المرء يده عليه، يخيّل إليه وجود سفينة في عرض البحر تغادر السواحل الإسبانية. (1)

طلب الحاخامات من رفقائهم أن يضع أصبعهم على جزء من الرسم لكي يصعدوا على ظهر السفينة، واشتروا عليهم أن يخلص إيمانهم للرب، سخرا العديد منهم أما البعض ارتاب وشكك في الأمر، بينما سلم البعض الآخر بذلك ومن بينهم صديقهم الزنجي.

وبينما السفينة تشق طريقها في البحر واذ بالأسطول الإسباني المتكون من 304 سفينة يطاردتهم، وللخلاص منه أسرع الحاخامات إلى التضرع للرب راجين منه النجاة. وكان لهم ذلك فبمجرد ما نزلوا من السفينة ووطأت أقدامهم ميناء مدينة الجزائر، أمروا صديقهم الزنجي أن يتناول عصا، ويضرب بها البحر فاهتزت الأرض لذلك وهاج البحر فغرق الأسطول. وفي رواية أخرى أن السماء أمطرت نارا بمشيئة الرب فأحرقت الأسطول الطاعي، ولقد جرت كل هذه الأحداث أمام أعين الأهالي مما أكسب الحاخامات تبجيلا وتقديسا.⁽¹⁾ ولقد أشارت الدراسات التاريخية اليهودية أن عدد الأفراد القادمين تحت إشراف الحاخام "بن شيشات" بلغ عددهم أكثر من 20000 ألف فردا، شكلوا من 45,000 عائلة.⁽²⁾ وبفضل هذين الحاخامين شكلت اللبنة الأولى للجالية اليهودية بمدينة الجزائر، وقد كان للحاخام "ريباخ" شأن عظيم حيث نصب مقدما للجالية،⁽³⁾ بقي محافظا على مركزه إلى أن وافته المنية سنة 1408م، ليخلفه "رشباخ" سار هذا الأخير على نفس الدرب إلى أن توفي سنة 1442م،⁽⁴⁾ على ما يبدو أن هذا التاريخ غير صحيح على حد تعبير كاهن⁽⁵⁾ فان تمحصناه جليا سيظهر لنا أن الربى رشباخ توفي عن عمر يقارب 130 سنة.

الضريح من خلال المؤلفات:

يصفه سبيروا في القرن 12هـ/18م نقلا عن أثال قائلا: " نزعت حذائي وهمت بالدخول إلى المقبرة يبدو لي الضريح من الخارج وكأنه بناء منخفض، أبعاده لا تتعدى تقريبا خمسة أقدام * ارتفاعا. ولقد كان عليا أن أنزل سلما من درجتين، لأجد نفسي في حجرة فسيحة تبلغ أبعادها تقريبا خمسة ياردات طولا، وثلاثة ياردات عرضا، وسبعة أقدام ارتفاعا تقريبا، ومن المحتمل أن يصل ارتفاعها إلى ثلاثة ياردات ** انطلاقا من الأرضية.

R.Attal, Op.Cit, pp,141,144.

H. Garrot, Op.Cit, p36.

Ab.Cahen, Op.Cit , p58.

J.Hanoun, Op.Cit, p11.

Ab.Cahen, Op.Cit , p58.

(1)

(2)

(3)

(4)

(5)

* القدم الواحدة تساوي 3048، 0 م بمعنى خمسة أقدام تساوي 1،52 م، وسبعة أقدام تساوي 13، 2 م.

** الياردة الواحدة تساوي 44، 91 سم بمعنى ثلاثة ياردات تساوي 74، 2 م، وخمسة ياردات تساوي 57، 4 م.

الحجرة مظلمة فالضوء لا يتسلل إليها إلا عند فتح بابها، وتبعاً لوجود عدد لا بأس به من الشموع والشمعدانات فالتهوية ضرورية، وللحصول عليها تم فتح عدد من الفتحات الصغيرة في الأعلى. فرشت بالمفروشات الشرقية الرائعة المطرزة من قبل النساء المؤمنات، قدمت كهبات تعبيراً عن تبجيل وتقديس أصحاب الضريح، ازدانت قبورهم بنقوش وهي عبارة عن كتابات باللغة العبرية، وقد تم تعليق ووضع الشمعدانات المتعددة الأشكال والأحجام والمتباينة المواد والتي تعود إلى فترات مختلفة في جميع أنحاء الحجرة.

في حين تم إيداع الهبات النذرية وصفها في أدرج (حنيات) من الحجر، شغلت الجدران الثلاث للحجرة مما أضفى على المكان زخرفة ورونقا.

اتخذت قبور الحاخامين الشكل المربع المسطح تقدر أبعاده باثنين ياردة طولاً على اثنين ياردة عرضاً*، جعلت من ألواح حجرية صممت بدقة وهي مغمورة في الأرض.⁽¹⁾

* إذا سلمنا بأن الياردة الواحدة تساوي 44، 91 سم فاذن ياردتان تساوي 82، 1 م

R.Attal,Op.Cit, p146.

(1)

2.5. دراسة وصفية للمخطط الضريح:

1.2.5. ضريح ريباخ ورشباخ: (مخطط رقم 2، 3)

مقاسات الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح: (مخطط رقم 3)

ضريح ريباخ ورشباخ	طول	عرض
الرواق	4,45 م	2,75 م

الوصف:

يتقدم قاعة الضريح رواق مزدان ببائكة من أربع أعمدة مركبة نصفها العلوي حلزوني أما السفلي مصلع جعلت لتضم دربوز من المعدن.

توجت هذه الأعمدة بتيجان كورنثية عقدت بعقود فارسية مسننة، طوقت بإفريز من المربعات الخزفية، تعلوها كتابة تذكارية أتلّف جزء كبير منها، طوقت بإفريز آخر من المربعات الخزفية، يعلوه إفريز منشاري، حمل شرفات .

فتح بالجانب الشمالي للرواق نافذة تطل على الخارج من الناحية الجنوبية، زخرفة بنجمة سداسية، بينما تضمن الجانب الأيمن لوحيتين رخاميتين اشتملت على كتابة تذكارية ورد ذكرها سابقا. كسي الجزء السفلي لجدران الرواق بمربعات خزفية متباينة الموضوعات الزخرفية أما القسم العلوي فقد ترك بدون زخرفة واكتفي بتبيضه بالجير.

فتح مدخل قاعة الضريح بالجانب الشرقي جعل إطاره من الرخام محلي بزخارف نباتية أما الباب فاتخذ من الخشب يقوم على دفتين زين بمسامير نحاسية حمل آثار مطرقة، أكتنف من الجانبين كتابتان تذكاريّتان تم التطرق إليهما آنفا. (صورة رقم 10)

مقاسات قاعة الضريح:

القسم الأول: (مخطط رقم 3)

عرض	طول	ضريح ريباخ ورشباخ
2م	3,53م	القسم الأول لقاعة الضريح

الوصف:

يلج إلى القاعة عبر المدخل الرئيسي ذي الإطار الرخامي الذي تم فتحه في الجدار الشرقي، اتخذ هذا القسم من القاعة مسقط مستطيل جعل على نفس مستو الرواق، سقف بقبوتين صغيرتين من أصل أربع قباب أحيطت بقبة مركزية للضريح.

كسيت جدرانه ببلاطات خزفية يصل ارتفاعها لحوالي 1,50م، فتح بالجدار الجنوبي منه نافذة تطل على الخارج فضلا عن سلم يفضي إلى القسم الثاني من القاعة شأنه شأن الجدار الشمالي، جهز هذا القسم بمنصة معدنية. (صورة رقم 15)

القسم الثاني: (مخطط رقم 3)

عرض	طول	ضريح ريباخ ورشباخ
3,25 م	5,47م	القسم الثاني لقاعة الضريح

الوصف:

نصل إليه بفضل السلم الرخامي الذي تم فتحه بالركن الأيمن والشمالي للقاعة، اتخذ هذا الأخير المسقط المستطيل، تم تسقيفه بقبة مركزية محاطة بقباب صغيرة تتخللها شمسيات بغية الإضاءة والتهوية.

كسيت جدرانه ببلاطات خزفية على علو لا يزيد عن 79سم، فتح بكل من جداره الجنوبي والشمالي نوافذ تطل على الخارج، وزعت بالشكل التالي ثلاثة نوافذ بكل جدار.

جهز هذا القسم بقبر الحاخامين ريباخ ورشباخ بالإضافة لقبور أخرى بلغ عددها ثلاثة اكتتفت هذه الأخيرة من الجانبين، وقد اتسمت بالبساطة فهي عبارة عن حفرة مطمورة في الأرض افتقرت للشاهد لذا نجعل أصحابها فهل تعود إلى أفراد عائلة الحاخامين أو إلى حاخامات آخرين تم جلبهم من مقبرة "مدارش" التي تضمنت ضريح حاخامات كما سبق ذكر ذلك آنفاً؟.

أو يمكن أن يعود إحداهما إلى قبر الزنجي رفيق الحاخامين الوارد ذكره في الأسطورة؟، وللإشارة أن سبيروا نقل عن اتال ذكرا أن هذا الأخير دفن بجانب سور المقبرة وللتحريض في وصفه السابق نجد أن الضريح المشيد في القرن 18م يختلف عما هو عليه اليوم فلربما تم وضعه بجانب أصدقائه بعد تجديده في القرن 19م.

الجدير بالذكر أن أركان هذا القسم جهزت بمزهريتين تقوم كل واحدة على أعمدة حلزونية محلات بكتابة عبرية، اتخذت من الرخام الأبيض.

قبر ريباخ: (مخطط رقم 3)

اسم المعلم	طول	عرض
قبر ريباخ	1,70م	0,70م

وصفه:

اتخذ الشكل المستطيل اشتمل على شاهد رباعي الشكل قليل السمك يشبه المنضدة جعل من الحجر الكلسي ازدانة بكتابة شاهدة بارزة عن السطح، كتبت باللغة العبرية.

طوله: 1,60م، عرضه: 0,57م. سمكه: 3سم

يتكون النص من احد عشر سطرا، كتب باللغة العبرية. (صورة رقم 7)

سطر (1): الكون في قشعريرة كبيرة.

سطر (2): الزهرة الغالية ذبلت.

سطر (3): نجوم السماء تسترت بحجاب حداد.

سطر (4): كم تزعزع مجد التعليم.

سطر (5): وتغير مذاق الخمر المعطر إلى شيخ لأن الله.

سطر (6): أخذًا إسحاق.

سطر (7): اشتاق إسحاق أن يصعد إلى الأعلى.

سطر (8): تاركًا ملذات هذا العالم.

سطر (9): حيث يمارس فضيلة وهو محفور في عرش الله.

سطر (10): وهو بجانب الملائكة.

سطر (11): مبتسم يسمع أغانيهم في السماء.⁽¹⁾

قبر رشباخ: (مخطط رقم 3)

اسم المعلم	طول	عرض
قبر رشباخ	1,71م	0,70م

وصفه:

اتخذ الشكل المستطيل كسي بالرخام الأبيض اشتمل على شاهد رباعي الشكل قليل السمك يشبه المنضدة ازدان بكتابة شاهدة نفذت بأسلوب الحفر الغائر دون الرصاص، كتبت باللغتين العبرية والفرنسية وحلي بزخرفة نباتية.

على ما يبدو أنه حديث يعود إلى مطلع القرن 19م تسليما بما أتى على ذكره سبيروا نقلا عن أثال عند وصفه لقبر الحاخاميين إذ صرح أنها تقوم على ألواح حجرية متقنة الصنع، وما يؤكد ذلك الحاقها بكتابة من اللغة الفرنسية.

قامت هذه الاخيرة على الابعاد التالية: طوله: 1,50م، عرضه: 0,50م. سمكه: 3سم

يتكون النص من سطر، كتب باللغة العبرية، ترجم إلى اللغة الفرنسية، فاشتمل على سبعة أسطر.
(صورة رقم 8)

سطر (1): على ذكرى.

سطر (2): الحاخام الكبير الأزلي.

سطر (3): سيمون دوران .

سطر (4): المتوفي سنة .

سطر (5): 1444 بالجزائر.

سطر (6): في 24 أغسطس.

سطر (7): 1866 .

3.5. دراسة تحليلية لمخطط الضريح:

من الملاحظ أن قبر الحاخامين ريباخ ورشباخ عبارة عن كتلة رخامية واحدة، وفقا لما انتشر بمدينة الجزائر فالقبور شكلت من كتلة واحدة حيث تم الاعتماد على بلاطات سواء من مادة الحجر أو الرخام تعرف بـ"المغاتي".⁽¹⁾

وللإشارة أن طريقة بناء القبر تختلف من بلد إلى آخر فضلا عن مدينة إلى أخرى ففي الصورة مثلا تغطي جوانب القبر بالخشب وفي فاس بالأجور،⁽²⁾ إلا أنها أجمعت على ترك فراغ صغير بأحد طرفي القبر بغية إشعال الشموع،⁽³⁾ وعلى ما يبدو أن هذه الظاهرة انتشرت بالمغرب الأقصى دون الأوسط فقد افتقر القبران للفراغ الصغير.

ولقد انفرد هذان الأخران بارتفاعهما المبالغ فيه نوعا ما مما يوحي بأن العلة تكمن في عملية إعادة الدفن بمعنى أنه لما تم نقل جثمانهما حرص على عدم لمسهما، ومن ثم اهتدي إلى اقتلاعهما ككتلة واحدة لعل هذا ما أكسبهما ارتفاعا تجلى للعيان.

ومن الملاحظ الإقبال الكثيف على الشاهد ذي شكل منضدة تبعا للنماذج المدروسة إلا أن هذا لا ينفي وجود نوع آخر يكمن في تلك الشواهد ذات الشكل المنشوري التي انتشرت على غرار نظيرتها بالمقابر اليهودية فمن المرجح تغلغلها إلى المنطقة عن طريق الاحتلال الروماني لها وقد انتشرت بكثرة في المغرب والبرتغال.⁽⁴⁾

وان عدنا إلى الكتابة التي ازدان بها شاهد القبرين يتسق لنا التحكم في الحفر سواء الغائر المملوء بالرصاص أو الكتابة البارزة، والإقبال عليها معا حيث يمكن الجمع بينهما معا كما هو الحال بشاهد قبر الحاخام رشباخ.

وفيما يتعلق بالضريح نجد أنه متشعب بالطراز الموريسكي القائم على الكسوة الخزفية والتحلية الزخرفية الجصية القائمة على الأرابيسك فضلا عن العقود الفارسية المسننة والقباب التي تم اعتمادها في التسقيف.

(1) زهية بن كردرة، "الشواهد العبرية بالمتحف الوطني للأثار"، عن: حوليات المتحف الوطني للأثار، العدد الخامس، 1996م، ص34.

(2) حاييم الزعفراني، يهود الاندلس ...، ص486.

(3) ايلي مالكا، المرجع السابق، ص79.

(4) زهية بن كردرة، "الشواهد العبرية بالمتحف ..."، عن: حوليات المتحف الوطني للأثار، العدد الخامس، ص39.

والمتخصص لواجهات الضريح يظهر له الشبه القائم بينه وبين المعبد الكبير، وهذا ما يدل على طبع العمارة اليهودية بهذا الطراز المتشعب بالفن الموريסקي ذي الهوية اليهودية القائمة على الكتابات العبرية والشمعدان ونجمة داوود.

فعصارة القول أن الفكر اليهودي بسيط ذو طابع بدوي ليست له دراية لا بالكتابة ولا الفن ولا العمارة صقل بعد العودة من السبي البابلي حيث ظهر التشريع اليهودي القائم على الشريعة الكتابية والشفوية، أي "التوراة" و"التلمود" دعم بـ "الرسبونسة" و"التقانون" تبعا لمحدوديتهما زمانا ومكانا. وتبعا لتباين مصادر التشريع أدى إلى تباين وتشعب فرق دينية مختلفة، كل واحدة منها تتبنى مصدرا تشريعيًا تستمد منه شرائعها وبذلك تختلف الشعائر والطقوس الدينية، تجلت هذه الطوائف في: الريانيون والقراؤون والسامريون.

لقد نتج عن تهديم الهيكل وسبي رعاياه إلى الاهتداء لإقامة المعابد بغية الصلاة فيها، تباينت هذه الأخيرة تبعا لتعدد الطوائف ومن تم خطت أما على الطراز البازيليكي أو المسجدي تماشيا مع الطائفة المتبناة لها، تم تحليلتها بالطرز السائد زمن التشييد وبذلك نجدها إما محلات بالطراز الهلنستي أو الموريסקي وغيره.

ولدت حركة التحرر وإقامة مستوطنات التي تمتع بها بنو إسرائيل في ظل حكم الملك "أويل مردوخ البابلي" إلى إقامة أضرحة اتخذت كمزارات تجلت في "ضريح حزقيال" وذلك من باب التقليد وولع المغلوب بالغالب.

شهد نشاط التعمير فترة من الركود لم ينعش منه إلا بعد مواكبته للحضارة الإسلامية، فتسقت لنا معابد وأضرحة محلات بطرز متباينة نذكر منها: الطراز المملوكي كضريح "موسى بن ميمون" ومنه ما اشتمل على أكثر من طراز "كضريح عزرا".

عرف الفكر اليهودي طفرة فكرية أخرى عند احتكاكه بمفكري الأندلس المسلمين انعكس على خلق حركة صوفية قبلية متشعبة من الفكر التصوفي الإسلامي، نشطت في المغرب الإسلامي دون سواه تبعا لقابلية استقبال هذه الأفكار والممارسات فاتسقت لنا أعياد صبغت بالصبغة الصوفية تجلت في "عيد الميمونة" و"عيد الهيلولة".

الفصل الثاني

المنشآت المدنية

1. الممكن تطوره وطرقه.
2. المماكن داخل أسوار مدينة الجزائر وخارجها.

لقد سعى المرء جاهدا منذ القدم إلى إيجاد مكان يحتمي فيه من قساوة الطبيعة، وليوفر له الراحة والاستقرار، يتجلى هذا المكان في المأوى أي المسكن.

1. المسكن:

لغة: جمع مساكن.

اصطلاحاً: هو المنزل أو البيت، وربما قسم الدار إلى قسمين: المسكن والإسطبل لا يفصل بينهما حاجز، إذ تقع أرض الأول عن مستوى أرض الثاني.⁽¹⁾

والجدير بالذكر أن مصطلح المسكن لم يعرف رواجاً في مختلف العصور الإسلامية، إذ عوض بمصطلح "الدار" مثلما ورد في وثائق العصر المملوكي،⁽²⁾ وكذا بالمثل في وثائق المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، فقد ورد في إحدى الوثائق المؤرخة في أواسط رجب من عام 1109 هـ الموافق لـ 1698م-1697م، والتي تشير إلى شراكة جماعة من اليهود لملكية دار بسوق الخياطين الشهيرة بـ "دار العربية"، جاء فيها مايلي: "...الشراكة لم تفوت عنهم في جميع الدار الكاينة بسوق الخياطين بسكة غير نافذة، تقابل الداخل للسكة المذكورة وشهرتها جمعت بدار العربية أغنت عن تحديدها وزيادة التعريف بها...بتاريخ أواسط رجب من عام تسعة ومائة وألف".⁽³⁾

(1) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، جروس برس، بيروت، 1988م، ص 383.

(2) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 103.

(3) علبة 84، 85، 86، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 13، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

2.1. تطور المسكن:

لقد تباينت صورة المسكن وفقا للزمان والبيئة وكذلك مستوى الفرد من حيث الفقر والغنى، إذ يعد كمظهر ثقافي وحضاري للأسرة والمجتمع، وهو يعكس تلك الخبرات الهامة في مجال البناء والتعمير التي اكتسبها المرء منذ ألوف السنين، مهدت هذه الأخيرة إلى بزوغ الحضارات وظهور المدن في المشرق العربي، تبعا لما كشفت عليه الحفريات التي أقيمت في كل من: بلاد الرافدين، سورية، مصر،⁽¹⁾ وعلى هذا الأساس يمكننا تقسيم المسكن إلى طرز.

3.1 طرز المسكن:

1.3.1. التخطيط ذو الصحن:

انبثق من تخطيط المسكن الذي عرف خلال العصور التاريخية قبل بزوغ الإسلام، دلت الدراسات على أن الشكل العام للبيت، كان يقوم على فناء مكشوف تحيط به، غرف جعلت مستطيلة وضيقة، لكي يسهل تسقيفها بالأقبية، وهي الطريقة الشائعة في بلاد الرافدين.⁽²⁾

لقد استمر تخطيط المسكن خلال العصور الإسلامية وفقا لهذا التخطيط، كونه يتلاءم مع الحياة الدينية والاجتماعية، مثلما وجد في كل من الجزائر وتونس.⁽³⁾

انسلخت من هذا الطراز أساليب أخرى متباينة سواء أكانت متطورة عنه، أو وليدة الظروف الجغرافية، أو العوامل الاجتماعية تبعا للأقطار التي ظهرت بها.

(1) عبد القادر الريحاوي، "البيت في المشرق العربي"، عن: المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، وزارة الثقافة الجزائرية، تلمسان، 1987م، ص46.

(2) نفسه، ص46.

(3) G. Maçais, « Les origines de la maison Algérienne » dans : Cahier des arts et techniques d'Afrique du nord , n°7, 1974, p45.

كالقصور الأموية التي تشبه إلى حد بعيد القصور الرومانية في كل عناصرها المعمارية، من حمامات، جدران، عقود، حنيات بوابات، فضلا عن الزخارف الهلنستية التي حليت بها هذه القصور كقصير عمرة،⁽¹⁾ يعود ذلك إلى اعتمادهم في أول الأمر على صناع وفنانين من المسيحيين والسوريين الذين تتلمذوا عليهم، وبذلك بزغ الطراز الأموي المنبثق من الفن الإسلامي، انتشر هذا الفن الفتى بحوض البحر المتوسط والمغرب الإسلامي، بالإضافة إلى الأندلس بفضل الحكام وأتباعهم الذين فروا إلى الأندلس، واستقروا بها بعد سقوط الدولة الأموية على يد العباسيين سنة 750م.⁽²⁾

انبثق من هذا الطراز طراز آخر يعرف بـ "الطراز المغربي الأندلسي"، قام على أيدي الموحدين في منتصف القرن 12هـ/12م، ازدهر حتى بلغ أوج تطوره في قصر الحمراء بغرناطة في القرن 14هـ/14م.⁽³⁾

وفقد الفن الإسلامي سماته العربية الشامية الهلنستية خلال العهد العباسي، تبعاً لتغلغل المؤثرات الفارسية التي تظهر لنا من خلال إحياء التقاليد الفنية الساسانية، والمتمثلة في استخدام كل من اللبن، والأجر (الطوب) في البناء بدلا من الحجارة، والتي نتج عنها الاستعاضة عن استعمال الأعمدة الحجرية، وقواعدها، وتيجانها تبعاً للإقبال على الدعامات المبنية بالأجر سواء كانت مربعة أو مستطيلة، أو صليبية الشكل، والتي أكسبت المنشآت شموخاً سواء إن حملت السقف مباشرة، أو بواسطة عقود فغالبا ما يتم الإقبال على العقود المدببة التي تزيد في ارتفاع السقف، وكذا بالمثل فيما يخص القبة التي تغطي الإيوان الذي نقل عن طاق كسرى.⁽⁴⁾

حليت هذه المنشآت بالأجر ذي البريق المعدني المزجج ككسوات زخرفية بديعة سواء من الداخل أو الخارج، فضلا عن الكسوة الجصية التي عرفت تطورا في سامراء، إذ ظهر

(1) عبد الحميد سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، إسكندرية، د.ت، ص311.

(2) كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص17.

(3) نفسه، ص158.

(4) عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص ص327، 329.

طراز فني جديد يعرف بـ"طرز سامراء" يوحى بالتبلور الذي وصلت إليه الزخارف آنذاك، تتجلى جل هذه السمات في قصر الأخيضر 163هـ/780م.⁽¹⁾

امتدت هذه الأفكار المعمارية العراقية إلى القيروان،* ثم سدراته في منتصف القرن العاشر بفضل الفاطميين المستقرين بالعاصمة صبرة المنصورية منذ 947م إلى غاية 973م، تتجلى هذه التأثيرات من خلال الحفريات التي أقيمت بسدراته حيث كشفت على بيوت تقوم على فناء مركزي تتوزع عليه من الجانبين، غرف تطل عليه، إما مباشرة أو عبر رواق معقود بعقود حملت على دعائم ضخمة.

تتسم الغرف بالاستطالة قد تصل إلى 12م، إلا أنها ضيقة حيث لا تتجاوز 2م إلى 3م يكتنفها من الطرفين إيوانان، أو مخدعين للنوم يرتفعان عن مستوى الأرضية ومغطيتان بأنصاف قباب، وعقدتا بعقود مزدوجة، فضلا عن الإيوان الغائر المواجه لمدخل الغرفة المطل على الفناء.⁽²⁾

استمرت هذه التأثيرات في التغلغل، حيث بلغت كل من فن العمارة الزيرية والحمادية نظرا لاحتكاكهم بالحكام الفاطميين ذوي الفضل في بلوغهم السلطة، نستشف هذه التأثيرات جلية في العمارة الحمادية خاصة، وبواجهات القلعة بالذات حيث ازدانت بتلك الحنايا، فالواجهة الجنوبية لمئذنة جامع القلعة زينت بحنايا متباينة نذكر منها.⁽³⁾

تلك التي تمتد طوليا لتنتهي بنهاية رباعية على شكل صدفة تشبه تلك الحنايا التي زينت بها واجهات جامع الأقمر بمصر في العهد الفاطمي، كما تذكرنا حنايا مئذنة قلعة بني حماد بتلك التضليعات التي ازدانت بها المحاريب في الفترة الفاطمية الزيرية وبالأخص

(1) عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص 329، 331.

* بفضل الأغالبة الموالين للعباسيين، وخير دليل على هذا تشييد قصر "العباسية" سنة 801م قرب العاصمة، أنظر:

أرنست كونل، المرجع السابق، ص 39.

(2) G. Maçais, « Les origines » In : Cahier des arts et techniques d'Afrique du nord , n°7, 1974, P46.

(3) L. Golvin, Recherche archéologique à la Quala des Bannu Hamad, G .P, maison, neuve et la rose, Paris, 1965, pp96, 98.

المهدية، فالجدير بالذكر أن واجهات المنشآت بمصر، قد زينت بحنايا متباينة قبل العهد الفاطمي، إذ تنتهي أغلبها بالشكل الصدفي كما هو الحال بمسجد ابن طولون، وبعده مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط اقتداء به.

اقتبست هذه المعالجة الفنية لواجهات المنشآت من المنشآت العباسية التي ازدانت بحنايا منها الأسطوانية المفصصة كقصر الرقة والمسطحة كقصر الأخيضر، فضلا عن مسجد سامراء وأبي دلف، لكن هذا لا يعني أنه ابتكار عباسي بل هو إحياء لتقاليد ساسانية قديمة، وفقا لما وجد بطاق كسرى⁽¹⁾.

لقد دلت الدراسات التي قام بها مارسلي على أن التأثيرات لم تقتصر على الواجهات فقط، بل امتدت لأبعد من ذلك فقد جهزت قاعات الاستقبال بقصر دار البحر بالعديد من الحنايا (أواوين)، شكلت بذلك جدران بارزة من الداخل⁽²⁾.

إلا أنه لم يستغن عن سمات طراز المغربي الأندلسي، فقد أشارت الأبحاث التي قام بها دوبيلي، عند تنقيبه بساحة قصر دار البحر على وجود طلاء خفيف من المينا على عمق 0,50م، فمن الممكن أنها قاعة الماء التي ذكرت المصادر على أنها جعلت للمبارزة الملاحية، وهي عبارة عن حوض مليء بالماء المجلوب من الخارج، يشبه هذا الحوض ذلك الحوض الذي حليت به ساحة الريحان بقصر الحمراء⁽³⁾.

2.3.1. طراز ذو الإيوانات:

بظهور الأواوين طرأ تغيير جذري لتنظيم المسكن في العراق والشام⁽⁴⁾، إذ خط وفق

تخطيط كل من البيمارستانات، والخانقوات.

L. Golvin, Recherche archéologique....., pp96, 98. (1)

G. Maçais, « Les origines », In: Cahier des arts et techniques d'Afrique du nord, n°7, 1974, P46. (2)

De beylie, La Qalaa de Beni Hammad une capitale berbère de l'Afrique du nord au xi siècle, Ernest Lernaut, Paris, 1909, P62. (3)

(4) فريد شافعي، المرجع السابق، ص248.

فالملفت للإنتباه أن المخطط العام لهذه المنشآت شبيه بمخطط البيت، فالصحن تتوسطه بركة، وتتوزع حوله قاعات وأواوين، فضلا عن غرف بالطابق العلوي يولج إليه عبر باب يفضي إلى دركاه (دهليز).

فبعد الصرامة التي شهدتها المنشآت في ضل الأيوبيين، أمست أكثر إشراقا وبهجة أثناء العهد المملوكي حيث أسرف في زخرفتها وتزيينها بغية التعبير عن الترف والرخاء الناتج عن انتهاء الحروب الصليبية، فضلا عن الازدهار الاقتصادي الذي عرفته البلاد مما دفع إلى ازدهار كل من المنشآت والفنون.

وبذلك أصبحت المنشآت تكثف في الزينة والزخرفة سواء من الداخل أو الخارج، فالفنان المسلم لم يسلم منه أي مكان في الأرض أو السقف، أو الجدران إلا وكساه بعنصر زخرفي من رخام ملون، أو مقطع على هيئة الفسيفساء، يمازجها الصدف أو رخام منقوش مغشى بالذهب، أو خشب محفور أو مطعم، أو مدهون بالأصبغة فحتى سطوح القباب لم تبق كما كانت عليه، بل كسيت بمختلف الزخارف، مثلما جسد في قصر قايتباي، انعكست هذه الثورة الفنية على المسكن في جل مناطق النفوذ المملوكي لاسيما مصر والشام.⁽¹⁾

وخلال العهد العثماني أقبل على تخطيط المسكن تبعا للتخطيط الإيراني المتجلي في سراي "جينلي كوشاك" المشيد سنة 877هـ/1427م،⁽²⁾ من قبل المهندس الفارسي كمال الدين يتخذ هذا الأخير من الخارج، كل مربع تبرز من إحدى أضلعه، حنية بارزة مضلعة تعلوها قبة فضلا عن القبة المركزية التي تتوسط البناء المتعامد، أحيطت بالقاعات والأواوين في الأركان، بالإضافة إلى البهو ذي الأعمدة تبعا للطراز الإيراني.

إلى جانب هذا الطراز من المساكن، نجد طراز آخر يعرف بـ"كوناك"، يقوم على عدة طبقات خشبية، تتضمن أدناها على حجرات الإستقبال "سلامك"، أما العلوية فتشتمل

(1) عبد القادر الرياحي، " البيت في المشرق...."، عن: المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، ص 52، 54.

(2) عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص 552.

على غرف لسكنى الحريم، تبرز الطبقات العليا نحو الشارع "خرجات" تستند على عوارض خشبية مائلة، تجهز جدرانها بالخزانات، والمواقد الفريدة الشكل.

اقتبس العثمانيون نظام القاعة المزخرفة الجدران والمحلات بنافورة في وسطها من بلاد الشام، فالجدير بالذكر أن القصور أي "السرايات" لا تختلف في تفاصيلها عن المساكن الخاصة إلا فيما يتعلق بمواد البناء، فغالبا ما تشيد من مواد أمتن مقارنة بتلك التي تستخدم في المساكن الخاصة.⁽¹⁾

والجدير بالذكر أن جل الأقطار التي خضعت للنفوذ العثماني بقيت محافظة على تقاليدها المحلية، والتي ظل تأثيرها قائما بالرغم من احتكاكها بمختلف الولايات التابعة للإمبراطورية العثمانية فضلا عن مركز الإمبراطورية بحد ذاتها، حيث أنها لم تتبنى أسلوب البناء العثماني، ماعدا تلك التجهيزات الثانوية والتفاصيل الزخرفية التي لا تقل أهمية من تلك التي تزخر بها منشآت الإمبراطورية، دون المساس بالتنظيم الرئيسي للدور،⁽²⁾ كما جسد في مساكن مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، إذ قامت هذه الأخيرة على الفناء المركزي المحلى بفسقية، جهزت غرفها بأواوين، كسيت جدرانها بكسوة جصية وأستعيض عن الفسيفساء الخزفية، لتخلفها المربعات الخزفية.

تم تشييدها بمواد محلية هشة لذا لم تتعد طوابقها طابقين أو ثلاث لا تزيد عن ذلك، تبعا لهشاشة مادة البناء، امتدت عموديا على غرار المساكن المشيدة في الأناضول، والتي تمتد أفقيا تبعا لشساعة المساحة، التي تقتصر إليها مدينة الجزائر المحصورة بين الأسوار، والممتدة على هضبة منحدر.

نستنتج إذن بأن المسكن سواء في المشرق أو المغرب، فهو منبثق من حضارة واحدة مستمد من تراث مشترك، رغم تلك الفروق في التفاصيل النابعة من اختلاف الأقاليم، أو المواد المتوفرة، أو العادات، والتقاليد المحلية الموروثة، فلكل مسكن شخصيته نابعة من

(1) أرنست كونل، المرجع السابق، ص126.

(2) أندريه ريمون، المدن العربية ، ص228.

طبوغرافية الأرض، ورغبات أهله وأذواقهم، فضلا لما يعتمد إليه المهندس والمعمار من محاولة الإبداع والتجديد.⁽¹⁾

2. المساكن داخل أسوار مدينة الجزائر وخارجها:

عرفت مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني نموا ديموغرافيا انعكس على الجانب العمراني للمدينة،⁽²⁾ نظرا لتوافد أهل الأندلس* المضطهدين بأعداد كبيرة، ودخول العنصر التركي (العثماني)، بالإضافة إلى نزوح السكان من الداخل نحو العاصمة الجديدة، وقد استمر هذا التوسع لمدة أربعين سنة،⁽³⁾ يتسق لنا هذا التوسع والامتداد، من خلال إنتشار المساكن في مدينة الجزائر داخل وخارج أسوارها.

1.2 المساكن داخل الأسوار: قدرت خلال القرن 9هـ / 15م بـ 12200 مسكن منها الصغيرة والكبيرة وفقا لتقديرات هايدو،⁽⁴⁾ وفي أواخر القرن 16م ومطلع القرن 17م بلغت 15000 مسكن تبعا لما صرح به شوفالي،⁽⁵⁾ وأما فونتور دي بارادي فقد ذكر بأن المدينة تستطيع استيعاب 5000 مسكن.

إن هذا التباين في الإحصاءات يدل على تطور المدينة التي كانت تمتاز مساكنها بتخطيطها الموحد، فإننا بمجرد تطلعنا على إحدى المساكن ندرك تخطيطها كلها، سواء أكانت صغيرة أو كبيرة، فمعظمها ذات طابق أرضي وطابق علوي (ثاني)،⁽⁶⁾ قد تصل إلى ثلاثة طوابق لا أكثر.⁽⁷⁾

(1) عبد القادر الريحاوي، "البيت في المشرق....."، عن: المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، ص55.

(2) ناصر الدين سعيدوني، " قانون أسواق مدينة الجزائر"، عن: حليات جامعة الجزائر، العدد الخامس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990م، ص123.

* نقصد بذلك اليهود والمسلمين على حد سواء.

(3) علي خلاصي، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداوي، دكتوراه حلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985م، ص23.

(4) F.D. Haédo, Topographie et histoire...., p142.

(5) Chevalier D'Avrieux, Op.Cit, p225.

(6) Venture de paradis, Op.Cit, p272.

(7) Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, 2édition, Bousalama, Tunis, 1980, p350.

يتسم باب المدخل بالصلاية اتخذ من الخشب دعم بالمعدن، لكي يتصدى لهجمات الجنود الانكشاريين، كونها معرضة للنهب أثناء الفتن والثورات فقد كانوا يستغلون هذه الفرص لنهب وسرقة المنازل.⁽¹⁾

تفتح الباب على مساحة غير واسعة، تدعى "بالسقيفة" يجلس بها الرجال لتبادل أطراف الحديث مع الجيران⁽²⁾ ولينجزوا أشغالهم، تم تجهيزها بمقاعد من كلتا الجانبين⁽³⁾ فهي تعد كقاعات استقبال مؤقتة حيث تحجب الغرباء عن أهل المنزل، بها باب يؤدي إلى ساحة مربعة، أو مستطيلة، مبلطة بالرخام أو الحجارة، تطوف حولها الأروقة من الجهات الأربعة، تقوم على أعمدة من الرخام أو الحجر.

تضم غرفا مستطيلة ضيقة لا يعرف من خلالها طلوع النهار، إلا من خلال الباب والنافدتين اللتين يكتنفان الباب،⁽⁴⁾ تتسم هذه النوافذ بصغر حجمها، حيث تسمح بتسرب القليل من الضوء، كون الباب كاف للإضاءة.⁽⁵⁾

غالبا ما تتضمن بعض الغرف دكة مواجهة للباب، يبلغ ارتفاعها بين 20سم إلى 50سم تدمج بالإيوان تكسى بالزربية، وتجهز بوسادات، تعتبر كالصالون الصغير، يستقبل فيه الأصدقاء.⁽⁶⁾

من الملاحظ أن النوافذ تفتح على الصحن، ولا تفتح على الخارج حفاظا على الحرمة،⁽⁷⁾ فالأهالي لا يريدون أن تكشف بناتهم أو نسائهم على الأجانب، لذا لا تفتح النوافذ على الشارع،⁽⁸⁾ ماعدا تلك الموجودة على الشرف، بشرط ألا تفتح إلا في أيام محددة كعرس مثلا، وغيرها من المناسبات حيث تكون الحرية للنساء، والأولوية لهن.

Boyer, Op.Cit, p150.

Venture de paradis, Op.Cit, P272.

Shaw, Voyage dans la régence..., p352.

Venture de paradis, Op.Cit, p21.

L. DeTassy, Op.Cit, p164.

Boyer, Op.Cit, p152.

Shaw, Voyage dans la régence... , p335.

F.D. Haédo, Topographie et histoire..., p47.

(1)

(2)

(3)

(4)

(5)

(6)

(7)

(8)

لعب الصحن دورا هاما حيث صار كقاعة حفلات لاستقبال جل الضيوف، مفروش بالزرايبي وغطي في فصل الصيف، للحماية من أشعة الشمس الحارقة، ثبت غطاؤه بواسطة حبال تشد جيدا يتم لفه عندما يستغنى عنه، يزود الصحن بالنافورة لترطيب الجو وانتعاشه تبعا لطبيعة الطقس التي تفرض كل هذا.⁽¹⁾

يلي الطابق الأرضي، طابق ثان به غرف عديدة، مشيدة على نفس النظام والحجم مع غرف الطابق السفلي،⁽²⁾ تسمى بـ"الغرفات" تكون إما كبيرة، أو صغيرة منخفضة أو مرتفعة شيدت بطريقة محكمة، يطوف حول هذه الغرف رواق مزدان بدرابزين، جعلت إما من خشب البلوط أو الصنوبر، زخرفت بزخارف متنوعة معظمها نباتية، فهي لا تشخص صورا آدمية.⁽³⁾

فعلى جانب أحد الأروقة نجد السلام وسيلة التنقل بين الطابق الأرضي والسطح،⁽⁴⁾ قد نجدها في بعض الأحيان في السقيفة، أو عند مدخل الصحن، لما يتوفر لدينا طابقان أو ثلاثة طوابق، تتمركز في أحد جوانب الرواق على حافتها، تلحق بأبواب توصل أحيانا لمنع الحيوانات الأليفة من الصعود إلى السطح وتلويثه، ولا يمكن أن نجد سلام خارج المسكن.⁽⁵⁾

يستعمل السطح لعدة أغراض فمن تجفيف الملابس،⁽⁶⁾ إلى التواصل مع الجيران،⁽⁷⁾ وفي إحدى جوانب السطح نجد غرفة صغيرة، جعلت لمزاولة الأشغال فيها أثناء الأحوال الجوية المضطربة، ومن أجل مشاهدة ما يحدث من جهة البحر، لأن أكثر اهتمام الأهالي هو ارتقاب عودة الرياس بالغنائم.⁽⁸⁾

Shaw, Voyage dans la régence... , p 351, 353. (1)

Venture de paradis, Op, Cit, p272. (2)

F.D. Haédo, , topographie et histoire...., p47. (3)

Venture de paradis, p21. (4)

Shaw, Voyage dans la régence...., p355. (5)

F.D. Haédo, Topographie et histoire...., p47. (6)

Shaw, Voyage dans la régence...., p357. (7)

L. DeTassy, Op.Cit, p164 (8)

2.2. المساكن خارج الأسوار: شهدت مدينة الجزائر انتشارا للعمران داخل وخارج أسوارها، يطلق على هذا الأخير "بالفحص" شغل ثلث مساحة الإقليم الساحلي في أواخر الفترة العثمانية، أي ما يقارب 150 كلم²، فهو يمتد إلى 12 كلم من أسوار المدينة، يظهر الفحص كهلال يحضن الجزائر.

يمتد من الشمال إلى الجنوب، أي من البحر الأبيض، إلى حدود سهول متيجة، ومن الشرق إلى الغرب، أي من مصب نهر الحراش، إلى حدود هضبة بوزريعة، التي ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 407م، قسم الفحص إلى ثلاثة فحوص، تبعا للطرق الرئيسية المؤدية إليها والأبواب التي تفتح عليها:

1.2.2. فحص باب الوادي: يتمركز في المنطقة الشمالية ويشمل كلا من النواحي

التالية: السد، أبي النور، الرمل، واد قريش، أكفان، قامة الفول، بوسكور، بوزريعة، عيون الساخنة، بير طرارية، تاقليت.

2.2.2. فحص باب الجديد: يتمركز في المنطقة الجنوبية أو الوسطى، ويشمل كلا من

النواحي التالية: عين حيدرة، الآبار، بير الدروج، عين بن عطية، برج حسن باشا، سيدي يحي الطيار، القادوس، أجنان، عين الزبوجة، الوادي الأكل، وادي الرمان، بني مسوس.

3.2.2. فحص باب عزون: يتمركز في الجهة الشرقية تشمل كلا من: تاجرارت، عين

الربط، عين الأزرق، الحامة، عين الرمان، تلاوملي، كهف النسور، العناصر، منزل المحلة، رأس تافورة تيفولت، الصنانجية، عين السلطان، الوشاحية، عين الحجلة، بير مراد رايس، بئر خادم القبة، تقصرين⁽¹⁾.

فالجدير بالذكر أن حدود فحص مدينة الجزائر لم تكن محددة، بل تمتد في فترات الرخاء وتقلص في فترات القحط والجفاف، فهي غير ثابتة.

(1) ناصر الدين سعيدوني، " فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال) "، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، 1986م، ص ص 91، 92.

فعند استتباب الأمن يتزايد السكان وتمتد حدوده إلى نواحي دالي إبراهيم، العشور، السحاولة، الداراية، والخريصية، حتى تصل إلى زمام بني ربيعة، من وطن بني خليل، وأما عند حلول الأوبئة الفتاكة والمجاعات المهلكة فضلا عن القحط الجراد والزلازل التي اشتدت وطأتها منذ أوائل القرن الثامن عشر* تتكمش الحدود، فلا تتجاوز دالي إبراهيم من الجهة الجنوبية الغربية، وبئر خادم من الجهة الجنوبية الشرقية، والقبة وداي حسين من ناحية الشرق⁽¹⁾.

لذا نجد تباينا واضحا بين تقديرات الرحالة، قد يتضاعف العدد تارة ويتقلص تارة أخرى حتى وإن لم يكن الفرق شاسعا بين السنوات، فعلى سبيل المثال قدرها **لوجي دي تاسي** خلال القرن 12هـ / 18م ب 20 ألف،⁽²⁾ وفي أواخر القرن 12هـ / 18م ومطلع القرن 13هـ / 19م تقلص العدد ليصل الى ما يزيد عن الألف وفقا لما ذكره **شالر**،⁽³⁾ وكذا بالمثل خلال الحملة الفرنسية، فقد ذكر **روزي وكارات** بأن دور الفحص تصل لأكثر من ألف منزل.⁽⁴⁾

ومن العوامل التي ساهمت في ازدهار فحص المدينة خلال الفترة الأولى من الحكم العثماني غنائم الجهاد البحري التي سمحت لكل من الحضر، والأتراك على امتلاك ضياع خارج أسوار المدينة، بالإضافة لمساهمة المهاجرين الأندلسيين في استصلاح الأراضي وغرس الأشجار المثمرة بها، ومن تم استحوذوا على معظمها.⁽⁵⁾

* تسببت الأوبئة الفتاكة في إفقاره من سكانه خاصة تلك التي حدثت أثناء السنوات التالية 1787م - 1816م - 1819م - 1822م، والتي زادت من وطأتها تلك الآفات الطبيعية كزحف الجراد 1722م - 1794م، واشتداد الجفاف 1800م - 1804م بالإضافة إلى الزلازل المدمرة أثناء سنوات 1716م - 1717م - 1755م، أنظر: نفسه ناصر الدين سعيدوني، " فحص مدينة الجزائر..."، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، ص ص، 142، 143.

(1) نفسه، ص 91.

(2) L. DeTassy, Op.Cit, p201.

(3) وليام شالر، المرجع السابق، ص 137.

(4) Rozet et Carette, Agérie, Firmin Didot, Paris, 1905, p15.

(5) ناصر الدين سعيدوني، " فحص مدينة الجزائر....."، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، ص 142.

كما أولاهما المالكين عناية خاصة حيث جعلوا الأسرى المسيحيين ذوي الكفاءة الزراعية في خدمتها،⁽¹⁾ ففي كل بستان عبيدين مسيحيين على الأقل⁽²⁾ يتزايد عددهم لأكثر من ستة أفراد، يعملون جاهدين ليلا ونهارا طول السنة في خدمة الأرض، من حراث وزراعة وسقي فضلا عن إزالة الأعشاب الضارة والاعتناء بها.

فقد كان أصحاب الملك يتزودون مما تنتجه هذه الفحوص من مختلف أنواع الحبوب كالقمح، والشعير، والفلول فعلى ضفاف وادي الحراش جعلت العديد من المطاحن التي تطحن الطحين طول السنة ليوجه للمدينة،⁽³⁾ معظمها ملك للدايات⁽⁴⁾ وإلى جانب الحبوب كانوا يتزودون بمختلف أنواع الخضار من البطيخ، الخيار فضلا عن البرتقال والليمون والأترج،⁽⁵⁾ وللإشارة أن الأشجار المثمرة كانت تأتي بثمارها ثلاثة مرات في السنة، توجه المحاصيل عادة للاكتفاء الذاتي وللتبادل.⁽⁶⁾

نال فحص المدينة اهتمام جل الرحالة والمؤرخون تبعا لازدهاره، فقد عد قبلتهم حيث تسارعوا إلى وصفه، هذا ما نستشفه من خلال تعدد المصادر التي تناولته، من جملتها: لوجي دي تاسي خلال القرن 12هـ/18م وصفه قائلا: "الريف باهر الجمال شديد الخصوبة، مزدان بمختلف أنواع الحبوب، الخضار، الفواكه، والأزهار، متنوع السهول والهضاب حيث المنظر مبهر، تكسوه الخضرة طول السنة حتى أن الحرارة المرتفعة بالصيف لا تجف أوراق أشجاره نظرا للسقي الدائم للأرض، كما لا تسقط في فصل الشتاء كونه رطب جدا، لذا لا يؤثر عليها، وللأسف أن أهالي الجزائر لا يستغلون هذه الفرصة فهم لا يقيمون الأشجار ولا يجهزونها بممرات توضع فيما بينها، بل يتركونها تجف بفعل الطبيعة، تزخر هذه الأخيرة بكميات هائلة من الكروم منها تلك الباسقة إلى

(1) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص137.

(2) F. Cresti, La ville d'Alger dans les descriptions de l'iconographie du 17ème siècle, Alger, 1982, p7.

(3) F.D. Haédo, Topographie et histoire...., p231.

(4) عبد القادر حللمي، المرجع السابق، ص241.

(5) F.D. Haédo, , Topographie et histoire...., p231.

(6) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص137.

درجة تسلقها، غرست من طرف الأندلسيين القادمين من غرناطة لم تكن موجودة من قبل نظرا للاهتمام بزراعات أخرى، عادة ما تزهر الأشجار في شهر فيفري وماي لتنضج ثمارها في جوان، والجدير بالذكر أن البساتين لم تسيج بجدران بل أحيطت بالتين البربري كما خلت من المنازل الريفية حيث نجد بها العديد من الأكواخ المشيدة من جذوع الأشجار، فالمنازل الريفية أحيطت بمدينة الجزائر....⁽¹⁾

إلا أن ازدهاره لم يدم طويلا فسرعان ما تداعت أوضاعه الاقتصادية منذ أواخر القرن 18م/12م، نتيجة لسوء تصرف الحكام وانعدام الأمن،⁽²⁾ بالإضافة للكوارث الطبيعية والأمراض الخطيرة التي حلت بسكان الفحص أدت إلى هلاك معظمهم، واشتداد الضائقة الاقتصادية تبعا لغلاء الأسعار، وشح الأقوات وإتلاف المزروعات، وربما هذا ما دفع وليام شالر إلى ذكر أن منازل الفحص غير آهلة بالسكان ولذا تقلص عددها إلى ما يزيد عن الألف.⁽³⁾

عرف مساكن فحص مدينة الجزائر بعدة أسماء نذكر منها: حدائق "Jardin"، تبعا لما جاء به هايدو،⁽⁴⁾ ومصرية "Mercerie"، تبعا لكل من الأب دان،⁽⁵⁾ وكذلك شوفاليه،⁽⁶⁾ بالإضافة للوجي دي تاسي،⁽⁷⁾ وسالفاقو.⁽⁸⁾

(1) L. DeTassy, Op.Cit, pp201, 202.

(2) ناصر الدين سعيدوني، "فحص مدينة الجزائر.."، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، ص143،

(3) وليام شالر، المرجع السابق، ص104.

(4) F.D. Haédo, Topographie et histoire...., p230.

* أُشتق المصطلح من اللغة الإسبانية التي أجادها الوافدون من الأندلس، فأطلق على تلك المنازل الصغيرة القائمة في الأحياء التجارية بالأندلس، تتكون من طابق واحد وأحيانا تزود بغرفة واحدة، تعلو الحوانيت، يصعد إليها بفضل تلك الفتحة المجهزة في جدار الحانوت، ينسدل منها سلم يعد كهزمة وصل بين الحانوت والغرفة، سميت بمصرية ولا يزال هذا المصطلح متداولاً في اللغة الإسبانية، أنظر: سامي حسن، "العمارة المدنية بالأندلس (الدار الأندلسية)"، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، السنة 1986م، ص89.

(5) P.DAN, Histoire de la Barberie et ses corsaires, second édition, chez pierre Rocalet Paris, MDCXLIX 1649, pp87, 88

(6) Chevalier D'Arvieux , Op.Cit, p234.

(7) L. DeTassy, Op.Cit, p201.

(8) F. Cresti, Op.Cit , p10.

يرى فونتور دي بارادي، بأن "المصرية" عبارة عن منزل صغير يتخذه صاحب الملك إلى جانب بيوت صغيرة، ويقصد بها أكواخ المزارعين القائمين على خدمة الأرض بمعنى أن صاحب الملكية يقيم في منزل بسيط أو غرفة، من أجل مراقبة المزارعين لذا مدة إقامته محددة،⁽¹⁾ ومن هذا المنطلق سميت المساكن الريفية بـ"المصاري" ،

إلى جانب هذا المصطلح نجد مصطلحا آخر ذكره فونتور دي بارادي ألا وهو "الحوش" "haouch"،⁽²⁾ كما تداولت ألقاب أخرى بين الأهالي دونت على وثائق الوقف تتمثل في: الجنة أو الجنان أو الحديقة أو البستان.⁽³⁾

استقر بالمساكن الريفية كل من أصحاب الديوان والرياس⁽⁴⁾ بالإضافة إلى الأندلسيين والأتراك حتى الكراغلة، دون غض النظر عن الأثرياء الذين اتخذوها كمقر صيفي للراحة والاستجمام، وللترويح عن النفس والتعويض عن العزلة والتفوق داخل بيوت المدينة نظرا لما تفرضه حياة المدينة على النسوة.⁽⁵⁾

كما عمرها السفراء والقناصل الأوروبيون⁽⁶⁾ حيث شيدوا بها المنازل الريفية، وانشؤوا الحدائق الغناء، فاتخذوا من أعالي باب الوادي ومرتفعات برج مولاي حسن مقرا لهم، فيما فضل اليهود نواحي بوزريعة مكانا لتجمعهم بينما استقر الحضر ذوي الأصل الأندلسي بناحية تاقرين وبئر خادم، في حين انتشر الكراغلة بنواحي الحامة، وبئر مراد رايس، والأبيار، وباب الوادي.⁽⁷⁾

Venture de paradis, Op.Cit, p270.

(1)

Ibid, p226.

(2)

(3) زكية راجعي، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني، دراسة أثرية معمارية فنية، جامعة الجزائر 2007م، ص24.

(4) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص235.

(5) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص97.

(6) نفسه، ص238.

(7) ناصر الدين سعيدي، " فحص مدينة الجزائر ... "، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، ص ص 147، 148.

تقوم مساكن الفحص على نفس نظام مساكن المدينة فهي لا تختلف عنها كثيرا إلا أنها منعزلة، تفتح بها العديد من النوافذ ذات أبعاد صغيرة، الغرف ممتدة طوليا، تجهز بإيوان يغطي بقبة مضلعة تحلى بزخرفة جصية، تحمل على دعائم، تتسق لنا أثارها من السطح، تفتح بالجهات الثلاث للإيوان نوافذ صغيرة تشبه بذلك المشربية.⁽¹⁾ تطل على الخارج فتسمح لصاحب الدار أن يتمتع بمناظر الحقول والريف، تتوزع الغرف والمرافق حول الصحن المركزي المبلط بالرخام غالبا ما يحلي بفسقية ويغرس فيه أشجار.

نجد بعدها مسكنا آخر أقل حجما من سابقه متوضع في مكان هام حيث يكون معرض للهواء ومفتوح يعرف بـ "الدويرة"، تعد كدار استقبال الأصدقاء ومكان قيلولة في أيام الصيف،⁽²⁾ تكسى جدرانها بالرخام دلفت وفسيفساء إيطاليا كما تعلق عليها مرايا وساعات بريطانيا، تنقش عليها العديد من الصور كصور القنص وصور المظاهر الطبيعية وغيرها.⁽³⁾

(1) J. Giauchain, Alger, 2^e Edition a L'i,premerie Algérienne, Paris,1905, p58.

(2) G. Marçais, , Ville et compagne d'Algérie, édition du Telle, réédition de l'ouvrage public, l'exposition de Bruxelles, 1958, p33.

(3) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص237.

3.دراسة تاريخية لنماذج من المساكن:

1.3. دار بكري:

الموقع: تقع دار بكري او "دار خداج العمياء" نسبة لمالكها بشارع ملاك محمد أكلي حاليا، أي شارع "سوق الجمعة" وفقا لما كان متداولاً خلال العهد العثماني.⁽¹⁾

التسمية:

تعرف بـ"دار بكري" كذلك نسبة للتاجر اليهودي الشهير الذي اكرى الدار من مالكيها مستغلا بذلك العلاقة الطيبة التي جمعتها مع الداى حسان باشا،⁽²⁾ فالجدير بالذكر أن ملكية الدار تعود إلى ابنة الداى "خداج العمياء" وقد اقترن اسمها سابقا بالدار حيث عرفت بـ "دار خداج العمياء" نسبة لخداج الابنة المفضلة عند الداى حسان باشا المنفردة بجمالها الأخاذ حيث انبهرت به فعكفت على النظر في المرأة مما أفقدها بصرها فجأة ومن تم حملت لقب "خداج العمياء" واسم "خداج" تصغير لعشبة بريبة عطرة⁽³⁾ تعرف بـ "إبرة الراعي".⁽⁴⁾ ونحن بصدد دراسة الدار نسبة للتعديلات التي أحدثها بكري المستأجر حيث اقبل على ادماج شمسية تحمل اسم "شادنوش" بالدار كانت ضمن مجموعته الخاصة.⁽⁵⁾

تاريخ التأسيس:

لا نملك أي كتابة تذكارية تنص على تاريخ تشييد المبنى، إلا أن جل الآراء اتفقت على إقامتها أسفل زواية سيدي أحمد عبد الله التي تعود إلى نهاية القرن 15م، وفقا لما

(1) H. Klien, feuillets1937, p131.

(2) L. Golvin, palais et demeures....., p59.

(3) H. Klien, feuillets1937, p131.

(4) ابن البيطار، تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن بطار العشاب الملقى، تحقيق محمد العربي الخطابي،

دار المغرب الاسلامي، دت، ص28.

(5) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000م، ص220.

جاء به كل من كلاين⁽¹⁾ وقولفان، الذي صرح بأن عملية التشييد تمت سنة 1570م، على حساب الزاوية المهجورة السالفة الذكر.⁽²⁾

المؤسس:

يصرح قولفان بأن الدار من تشييد يحي رايس* وذلك سنة 1570م، إلا أن الخزناجي حسان باشا قام بشرائها وإهدائها لابنته "خداج" كان ذلك سنة 1769م، ليرثها بعدها ورثتها نفيسة وعمر.⁽³⁾

وعند سقوط المدينة قامت السلطات الفرنسية من نزع ملكية الدار من السيد قوائتو الذي أكثره لمدة 25 سنة، لتقتنيه من الأميرين بمبلغ يقدر 80,000 فرنك.

الدار من خلال المؤلفات: يصرح كلاين قائلا: "تشهد الأنظار إلى هذا القصر فهو عبارة عن تحفة فكل من قبابه وسلالمة وأروقته وغرفه المحلات بكسوة خزفية جلبت من دلفت وصقليا فضلا عن صحنه المزدان بأعمدة رخامية ومصابيحها التركية ومن أفخم الغرف تلك القاعة الواسعة المحلات بالدانتيل المنفذة على الجص القائمة على الأرابسك المطوقة بحزام من المقرنصات جعلت على انسجام وتناسق تام، فعلى طول الجدران شمسيات مخرمة من الجص أدمج بها زجاج ملون".⁽⁴⁾

H. Klien, feuillets..., 1937, p131.

(1)

L. Golvin, palais et demeures..., p59.

(2)

* تولى الحكم مرتين ففي المرة الأولى خلف البيرباي يوسف لم تدم فترة حكمه أكثر من ستة أشهر عزل بعدها ليعاد انتخابه مرة أخرى بعد وفاة البيرباي أحمد باشا ليدير شؤون الحكم لمدة أربع أشهر توفي سنة 1570م، تميزت فترة حكمه بالسلم وغياب ما يذكر، بالرغم من اتسامه بالشجاعة والرصانة، أنظر:

Haédo (F.D), Histoire des rois..., pp112,114.

L. Golvin, palais et demeures..., p59.

(3)

H. Klien, feuillets..., 1937, pp132,133.

(4)

2.3. دار دوران:

الموقع: حسب ما جاء به كلاين فان دار دوران تقع بفحص باب الوادي. (1)

التسمية :

ربما تعود الى أهل البيت، فقد جرت العادة أن تعرف الدور باسم أصحابها وأصدق نموذج دار بن معطي (2) ودار حنون (3) الوارد ذكرهم في وثائق المحاكم الشرعية.

تاريخ التأسيس:

من المرجح تشييد الدار عند مطلع القرن 15م وأواخر القرن 17م تسليماً بأقدمية عائلة دوران بالمدينة وازدهار الفحص، إذ يعود تواجد أفراد هذه الأسرة العريقة ذات الأصول البروفانسية الى مطلع القرن 14م حين قدموا رفقة الحاخام سيمون بن سميح دوران المعروف بـ"رشباخ" صاحب كتاب "تاشباس" و"مباديء الآباء"، مقدم الطائفة بالمدينة. (4)

المؤسس:

نجهل المؤسس الفعلي للدار إلا أننا لا نستبعد أن يكون أحد أفراد هذه العائلة العريقة التي احتكر أفرادها منصب المقدم لستة أجيال متتالية لتفقدته بعد ذلك، ثم تعود لاسترجاعه بعد انقضاء 71 سنة، حين نصب "داييد بن دوران" مقدماً، كما تداولوا القضاء وعلى رأسهم "سميح بن يمين بن دوران" كما سبق ذكر ذلك آنفاً. (5)

(1) H. Klien, feuillets d'eldj..., 1937, pp 209, 210.

(2) علبة رقم 29، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 28، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(3) علبة رقم 41، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 14، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(4) Ab.Cahen, Op.Cit , p101.

(5) علبة رقم 10(2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 18، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

للإشارة أن هذه العائلة اكتسبت احترام وتقدير أفراد الطائفة تبعاً لوعلمها بالأمور الدينية فابن "الحاخام رشباخ" "دوران سماح" الذي عاش في المدينة عند أواخر القرن 15م ألف الجزء الثاني من كتاب Iachin أو Boaz، أما شقيقه "دوران سيمون الثاني" ألف الجزء الأول من العمل المذكور أعلاه.

وعند نهاية القرن 16م قام "دوران سالمون الثاني" ، حفيد سيماح عاش بتدوين ملاحظات حول أعمال أجداده سيمون الأول "Labin scheuouah" و "Taschbéz". لا يزال أماننا منه مجموعة من الخطب ، تحت عنوان "Chescheq Schelomo".⁽¹⁾

الدار من خلال المؤلفات: لم تأتي المراجع على ذكرها على غرار الإشارة إليها من قبل كلاين.⁽²⁾

Ab.Cahen, Op.Cit , p101.

H. Klien, feuillets d'eldja..., 1937,pp 209,210

(1)

(2)

4. دراسة وصفية لمخططات المساكن:

1.4. المظهر الخارجي:

اتصفت المنشآت المدنية بالجزائر بعدة سمات من المنشآت المدنية الإسلامية، تعد هذه الأخيرة من أحد مقوماتها، تتجلى لنا هذه المميزات من خلال طابع التكعيب والتربيع الذي اتخذته تصميم دور وقصور المدينة، حسبما هو متجسد في دار بكري ذات المسقط القريب من المربع ماعدا مساكن الفحص، وأصدق نموذج تصميم دار دوران حيث اتخذنا فناءه مسقطا مستطيلا، على غرار المسكن ذي المسقط المربع شأنه شأن كل المساكن الإسلامية ذات الطابع التربيقي، أو التكعبي المتأثر بتربيع الكعبة.⁽¹⁾

تتصل هذه الأخيرة بالعالم الخارجي، من خلال تلك النوافذ الصغيرة والمشربيات المهيأة للانفتاح على الخارج، دون الإخلال بالحجاب.⁽²⁾

أُتخذت المشربيات كوسيلة للتغلب على مشكلات الإضاءة والتهوية، فضلا على الإطلاع على الخارج وحجب أشعة الشمس،⁽³⁾ تعرف عند أهالي الحجاز "بالرواشن" و"الخص" في دمشق، نظرا لمادة صنعها والمتمثلة في قضبان القصب والخشب الرفيع المتقاطعة فيما بينها،⁽⁴⁾ تشغل مساحة أكبر من المساحة التي تشغلها النافذة العادية.⁽⁵⁾

شهدت إقبالا في المشرق العربي وحتى المغرب العربي فالمنشآت التونسية، تبنت هذا العنصر المعماري خلافا عن المنشآت الجزائرية التي استغنت عنه، واكتفت بتلك النوافذ الضيقة القليلة العدد، السؤال الذي يفرض نفسه لماذا تم الاستغناء عنها؟ تكمن العلة ربما في الحرمة وحب الانغلاق.

(1) زكية راجعي، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في، ص75.

(2) عكاشة ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشرق الأولى، القاهرة، 1994م، ص61.

(3) نفسه، ص99.

(4) عبد القادر الرياحوي، القيم العالمية في تراث الحضارات العربية الإسلامية المعماري والفني، الجزء الثاني، منشورات الوزارة الثقافية دمشق، 2000م، ص627.

(5) عكاشة ثروت، المرجع السابق، ص99.

تتميز واجهات دور المدينة بالبساطة، إذ تزدان ببعض النوافذ المتوسطة والفتوحات المسيجة بالشباك الحديدي، كما أنها شاحبة من الزخرفة،⁽¹⁾ كدار بكري، إذ اتسمت واجهاتها بالبساطة فتحت بها نوافذ مسيجة متفاوتة في الحجم والعدد، فضلاً عن الباب المفضي إلى خارج القصر الذي فتح بالواجهة الشمالية.

فقد ازدانت بمدخل رئيسي يفضي إلى الداخل، يقوم على باب رئيسي جعل من الخشب اقتطع منه باب أصغر، فتحت بالباب الكبير فرجة أو كوة مسيجة، تسمح للاطلاع على الخارج ازدان بمسامير ضخمة من البرونز، على ما يبدو أنه مستحدث تبعاً لغياب الإطار الرخامي، والإفريز المطوق له القائم على المربعات الخزفية، دون غض النظر عن الضلة الخشبية التي غالباً ما تلحق بالمداخل لغرض الوقاية من المطر والحر.

يجدر الإشارة أن واجهات مساكن الفحص، تتميز عن مساكن المدينة بكثرة نوافذها المطلة على حديقة المسكن، لكي يستمتع أهلها بالمناظر الخلابة للطبيعة التي حرموا منها في المدينة، نظراً لزحف المساكن على حسابها بالإضافة لتمتعهم بنوع من الاستقلالية التي حرموا منها في المدينة، تبعاً للحركة النشيطة التي بها فمساكن الفحص اتخذت للاستجمام والراحة. لذا انفتحت على الخارج ومن تم إننا نرجح بأن واجهات دار دوران اتسمت بهذه السمات السالفة الذكر. (مخطط رقم 8)

2.4. المظهر الداخلي:

1.2.4. دار بكري: (مخطط رقم 5)

يفتح المدخل الرئيسي على رواق يطل على الخارج (أ)، جهزت بمقعد على اليمين وأربعة مقاعد على اليسار فتح بجدار الأيسر مدخلان مستحدثان يفضيان إلى رواق ممتد طويلاً، قسم إلى قسمين (ن، ن) بفضل دعامتين، سقف بسقف برميلي، تضمن لجب أستغل في جمع مياه الأمطار، له منفذ إلى السقيفة الكبرى عبر مدخل رئيسي آخر.

(1) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة...، ص ص 54، 55.

ربما إتخذنا هذا الأخير كمخزن تبعا لوجود خزان الحبوب، أو إسطلب وفقا لحاجة الحرس لمكان تودع فيه الدواب، تسليما بما أشار إليه قيوشان إذ عد الرواق المطل على الخارج (أ) رواقا خاصا بالخدم.⁽¹⁾

يفضي هذا الأخير إلى سقيفة أمامية صغرى (ب)، بفضل مدخل رئيسي فتح بالجدار الشرقي، جهزت هذه الأخيرة بمقعدين في كل جانب، فضلا عن عين جدارية بمؤخرتها، فتح بجدارها الغربي مدخل رئيسي ذو إطار رخامي يفضي إلى سقيفة أخرى كبيرة ممتدة طوليا جهزت هي الأخرى بمقاعد على الجانبين (ج)، سقفت كل السقائف السالفة الذكر بأقبية متقاطعة.

فتح بالجدار الأيمن لهذه الأخيرة مدخل رئيسي آخر، يفتح على سلم صاعد إلى الطابق الأرضي، سقف في بدايته بقبة مضلعة تقوم على حنايا، يليها أقبية متقاطعة تمتد على طول السلم، كسيت جدرانه بالمربعات الخزفية. (مخطط رقم 6)

جعل بين بسطته الأولى والثالثة مخزن وكذا بالمثل بين البسطة الثالثة والرابعة، يجدر الإشارة بأن كل نهاية سلم أي بسطة تزدان بقبة مضلعة ماعدا البسطة الخامسة.

فتح بالجدار الشمالي مدخل رئيسي، يطل على الصحن المربع، المطوق بأربعة أروقة، تفتح عليها الغرف والمرافق.

نستهل دراستنا بالجهة الشمالية، المتضمنة للغرفة الشمالية (د) ذات الاستطالة الكبيرة مقارنة مع الغرف الأخرى، تفتح على الرواق بباب يكتنفه من الجانبين نافذتان منحرفتان عن محور الخزانيتين الجداريتين، المكتفتين للإيوان المواجه للباب، وصلت هذه الغرفة مع الغرفة المجاورة لها الغربية.

J. Giauchain, Op.Cit, p56.

(1)

أما الغرفة الغربية (هـ) فهي تمتد طولياً، أكثر اتساعاً من نظيرتها تقوم على باب يكتنفه من الجانبين نافذتان ينحرف عن محورهما تقريباً خزانتان جداريتان المكتنفان للإيوان.

والجدير بالذكر أن هذه الغرفة وفقاً لمخطط قيونشان كانت مفتوحة على الخارج ببائكة تطل على الصحن، ⁽¹⁾ سدت حالياً وفتح بها باب يكتنفه من الجانبين نافذتان.

وهذا ما أثار حيرتنا فضلاً عن الجدارين الأصميين أحدهما موجود داخل الغرفة أما الآخر فهو مواجه للرواق نوه إليهما الأستاذ عقاب ورجح بأن العلة تكمن في ذلك التصميم الموضوع من قبل المهندسين الفرنسيين وذلك قبل إدخال تغييرات عليها معللاً باستحالة بناء غرفة مغلقة على نفسها ورجح بإمكانية وقوع خطأ في رسم المخطط إذ تم إهمال رسم بابها من الرواق. ⁽²⁾

ضمت هذه الغرفة وفقاً لنفس المخطط حجرة ذات مسقط مربع جعلت بارزة للخارج سقفت بقبتين من المرجح أن تكون حماماً (ف، ف) شغلت ركنها الغربي، فضلاً عن حجرة أخرى ذات مسقط شبه منحرف بارزة للخارج كذلك من المرجح أن تعد مطبخاً تم تسقيفها بقبة قسمت إلى قسمين (ق، ق) شغلت هي الأخرى ركنها الشمالي، للأسف الغرفة مغلقة حالياً لغرض ترميمها مرة أخرى بعد أن تم فصلها عن الغرفة الشمالية، ومن تم فمن المحتمل طمس الملامح السابقة الذكر.

أما الغرفة الجنوبية (ر)، فتعد من أصغر غرف الدار مقارنة بالغرف الأخرى، تفتح على الأروقة بباب يكتنفه من الجانبين نافذتان، على نفس محورهما تقريباً خزانتان جداريتان، ضمت هذه الغرفة حجرة صغيرة ذات مسقط شبه منحرف (ل).

J. Giauchain, Op.Cit, p56.

(1)

(2) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة...، ص 71.

وفي الركن الغربي والجنوبي لهذا الطابق نجد مدخلا رئيسيا ذا إطار رخامي يفضي إلى ممر صغير يؤدي إلى غرفة صغيرة مغلقة حاليا بجوارها مطهرة مستحدثة لكنها تحمل سمات المراحيز الأصلية، سنتطرق إليها لاحقا.

أما الغرفة الشرقية (ز) تعد من أطول غرف الدار إن استثنينا الغرفة الشمالية السالفة الذكر، امتدت الغرفة الشرقية طويلا، وفتحت بها خزانتيان جداريتان يكتنفان الإيوان مواجهان للنافدتين المكتنفتين للباب.

نصل إلى الطابق العلوي بفضل سلم صاعد، جهزت بسطته الأولى والثانية بمخزن، فتح بالجدار الشمالي مدخل رئيسي يفضي إلى الطابق الثاني، من الملاحظ أن له نفس تصميم الطابق السفلي باستثناء بعض التغييرات الطفيفة. (مخطط رقم 7)

فالجرفة الشمالية (د) والغربية (هـ) حافظت على تصميمهما السابق، على غرار ذلك التغيير الذي مس الركن الغربي للجرفة الغربية فقد تم إزالة الغرفة البارزة إلى الخارج على غرار نظيرتها التي أبقى عليها.

وأخيرا الغرفة الجنوبية (ر) حافظت على تصميمها السابق على غرار فصلها عن الحجرة ذات المسقط الشبه منحرف بالطابق السفلي.

أما الغرفة الشرقية (ز) فقد شهدت امتدادا مقارنة مما سبق، نظرا لضم الحجرة الصغيرة التي ألحقت سابقا بالغرفة الجنوبية بالطابق السفلي وللاشارة أن هذه الأخيرة امتدت هي الأخرى فأمتست ذات مسقط مربع.

والجدير بالذكر أن أوالين الغرف منحرفة عن محور الأبواب شأنها شأن الخزائن الجدارية المنحرفة عن محور النوافذ.

نصل إلى السطح بفضل سلم صاعد للسطح، فتح بالجدار الشرقي مدخل رئيسي ذو إطار رخامي، يفضي إلى سلم رئيسي يتفرع منه سلمان ثانويان أحدهما على اليمين

والآخر على اليسار يفضيان كلاهما إلى غرف مستحدثة، أما السلم الرئيسي فيفضي إلى السطح ينتهي هذا الأخير بقبة مقلعة.

بالجهة الجنوبية نجد المنزه وهو عبارة عن بائة من ثلاثة عقود، توجت بتيجان ذات لفائف جانبية، حملت على عمودين حلزونيين من الحجر، عقدت بعقود منكسرة متجاوزة، طوقت بإفريز من المربعات الخزفية، طوق سور السطح بإفريز من المربعات الخزفية، يعلوه شريط من القرميد الأخضر.

2.2.4. دار دوران: (مخطط رقم 8)

نظرا لاندثار دار دوران تعذر علينا وصفها من الخارج، ومن تم استغلينا المخطط المنسوخ عن مصلحة الأرشيف الوطني (مخطط رقم 8) للوصف.

نستهل دراستنا بالواجهة الجنوبية المتضمنة لمقدم بناء بارز يتقدمه رواق مفتوح على شكل بائة تقوم على أعمدة، فتح به مدخل يفضي إلى الداخل (أ)، شأنه شأن مقدم البناء البارز بالواجهة الشرقية (أ') يتقدم هذا الأخير بائة تقوم على أعمدة كذلك.

جعل كل من مقدم البناء بالواجهة الجنوبية والشرقية على نفس محور حوض مثنى تتوسطه نافورة (ن)، يطلان مباشرة على الفناء (هـ)، المفضي بدوره على الحديقة (و).

5. دراسة وصفية تحليلية لمرافق المساكن:

1.5. السقيفة:

وفقا للتقاليد المعمارية الإسلامية يكون المدخل عبارة عن ممر منكسر، يتخذ شكل زاوية قائمة في الدور،⁽¹⁾ جعلت على هذه الصورة لتؤدي وظيفة اجتماعية بحتة، حيث تحمي حريم المنزل من أعين المتطفلين، وتعطي الشعور بالطمأنينة والاستقلالية، والحرية لدى أهل المنزل كما تقي المنزل من التيارات الهوائية كالعبارية، التي تعاني منها منازل بلاد الرافدين ولتمتين مادة البناء فعادة ما تشيد بمواد هشة كالطوب ببلاد الرافدين، اشتقت من الاستحكامات العسكرية، حيث ألحقت بالقلاع والحصون، إذ ساهم المدخل المنكسر في الحد من قوة اندفاع أي عدو مهاجم.⁽²⁾

وجدت في مصر وبلاد الرافدين واليونان، وفي البيوت الرومانية في شمال إفريقيا،⁽³⁾ عرفت عند الرومان بـ **cava oedium**، أو **impluvium**،⁽⁴⁾ أطلق عليها أهل العراق تسمية "الباشورة".⁽⁵⁾

تجهز بدكاكين (مقاعد) مكسوا بألواح من الرخام، تكتنفها أعمدة من الرخام معقودة بعقد مفرطح أو منكسر متجاوز نابعة من الطراز المغربي، تكسى جدرانها بمربعات خزفية متباينة، جلبت إما من إيطاليا أو دلفت على شكل هبات، يستغل صاحب السكن هذا المجال لاستقبال ضيوفه ولأغراض أخرى،⁽⁶⁾ إذ تعد كقاعة الملتقيات.⁽⁷⁾

(1) سامي حسن، "العمارة المدنية..."، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، ص 88.

(2) رفعت موسى محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م، ص ص 187، 188.

(3) S.Missoum, Op.Cit, p214.

(4) Fraigneau, L'art arabe à Alger, la maison mauresque, [S, E], [S,D], P8.

(5) رفعت موسى محمد، المرجع السابق، ص 187.

(6) Boyer, Op.Cit, p150.

(7) G. Marçais , L'art en Algérie, Imprimerie Algérienne, 1905, p129.

فلذلك جعلت الدكاكين من المرمر وكسيت بمربعات خزفية،⁽¹⁾ يلحق المبنى بسقيفتين على الأقل سقيفة صغرى أمامية تختص بالاستقبال الأولي للغرباء إذا كانت الدار لعامة الناس، أما إذا كانت قصرا تابعة لأحد الحكام من الدايات فإنها تعتبر مكانا للحراس تضم مقعدين،⁽²⁾ كدار بكري حيث جهزت السقيفة الصغرى (ب) بمقعدين للجلوس يواجه كل منهما الآخر، عقدت بعقد مفرطح، حملت على تجميعية ثلاثية من الأعمدة الحلزونية ذات تيجان كورنثية تتدلى منها ثمار الاجاص شفعت جبهتها بزهرة اللاله.

تتبع هذه الأخيرة سقيفة ثانية أكبر منها خلفية، يتوقف طولها حسب أهمية الدار قد تصل إلى أكثر من خمسة عشر مترا، تتوزع بها أكثر من ستة مقاعد في إحدى الجهات أما الجهة الموازية لها يقل عدد المقاعد إلى أربعة، أو ثلاثة نظرا لوجود الباب الداخلي للمسكن،⁽³⁾ كما جسد بدار بكري حيث وصلت السقيفة الصغرى بالسقيفة الكبرى (ج) بفضل مدخل ذي إطار رخامي، يفضي بابيه الخشبي المركب من قسمين ذي الفرجة إلى سقيفة ثانية خلفية تتسم بالاستطالة، جهزت بمقعدين بالجانب الأيمن وأربعة مقاعد بالجانب الأيسر، عقدت بعقد مفرطح حملت على أعمدة ثلاثية حلزونية ذات تيجان تتدلى منها ثمار الاجاص شفعت جبهتها بزهرة اللاله بالجانب الأيسر على غرار الجانب الأيمن الذي انفرد بحمله على تجميعية ثنائية من الأعمدة الحلزونية (صورة رقم 16)، الملفت للانتباه اقتصار هذا التصميم على المساكن التي داخل المدينة على غرار تلك التي خارج أسوارها أي بفحوصها.

فقد اشتملت هذه الأخيرة على عدة سقائف، تبعا لتعدد المداخل بها، وغالبا ما يتم الاستعاضة عن السقيفة الأمامية، بمقدم المبنى الذي يقوم على تجميعية من الأعمدة سواء المزدوجة أو الثلاثية ، وهو بدون أبواب ماعدا الباب المفضي إلى السقائف.

(1) أندريه ريمون، العواصم العربية وعمرانها ، ص 86.

(2) محمد الطيب عقاب، "المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر"، عن: المؤتمر العاشر للآثار، 1987م، ص 84.

(3) نفسه، ص 86.

أصدق نموذج دار دوران فسقائف الدار يتقدمها مقدم المبنى القائم على بائكة من الأعمدة أدمجت بها مداخل رئيسية (أ، أ) تفتح مباشرة على السقائف السالفة الذكر، نظرا لانفصال السقائف عن بعضها. (مخطط رقم 8)

فالسقيفة الأولى (ب) ألحقت بالضلع الجنوبي للفناء تتسم بالاستطالة والضيق، وعدم تناسب أضلعها، على غرار السقيفة الثانية (ج) التي ألحقت بالضلع الشرقي للفناء، فهي على الجانب الآخر للمسكن تتصل مباشرة بالصحن جعلت على نمط باقي السقائف المعتادة إذ امتدت طوليا واتسعت مقارنة مع نظيرتها، تتصل هي الأخرى بصحن الدار بفضل مدخل رئيسي فتح بأحد أضلاعها. (مخطط رقم 9)

ومن المرجح أن السقيفة الأولى تعد للخدم تبعا لعدم تناسق أضلاعها فضلا عن اتسامها بالضيق مما يوحي بأنها أقل أهمية من الثانية، ومن غير المستبعد أن تكون أقل جمالا ورونقا منها، ومن تم نرجح أن السقيفة الثانية عدت كمكان أولي لاستقبال الضيوف.

يجدر الإشارة إلى أن كل السقائف سواء تلك التي بدور المدينة أو دور الفحص، فإنها تسقف دائما بأقبية متقاطعة لكي تحمل ثقل المبنى، ولتتمين مادة البناء الهشة، المتمثلة في الكتل الضخمة من الحجارة الجيرية.⁽¹⁾

مقاسات السقائف:

السقيفة الثانية		السقيفة الأولى		اسم المبنى
عرضها	طولها	عرضها	طولها	
3 م	9 م	1,90 م	2,57 م	دار بكري

(1) محمد الطيب عقاب، " المدخل إلى....."، عن: المؤتمر العاشر للآثار، ص 85.

مقاسات المقاعد:

اسم المبنى	السقائف	عدد المقاعد	علوها	عرضها	عمقها
دار بكري	الأولى	4	56,0 م	1,50 م	0,71 م
	الثانية	6	41,0 م	1,46 م	0,50 م

2.5. الصحن:

ذلك الفراغ المكشوف يحدد بالجدران أو بمبان، ظهر في عمارة الحضارات القديمة كبلاد الرافدين خلال العصر السومري والأشوري وفي عمارة مصر القديمة، كان يعرف بـ"المسقط ذي الفناء".

استمر ظهوره في المنشآت اليونانية أحيط بأعمدة، عدا النواة التي تجمعت حولها عناصر المسكن اليوناني، وجد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ظهر لأول مرة في منزل الرسول ﷺ فتبنته المنشآت الإسلامية بعد ذلك.⁽¹⁾

يعرف عند أهل مدينة الجزائر بـ "وسط الدار" بمعنى مركز البيت،⁽²⁾ يعد كضابط لإيقاع المنزل والرئة الخاصة بأهله تتوزع حوله المرافق.⁽³⁾

(1) محمد حسين جودي، العمارة العربية الإسلامية (خصوصياتها، ابتكاراتها، جمالياتها)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الطبعة الأولى، 1998، ص ص 61، 62.

(2) S. Missoum, op.cit, p215.

(3) رفعت موسى محمد، المرجع السابق، ص 221.

فأول ما يشرع البناء في تخطيطه هو الصحن، فهو المحدد لحجم الغرف والمرافق التي تتوزع حوله، لذلك يضبط إيقاع المسكن فإذا ازداد عدد أفراد الأسرة يؤخذ قسط من مساحة الصحن وبالتالي يتقلص، يعد كالرئة كونه المصدر الرئيسي الذي يمد المنزل بالهواء والإضاءة.

يختلف الصحن من مسكن إلى آخر، قد ينفصل عن السقيفة تماما، كأن تكون السقيفة بالمستوى الأرضي،⁽¹⁾ كما هو الحال بدار بكري فالصحن لا يأتي مباشرة بعد السقيفة، بل يتصل بالسلم الصاعد للطابق الأرضي الذي يطل على الصحن، ذي المسقط المربع المطوق من جهاته الأربعة بأروقة، التي تطل عليه بواسطة أثني عشر عقد حذوي منكسر، وزعت بالتساوي فكل رواق يضم أربعة عقود، حملت على أثني عشر عمود رخامي مركب نصفه العلوي حلزوني أما السفلي مضلع، توجت بتيجان كورنثية وعقدت بعقود منكسرة متجاوزة (صورة رقم 17)، ويمكن أن يتصل بالسقيفة، كما هو الحال بدار دوران فالصحن يرتبط بالمستوى الأرضي وجعل من المدخل الثاني للسقيفة الثانية همزة وصل بينها وبين الصحن. (مخطط رقم 9)

غالبا ما يبلط الصحن ببلاطات رخامية أو من الحجر،⁽²⁾ ففي دار بكري تم تبليطه ببلاطات من الرخام، ربما لتسهيل عملية التنظيف، كما كسيت جدرانها بمربعات خزفية لنفس الغرض ولإضفاء الجمال والبهاء على المكان كونه مكشوف للزوار، فلقد كان الأندلسيون يعنون كل العناية بتنظيف المربعات الخزفية والأعمدة الرخامية،⁽³⁾ شأنهم شأن أهالي المدينة فقد ذكر هايدو بأن كل من المربعات الخزفية والأعمدة الرخامية كانت تنظف بعناية كل أسبوع،⁽⁴⁾ فقد أقبل على الكسوة الخزفية لأنها تساهم في طرد الرطوبة من الجدران، وبالتالي تحافظ على متانتها.

(1) محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون في الجزائر، طبعة الأولى، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة، 2002م، ص 110.

(2) Venture de paradis, Op.Cit, p271.

(3) سامي حسن، العمارة المدنية ...، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، ص 89.

(4) F.D. Haédo, Topographie et histoire....., p4.

تتشابه كل الصحنون في مادة تبليطها ومسقطها المربع فضلا عن انخفاضها عن مستوى الأروقة بمقدار سنتمتر في نقطة الانطلاق، وثلاثة سنتمتر عند فوهة المجال الذي بأسفل الصحن، جعل هذا الأخير مربعا لتكسير قوة التيارات الهوائية، ومنخفضا بنسب متباينة للتخلص من مياه الأمطار حتى لا تتجمع وبالتالي تفادي الانزلاق الناتج عن المياه ومادة التبليط.

تتباين سعة الصحن حسب حجم المبنى فإذا كان المبنى كبيرا فإن الصحن يتسع كصحن دار بكري، وباتساعه تتكاثر الأعمدة المحيطة به مثلما جسدا بصحن دار بكري حيث اشتمل على اثني عشر عمودا.

وبالتالي فإن عدد الأعمدة متوقف على ضيق وسعة الصحن، اذ تتوزع على مسافات متساوية كما هو الحال بدار بكري لغرض توزيع ثقل المبنى بالتساوي ومن تم حمله، لذلك تم ربطها فيما بينها بواسطة أوتاد خشبية، عولجت بطريقة زخرفية جميلة حلزونية، ينتصفها في الوسط مربع حمل عنصر زخرفي نباتي، استغلت في إنزال الستائر والفرش.⁽¹⁾

مقاسات الصحن:

اسم المبنى	مسقطه	طوله	عرضه	عدد الأعمدة	مسافة بين الأعمدة
صحن دار بكري	قريب من المربع	9م	20,9م	12	2,20م

(1) محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة ، ص110.

يلحق الصحن بالمسكن لتكييف حرارة الجو كون الهواء البارد يهب إلى أدنى مستوى ليلا ثم ما يلبث أن يتسرب إلى الحجرات فيلطف حرارتها، ويظل محصور بين جدران الصحن في ساعة متأخرة من النهار وكأنه خزان للترطيب،⁽¹⁾ ويحتفظ في الشتاء بدفع النهارات الشمسية ليمد بها غرف المسكن ساعات أخرى بعد غياب الشمس.⁽²⁾

3.5. الأروقة:

ظهرت في عمارة الحضارات القديمة ألحقت بالمعابد والساحات العامة **Agora** عند الإغريق، وبالمعابد الرومانية والمصرية، أُتخذت لإضفاء لمسة من الجمال والبهاء على المكان فضلا عن إبراز الثراء والبذخ، اقتصر في البداية على المنشآت العمومية،⁽³⁾ أقبل عليها العرب منذ عصور قديمة، وأعيد استخدامها لأول مرة في دار الإمارة في الكوفة، كما ظهرت في دور وقصور العباسيين بالإضافة لمساجدهم، استغلت في توفير مساحات مظلة تحيط بالصحن فتخفف من حرارة الشمس صيفا، وتوفير الحماية من الأمطار شتاء، كما تسهل من عملية السير والتنقل.⁽⁴⁾

تعد كهمة وصل بين الصحن ومرافقه التي تتوزع حوله، وهي الممر الحر للحريم خاصة إذا أسدلت الستائر من على الأوتاد الخشبية، تؤدي وظيفة إنشائية معمارية حيث تحمل كل من ممر الطابق الأول وسقفه أيضا، تمتاز الأروقة بمساكن مدينة الجزائر بعقودها الحذوية ذات الشكل المدبب التي أصبحت ظاهرة معمارية في المغرب الإسلامي والأندلس،⁽⁵⁾ كما جسدا في كل من أروقة دار بكري المزدانة بعقود متجاوزة منكسرة.

(1) عكاشة ثروت، المرجع السابق، ص 92.

(2) الريحاوي عبد القادر، القيم الجمالية في تراث.....، ص 629.

(3) A. Ravéreau, Casbah d'Alger et le site créa la ville, sindibad, 1989, p121.

(4) محمد حسين جودي، المرجع السابق، ص 65.

(5) محمد الطيب عقاب، " المدخل إلى ..."، عن: المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، ص 87.

تتنوع أعمدة الأروقة بمساكن مدينة الجزائر بين الحلزونية الموضوعة في الطابق السفلي غالباً، وبين المركبة نصفها العلوي حلزوني ونصفها السفلي ثماني الأضلاع المثبتة في أروقة الطابق العلوي، جعلت على هذه الصورة لتتطابق تضليعات العمود الملساء مع حافة الدرابزين، بينما قل استخدام الأعمدة المستديرة في المساكن.⁽¹⁾

فالملفت للإنتباه غياب الأعمدة الحلزونية وتعويضها بأعمدة مركبة نصفها العلوي حلزوني ونصفها السفلي ثماني الأضلاع، رصت بأروقة الطابق السفلي حملت الطابق العلوي ذا الأروقة القائمة على أعمدة مركبة، نصفها العلوي حلزوني أما السفلي مضع استغلت تضليعاتها في استيعاب الدرابزين، في دار بكري والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة الشاذة لم تنفرد بها هذه الدار فقط بل وجدت في كل من دار الحمراء ودار حسين بفحص المدينة .

تطل هذه الأروقة على الغرف بعقود جعلت لتسمح برؤية وسط الدار بوضوح من الداخل، تعقد هذه الأروقة إما بعقد أو عقدين أو ثلاثة عقود قد تصل إلى أربعة تبعا لحجم الصحن،⁽²⁾ فقد تضمنت أروقة دار بكري ثلاثة عقود.

(1) محمد الطيب عقاب، " المدخل إلى ..."، عن: المؤتمر العاشر للأثار في البلاد العربية،، ص87.

(2) S.Missoum, Op.Cit, p216.

مقاسات الأروقة:

اسم المبنى	الأروقة	طولها	عرضها	عدد الأعمدة في كل رواق	نوعها	عدد العقود	نوعها	نوع التيجان
دار بكري	الشمالية	10,66م	2م	4	مركبة	3	متجاوزة منكسرة	كورنثية
	الغربية	9,36م	4,40م	×		×	×	×
	الجنوبية	0,50/1م	1,60م	×		×	×	×
	الشرقية	9,46م	2,40م	×		×	×	×

4.5. الغرف:

غالبا ما تتميز الغرف بالبساطة والاستطالة، فهي تأخذ مساحة أضلاع المسكن حيث نجد أن طولها مبالغ فيه، لكنها ضيقة تفتح بباب في الوسط على جانبيه نافذتان مسيجتان بقضبان من الحديد، رغم أنهما يطلان على الصحن، إذ لا توجد نوافذ تطل على الخارج على محور النوافذ نجد خزائن جدارية تقابلها.⁽¹⁾

وقد عولجت بطريقة فنية رائعة، حيث كسيت جدرانها في جزئها السفلي بالمربعات الخزفية، أما العلوي بزخارف جصية سواء كانت هندسية أو نباتية.

(1) محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة ... ، ص112

فقد أُعتمد على الشمسيات ذات التخريم المجسدة لعدة مواضيع زخرفية نباتية وهندسية، وكتابية حتى العمرانية، وزعت على التالي: ثلاثة شمسيات فوق الأبواب وواحدة فوق الخزائن الجدارية، وفوق النوافذ تكمن وظيفتها في تجديد حركة الهواء.⁽¹⁾

ونظرا للتشويه الذي ألحق بدار بكري، نجد العديد من هذه السمات السالفة الذكر لازالت قائمة كافرير من المربعات الخزفية التي حليت به بعض الأسقف الخشبية للغرف، ومنها ما طمس كالكسوة الخزفية التي غابت بالغرفة الجنوبية بالطابق الأول، فضلا عن امتدادها على طول الجدران بالغرف الأخرى من الدار.

مقاسات الغرف:

اسم المبنى	الغرف	الطابق	طولها	عرضها	الطابق	طولها	عرضها
دار بكري	الشمالية	السفلي	10,70م	2,30م	العلوي	7,35م	2,50م
	الغربية		8,80م	4م		7م	2م
	الجنوبية		7,30م	2,50م		7,30م	2,50م
	الشرقية		7م	2,70م		9,40م	2,70م

والجدير بالذكر أن كل الغرف بمساكن مدينة الجزائر تجهز بإيوان مقتضب قليل الغور والعمق يكتنفه من الجانبين خزائن جدارية، تعلوه ثلاث شمسيات، يوضع في مواجهة مدخل الغرفة، الذي يفتح بدوره على الأروقة المطلة على الصحن، (صورة رقم 18).

يتخذ هذا الأخير كمجلس لصاحب المسكن، يستطلع من خلاله على كل ما يدور في الصحن، وقد اتسمت دار بكري باشتغالها على نوعين من الأولوين فمنها الغائر حيث يصل عمقه إلى 1,20م ومنه المقتضب الذي لا يزيد عمقه عن 45,0م.

(1) محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة ... ، ص 213.

5.5. المطبخ:

غالبا ما يقع في الطابق الأرضي للمبنى تبعا لارتباطه بإقامة الخدمة بالقرب منه،⁽¹⁾ قد نشاهد غيابه في بعض المساكن الصغيرة، التي لا تتمكن من تخصيص له مجالا فيستعان هنا بالكانون،⁽²⁾ يوضع هذا الأخير بوسط الدار (الصحن) أو تحت الأروقة عندما يكون الجو ممطرا.⁽³⁾

يختلف موقع المطبخ من دار إلى أخرى تبعا لتصميم الدار وحسب رغبة صاحب المسكن أو مصممه،⁽⁴⁾ فبدار بكري وجد المطبخ بالطابق السفلي، إذ ألحق بالركن الشمالي للغرفة الغربية المشوهة بتلك التعديلات التي أدخلت عليها.

فعند دراستنا لهذا المرفق صعب علينا التعرف عليه، إذ جاء في مخطط قيوشان على شكل حجرة بارزة إلى الخارج ذات مسقط شبه منحرف سقف بسقف مستو وقبة مضلعة وهذا ما أثار حيرتنا !

فلولا الدراسة التي قام بها "الأستاذ عقاب" لعجزنا عن تحديد موقعه في الدار حيث نوه إلى وجود آثار لفراغات المواقف بهذه الحجرة تم سدها، بالإضافة لتلك المداخل المتصلة بهذا الجانب مباشرة الموجودة بالسطح.⁽⁵⁾

يجدر الإشارة أن هذا الأخير تضمن قسمين القسم الأول ذو سقف مستو (ف) على غرار القسم الثاني (ف) المزدان بقبة مضلعة وهذا ما شدا انتباهنا.

فمن المتعارف عليه تسقيف المطبخ إما بأقبية متقاطعة في حالة ما إذا كان يعلوه حمام بغرض توزيع الثقل وحمله وإذا ما انفصل عنه يسمي ذا سقف مستو، ومن تم نرجح

(1) محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة.....، ص116.

(2) S.Missoum, Op.Cit, p224.

(3) Boyer, Op.Cit, P153.

(4) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر.....، ص107.

(5) نفسه، ص109.

أن التسقيف بالقبة المضلعة لغرض التجميل لا غير وذلك ما سيتضح لنا جليا عند تطرقنا إلى عناصر التغطية في الدار.

6.5. المخزن:

لقد دعت الضرورة إلى اتخاذ المخازن لإيداع كل الأدوات والمستلزمات، لكي لا تشغل مساحة كبيرة من الغرف بحيث استغلت الفراغات بشكل مكثف لإبقاء الغرف مرتبة تكون المخازن عادة غير مكشوفة للعيان، قلما تظهر لذلك نجدها بجانب المطبخ، وفوقه وفي مناطق الانتقال في نواة السلالم، كما يستغل النصف العلوي لبعض الغرف القريبة من المطبخ أو الحمام، يعنى بها عناية كبيرة حيث تزدان بأبواب صغيرة، متقنة الصنع لا تختلف صناعتها الهندسية أو الفنية عن باقي أبواب المبنى إلا في الحجم.⁽¹⁾

تميزت دار بكري بتجهيزها بالعديد من المخازن المتفاوتة الحجم والعدد حيث بلغ عددها خمسة مخازن، جعلت إما بالسقيفة أو ألحقت بنواة السلم أو جاورت المرحاض.

■ **المخزن الأول: (م)** يقع بالمستوى الأرضي في السقيفة الكبرى الخلفية (ج)، جعل على يسار المدخل الرئيسي المفضي إلى السلم الصاعد للطابق السفلي.

فتح مدخله بإطار من الحجر الكلسي المحلى بالزخارف الهندسية والنباتية ، وهو عبارة عن غرفة تمتد طوليا سقفت بأقبية متقاطعة لغرض حمل ثقل المبنى فقد جرت العادة أن تتخذ المخازن أسقف مستوية تبعا لموضعها في المبنى (صورة رقم 19، أ)

■ **المخزن الثاني:** يقع بنواة السلم الصاعد للطابق السفلي أي بين الطابق الأرضي والعلوي، مسقطه قريب من المربع سقفه غير مستو يشبه القبو حيث ينخفض كلما اقترب من نهايته . (صورة رقم 19، ب)

■ **المخزن الثالث:** يقع بنواة السلم الصاعد للطابق العلوي أي بين الطابق الأرضي والعلوي، له نفس تصميم المخزن السابق.

(1) محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون .. ، ص ص 115، 116.

- **المخزن الرابع:** يقع بنواة السلم الصاعد للسطح أي بين الطابق العلوي والسطح.
- **المخزن الخامس:** يقع بالركن الجنوبي الغربي للدار (ك)، بالطابق السفلي يكتنفه على

اليمين الغرفة الغربية وعلى اليسار مرحاض.

- **المخزن السادس:** يقع بالركن الجنوبي الغربي للدار (ك) بالطابق العلوي يقوم مباشرة

فوقه، فالجدير بالذكر أن مساكن الفحص عادة ما تزود بالعديد من المخازن الواسعة لإستيعاب المنتج الوفير الذي تنتجه بساتينها الخصبة.⁽¹⁾ مثلما جسدا بدار دوران حيث اشتمل على مخازن شغلت الركن الشرقي (د) تطل مباشرة على الحديقة والفناء معا.

7.3.2. الحمام:

غالبا ما تزود البيوت الهامة بحمام متكامل كالحمامات العامة، ولكن أقل حجما منها.⁽²⁾

لقد اقتبس المسلمون تخطيط الحمامات من الرومان، وكانت الحمامات الرومانية تشتمل على ثلاثة وحدات رئيسية: القاعة الباردة ذات الجو العادي تعرف أما بـ "**Frigidarium** أو **Apoditarium**" تليها القاعة الدافئة "**Tepidarium**"، ثم أخرى تعرف بـ "**Calidarium**"،⁽³⁾ يطلق عليها الأتراك سيكاك أو داسي **Sikak** **Odase**،⁽⁴⁾ وقد أكتفى في المنشآت المدنية بالجزائر بقاعتين أساسيتين هما: القاعة الباردة أو الدافئة، والقاعة الساخنة.⁽⁵⁾

(1) زكية راجعي، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في ...، ص 130.

(2) الريحاي عبد القادر، القيم الجمالية....، ص 230.

(3) فريد شافعي، المرجع السابق، ص 107.

(4) سينسر وليام، المرجع السابق، ص 94.

(5) محمد الطيب عقاب، " المدخل إلى ..."، عن: المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، ص 89.

تغطي هذه الوحدات بأقنية طويلة، ادخل المسلمون هذا التخطيط إلى العمارة الإسلامية تقليدا لما وجد بالعمارة الرومانية، ولكن بصيغة جديدة هذا ما نستشفه في حمام قصير عمرة في الفترة الإسلامية المبكرة.⁽¹⁾

زودت هذه الحمامات بالمياه الساخنة والباردة مثل الحمامات العامة، جهز بعضها بأنايب كقصر الحمراء بغرناطة بالأندلس.⁽²⁾

يقع الحمام غالبا بالقرب من المطبخ أو بجانبه وأحيانا فوقه لبناء الفرناق الذي يكون أسفل القاعة الساخنة للحمام، بينما النار تتسرب تحت أرضيتها عبر مجازات مستطيلة ضيقة بنيت من الأجر (الطابوق)، غطيت بألواح من حجر الشيست،⁽³⁾ نفس النظام القديم الذي اختط في الفترة الرومانية، تنتشر حرارة قاعتي الحمام وفقا لقرب النار منها أو بعدها حسب وظيفة كلتا القاعتين.⁽⁴⁾

يبنى الحمام بعناية شديدة حتى لا يتعرض للتصدع من جراء الحرارة المرتفعة، لذا تضمنت الأرضية طبقتين، على شكل نصف أسطواني، أو ذات سقف مقبب متصالب منضدتان بالآجر، أما سقفه فيتخذ شكل نصف قبة متعددة الأضلاع.⁽⁵⁾

الملفت للانتباه أن بدار بكري انفصل الحمام عن المطبخ، إذ ألحق بالطابق السفلي بالركن الغربي، يفصله عن المطبخ الغرفة الغربية، فحسب مخطط قيوشان إتخذ شكل حجرة ذات مسقط مربع بارزة إلى الخارج قسمت إلى قسمين أي حجرتين ضيقتين تمتد طوليا سقت كل منهما بقبة مضلعة تفاوتت القبتين في الحجم.

ومن تم نستشف أن الحمام يقوم على غرفتين الغرفة الدافئة (ق) والغرفة الحارة (ق) وندعم فرضيتنا بتلك الغرفة ذات السقف المقبب التي وضعت مباشرة أسفل هذه الأخيرة إذ

(1) فريد شافعي، المرجع السابق، ص107.

(2) الريحاوي عبد القادر، القيم الجمالية....، ص105.

(3) محمد الطيب عقاب، " المدخل إلى ..."، عن: المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، ص88.

(4) نفسه، ص90.

(5) محمد الطيب عقاب، " قصور مدينة ..."، ص115.

عدت كمخزن لعلها جاءت على هذا النحو تبعا لوجود موقد بالركن الجنوبي للغرفة الغربية.

8.5. بيت الغسيل:

لم تجهز دار بكري بهذا المرفق ربما لصغر المساحة.

9.5. المراحيض:

تعد من العناصر المعمارية التي يندر العثور عليها في صورتها الأصلية أو حتى التعرف عليها، فلولا قربها من العيون الجدارية التي يتزود منها المتطهر قبل أن يدخل إلى المراض لما تعرفنا إليها بالإضافة إلى وقوعها قرب المطابخ، والحمامات، وادراجها بمداخل على شكل عقود منخفضة.⁽¹⁾

نجد بدار بكري مرحاضين صغيرين، يقعان في نفس المكان أي بالركن الجنوبي من الدار، شوهدت صورة هذين المراضين بعد أن أدخلت عليهما تغييرات تتماشى مع نمط المعيشة الحديث.

▪ المرحاض الأول (ش) يقع بالركن الجنوبي للدار بالطابق السفلي، ازدان باطار حجري

مسططه شبه منحرف، سقف بأقبية متقاطعة، جهز بعين جدارية لم يبق منها سوى أثرها حجر الشيست فضلا عن كوة مستطيلة جعلت للإضاءة. (صورة رقم 20، أ)

▪ المرحاض الثاني: (ش) يقع بالركن الجنوبي للطابق العلوي، يمتد طوليا طمست كل عناصره المعمارية ولم يبق منه سوى تلك الحنية المعقودة بعقد مفرطح تعود إلى العين جدارية وجدت به سابقا لازالت محافظة على لوحة الشيست، جعلت على مقربة من مدخله الرئيسي، سقف بسقف مستو عقد مدخله بالاطار رخامي. (صورة رقم 20، ب).

(1) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، ص ص 115، 118.

مقاسات المراحيض:

اسم المبنى	عدد المراحيض	موقعها	الطابق	طولها	عرضها
دار بكري	2	بالركن الجنوبي	السفلي	27، 2م	1م
		بالركن الجنوبي	العلوي	38، 2م	29، 1م

10.3.2. العيون الجدارية:

وجدت هذه العيون في مساكن مدينة الجزائر إبان العهد العثماني، بفضل الأندلسيين القادمين من الأندلس حيث جلبوا معهم صنعتهم، في تشييد العيون وحسن استغلال المياه، فقد كان أهالي مدينة الجزائر يعتمدون على الآبار أو الصهاريج الموجودة في المساكن،⁽¹⁾ ولا يخلو أي مسكن في المدينة من بئر أو صهريج.⁽²⁾

كما كانوا يتزودون من مياه عيون أنهج المدينة ونظرا لحاجتهم للمياه، قاموا بإنشاء عيون جدارية، وإدخال المياه إلى مساكنهم، فقد جاء في وثيقة مؤرخة بتاريخ 1220هـ الموافق لـ 1806م التي تعود إلى عهد أحمد باشا، نصت على إدخال الباشا الماء إلى بيته حيث ورد فيها مايلي: "مقابلة الماء التي أدخله لدار الكاينة... عام عشرين ومائتين وألف".⁽³⁾

يجدر الإشارة إلى أن العيون الجدارية لا تأخذ حيزا كبيرا من مساحة المبنى حيث يستغل عرض الجدار الذي يتراوح عرضه ما بين (0,50م إلى 0,80م) لإنشائها حيث يقوم البناء بوضع جرة أو زير متوسط الحجم في صلب الجدار.

(1) عبد القادر حللمي، المرجع السابق، ص152.

J. Guiauchain, Op.Cit, p69.

(2)

(3) علبة رقم 106-107، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 8، محفوظة بالأرشفيف الوطني ببئر خادم.

تكون سعة أحدهما (50، 1 ل إلى 80، 1 ل)، ولملاء هذه الجرة من فوهتها بالماء، فإنه قد كون عقدا مفرطحا أو على شكل مستطيل توضع بين فوهة الجرة وقاعدة العقد لوحة من الشيست، لكي تحمي الجدران من التآكل وحتى لا تسقط المربعات الخزفية التي تكسو الجرة فتحجبها عن الأنظار، يتم تثبيت صنوبر في أسفل الجدار بعيدا عن الأرضية قليلا، حتى لا تخرج الرواسب التي قد تدخل عبر فوهة الجرة.

توضع العيون الجدارية في عدة أماكن من الدار ومن جملتها السقيفة سواء الصغرى أو الكبرى ففي دار بكري مثلا وجدت بمؤخرة السقيفة الصغرى مجاورة للمدخل الرئيسي المفضي إلى السقيفة الكبرى، اتخذت من الرخام الأبيض وهي لا زالت محافظة على عناصرها المعمارية. (صورة رقم 21، أ).

من المرجح تجهيز السقائف بالعيون الجدارية بغية استعمالها من قبل الغرباء والضيوف تسليما بالموضع الذي ألحقت به فالسقيفة كما سبق ذكره أنفا حيزا خاصا بهؤلاء.

فضلا عما سبق ذكره أنفا فهناك أماكن أخرى توضع بها العيون الجدارية، كأن تكون في أركان الأروقة،⁽¹⁾ لكن بدار بكري لم تلحق إلا بالمراحيض فقط بغية تزويد المتطهر بالماء. (صورة رقم 21، ب).

11.5. الصهاريج:

يعرف محليا "بالجب" تستغل مياهه في الاستعمالات اليومية ولا يصلح للشرب،⁽²⁾ اشتملت كل مساكن مدينة الجزائر عليه.

(1) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر....، ص ص 126، 127.

(2) زكية راجعي، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في، ص 126.

جعل لتخزين المياه المجلوبة من العيون الجارية بداخل المدينة أو خارجها، فضلا عن مياه الأمطار النازلة من على سطح المساكن عبر الصحن المكشوفة حيث تصلها بقنوات فخارية، وضعت في صلب الجدران وتحت الأرض.

استغني عنه بعد إيصال الماء إلى المساكن بطريقة عصرية حيث عملت السلطات الفرنسية على سد فوهات الصهريج مما شكل عائقا في التعرف إليه،⁽¹⁾ مثلما نجد بدار بكري، ومن هنا نتساءل هل كان يعتمد على الجب القائم بالمستوى الأرضي تسليما بما أشار إليه قيوشان، أم أنه اتخذ جبا آخر تم طمسه مع التعديلات؟

12.5.. النوريات:

أو "الناعورة" تعد من أهم الوسائل التي تزود مساكن الفحص بالمياه سقي المزروعات، وتزويد أحواض النافورات بالمياه التي تحلى بها الأفنية.⁽²⁾

نجدها بالفناء ذي المسقط المربع بدار دوران(هـ)، اتخذت الشكل المثلث على ما يبدو أنها حليت بأعمدة أحيطت بالجسم المثلث (ن)، (مخطط رقم 8).

يختلف نظام النورية عن نظام البئر حيث أنها تجهز بالدولاب توزع على دائرتها الخارجية دلاء، تغرف في المياه أثناء الدوران، لتصب لما ترتفع في قنوات، تسقي منها الحديقة.⁽³⁾

13.5. الأفنية:

تلك المساحة الشاسعة التي يفتح عليها المدخل الرئيسي بمساكن الفحص، اتخذ فناء دار دوران مسقطا مربعا (هـ) جهز ضلعه الشمالي بمخازن(د) والحديقة (و) التي امتدت من ضلعه الشمالي إلى ضلعه الغربي، أما ضلعه الجنوبي فقد أحيطت به بأكّة من

(1) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر ... ، ص ص 129، 130.

(2) زكية راجعي، المرجع السابق، ص 125.

(3) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 428.

الأعمدة التي قام عليها مقدم المبنى (أ) الذي يتقدم المدخل المفضي إلى السقيفة الأمامية التي عرفت بسقيفة الخدم (ب) وكذا بالمثل فيما يخص ضلعه الشرقي فقد تم إلحاقه ببائكة قام عليها مقدم المبنى (أ) الذي يتقدم المدخل الرئيسي المؤدي بدوره إلى السقيفة الثانية أي سقيفة الضيوف (ج) (مخطط رقم 8).

14.5. السطح:

أستغل لعدة أغراض فالمنبسط منه لتجميع مياه الأمطار لغسل الملابس وللاستعمالات النسائية الأخرى.⁽¹⁾

عدّ كوسيلة اتصال بين نسوة المدينة حيث يجتمعن مساء، لكي ينعمن بالهواء المنعش، ويتبادلن أطراف الحديث والأخبار مع بعضهن البعض، وكان المجال خاصا بالنساء فقط،⁽²⁾ عكس الرجال الذين انفردوا بالسقيفة والغرف السفلية للمبنى.⁽³⁾

إذ لا يجوز لأي رجل مسلم أن يصعد إلى السطح في النهار بالمقابل يتمتع الرجل المسيحي بالتطلع على النسوة الأجانب،⁽⁴⁾ كانت النساء تنتقلن من سطح إلى سطح⁽⁵⁾ حسب تقدير شاو نظرا لانخفاض علو الجدار الخارجي المطوق للمبنى عكس الجدار الداخلي فهو مرتفع عليه وهو عبارة عن امتداد الصحن،⁽⁶⁾ لكن هذه النظرية ليست لها أساس من الصحة فمن خلال الدراسة الميدانية التي قام بها الاستاذ "عقاب"، تبين أن الجدار الخارجي للمبنى يصل ارتفاعه إلى مترين، أما الداخلي فهو أقل إذ لا يصل إلى 20م، فكيف بالنسوة أن ينتقلن من سطح إلى آخر.⁽⁷⁾

(1) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 121.

Boyer, Op.Cit, p153.

J.Giauanchain, Op.Cit, p77.

(4) وليام شالر، المرجع السابق، ص 196.

Shaw, Voyage dans la régence.... , p99.

Ibid, p356.

(7) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر ... ، ص 145

تكسى جدرانه بالجير مرة كل سنة،⁽¹⁾ ومن البديهي أن يغطي السطح بمادة صلبة غير نافذة لا تسمح بتسرب المياه إلى المبنى فتتسبب في تصدعه، وأن تكون خفيفة الوزن حتى يتمكن المبنى من استيعابها أتى "شاو" على ذكرها حيث صرح بأنها مادة من الجبس الجيد، إلا أنه عجز أن يطلق عليها الاسم الصحيح بالفرنسية، وأضاف أنها تستعمل أيضا في تكسية جدران الغرف.⁽²⁾

لا نستبعد أن يعتمد البناء على كل من البلاطات الخزفية الصلبة التي لا تتأثر بمياه الأمطار، ولا بالظروف المناخية شبهها الاستاذ عقاب بالطابوق الرفيع، كما اقترح مادة أخرى وهي الألواح الحجرية المجلوبة، من محجر الوادي، أو من جبال شفة، ولا زالت تغطي الجدار المطل على الصحن بدار الحمراء، تتميز بأنها خفيفة الوزن وكبيرة الحجم حيث تبلغ 1م×0،40م، غير نافذة للماء.⁽³⁾

الأمر الذي يؤكد هذه النظرية اعتماد المرء على المادة المحلية ونظرا لتوفر هذه المادة، لا نستبعد هذا الرأي ولا حتى الرأي الذي ينص على أن السطح كسي ببلاطات صلبة، تبعا لتوفر هذه المادة وان تباين مصدرها.

مقاسات أسوار السطح:

اسم المبنى	طول سور الصحن	طول سور السطح
دار بكري	0،60م	1،60م

Venture de paradis, Op.Cit, p271.

Shaw, Voyage dans la régence..., P356.

(3) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر .. ، ص145.

15.5. المنزه:

اشتق من "نزهة" التي تعني الإستجمام والراحة⁽¹⁾ يعرف عند أهل الشام بـ"الطيارة" بسبب ارتفاعها وإشرافها على المحيط الخارجي تتخذ من الخشب والزجاج،⁽²⁾ وفي تونس تعرف بـ"الكشك" ذات أبعاد متغيرة تتضمن غرفة واحدة أو عدة غرف ضيقة، تزين بالمربعات الخزفية والرخام، وتسقف بسقف خشبي،⁽³⁾ وأما في الجزائر فإنها عبارة عن غرفة كبيرة فوق السطح تشبه في تركيبها المعماري وشكلها غرف المبنى حيث يتوسطها باب تكتنفه نافذتان مسيجتان بقضبان حديدية.⁽⁴⁾

تقع في أحد أركان المبنى تتوجه غالبا للبحر حتى تنال قسطا من نسيمه الذي يهب أثناء سهراتهم في الليالي المقمرة، يعتمد على ظلة للحماية من لفحات الشمس عند الظهيرة يوجه ظهر هذه المنازه نحو إحدى الجهتين من المبنى إما الجنوبية أو الغربية،⁽⁵⁾ فمنزه دار بكري يقع بالجهة الجنوبية يفتح ببائكة من ثلاث عقود توجت بتيجان ذات لفائف جانبية، حملت على أعمدة حلزونية من الحجر عقدت بعقود منكسرة متجاوزة، طوق بأفريز من المربعات الخزفية.

غالبا ما تكسى المنازه بمربعات خزفية يبلغ علوها مقدار علو الطفل ربما زينت سقوفها بالتصاوير الملونة، لذا اهتمت بها السلطات الفرنسية، وجعلتها بالمدافئ من الرخام للتسخين إلا أنها أهملت سقوفها التي ألفت مع الزمن.

تستغل هذه الغرف لعدة أغراض فمنها المسامرة ليلا وحفظ الطعام المجفف وإيداع، ما عرض على السطح في المنزه.⁽⁶⁾

(1) S.Missoum, Op.Cit, P 216.

(2) الريحاوي عبد القادر، القيم الجمالية....، ص213.

(3) J. Revoult, Palais et demeures de Tunis, XVIIE-XVIII Siècle, Paris, 1967,p55.

(4) محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون ...، ص116.

(5) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر ...، ص139.

(6) نفسه، ص142.

و إننا لا نستبعد إلحاق مساكن المدينة بالمنازه كتعويض عن الحدائق والأفنية، التي تزدان بها مساكن الفحص تبعا لخصوصية السطح.

16.5. الحقيقة:

كما سبق ذكره سابقا أن مساكن الفحص تحاط بحدائق غناء، وتعد هذه الأخيرة جزء لا يتجزأ منها، وللأسف نظرا للتدخلات التي مست هذه المساكن فإن هذه الحدائق قد طمست حيث امتدت على حسابها المباني، كما هو حال حديقة دار دوران (و)، (مخطط رقم 8).

والجدير بالذكر أن الاعتماد على الحدائق الداخلية ببلاد المغرب عرف من قبل حتى قبل الانطواء تحت راية الدولة العثمانية، فقد كشفت الحفريات التي أجريت بمراكش على فناء مستطيل يقطعه ممشيان يحصران، روضات تعود للنصف الأول من القرن 12م.

تم إقتباس الرياض من إيران التي أقبلت منذ عهود غابرة على الحدائق ذات الممشيان المتعارضان وفقا لما دلت عليه المنمنمات وزخارف الزرابي، تجسدت هذه الحدائق ببلاد فارس أو بلاد الرافدين، تبنتها مصر في العهد الطولوني في القرن 9م تبعا لما كشفت عليه الحفريات التي أجريت على مسكن بالفسطاط، إذ تضمن على رياض مزدان بحوض،⁽¹⁾ أبقى على هذه السنة حتى بعد الالتحاق بالدولة العثمانية، نظرا لتطور الحياة الاقتصادية بالبلاد.

لقد اهتم الأهالي بكل من الحدائق والبساتين فازدانت بمختلف أنواع الأشجار والزهور، وقد أعتني بالأشجار المثمرة، كالبرتقال، والكروم، تبعا لفوائدها الغذائية فضلا عن روائحها المعطر للهواء المحيط بالدور والقصور كما أنها تجتذب أنواعا معينة من الطيور،⁽²⁾ التي

(1) G. Maçais, L'architecture musulmane d'occident Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile, art matière graphique, France, 1954, p306.

(2) صفي الدين حامد، "الحديقة الإسلامية، ودور مصمم المواقع في تطوير المدينة العربية"، عن: أبحاث ندوة المدينة العربية وخصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي، 1982م، ص 75.

تضفي على المكان لمسة من الجمال، والراحة، جعل من أشجار السرو ذراع واق من العواصف.⁽¹⁾

نستخلص مما سبق أن كل من دار بكري ودار دوران لا يختلفان عن الدور المدنية سواء تلك القائمة داخل اسوار المدينة او خارجها الا أن دار بكري انفردت بكثرة المخازن بها وهذا ما يثير الانتباه، فمن المتعارف عليه أن هذه الميزة وجدت بدور الفحص تبعا لشساعة المساحة ولاستياعاب المنتج الوفير كما سبق ذكر ذلك آنفا.

(1) صفي الدين حامد، "الحديقة الإسلامية..."، عن: أبحاث ندوة المدينة العربية وخصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي، 1982م، ص74.

الفصل الثالث

دراسة وصفية تحليلية للوحدات والعناصر المعمارية

1. الوحدات المعمارية:

1.1. الهيكل: أي تابوت الشريعة أو "تابوت العهد"،⁽¹⁾ أو "هيكال" عند السفارديم،

كان يشير هذا المصطلح في البداية إلى "تابوت العهد" أما الآن فانه يشير إلى الصندوق الذي يحتفظ فيه بلفائف الشريعة ولا يفتح إلا في مناسبات معينة وهو من جملة الأشياء المقدسة في المعبد اليهودي بل إنه يناظر قدس الأقداس في هيكل سليمان، لذا يوضع في الجدار المتجه لبيت المقدس.⁽²⁾

وللإشارة بعد مرور الزمن تحول الصندوق إلى شيء يشبه الدولاب الثابت وأصبح يشكل أهم جزء في المعبد وكثيرا ما كان يغطى هذا الأخير بستار،⁽³⁾ ويشعلون أمامه أو بالقرب منه ما يسمى بـ "همنوراه" بمعنى مصباح أزلي.⁽⁴⁾

هيكل المعبد الكبير: من خلال الصورة المنشورة في موقع judaic algeria يتسق لنا جليا أنه عبارة عن حنية مستطيلة جعلت بالجدار الغربي للمعبد، عقدت بعقد مفصص أدمجت بالإطار رخامي تعلوها كتابات عبرية ربما تعود لنصوص من العهد القديم، مثلما نجد بالمساجد الإسلامية حيث يعتمد على أفاريز من الآيات القرآنية لتحلية المحراب، يعلو الهيكل ثلاثة شمسيات جعلت للإنارة ولإضفاء روح من السكينة. (صورة رقم 22) ووفقا لما سبق الخوض فيه آنفا نرجح أن قدسية "الهيكل" أي "تابوت العهد" لا تقل عن قدسية المحراب في المساجد الإسلامية حتى وإن اختلفت عنه في الوظيفة والشكل. وفيما يخص الستار الذي أسدل على هذا الأخير المزدان بزخرفة معمارية قوامها عقد نصف دائري محمول على عضادتين منفصل فيه لاحقا، أقتبس هذا الأخير من ستار قدس الأقداس بهيكل سليمان عليه السلام.

(1) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص335.

(2) رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية في....." عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر ص143.

(3) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، ص270.

(4) رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية في..."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر ص143.

2.1. بيماه: أي المنصة كلمة عبرية تعني "مكانا مرتفعا" يقصد بذلك المنصة العالية الملحقة بالمعبد اليهودي، توضع عليها طاولة لقراءة التوراة،⁽¹⁾ فمن المهام المبجلة في المعبد الصعود لقراءة التوراة أي "عليا توراة" حيث يصعد المدعو إلى المذبح ويبارك بركة أولى ثم يقرأ أجزاء من التوراة ويبارك بركة ثانية.

ووفقا لعادة قديمة يجب على كل يهودي أن يصعد لقراءة التوراة ولكن بسبب وجود بعض الأميين بينهم تم إدخال تعديل بتنصيب قارئ يقرأ نيابة عنهم يعرف بـ"الحران" كما سبق ذكر ذلك آنفا.

ويتم الصعود وفق الترتيب التالي يصعد الكاهن أولا ثم اللاويون ثم عامة المؤمنين ولا يصعد اليهودي للقراءة إلا بعد النداء عليه باسمه واسم أبيه ذلك ما هو عليه عند اليهود عامة أما عند السفارديم فقد اعتادوا الصعود دون نداء⁽²⁾ وينفخ عليها في البوق "الشوفار"، ويلقي عليها الحاخام مواعظ كما يقوم المرتل "الحران" بقيادة الشعائر من فوقها في المعابد السفاردية.

تعرف في المعابد الأشكنازية بـ"الميمار" اشتقاقا من اللفظ العربي "المنبر"، أما في المعابد السفاردية فيطلق عليها بـ"تيفاه" أي صندوق باللغة العبرية.⁽³⁾ توضع هذه الأخيرة في وسط المعبد وفي هذا الصدد صرح الربى موشيه بن ميمون قائلا: "ويضعون منبرا في وسط المعبد لكي يصعد عليه القارئ في التوراة أو من يلقي على الجمهور تأنيبات حتى يسمعه الجميع".⁽⁴⁾

توضع المنصة أي "البيماه" في المعابد الأشكنازية في الوسط تفصل عن تابوت لفائف التوراة بالكراسي على غرار المعابد السفاردية والشرقية حيث تتوسط المعبد في مواجهة التابوت لا يفصل بينهما شيئا.⁽⁵⁾

وكذا بالمثل في معابد "التوشابيم" أي البلدين وفقا لما أشارت إليه تلك الصورة التي تعود لمعبد يهودي بغرداية نشرت بالأرشفيف اليهودي تحت عنوان "معابد الجزائر خلال العهد

(1) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص335.

(2) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية ...، ص233.

(3) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص335.

(4) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية....، ص42.

(5) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص335.

الفرنسي في القرن 19 للباحث (V) Assan⁽¹⁾ ويجدر الإشارة أن إدخال المنصة إلى المعبد اليهودي يعود إلى أيام نحميا.⁽²⁾

وعلى ما يبدو أن المنصة التي تتوسط المعبد تقوم مقام دكة المبلغ في المساجد الإسلامية.

بimah بالمعبد الكبير: من خلال الصورة المنشورة في موقع judaica lgeria يظهر لنا جليا أنها عبارة عن منصة خشبية يحيط بها درابزين، من الخشب المخرم المزدان بزخارف نباتية، وهي في ذلك شبيهة بالمشربيات، وعلى ما يبدو أنه يتم الصعود إليها بواسطة سلم خشبي من درجتين أو أقل، جعلت على محور خزينة لفائف التوراة يفصلها عن التابوت كراسي. (صورة رقم 23)

ومن تم نتساءل هل خص طائفة الأشكناز ؟، وهذا ما نرجحه فقد حول إسمه من المعبد الكبير إلى معبد "الحاخام ابراهام بلوش"، الفرنسي القادم من إقليم الألزاس تكريما له بعد وفاته.⁽³⁾

3.1. دوخان: أي "منصة" وهي مكان مرتفع وبارز مثل المنابر التي يعتليها الكاهن من أجل مباركة المؤمنين برفع كفوفهم.

ألحقت بمدارس الأطفال إذ يقف عليها مساعد رئيس الكتاب سواء إن كان "حزان" أو "شماس"، وأدخلت على بعض المعابد اليهودية فشغلت الركن الغربي منها جعلت ليصلي عليها الصبية بينما الحزان يراقبهم.⁽⁴⁾

كما جهزت بها الأضرحة وأصدق نموذج ضريح الحاخام إسحاق بن شيشات برفات "وسيمون بن سماح دوران" أي ضريح ريباخ ورشباخ.

دوخان ضريح ريباخ ورشباخ: وهي عبارة منصة متخذة من مادة الحديد، ألحقت بالدربوز الحديدي المواجه لمدخل قاعة الضريح، فقد تم فتح باب من مصراعين به ليسمح هذا

(1) Assan (V), « Les synagogues... », In: Archive juive, vol37, 2004, p70.

(2) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص335.

(3) <https://www.judaicalgeria.com/pages/patrimoine-historique/synagogues-d-algerie.html>

(4) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية ...، ص ص94، 95.

الأخير بإدخال هذه المنصة، والاندماج معها ليتيسر اعتلائها. (شكل رقم 1)، (صورة رقم 24).

واننا نرجح أن تجهيز الضريح بها لكي يعتليها الحاخام في أيام عيد الهيلولة لغرض إلقاء المواعظ الدينية وتلاوة نصوص من التوراة وبعض ما تيسر من كتاب الزوهار. وندعم فرضيتنا بتلك الأعمدة التي شغلت ركني القاعة والتي حملت شمعدان أي مينوراه خربت لم يبق منها إلا قسمها السفلي كانت تستعمل لإشعال شموع الهيلولة ستنطرق إليها لاحقاً، كما قد تستعمل المنصة لغرض إقامة شعائر "الجنيزا" التي سنتناولها لاحقاً كذلك.

مقاسات دوخان ضريح ريباخ ورشباخ:

اسم المبنى	ارتفاعه	عرضه
دوخان ضريح ريباخ ورشباخ	0,40م	0,56م

4.1. السدة: هي السقيفة التي تبنى في حائط المعبد تقابل التابوت والبيماه، تتخذ عادة من الخشب فترفع من فوق أرض المعبد، بفضل أعمدة عالية وهي ثابتة في مكانها. الغرض من بناء السدة في المعبد، هو تمكين النساء من الصلاة في المعبد عن معزل من الرجال على ما يبدو أن هذه الأخيرة لم توجد في المعابد المشيدة خلال العهد العثماني نظراً لعدم إشارة ماينز لها فضلاً عن ذلك فمن المتعارف عليه أن الصلاة ليست بفريضة على المرأة ولا يسمح لها بقراءة التوراة امتثالاً لما جاء في التلمود .

ولربما عوضت في بعض المعابد بـ"مقصورة" امتثالاً لما دلت عليه تلك اللوحة التي تصور معبد سبع لويات القائم على الطراز الموريسكي المشيد خلال العهد العثماني فمن خلال تمحصنا لها اتسقت لنا مقصورة صغيرة كسيت بأقمشة متباينة، مما يوحي بالعزل والتستر (صورة رقم 12)، نرجح أنها مقصورة للنساء خصت فئة إستثنائية منهن المتمتعان ببعض الحرية تبعاً لاحتكاكهن بالمجتمع الإسلامي كما أسلفنا في الخوص في ذلك آنفاً.

فقد جرت العادة في الهيكل العمل على إحداث فاصل بين رواق الرجال والنساء عن طريق إسدال ستار يعرف بـ"محييتساه" ولازال اليهود الأرثوذكس يحرصون على عدم الصلاة في المعابد الذي تخلو منه ⁽¹⁾.

السدة بالمعبد الكبير: شغلت كل من الرواق الشمالي والرواق الجنوبي والغربي، اتخذت من الخشب حملت على أعمدة حجرية مضلعة، توجت بتيجان مضلعة، إلا أنها مستحدثة تعود إلى ما بعد الإستقلال أي سنة 1962م.

على الرغم من إمكانية ورود فكرة قيامها سلفا نظرا لما أشارت اليه بعض المراجع اليهودية حيث أقرت بوجود سدة قامت على أعمدة رخامية، ⁽²⁾ ذلك ما أثار حيرتنا فيا ترى أين اختفت تلك الأعمدة ما مصيرها؟ هل تم نزعها والحاقها بعمائر أخرى وذلك أقرب للصواب؟

5.1. الجنيزا: كلمة عبرية مشتقة من الفعل الثلاثي العبري "جنزا"، ⁽³⁾ واتفقت معظم اللغات السامية إلى نفس المعنى لكلمة "جنازة" بفتح الجيم وكسرهما في العربية بمعنى الإنسان الميت والشيء الذي تقل على القوم فدفنوه.

فكذلك تدفن الكتب الدينية والأوراق البالية والقصاصات التي تحمل لفظ الجلالة، فضلا عن بعض الأدوات الدينية كالتفيلاه وقطع الستائر التي تعلق في المعبد، والأدوات التي تعلق في الطقوس الدينية التي لم تعد مستعملة ولأهمية هذه الأشياء وجب حفظها من العبث وتكريمها لصفتها المقدسة ومن تم اهتدي إلى حفظها في المعبد أو دفنها وسط المقابر. ⁽⁴⁾

فبعد انقضاء ستة سنوات من حفظها بالمعبد غالبا ما يتم تحديد اليوم الذي تدفن فيه ولا يتم ذلك إلا بإقامة مراسيم الاحتفال الجنائزي. ⁽⁵⁾

(1) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص334.

(2) Marcel Paviot et Raphael pastor, « Alger , La casbah», In: AFN, n°56, p103.

(3) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص334، 335.

(4) محمد خليفة حسن والنبوي سراج، "الجنيزا في المعابد اليهودية..."، عن: سلسلة الدراسات الدينية التاريخية، العدد

التاسع، ص75.

(5) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص335.

اذ يعاملونها معاملة الإنسان الميت وذلك بإجراء طقوس دينية كالتي تجرى للميت ومن تم غالبا ما نجد على قبر يهودي عبارة هنا "دفن رجل يهودي وبجواره" نجد عبارة "هنا دفن سفر تورا".⁽¹⁾

فبعد أن تلف مواد الجنيزا في قطع من الكتان كالمومياوات توضع داخل جرار فخارية ذات أغشية محكمة لغرض حمايتها من الرطوبة.

فالجدير بالذكر أن دفن الكتابات المقدسة على هذه الصورة مألوف في مصر القديمة،⁽²⁾ ويعود دفن هذه المواد المقدسة في الشريعة اليهودية إلى ما قبل التلمود، فقد ورد في التلمود البابلي ما يشير إلى دفن سفر التوراة مع رجل دين وكانت هذه العادة شائعة عند يهود إيران واليمن.⁽³⁾

يجدر الإشارة أن هذه الأخيرة تعد كأهم مصدر فهي عبارة عن سجلات واقعية حقيقية للحياة اليهودية والتاريخ اليهودي، لا تقل أهمية عن "الرسبونسة".

وخير دليل "جنيز معبد ابن عزرا"، التي نهبت من طرف الحاخام سولومون شختر فلما عثر على المئات من الصفحات والأوراق بالمعبد سارع لإرسالها إلى جامعة كامبريدج لغرض دراستها.⁽⁴⁾

جنيز معبد سبع لويات: فمن خلال تمحصنا للوحة التي تصور معبد حي سبع لويات نجد استغلال العلية وإحداث سدة لغرض خلق أماكن للتخزين.

تتسم هذه الأخيرة بصغر الحجم، فهي ذات مسقط مستطيل تمتد طوليا سقفت بسقف مستو اتخذوا من الخشب، من المرجح أنها استعملت لحفظ المواد المقدسة.(صورة رقم

(12

(1) محمد خليفة حسن والنبوي سراج، "الجنيزا في المعابد اليهودية...."، عن: سلسلة الدراسات الدينية التاريخية، العدد التاسع، ص75.

(2) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص335.

(3) محمد خليفة حسن والنبوي سراج، "الجنيزا في المعابد اليهودية...."، عن: سلسلة الدراسات الدينية التاريخية، العدد التاسع، ص75.

(4) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص335.

جنيز معبد الكبير: من المحتمل أن تعد الغرفتين المكتنفتين للهيكل بالجدار الغربي المتجاورتان (**المخطط رقم 1**) "جنيزا" بمعنى غرف لايداع المواد المقدسة لمدة محددة قبل دفنها في مراسم جنائزية خاصة.

والجدير بالذكر أن أهالي المنطقة يتداولون وجود نفق تحت المعبد به العديد من الآنيات الفخارية، اكتشف أثناء عملية التحويل، وإننا لا نفنذ هذه الحقيقة تسليما بنفق معبد جربة واستغلال الآنيات في حفظ المواد المقدسة، فضلا لضيق الغرف المشار إليها آنفا، (**مخطط رقم 1**) إلا أننا لا نجزم به مادامنا نجهل مدخله ليومنا هذا.

جنيز ضريح ريباخ ورشباخ: عثر الأستاذ **جورج مارسى** على أنية فخارية ضخمة بمقبرة ريباخ سابقا حفظت حاليا بمتحف الفنون الإسلامية.

وهي عبارة عن جرة كبيرة بصلية البدن بمقبضين في الجهة العلوية ذات فوهة مزدانة بحزوز، كسيت بطبقة من المينا خضراء اللون وهي لا تختلف عن نمط إناء الحمراء بغرناطة، تعود إلى نهاية القرن 14م ومطلع القرن 15م. (صورة رقم 25، أ)

الغريب في الأمر أن الأستاذ **جورج مارسى** لم يتمكن من الربط بين الجرة ومحيطها على الرغم من وجودها على مقربة من رأس الحاخام. ومن هنا تسأل كيف به أن يجهل بهذه العادة السارية المفعول بالشرعية الموسوية ؟

وهذا ما يدل على أن الآنية كانت خالية من لفائف التوراة لذا عجزا عن تفسير سبب وجودها ووظيفتها.

فتسليما لما سبق ذكره آنفا فإنها عبارة عن "جنيزة"، لذا نرجح أنه تم العبث بمقبرة ريباخ الواقعة بضواحي باب الوادي شأنها شأن فحص المدينة الذي واجه نفس المصير، أثناء رحلة بحث أفراد الجيش الفرنسي عن الكنز إذ سارعوا إلى الحفر وتفتيش الأرضيات، مع تهديم بعض الحيطان التي شك أنها تخفي بعض الثروات، وحين لم يعثروا على كنزهم المزعوم باعوا جل المواد القيمة لجمع المال.⁽¹⁾

وعودة إلى **ضريح ريباخ ورشباخ** المتواجد بمقبرة سانت يوجين حاليا فمن المتفق عليه أننا عثرنا بالقاعة على ثلاثة قبور خالية من الكتابة التأسيسية رجحنا حينها أنها تعود إلى

(1) ابن عثمان حمدان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 296.

حاجامات أو أفراد منحدرين من صلبهم ذلك ما افترضناه حينها إلا أننا لا نستبعد أن تعد "جنيزا" إذ تم دفن الجرة داخل قبر جعل على مقربة من الحاجامين، (المخطط رقم 3)، (صورة رقم 25، ب).

6.1. الأحواض: من المتفق عليه إلحاق المعابد بالأحواض لغرض الاغتسال قبل الولوج إلى المعبد.

حوض المعبد الكبير: الملفت للانتباه غياب هذا العنصر المعماري في هذا الأخير حيث أننا لم نعتز على أي أثر خارج المعبد مما أثار حيرتنا.

7.1. النافورات (الفوارات): وهي عبارة عن فسقية، يتوسطها أنبوب عمودي ضيق، اتخذوا سواء من نحاس أو رصاص، يتصل بخزان المياه لكي يندفع الماء من النافورة عاليا عن مستواه في الحوض أو الفسقية، حتى يعود تبعا لنظرية الجاذبية الأرضية، متساقطا إليها منصرفا في مجار خاصة.

لقد أطلقت النافورة على البركة، أو الفسقية، رغم أن الأولى هي جزء من الثانية،⁽¹⁾ أقبل على اتخاذ النافورات بالمساكن عامة وبدور الفحص خاصة تبعا لاشتغالها على أفنية، اتخذت الشكل المثلثي بدار دوران طوقت بأربعة أعمدة ، فغالبا ما يعتمد عليها للتلطيف الجو عند الحر، واضفاء لمسة من الجمال على المسكن. (المخطط رقم 8)، (شكل رقم 2).

2. عناصر الانتقال والفتحات والتهوية:

(1) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 315.

1.2. المداخل: "المدخل" عبارة عن فتحة أو باب يفضي إلى داخل المسكن أو نحوه، عدا كعنصر معماريا ظهر مع معرفة الإنسان للبناء لعب دورا هاما في تشكيل واجهات العمائر الإسلامية.⁽¹⁾

تميزت مداخل الأبنية العامة والقصور بالضخامة، وغالبا ما ارتفعت أطرافها وعقودها، فضلا عن حناياها الغائرة المحرابية الشكل حتى بلغت علو جدران الواجهة وربما جاوزتها ارتفاعا.

استعملت في زخارفها جميع العناصر المعمارية الإسلامية وفنونها، كقنطرة الأقواس الملونة، والمتداخلة فضلا عن الفسيفساء، والرخام، والحليات الحجرية، والجصية بالإضافة للخزف، وبشكل خاص المقرنصات والمتدليات.⁽²⁾

ألق بحق بمنشآت مدينة الجزائر نوعان من المداخل نذكر منها: **البسيطة** وهي عبارة عن فتحة معقودة بعقد جسدت في كل من معبد الكبير أو جامع اليهود وضريح ريباخ ورشباخ، حيث زودت بمداخل بسيطة معقودة بعقد متجاوز، تقضي إلى الداخل.

مدخل المعبد الكبير: اشتمل هذا الأخير على خمسة مداخل فتح بالواجهة الرئيسية له ثلاثة مداخل جعلت بالجدار الشرقي منه وزعت بالشكل التالي مدخل رئيسي يكتنفه من الجانبين مدخلين ثانويين أقله ارتفاعا واتساعا عقدت المداخل بعقد متجاوز حمل على أعمدة حلزونية رشيقة توجت بتيجان ذات لفائف جانبية حليت بزخرفة نباتية قوامها زهرة من أربع بتلات، تقضي هذه الأخيرة إلى قاعة العبادة. (صورة رقم 8)

من المرجح فتح عدة مداخل بالواجهة الرئيسية لتسهيل الحركة، وللإنارة خاصة والتهوية نظرا لغياب النوافذ التي عوضت بشمسيات فتحت بالقبة المركزية وحليت بها الهيكل، فضلا عن الواجهة الرئيسية تم فتح مداخل ثانوية جعل بكل واجهة من الواجهات مدخلا ثانويا وهو أقل أهمية من سالفه إذ لم يلحق بأعمدة، بيد أن جل المداخل الملحقة بالمعبد اشتملت على ضلة خشبية.

مدخل ضريح ريباخ ورشباخ: اتسم مدخله بالبساطة فقد حمل العقد النصف دائري على عضادتين رخاميتين مشبعين بالزخرفة سواء النباتية القائمة على زهرة من ثمانية بتلات

(1) عاصم محمد رزق، المرجع السابق ص 267.

(2) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 357.

وأنصاف مراوح نخيلية، أما الزخرفة الهندسية فتجلت في الأشكال الإهليجية التي احتوت زهرة ذات ثمانية بتلات ونجمة ثمانية الرؤوس المؤلفة من مربعات متداخلة فيما بينها. (شكل رقم 3)، (صورة رقم 9)

من الملاحظ الإقبال على المداخل البسيطة بصورة مكثفة فيما يتعلق بالمنشآت الدينية المدروسة فضلا عن دور المدينة، اتسم مدخل دار بكري بالبساطة، فالعضادتين ذات الزخارف البارزة تحمل عقد نصف دائري شفع مفتاح عقده بنجمة سداسية الرؤوس تتوسطها شجرة السرو وتحوم حولها زهرة الاله المحورة (شكل رقم 4)، (صورة رقم 11). أما النوع الآخر من المداخل فيمكن في مداخل بارزة تبرز عن سمة الواجهة، تتجسد على شكل مقدم البناء شبيه بالمداخل التذكارية التي يعود أصولها إلى عمارة حضارات الشرق القديمة، فضلا عن الرومانية والبيزنطية.

فهي ليست إبتكارا معماريا إسلاميا حتى وإن انتشرت في القصور بالمشرق، حيث ظهرت في كل من قصر المشتى والأخضر إلا أنها تعد استمرارا للتقاليد الساسانية، انتقلت إلى المغرب وتجسدت في كل من قصر زيري بأشير، وقصور قلعة بني حماد.⁽¹⁾ اتسقت بعد ذلك بمصر لأول مرة بجامع الحاكم تأثرا بمدخل المهدي بتونس،⁽²⁾ أقبل على هذا النمط من المداخل بدار دوران (المخطط رقم 8)، فالملفت للانتباه إشتمال دور الفحص على المداخل البارزة على غرار دور المدينة، ولعل ذلك يرجع لشساعة المساحة التي تشغلها هذه الأخيرة .

2.2. الأبواب: أدمجت بمداخل العمائر الدينية ذات الأطر الرخامية، أو المكتنفة لأعمدة رخامية، المعقودة بعقود نصف دائرية أو متجاوزة أبواب خشبية.

تتكون من مصراعين غالبا كما هو الحال بالنسبة لمعبد الكبير وضريح ريباخ ورشباخ. ففي المعبد الكبير أدمج بفتحة مدخله معقود بعقد متجاوز، باب خشبي ذو مصراعين، إزدان هذا الأخير بزخرفة هندسية قوامها مستطيلات مصفوفة إما بطريقة أفقية، أو عمودية، يفتح الباب إلى الداخل ليفضي إلى قاعة العبادة على ما يبدو أنه مستحدث.

(1) L. Golvin, Recherches archéologique , pp101, 103.

(2) كمال الدين سامح، العمارة العربية... ، ص175.

أما بضريح رياخ ورشباخ فقد قام على مصراعين شاحب من الزخرفة مقارنة مع نظيره حيث اكتفى بالمسامير الضخمة ذات الرؤوس المستديرة الكبيرة اتخذت لزخرفته فضلا عن مطرقة الباب التي لم يبق منها إلا أثرها. (شكل رقم 5)، (صورة رقم 9). وقد انفردت دور المدينة والفحص باشتمالها على ثلاثة أنماط من الأبواب يختلف كل نمط عن غيره، وفقا لأهمية الموقع الذي توضع فيه.

■ **الأبواب الرئيسية:** تشمل عادة على إطار من الحجر أو الرخام،⁽¹⁾ تعقد بعقد نصف دائري، وهو جزء لا يتجزأ من الإطار الرخامي، تدمج بها أبواب من الخشب تتسم بالصلابة والرخامة كونها مركبة من مجموع أعمدة مكعبة، تمتد أفقيا وعموديا فيما بينها بفضل النقر واللسان، أي تعشيق الألواح واطرافها فيما بينها. يتم تثبيت ألواحها من الخارج بفضل مسامير نحاسية أو برونزية،⁽²⁾ ذات رؤوس مستديرة كبيرة تحمل رموز،⁽³⁾ سمّرت حسب تركيب أعمدة الباب سواء أفقيا أو عموديا. من الملاحظ أن الأبواب تخلو من الزخرفة فالصانع اكتفى باتخاذ المسامير كعنصر زخرفي، ولم يدخل أي عنصر آخر غيره، على غرار مقرعة الباب النحاسية المزدانة بزخرفة تجريدية،⁽⁴⁾ فغالبا ما كانت تحمل تصميمًا خماسيا كأصابع اليد، ذلك الرمز الذي انتشر في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث ارتبط عند المسلمين بيد فاطمة بنت الرسول ﷺ.⁽⁵⁾

تتركب الأبواب الرئيسية من قسمين:

باب رئيسي ضخم يفتح في صلب وسطه، باب آخر يدعى "بالخويخة"، اقتصادا في المادة والمكان، فالباب الكبير لا يفتح إلا في حالات خاصة ومحددة لكي لا ينكشف

(1) علي خلاصي، قصبة الجزائر ... ، ص 330.

(2) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر ، ص 149.

(3)

Fraigneau, Op. Cit, p 7.

(4) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر ، ص 130.

(5) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 50.

المنزل برمته على الخارج، فهذا ينطوي تحت الحرمة، وغالبا ما يفتح أمام المرء راكبا دابة، أو ذو حمولة كبيرة، أما الصغير فيفتح أمام المرء المترجل حيث يضطر هذا الأخير إلى الانحناء لغض البصر ولكن كيف بنا أن نسلم بهذا، مع العلم بأن السقيفة التي يفضي إليها منكسرة وبالتالي تحجب الأنظار، بالإضافة إلى أنها قاعة استقبال مؤقتة من المرجح أن الانحناء جعل للتوقير والإحترام الذي يكره الزائر لأهل المنزل.

تم تثبيت الباب الصغير إلى عضادة الباب الكبير، بفضل مسارين طوليين ثنيا إلى الاتجاه المعاكس، لتقادي ترحزح الباب عن مكانه بحيث يلتحمان في النهاية، وكأنهما جسد واحد.

يفتح الباب الكبير على محور مثبت في الأسفل، داخل مكعب من الرخام، ألحق بعتبة الباب، وفي الأعلى داخل الساكف المثقوب في طرفيه، أو في مجاز الباب الخشبي تجهز كلا البابين بمقرعة، وكوة مسيجة (مقتضبة) عموديا وأفقيا.

تستخدم للإطلاع على الطارق، ولا يمكن أن تستغل للإنارة والتهوية، تبعا لصغر حجمها فهي لا تزيد عن (0,20م-0,25م)، وبالتالي لا يمكن أن تقي بالغرض حيث لا يتخللها إلا النزر القليل من النور.⁽¹⁾

كما هو الحال بالنسبة لباب الرئيسي لدار بكري المفضي إلى السقيفة والذي يتكون من قطعتين: باب كبير مستطيل، حفت به صف من المسامير المستديرة والمقبة ذات حروز، صفت بالتناوب صغيرة وكبيرة، شكلت بذلك إطار، وكذا بالمثل فيما يتعلق بالباب الصغير الذي اقتطع منه، فقد حلي هو الآخر بذلك الإطار من المسامير المستديرة المقبة على إختلاف حجمها سواء كبيرة كانت أو صغيرة مشكلا بذلك إطار، أحيط بالباب الصغير فضلا عن صفين أفقيين من تلك المسامير قسم هذا الأخير إلى ثلاثة أقسام، إشتل القسم الأعلى على مطرقة، جهزا الباب في جزءه العلوي بكوة مقضبة. (شكل رقم 6).

■ **أبواب المرافق:** تتمركز هذه الأبواب عند أماكن الإتصال بالمرافق، نجدها عند نهاية سلم السقيفة المطل على الصحن، وعند نهاية السلم المؤدي للطوابق وفي نهاية السلم المؤدي إلى السطح أو المنزه، غالبا ما تفتح نحو الداخل شأنها شأن الأبواب الرئيسية.

(1) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر....، ص ص 151، 150 .

إلا أنها أقل عرضا وارتفاعا، تدمج ضمن إطار من الرخام، أو الحجر، يحلى بزخارف نباتية، أو هندسية، مثلما نجده في أبواب المخازن والغرف الجانبية، والسلالم والمراحيض،⁽¹⁾ وأصدق نموذج دار بكري.

تم تركيب هذه الأبواب بنفس الطريقة المطبقة في الأبواب الرئيسية، إلا أننا نلاحظ فرقا بسيطا يكمن في زخرفة الواجهة الأمامية.

فمن المتفق عليه، أن نجد الأبواب خالية من الزخرفة، ماعدا من تلك المسامير الغليظة حفت حول أطراف الباب مشكلة بذلك صفين أو أكثر.

أما هذه الأبواب فقد شكلت بواسطة قطع صغيرة مستطيلة ومربعة، صفت بوضع أفقي وعمودي، من الملاحظ أن القطع الأفقية تضمنت شكلا معيناً، وكذا بالمثل فيما يخص العمودية، إلا أنه أقل حجماً منه، شكلت هذه المعينات بفضل طريقة التدرج الفني، وكذا حواف الأطر التي تحتويها فإنها تضم خطوط متدرجة.

أكسب هذا التشكيل الزخرفي الباب صلابة وقوة، لأن الشمس تتكسر على بدن الأبواب لما تتركز عليها، فضوؤها يتدرج في مختلف المراحل وبصورة انسيابية، تسمح للباب أن يمتص الحرارة بنسب محددة ووفق مراحل تدريجية، فبالتالي لا يتعرض للشقوق أو الشرخ مع الزمن.

نتج عن تركيب القطع المستطيلة السابقة الذكر، فراغات مربعة، شغلت بما يناسبها من القطع ذاتها، لكنها تحمل في وسطها عنصراً زخرفياً غير شكل المعينات، وهي أنواع من الأزهار المتباينة ذات النواة المعقودة بثلاثة خطوط معقوفة.⁽²⁾ (شكل رقم 7).

تتركب هذه الأبواب معمارياً من:

الخويخة: تستعمل في الحالات العادية فالمصراعين لا يفتحان إلا عند الحاجة.

القائمان أو العضادتان: يتمثل في سمك الجدار في الجزء المحاذي للباب أو العمود، الذي يحمل البنية في الإطار الرخامي أو الحجري، وتكسى عادة بقطع من المربعات الخزفية المتجانسة والمتكاملة، تتكون من ثلاثة عشر قطعة مضاعفة.

(1) علي خلاصي، قصبة الجزائر... ، ص131.

(2) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر.... ، ص153.

الساكف: يوازي العتبة بالجهة العليا من الباب، يتخذ الساكف من الخشب، يحفر في أحد جانبيه ثقب، يدخل فيه محور الباب، لتسهيل عملية دوران المصراع وتثبيتته.

المزلاج: وهو القفل النحاسي أو الحديدي، الذي يغلق بواسطة الباب. (شكل رقم 8)

الحلقة: عبارة عن دائرة مفرغة، تعلق بالجزء العلوي من الخارج، ليقرع بها الباب، بعض الحلقات عادية والبعض الآخر في غاية الجمال تبعا لما تتضمنه من زخارف.⁽¹⁾ (شكل رقم 9)

▪ **أبواب الغرف:** لا تختلف عن بقية الأبواب إلا في العمل الفني الجزئي، كونها تضم مصراعين مستطيلين، يكاد أن يلامس سقف الرواق، أو جدار الغرفة.

تشمل هذه الأبواب على محور رخامي مكعب الشكل، مثبت في أرضية الرواق بجوار جدار الغرفة، أدخل من الأعلى في الوتد البارز عن الجدار بدل أن يدخل في ساكف الباب، وقد شكل هذا الوتد على الصورة المضروسة الحواف، يحتوي باطنه على خطوط متدرجة بين بارز وغائر في حوافها.

تضم أبواب الغرف "الخويخة" غالبا ما تفتح هذه الأخيرة نحو الخارج، وتغلق على نفس المنوال كذلك، بفضل مزلاج صغير أحد طرفيه منبسط، كأنه ملعقة صغيرة، ويوجه إلى إطار الباب الكبير للغلق، أما الطرف الآخر مذهب محصور داخل الفتحتين المضلعتين عكس الأبواب الكبيرة، التي تغلق من الداخل بواسطة مزلاج بسيطة طويلة، تتحكم فيها أربع فتحات مضلعة بما يساعد القضييب الطويل.

يرجح سبب إنفتاح الخويخة إلى الخارج نظرا لارتفاع أرضية الأروقة بحوالي (0,22م) لما تفتح نحو الخارج، يظهر وجه الباب الداخلي المزدان بعقدين متجاوزين، ذات حواف مشرشرة.⁽²⁾

3.2. السلالم: تتميز عمارة القصور والمساكن باتخاذها نوعين من السلالم: السلم الرئيسي، والسلم الثانوي (فرعي).

(1) علي خلاصي، القلعة وقصر الداوي...، ص 331، 332.

(2) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، ص 156.

فالسلم الرئيسي بدار بكري يأتي بعد السقيفة الثانية مباشرة يشترك معها في الجدار يستمر السلم إلى غاية نهاية باب السطح، يتسم بالاستقامة والانكسارات القائمة الزوايا تبعا لقلة الطوابق.

استغلت نواته فجهزت بمخازن حيث اشتمل على عدة مخازن وزعت بالشكل التالي مخزن بين المستوى الأرضي والطابق السفلي ومخزن بين هذا الأخير والطابق العلوي وبين هذا الطابق والسطح.

اعتمد في تسقيف السلم الرئيسي والثانوي للدار على أقبية متقاطعة، (صورة رقم 26، ا،ب)، وهي ميزة شاذة فغالبا ما نجد تباين في مادة التسقيف حيث تستخدم الأقبية المتقاطعة في تسقيف السلالم الرئيسية على غرار الثانوية التي تلحق بأوتاد خشبية، والعلة في اختلاف مادة التسقيف إلى درجة الثقل المفروضة على هذا الأخير، لذا يتم تسقيف السلم الرئيسي بالأقبية المتقاطعة لغرض استيعاب ثقل المبنى عكس الثانوي الصاعد إلى السطح الذي لا يفرض عليه نفس الثقل فهو أقل لذا تم الاستغناء عن الأقبية المتقاطعة وتعويضها بالسقف المستو القائم على روافد خشبية. كسيت جدران السلم الرئيسي بدار بكري بمربعات خزفية امتدت لعلو قدر ب1م.

من الملاحظ أن السلالم الثانوية أقل إتساعا، إن لم نقل ضيقة إلى حد ما، مقارنة بالسلالم الرئيسية، إذ تتراوح ما بين (10م، 1م) و (20م، 1م)، على غرار الرئيسية التي تراوحت بين (67م، 1م) و (74م، 1م)، واختلفت عنها في مادة التبليط حيث استبدلت الألواح الرخامية التي ازدانت بها درجات السلم الرئيسي بألواح من الشيست بدرجات السلم الثانوي، كما نجد أن ارتفاع الدرجات لم يراع فيه التناسب في هذه السلالم مقارنة مع درجات السلالم الفرعية وإننا نرجح بأن ذلك راجع لعدم أهمية من جهة وتبعا لحجبها عن الأنظار.

4.2. الخزائن الجدارية: عبارة عن حنيات غائرة أحدثت في الجدران، تستغل لإيداع كل

المستلزمات حتى لا تشغل مساحة كبيرة، تلحق بالمنشآت الدينية والمدنية بحد سواء.

خزائن المعبد الكبير: جعلت بقاعة العبادة، شغلت القسم العلوي من الجدران المشكلة للمثمن الذي قامت عليها القبة المركزية.

قامت هذه الخزائن على عقود مفصصة حملت على عضادتين محلاة بزخارف بارزة، أدمجت بها باب من مصراعين شاحبة من الزخرفة، اكتتفت من الجانبين بنوافذ صماء جعلت على نفس النمط. (شكل رقم 11) (صورة رقم 27، أ)

خزائن ضريح ريباخ ورشباخ: استغني عنها على الرغم أن وجودها ضروري حتى تستعبد الهبات التي تقدم لصاحب الضريح.

خزائن دار بكري: ألحقت بالغرف اكتتفت الإيوان من الجانبين جعل على محورها نوافذ، عولجت هذه الخزائن بطريقة فنية حيث عقدت بعقد مقبض القفة، وجهزت بأبواب صغيرة متقنة الصنع على نفس نمط أبواب الدار. (شكل رقم 11) (صورة رقم 27، ب)

5.2. النوافذ والشمسيات: عبارة عن ألواح من الحجر أو الرخام، أو الجص، وضعت في شبابيك، حليت بتفريغ الزخارف، سدت هذه الأخيرة بقطع من الزجاج الملون، فأبرزت زخارفها الهندسية التي أقبل عليها في أول الأمر ثم النباتية والكتابية،⁽¹⁾ ألحقت بالمنشآت الدينية والمدنية على حد سواء.

النوافذ والشمسيات بالمعبد الكبير: فتحت به نوافذ توأميه شكلت من عقدتين متجاوزين استندا على عمود أسطواني متوج بتاج بلفائف جانبية، ضم بالقسم البرميلي الذي يتقدم قبة قاعة العبادة من جهاتها الأربع جعلت للتهوية والإضاءة. (شكل رقم 12). (صورة رقم 28، أ)

كما تم تزويد قبته المضلعة التي شغلت الفراغ المركزي بقاعة العبادة بشمسيات وزعت بتضليعاتها (شكل رقم 13)، (صورة رقم 29) فضلا عن هيكله حيث حلي بثلاثة شمسيات اتخذت للإضاءة ولتغيير حركة الهواء، ولو بنسب قليلة إذ تضيي نوعا من السكينة والجمال، لما يتسرب الضوء من زجاجها المحلي بزخارف نباتية، على ما يبدو أنها تقوم على الأرابسك.

النوافذ والشمسيات بضريح ريباخ ورشباخ: فتحت بجداره الشرقي والجنوبي والشمالي نوافذ منها التوأمية أي المزدوجة التي قامت على عقدتين متجاوزين حملا على عمود حلزوني متوج بتاج بلفائف جانبية. (شكل رقم 12)

(1) فريد شافعي، المرجع السابق، ص 214.

طوقت هذه الأخيرة من الخارج بالإطار من المربعات الخزفية ومن الداخل بالإطار من الزخارف الجصية القائمة على تشبيكات من جداول تتوسطها معينات حليت بزهرة الاله المحورة (شكل رقم 12)، ومنها الأحادية المعقوفة من الأعلى، جعلت كل نافذة مزدوجة تتوسط نافذتين أحاديتين. (صورة رقم 28، ب)

وللإشارة أن هذه النوافذ سيجت بشباك من الحديد المتقاطع أفقيا وعموديا، تتماسك فيما بينها بفضل سنابك، يتراوح قطر القضيب الواحد بين (6م إلى 9م). (شكل رقم 14)

زودت قبابه بشمسيات فكل تضليعة تحمل شمسية مخرمة قوام زخارفها مجموعة من النجوم ذات ثمانية رؤوس المتداخلة فيما بينها.

فضلا عن قسمه البرميلي الذي حلي هو الآخر بشمسيات كذلك ذات زخرفة نباتية قوامها فروع وأزهار تخرج من شمعدان محور. (شكل رقم 13)

النوافذ والشمسيات بدار بكري: فتحت بغرفها المطلة على الصحن نوافذ وفق التناظر حيث جعلت كل النوافذ على نفس محور الخزائن الجدارية، أي أن كل نافذة مواجهة، لخزانة جدارية وكذا بالمثل فيما يخص الإيوان، فقد جعل على نفس محور المدخل. روعي نفس التناظر في توزيع الشمسيات كذلك، فكل نافذة أو خزانة تعلوها شمسية فيما تعدد العدد إلى أن وصل إلى ثلاث شمسيات، إزدان بها المدخل والإيوان. (صورة رقم 17).

أدمجت نوافذ الدار بأطر خشبية، مزدان بتضليعات وحزوز غائرة، على ما يبدو أنها مستحدثة فغالبا ما كانت هذه الأخيرة تطوق بالإطار رخامي .

تم تسيجها بشباك من الحديد المتقاطع أفقيا وعموديا، تلتحم هذه الأخيرة فيما بينها بفضل سنابك، يتراوح قطر القضيب الواحد بين (7م إلى 9م). (الشكل رقم 10) .

تتخذ هذه الشمسيات شكل مستطيل معقود في نهايته بعقد نصف دائري، يتراوح حجمها بين (0،40م×0،20م)، و(0،60م×0،25م).⁽¹⁾

ازدانت هذه الأخيرة بزخارف نباتية قوامها مزهرية تخرج منها أزهار من خمس بتلات وزخرفة كتابية كدبرنوش ومليحا. (شكل رقم 13) .

(1) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر.....، ص ص 158، 160.

يجدر الإشارة أن دور الفحص انفردت عن دور المدينة باشتمالها على عدد أكبر من النوافذ المطلة على الخارج، نظرا لوقوعها بالحدائق بعيدة عن الأنظار، على غرار دور المدينة التي حصرت بين الأسوار، فزحفت الواحدة فوق الأخرى على هيئة مدرج، ومن تم كانت عرضة لأعين المتطفلين، لذا تم تقليص عدد النوافذ تفاديا للانكشاف على الخارج.

3. عناصر التغطية:

1.3. القباب: بناء دائري المسقط مقعر من الداخل مقبب من الخارج، تتألف القبة من دوران قوس على محور عمودي، لتصبح نصف كرة تقريبا، وتأخذ شكل قوس مقطوعا، تقام مباشرة فوق مسطح، أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية، أو على حنايا ركنية أو مثلثات كروية، أو مقرنصات، لتسهيل الانتقال من المربع إلى المثلث ثم إلى الدائرة.⁽²⁾ هناك طريقتان لبناء القباب بالطوب:

في الأولى كان يوضع الطوب المربع في صفوف أفقية، على جوانب مركز القبة، صفا تلو الآخر حتى تتلاقى في قمته.

أما الطريقة الثانية، فكانت تتم بوضع الطوب المربع رأسيا بدل من وضعه أفقيا، لكي يتكون القبو أو القبة من سلسلة من الحلقات، أو الشرائح ذات صلات، تشع من المركز توضع كل طوبة فيها مقابل الطوبة السابقة عليها.

يتم لصقها بالمونة طفلية غروية لدرجة تكفي لأن تبقى الطوبة في مكانها، حتى تكتمل الحلقة وتقف، وهنا يكون سندا صلبا، ترتكز عليه طبقة من الطوب مقابلة ومطابقة للحلقة التالية، ولكي تنقص المسافة في عملية الوصول إلى مركز القبة، كان ضروريا وضع ثلاثة أو أربعة مدا ميك من الطوب بشكل أفقي.

ومع ذلك فإن مثل هذه القباب، كانت تبدأ أحيانا مقابلة لنهاية جدار، تستند حلقاتها المقابلة، عليه بخفة فيقام هذا الجدار حتى تكتمل القبة ثم يتم إزالته بعد ذلك، أو يبنى عقد في مركزه تبدأ القبة في مقابله.⁽¹⁾

(2) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 309.

(1) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 223.

من الواضح أن القبة تقوم على عقود متقاطعة في مركز واحد، هو المفتاح الرئيسي الأعلى للقبة كلها، ولكي تتلاقى العقود في نقطة واحدة، لابد أن تقوم أرجلها على كتف دائري أو مثنى، أو مسدس، وهنا تكمن الإشكالية فغالبية المباني مربعة، أو مستطيلة. ومن هذا المنطلق قام الرومان بابتكار المثلثات الكروية، لحل هذه المشكلة تقوم هذه الأخيرة بفضل تلك العقود الأربعة المتساوية في الارتفاع والشكل، تتركز على أربع جدران يتم ملء الفراغ بين العقود، بأحجار مبنية على هيئة، أوتاد تتحني مع انحناء العقود، وتنتهي في الأعلى بحافة منحنية بالضرورة، ومن الانحناءات الكروية، تتكون الحافة المستديرة المطلوبة، التي تكون القبة.

أما الفرس فقد اهتموا إلى ما يعرف بحنية الأركان، وهي وتد حجري في فراغ الزاوية، بين عقدتين يلتقيان في زاوية التقاء جداري مربع البناء، ترتفع قمم الوتد الحجري إلى مستوى قمم العقود الأربعة، ثم يملأ الفراغان الباقيان بالحجارة المصقولة، أو بالملاط المسلح بقطع الحجر، فينتج عن ذلك الحافة المستديرة المطلوبة.

لجأ المعماري في العمائر الإسلامية إلى حل آخر، ألا وهو تحويل الحافة المربعة للجدران إلى هيئة مثمثة، ثم إقامة أربعة أعمدة تعتمد على الأكتاف الثمانية، وتتلاقى في نقطة واحدة، فتكون النتيجة قبة ثمانية الأضلاع ومن الممكن إكمال الاستدارة، بتبطين القبة وتغطيتها.⁽²⁾

قبة المعبد الكبير: اشتملت قاعة العبادة على ثلاثة قباب وزعت بالشكل التالي:

قبة مضلعة مركزية شغلت الفراغ المركزي قامت على المثنى مباشرة، إذ تم الاستغناء عن المثلثات الكروية والحنايا الركنية، فتحت برقبته شمسيات، ومن تم حملت كل تضليعة شمسية مستطيلة الشكل معقوفة من الأعلى بعقد مفصص يستند على عضادتين ذات زخارف بارزة، حلي باطن القبة بزخارف جصية قوامها نجمة ثمانية الرؤوس شغلت مركز القبة تخرج منها أزواج من الأشرطة تمتد إلى تضليعاتها.

تم تطويق رقبته بشريط من الزخارف الجصية التي امتدت لتحيط بالشمسيات الملحق بالتضليعاتها. (صورة رقم 29)

(2) حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1981م، ص ص 140، 141.

اكتفت القبة المركزية بقبتين مضلعتين أصغر حجماً منها، شغلا الرواق الشرقي لم يضل منهما إلا قبة واحدة ألحقت ببيت وضوء الإمام، أما الثانية فقد أزيلت وحلت محلها المئذنة.

قبة ضريح ريباخ ورشباخ: ألحقت قاعة الضريح بخمسة قباب وزعت بالشكل التالي: قبة مركزية مضلعة تشغل الفراغ المركزي تطوقها أربع قباب صغيرة تشغل أركان القاعة (مخطط رقم 2).

إرتكزت هذه القباب المضلعة على مربع حول إلى مثنى مثنى بفضل مثلثات كروية، فتحت بتضليعاتها شمسيات، مستطيلة الشكل معقوفة من الأعلى مزدانة بمجموعة من النجوم ثمانية الرؤوس المتداخلة فيما بينها. (صورة رقم 30)

الملفت للانتباه الإقبال المكثف على اتخاذ القباب بالمنشآت الدينية المدروسة، لعل ذلك راجع إلى ارتباط هذا العنصر المعماري بالسماة فضلا عن الوظيفة التي يؤديها من مكبر للصوت ومعدل حراري.

قبة دار بكري: اشتملت الدار على عدة قباب مضلعة جعلت بأماكن محددة دون غيرها: إذ نجدها في بداية السلم المفضي للطوابق (صورة رقم 32) وفي نهايته، وفي أركان الأروقة بالطابقين، كما ألحقت بغرفتي الحمام والمطبخ وفقا لمخطط قيوشان (مخطط رقم 6).

الملفت للانتباه اشتغال دار بكري على العديد من القباب على الرغم أن هذه الميزة انفردت بها دور الفحص فغالبا ما اشتملت هذه الأخيرة على أولوين واسعة شبيهة بالمقصورات جهزت بقباب وخير نموذج دار الداوي حسين وذلك راجع إلى شساعة المكان، وعلى ما يبدو أن تم إدماجها بأركان الأروقة بدار بكري لغرض تجميلي لا غير. يجدر الإشارة أن جل هذه القباب المضلعة الملحقة بالدار قامت على مثلثات كروية، على غرار تلك التي ألحقت بنهاية السلم المفضي إلى السطح إذ قامت على حنيات رباعية، (صورة رقم 33)

2.3. الأقبية: استخدمت في المباني لأغراض شتى منها، تسقيف أجزاء المبنى في الغرف والأواوين والممرات، والمساعدة في ربط جدران البناء، وسد المداخل، وحزمها بعقود، فيما يتعلق بمواد البناء فإنه يشيد، وفقاً للمواد المستخدمة في البناء نفسه.⁽¹⁾

اعتمدت على الأقبية بشكل مكثف سواء المتقاطعة أو البرميلية، فغالبا ما تلحق قاعة العبادة بأقبية برميلية كما هو الحال بالنسبة للمعبد الكبير، حيث شغلت كل من الرواق الشرقي والغربي فضلا عن الرواق الشمالي والجنوبي.

وكذا بالمثل بضريح ريباخ ورشباخ إذ وزعت على نفس النظام بقاعة الضريح، وللاشارة أن هذا العنصر المعماري حلي بزخرفة جصية في كلا النموذجين مما صعب التعرف عليه على غرار ذلك الذي ألحق بغرفة الصلاة على الميت، إذ جاء عاريا منها.

عدا هذا الأخير أهم عنصر معماري في كل من المرافق التالية: السقائف والسلالم، تبعا لقدرتها على استيعاب ثقل المبنى، مثلما جسد في سقائف وسلم الرئيسي بدار بكري.

وبما أنه ملطف حراري نظرا لعدم تعرض سطحه المنحني بالكامل لأشعة الشمس، شأنه شأن القبة المضلعة في ذلك، تم الحاقه بالمخازن كما هو الحال بمخزن الدار الواقع بالطابق الأرضي إذ اعتمد في تسقيفه على اقبية متقاطعة (صورة رقم 34، أ) على غرار نظيره القريب من الجب الذي سقّف بدوره بقبو برميلي. (صورة رقم 34، ب).

4. وسائل الرفع والدعم:

1.4. العقود: تعد كوحدة معمارية ذات هيئة مقوسة أيا كان نوعها، اتخذت هذه الوحدة أشكالاً عديدة تفرعت عن العقد النصف دائري والمدبب أو الحاد الرأس.⁽¹⁾

تعتبر طريقة بناء العقد معقدة نوعاً ما، فبعد تشكيل نموذج له من الخشب،⁽²⁾ يبدأ بصف الآجر، من الأعلى إلى الأسفل بطريقة منتظمة وعند بداية التقويس، يبدأ البناء برص قطع الآجر بطريقة مائلة، وكلما استمر في رفع البناء زاد الميل بالتدرج، إلى أن يصل إلى مفتاح العقد، الذي يترك فارغاً، على شكل مثلث قاعدته مقوسة إلى الأعلى

(1) عبد الستار جبار موسى العزاوي ، "مزايا العقد والقبو في العمارة العربية في العراق"، عن: وقائع المؤتمر التاسع للآثار، تونس، 1985م، ص 96.

(1) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 190.

(2) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 175.

ورأسه إلى الأسفل، يتم ملء هذا الفراغ بقطع من الآجر حيث توضع بطريقة شبه عمودية، وفق هذه الطريقة، يتم بناء مختلف أنواع العقود، مع بعض الزيادات، وفقا لخصوصية كل عقد.⁽³⁾

اشتملت المنشآت المدروسة على عدة أنواع من العقود نذكر منها:

■ **العقد النصف دائري:** يعد من أقدم العقود انتشر في العمارة الإسلامية في مختلف العصور والأقطار، كما كان منتشر من قبل سواء في العالم القديم أو الوسيط أو الحديث، شرقا وغربا، لذا لم يتوصل الباحثون إلى معرفة أول ظهور له.⁽⁴⁾

لم يشهد انتشارا في عمارة المنشآت الدينية أو المدنية، على غرار ما ازدانت به الأطر الرخامية لمدخل ضريح ريباخ ورشباخ (صورة رقم 35)، بالإضافة لمداخل دار بكري.

■ **العقد الفارسي:** وهو عقد به أربعة مراكز داخل العقد من أقدم نماذجه تلك الموجودة بقصير عمرة سنة 95هـ / 715م ومسجد سامراء سنة 155هـ / 773م، وبباب العامة بقصر الجوسق الخاقاني سنة 221هـ / 836م، بالإضافة لمسجد أبي دلف بسامراء ومسجد الشاه في أصفهان خلال القرن 15هـ / 11م

تبلور هذا الأخير فاختلفت أماكن المراكز وتعددت كما انفتحت الأقواس وخالطتها أحيانا خطوط منحنية عند الرأس يتخذ بذلك شكل زاوية منفرجة تتصل دائريا مع رجلي العقد المبالغ في ارتفاعهما وهو أشبه ما يكون بقعر السفينة لذا يطلق عليه بالفرنسية **Arc en carène** وسمي أحيانا بـ"المنفرج".

نسبه الأتراك لأجدادهم السلاجقة فدعوه بـ"العقد السلجوقي"، إلا أن الاسم الذي لازمه وعرف به سواء بالعربية أو الفرنسية فهو "الفارسي"، فالجدير بالذكر أن التسمية لا تترده إلى أصله كونه أخذها بعد الإسلام، ولعل أول عقد فارسي إسلامي اتسق للوجود وجد بباب بغداد في الرقة يعود إلى عهد المنصور في القرن 12هـ / 8م، إلا أنه لم ينتشر بعد

(3) عبد العزيز لعرج ، المباني الميرية في إمارة تلمسان الزبانية، دراسة أثرية فنية، الجزء الثاني، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999م، ص 668.

(4) فريد شافعي، المرجع السابق، ص 201.

ذلك إلا في مصر إذ ظهر بجامع الأزهر 360هـ / 970م، ثم في مسجد الأقمر سنة 519هـ / 1125م، وبصالح طلائع سنة 555هـ / 1160م.⁽¹⁾

لم يشهد هذا العقد رواجاً لا بالعمارة الدينية أو المدنية على غرار بائكة الرواق الذي يتقدم قاعة ضريح ريباخ فقد عقدت أعمدتها الرخامية المركبة بعقود فارسية مسننة، أكبرها إنفراجاً تلك التي تتوسط البائكة. (صورة رقم 36)

■ **العقد المنكسر المتجاوز:** لم يعرف رواجاً في المشرق مقارنة بالمغرب، فمن المرجح أنه إنتقل إلى المغرب منذ العصر الإسلامي المبكر، فأصبح من أهم العناصر المعمارية هناك.

وقد عرف قبل ذلك في العصر الساساني والعصر البيزنطي،⁽²⁾ إلا أنه تبلور على أيدي المسلمين حيث قاموا بوصله بخطوط مستقيمة عند رجليه، ورفعوه عن الأعمدة، فتشكل العقد المنكسر المتجاوز.⁽³⁾

لم يشهد إقبالا في المنشآت الدينية حيث اقتصر وجوده على قاعة العبادة بمعبد سبع لويات كما هو متسق للعيان من خلال اللوحة على غرار الدور التي أقيمت عليه بشكل مكثف وأصدق نموذج دار بكري إذ تم الإقبال على هذا العقد كونه مناسباً للأروقة المطلة على الصحن، لكي يشغل تلك المسافة فالعقود لها نفس المقاسات، فإذا كانت المسافة كبيرة يتضاعف عدد العقود، ولا يزيد في مقياس العقد.

أستخدم هذا الأخير كمقاوم لهياكل للبناء عند تقاطع الأروقة المطلة على الصحن والغرف، إذ لوحظ أن عدم اتساق أجزاء البناء، يتسبب في تشوهات لممرات الأروقة المحصورة بين الصحن والغرف.

لذا ألحق بجدار الغرف والصحن، لأنه يتأقلم مع مختلف مقاسات الأروقة مع الاحتفاظ على نفس الارتفاع انطلاقاً من منبت العقد.⁽¹⁾ مثلما جسد بدار بكري حيث ضم الصحن ثلاثة عقود منكسرة متجاوزة فضلاً عن مداخل الغرف وأواوينها، (صورة رقم 37)

(1) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 279، 280.

(2) فريد شافعي، المرجع السابق، ص 203.

(3) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 289.

S.Missoum, Op. Cit, pp 237, 238.

(1)

وللإشارة أن هذا العقد المتجاوز المنكسر قد اقبل عليه آنفا في عمارة المنشآت الدينية حيث ألحق بقاعة العبادة وأصدق نموذج قاعة العبادة بمعبد سبع لويات.

■ **العقد الحدوي:** تميزت به العمارة المغربية، وهو عبارة عن عقد يتجاوز نصف الدائرة، عرفته العمارة المشرقية، وكان أقل تجاوزا وغالبا ما انكسر، تباينت نسبه فزاد قطره على ارتفاعه بنسبة 5/4 حيناً، و 4/3 في غالب الأحيان، عرف قبل الإسلام.⁽²⁾

لم يعرف إنتشارا في جل المنشآت المدروسة، اقتصر على أماكن محددة كالنوافذ المزدوجة التي ألحقت بالمعبد الكبير (صورة رقم 38)، بالإضافة لضريح ريباخ ورشباخ.

■ **العقد المفرطح (المستطيل):** يتراوح شكله بين استقامة نصف المستطيل، وبين شكل البيضة المفرطح، يعرف بعقد "مقبض القفة"، تبعاً لانكسار طرفيه نحو الاستدارة، واحتواءه على منطقة مخرسة.⁽³⁾

تضاربت الآراء في تحديد تاريخ ظهوره فجورج مارسلي، يرجح وجوده بالبلقان في القرن 17م،⁽⁴⁾ بينما دوكالي يرجح ظهوره إلى القرن 16م.

الملفت للانتباه بأن هذا العقد، شهد رواجاً بالمنشآت المدنية دون غيرها، وإن لم نقل اقتصر عليها، إلا أنه وجد بمئذنة جامع سيدي عبد الرحمان،⁽⁵⁾ تعتبر هذه الأخيرة حالة شاذة.

نجد هذا العقد منتشر في أماكن محددة من دار بكري حيث ازدانت به دكاكين السقائف والخزائن الجدارية والنوافذ (صورة رقم 39)، بالإضافة للعيون الجدارية الملحقة بالمراحيض.

■ **العقد المفصص:** تميزت به العمارة المغربية والقرطبية خلال عهد الحاكم المستنصر بالله في النصف الثاني للقرن الرابع هجري، يعتقد أن أصوله مشرقية بدأت قبل الإسلام، واستمرت بعده بوضوح أقل جراءة من تلك التي أخذها فيما بعد على أيدي المغاربة.

ولعل أول ظهور له كان العقد البيضاوي لإيوان كسرى قبل الإسلام، أما بعده ظهر بباب بغداد في الرقة، وقصر الأخيضر ومنبر جامع القيروان.

(2) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 281.

(3) محمد الطيب عقاب، قصور ... ، ص 177.

G. Marçais, L'architecture musulmane....., p405.

R. Dokali, Op. Cit, p 50.

(4)

(5)

والملفت للانتباه انتشاره في المغرب تجاوز كل الأبعاد في استعمال المشرقي لها لاسيما في التعديلات والزيادات، التي أدخلها الحكم المستنصر بأمر الله على مسجد قرطبة في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة، حتى أن العقود المفصصة الأندلسية تكاد لا تذكر في تلك المشرقية البعيدة بالمكان المختلفة بالمظهر، لم يتمسك العقد المفصص بالعقد الحذوي دائما.⁽¹⁾

أقبل عليه في المنشآت الدينية وذلك ما يتسق لنا جليا بقاعة العبادة بالمعبد الكبير حيث استعمل العقد المفصص لتحلية أروقتها الأربعة، فضلا عن الهيكل. (صورة رقم 40) يمكن أن نصرح بأنه تم الإستغناء عنه في المنشآت المدينة باستثناء إلحاقه بالأبواب الخشبية (خويخات)، مثلما جسد على خويخات دار بكري .

2.4. الأعمدة: العمود ما يدعم به السقف أو الجدار، ولقد عرف بعدة تسميات منها: "عمود" في المشرق، و"سارية" في المغرب.

في العصور الإسلامية المبكرة استعملت جذوع النخيل كأعمدة في المسجد النبوي، بعد ذلك لجأ المسلمون إلى استعمال الأعمدة اليونانية والرومانية والبيزنطية المجلوبة من المباني السابقة، بعد ذلك ابتكر المعماري المسلم أعمدة ذات تصميمات نابعة من الفن الإسلامي، وبذلك تنوعت أشكال الأعمدة الإسلامية ما بين الشكل الدائري والمثلث.⁽²⁾

■ **الأعمدة الأسطوانية:** لم تشهد هذا النوع من الأعمدة رواجاً فقد اقتصر وجوده على أماكن محددة حيث اقتصر على النوافذ المزدوجة التي فتحت بالقبو الذي يتقدم القبة المركزية بالمعبد الكبير، حملت هذه الأخيرة العقد المتجاوز وتوجت بتيجان بلقائف جانبية. (شكل رقم 14، أ)

■ **الأعمدة الحلزونية:** شهد انتشاراً في جل العنائر المدروسة فقد ازدان به المدخل الرئيسي للمعبد الكبير إذ توج بتيجان ذات لقائف جانبية كما وجد بقاعة العبادة بمعبد سبع لويات تبعا للوحة، فضلا عن إلحاقه بالنوافذ المزدوجة التي فتحت بالقبو الذي يتقدم القبة المركزية بضريح ريباخ ورشباخ حلي بتاج كورنثي شأنه شأن تلك الأعمدة سواء أحادية أو

(1) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 282.

(2) يحي وزير، المرجع السابق، ص 49.

ثلاثية التي ازدانت بهم دكاكين سقيفة دار بكري، ومنه ما حمل مزهريات كتلك الأعمدة الحلزونية التي جهزت بها قاعة ضريح ريباخ ورشباخ، جعلت لحمل شمعدان رخامي. (شكل رقم 14، ب)

■ **الأعمدة المضلعة:** لم يشهد هذا النوع من الأعمدة إقبالا سواء في العمارة الدينية أو المدنية.

■ **الأعمدة المركبة:** عرف هذا النوع رواجاً سواء في عمارة المنشآت الدينية أو المدنية المدروسة، فقد ألحق بـ:

ضريح ريباخ ورشباخ: نجده بالبائكة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح إذ صفت به ثلاثة أعمدة مركبة جزؤها السفلي مضلع أما العلوي حلزوني، ضمت دربوزا حديدياً. (شكل رقم 14، ج)

صحن دار بكري: أقبل على الأعمدة المركبة، سواء بالطابق السفلي أو العلوي مما يثير الحيرة فمن المسلم به أن هذا النوع من الأعمدة يلحق بالطابق العلوي لغرض استيعاب الدربوز الخشبي كما هو الحال ببائكة ضريح ريباخ ورشباخ التي تتقدم قاعة الضريح والملفت للانتباه أن هذه العادة الشاذة لم تقتصر على دار بكري فقط فقد وجدت سابقا بدار الحمراء ودار الداوي حسين مما يجعلنا نتساءل لما تم استعمالها بالطابق السفلي على الرغم أنه لا تدع الحاجة لذلك، مما جعلنا نرجح ربما نقص المادة فلعل الأعمدة الحلزونية التي من شأنها أن تلحق بالطابق السفلي بالدور السالفة الذكر قد استعويض عنها لنقص المادة تبعا للوقت التي يحتاجه الصانع لإخراج عمود حلزوني واحد فما بالك بمجموعة لذا تم الاستعاضة عنها بالمركبة . (شكل رقم 14، ج)

3.4. التيجان: جمع تيجان من أجزاء العمود، وهو تلك القطعة التي تعلوه، أقبل عليه المسلمون في الأبنية التي شيدها في العهد الأول لحكمهم، حيث أعادوا استخدام أعمدة وتيجان البلاد المفتوحة، ولم يدخلوا عليه أي تعديل رغم أنه ضم في صميم البناء. وبتكامل الحضارة الجديدة أخذ التاج يتحرر عن النماذج الجاهزة الأولى، ولم يعد مرغوبا فيه في العمارة الأندلسية أو الطولونية أو المملوكية أو العثمانية، وبدأ التغيير في

الشكل والزخرفة، وحتى في مادة البناء فمنذ القرن الرابع للهجرة العاشر ميلادي صبح التاج بصيغة إسلامية محضة فأخذ يتبلور ويتباين.⁽¹⁾

وفقا للمنشآت المدروسة فقد تضمنت نوعين من التيجان ألا وهي: التيجان ذات اللغائف الجانبية (شكل رقم 15، أ)، والتيجان الكورنثية (شكل رقم 15، ب، ج).
أقبل على النوع الأول في معبد سبع لويات فقد ازدانت به أعمدة قاعة العبادة، وألحق بأعمدة المدخل وأعمدة النوافذ المزدوجة بالمعبد الكبير، شأنه شأن التيجان الكورنثية، التي أقبل عليها في كل من ضريح ريباخ ورشباخ إذ توجت بهم أعمدة النوافذ المزدوجة وكذا بالمثل أعمدة دار بكري سواء الثلاثية أو الأحادية إلا أن التباين قائم وفق نمط الزخرفة. فقد اتسمت تيجان دار بكري بالانفراج فهي شبيهة بالجرس قصيرة ومنقخة حليت بأوراق الأكانتس وثمار الإجاص المتدللية منها.

نستخلص من خلال مما سبق، المزج القائم بين الطراز المحلي والبصمة العبرية في العناصر المعمارية التي تقوم عليها المنشآت سواء الدينية أو المدنية، إذ يتجسد الطراز المحلي في تلك الكسوة الخزفية بالإضافة لتلك العقود سواء الحذوية أو المفصصة أو المنكسرة، بينما اقتصرَت البصمة العبرية في الهيكل و البيماه والدوخان، دون غض النظر عن الجنيزه.

فالجدير بالذكر أن الاندماج يتسق في الوحدات المعمارية التي تقوم عليها المنشآت الدينية أكثر من المنشآت المدنية.

(1) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 97.

الفصل الرابع

مواد الزخرفة ومناصرها

1. مواد الزخرفة:

1.1. الرخام:

تبعاً لاتسامه بالصلاية والجمال معا اهتدي لاستخدامه بشكل مكثف وتعددت مجالاته، فحليت به أطر الأبواب، وكسيت به السلام، والأرضيات فضلا عن العقود والأعمدة والتيجان، دون غض النظر عن العيون الجدارية، والكتابات التذكارية التي ازدانت بها القبور، والأضرحة على حد سواء.

نستنتج مما سبق توفر المادة والإقبال عليها للزخرفة دون غيرها، إذا سلمنا بما صرحنا به آنفا، كيف نفسر اتخاذ الحجر كمادة أساسية للزخرفة بالمنازل المتواضعة، إذ شكلت منه أطرا للأبواب وأعمدة وتيجانا، كما كسيت به السلام؟

ومن هنا يتبادر إلى ذهننا أن المادة قد اقتصرت على طبقة معينة وعلى منشآت محددة دون غيرها، مما يوحي بندرة المادة أو غلائها.

تشير الدراسات أن الجزائر تتوفر على محاجر للرخام، أقدمها محجر الفليفة بسكيكدة الذي استغل خلال العهد الروماني،⁽¹⁾ واستمر الإقبال على هذه المادة خلال العهد الوسيط.⁽²⁾

ومن ثم فإن العلة لا تكمن في نقص المادة بل بالاستعاضة عنها أثناء الفترة العثمانية والإقبال على استيرادها من إيطاليا،⁽³⁾ لذا اقتصر وجودها على طبقة خاصة دون غيرها، فمن المرجح أن المصنوعات الرخامية تعود إلى أوروبا وخاصة إيطاليا، إما عن طريق شراء، أو هدايا، أو بطلب من الحكام، وهذا ما ذهب إليه ايسكير حين صرح قائلا: "... المصنوعات الخشبية فقط هي التي كانت من صناعة محلية البقية كلها مستورة الرخاميات والبلاطات الخزفية التي كانت عبارة عن هدايا تصل للداي كضمانات للإبحار بأمان.."⁽⁴⁾

(1) A. Jean-Pierre, La construction romaine materieux et techniques, troisième édition grand manuelle picard, 1995, p24.

(2) G. Marçais, L'architecture...., p449.

(3) Ibid, p449.

(4) G. Esquer, Alger et sa région, édition ARTHURD, Paris, Grenoble, 1957, p57 .

ساهمت هذه الظاهرة في انتشار منتجات الأسواق الخارجية، مما نتج عنه تقهقر الصناعة المحلية التي اقتصرَت على الشواهد الجنائزية، واللوحات التذكارية.⁽¹⁾

1.1.1. طريقة صناعة الرخام: قبل التطرق إلى المنتجات الرخامية، يجدر بنا أن نشير إلى تلك المراحل التي تمر بها التحفة قبل أن تأخذ شكلها النهائي، بمعنى طريقة الصناعة تتم هذه العملية وفق مراحل.

ففي البداية يتم اقتلاع الرخام من المحجر، بعد ذلك يقطع على شكل كتل متفاوتة الأبعاد، ينقل بعدها إلى الورشة وفقا لوسيلة النقل المتوفرة إما برا أو بحرا، لما يصل إلى الورشة تتم عملية التصنيف على أساس الجودة، وأخيرا توجه كل كتلة إلى الاستخدامات التي تصلح لها، ترفق هذه العملية بأدوات كالمنشار والأزاميل فضلا عن المطارق.⁽²⁾

2.1.1. مجالات استخدام الرخام في كل من المنشآت الدينية والمدنية:

شهدت إقبالا على الرخام فاتخذ كمادة للبناء والزخرفة، فاستخدمته على نطاق واسع حيث جسد على شكل أعمدة وتيجان كما هو الحال في كل من معبد الكبير، وضريح ريباخ ورشباخ فضلا عن دار بكري.

كما كسيت به السلالم، وبلطت به الأرضيات، وجعلت منه أطرا للمداخل مثلما جسد في دار بكري وضريح ريباخ ورشباخ دون غرض النظر عن الإطار الرخامي الذي ازدان به هيكل قاعة العبادة بالمعبد الكبير.

وتم الإقبال عليه في تغطية الجدران لحمايتها من التآكل والتلف وأصدق نموذج العين الجدارية بمؤخرة السقيفة الأمامية بدار بكري.

لكن الإقبال المكثف لمادة الرخام لا يعني الاستغناء التام عن مادة الحجر، فقد بلطت بها سلالم الفرعية وخير دليل السلالم الفرعية المؤدية الى السطح بدار بكري فضلا عن أطر الأبواب للمرافق المعيشية، كاطار باب المخزن بالمستوى الأرضي لدار بكري.

G. Marçais, L'architecture..., p 449 (1)

J. Revault, L'habitation tunisoise pierre marbre et fer dans la construction et décor, édition c.n.r.s, 1978, pp 83,84. (2)

وهذا ما يدل على مدى غلاء المادة فلذا اقتصر وجودها على أماكن خاصة ألا وهي تلك التي تفتح للزائرين، ويوحي على وجود صناعة حجرية، اتسمت منحوتاتها بعدم الإتقان، تحمل علامة الورشات المحلية، تم تنفيذ الزخرفة من طرف محليين استلهموا أفكارهم من نماذج مستوردة.⁽¹⁾

G. Marçais, L'architecture..., p 449.

(1)

2.1. المربعات الخزفية:

تعددت تسمياتها من منطقة لأخرى عرفت في المشرق بـ"تربيعات قاشاني"، نسبة إلى مدينة قاشان في إيران، التي نالت شهرة واسعة في صناعة التربييعات الخزفية.⁽¹⁾ أما في المغرب الإسلامي فقد أطلق عليها تسمية "زليج"، وقد تعددت التفسيرات حول أصل هذه التسمية إذ يرجح أنها من أصل إسباني تعود لكلمة **AZULEJO** أي اللون الأزرق، بينما في المعاجم العربية تعطي تعريفاً آخر لهذه الكلمة إذ تعني الصخر الأملس، لأن الأقدام تنزلق عنها فالصخور الملساء تشبه في طبيعتها البلاطات الخزفية الملساء.

1.2.1. تقنيات صناعة الخزف:

تصنع المربعات الخزفية من نفس المواد التي تصنع بها الأواني الفخارية حيث تتكون الطينة من مواد مرنة قد تكون طبيعية أو مضافة لتتقصر من حدة مرونة الطينة وهذه المواد متعددة (رمل، ومواد عضوية، وحتى فخاريات قديمة مدشقة)، بالإضافة إلى الماء الذي هو على نوعين، الأصلي في الطينة والمضاف، إذ تساعد عملية الحرق على تبخر الماء المضاف وجزء من الماء الأصلي مما يقلص من حجم التحفة، ولهذا فإن الماسك أو المثبت يلعب دوراً هاماً في تحديد درجة التقصص الذي يشوه التحفة.

تتم عملية الحرق في نفس الأنواع من الأفران المعروفة في صناعة الأواني الفخارية وهي من نوع الأفران المسماة "ذات الاتصال المباشر بالنار" **à flammes nues**،⁽²⁾ تجدر الإشارة إلى أن عملية الحرق تتم عدة مرات إذ تحرق الأنية مرة ثانية وثالثة ورابعة في بعض الأحيان، حتى بعد دهانها بالطلاءات المختلفة.⁽³⁾

بعد انقضاء مرحلة الحرق، تأتي مرحلة طلاء الأواني وزخرفتها، فالخزف يحتاج قبل الزخرفة إلى طلائه بدهان، غالباً ما يكون أبيض اللون لكي تظهر عليه الزخارف الملونة واضحة يعرف هذا الدهان باسم البطانة.

(1) عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 160.

(2) علي بن بلة محمد المقراني، "دراسة تصنيفية للبلاتات الخزفية المعروضة في المتحف الوطني للآثار القديمة"، عن:

حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد الرابع، 1994م، ص ص 11، 13.

(3) سعاد محمد ماهر، الفنون الإسلامية، الطبعة الثانية، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 24.

وهي عبارة عن طينة سائلة تطلّى بها الأواني قبل حرقها أو بعدها، ومن ثم يتم تنفيذ الزخارف.⁽¹⁾

1.2.1. مجالات استخدام المربعات الخزفية في كل من المنشآت الدينية والمدنية :

لم تشهد المنشآت الدينية إقبالا مكثفا على الكسوة الخزفية إذ اقتصر على الجدران الداخلية لقاعة ضريح ريباخ ورشباخ، على غرار المعبد الكبير إذ استغنى عنها واقتصر على مادة الخشب التي ألحقت بدورها بالزخرفة الجصية التي حليت بها القسم العلوي للجدران، ويجدر الإشارة أن الجدران الخارجية لضريح ريباخ ورشباخ طوقا بأفاريز خزفية. إنحصرت الكسوة الخزفية في المنشآت المدنية على الجدران الداخلية للدار، أما الواجهات والحوائط المطلّة على الشوارع والأزقة فتفتقد لهذه الكسوة، التي تكسب المبنى رونقا وجمالا.⁽²⁾

لقد جعلت المربعات الخزفية لكسوة أسفل الجدران والسقائف حيث تمتد الكسوة إلى ما فوق المقاعد، وفيما يتعلق بالجدران فقد حددت بعلو متر وأزيد قليلا،⁽³⁾ على خلاف دار بكري فقد كسيت جدرانها كلياً تبعا للتشويه الذي ألحق بها.

تستمر هذه الكسوة الخزفية في الامتداد على شكل أفاريز فتطوق مختلف الوحدات المعمارية، كما تطوق ترايع عقود الأروقة عموديا بدءا من وسادة التاج وأفقيا أسفل الإفريز الرخامي الذي يقف عليه خشب الدرابزين، بالإضافة إلى الأفاريز التي تطوق أسقف الأروقة والغرف والسقائف.

نستشف مما سبق الإقبال المكثف لكسوة جل المنشآت بالكسوة الخزفية مما يدل على توفر المادة، يا ترى هل كانت تصنع محليا مما ساهم في انتشارها بهذه الصورة؟ أم كانت تجلب من الخارج فتغزو الأسواق المحلية بأثمان زهيدة؟ مما جعلها في متناول الجميع.

(1) علي بن بلة محمد المقراني، "دراسة تصنيفية للبلاطات..."، عن: حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد الرابع، ص17.

(2) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة الإسلامية في الجزائر خلال العصر التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص160.

(3) محمد الطيب عقاب، "من عناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل"، عن مجلة الدراسات الأثرية، العدد الثاني جامعة الجزائر، 1992م، ص67.

فالجدير بالذكر أن هذه الكسوة لم تقتصر على مساكن طبقة معينة، كمادة الرخام بل بالعكس فقد شهدت انتشارا على جل المساكن دون استثناء، مما يوحي بوجود صناعة محلية، إلا أننا نفتقر للمعطيات التي تثبت وجود صناعة محلية للمربعات الخزفية في الجزائر، على غرار تلك القطع المربعة الصغيرة، ذات الزخارف المطبوعة، والملونة بالأخضر والأصفر والبني، فضلا عن بعض القطع ذات الزخارف الهندسية، التي قوامها خطوط متقاطعة، والتي يرجح أنها ذات صناعة محلية كانت قائمة بمدينة تلمسان، تتميز هذه المربعات بمقاساتها الصغيرة مقارنة بتلك المصنوعة في الخارج.⁽¹⁾

كما نجد بعض الإشارات الخفيفة التي تشير إلى وجود صناعة محلية، كقول **محمد بن عبد القادر** أن سكان مدينة الجزائر كانت لهم براعة في صناعة الخزف الملون بأنواع الدهان.⁽²⁾

ومن تم نرجح أن الإنتاج الخزفي المحلي لم يغط إحتياجات السكان مما دفع بالدولة إلى الاستيراد من الخارج، أو أنه لا يرتقي إلى الإنتاج الأجنبي،⁽³⁾ كما سيتضح ذلك لاحقا من خلال دراستنا لنماذج من المربعات الخزفية التي كسيت بها جدران دار بكري، وضريح ريباخ ورشباخ.

فالملفت للانتباه تعدد مصادر هذه المربعات الخزفية، فمنها ما استورد من مصانع تونس، إيطاليا، إسبانيا، ومن هولندا التي امتازت بمربعات مدينة دلفت.

تمت عملية الاستيراد عن طريق التبادل التجاري القائم بين الإيالة وبين الدول الأوروبية، وكذلك تونس، وفقا لما صرح به **الأستاذ عقاب نقلا عن عمر غامد**.⁽⁴⁾

إذ يستبعد أن تكون غنيمة حرب عن طريق القرصنة نظرا لعدم الإشارة إليها في سجلات البحرية، كما أنه من غير المألوف أن تكون غنيمة بهذا الكم الهائل.⁽⁵⁾

(1) علي بن بلة محمد المقراني، "دراسة تصنيفية للبلاطات .."، عن: حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد الرابع، ص17.

(2) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، الجزء الأول، شرح وتعليق ممدوح حقي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م، ص48.

(3) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة....، ص138.

(4) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر ...، ص203.

(5) H.Klien , feuillets feuillets d'eldjazair, comité du vieil Alger, Alger,n6, nov, 1958, p4.

لذا من المرجح أن تكون عبارة عن إتاوات كانت تقرضها الجزائر على الدول الأوروبية مقابل حماية سفنها وعدم التعرض لها، أو تدفع كمبلغ لافتداء الأسرى المسيحيين، أو تقدم على شكل هدايا عند استبدال القناصل، أو عند عقد معاهدات أو اتفاقيات تجارية.⁽¹⁾

لذا تم الاقبال المكثف على المربعات الخزفية الأوروبية في كسوة جدران المنشآت بالجزائر خلال هذه الفترة بالذات، تميزت الكسوة الخزفية بتعدد مصادرها فالاختلاف فيما بينها يكمن في اساليب الصناعة والزخرفة، واعتمادا على الدراسة التي قام بها الأستاذ لعرج يمكن تصنيفها الى مجموعتين: مجموعة المربعات الخزفية الهولندية وأخرى ايطالية⁽²⁾ فضلا عن تلك مجهولة المصدر حملت سيمات الأسلوب الأوروبي.⁽³⁾

أ. المربعات الخزفية الهولندية:

تعد مدينة دلفت من أكبر المراكز الصناعية في أوروبا منذ القرن 10هـ/16م وهي الفترة التي بدأ فيها الانتاج الخزفي، مرت الصناعة الخزفية بها بثلاث مراحل:

ففي المرحلة الأولى طغى عليها الطراز الايطالي والتي سادت فيها ألوان تتضمن الأصفر والأزرق الغامق والأخضر النحاسي والأرجواني والمنجنيزي، امتدت هذه المرحلة من القرن 10هـ/16م الى مطلع القرن 11هـ/17م، اذ تأثرت بالخزف الصيني الأبيض والأزرق من حيث طرق الصناعة وأساليب الزخرفة وبذلك قلدوا في منتجاتهم خزف منجMing.

لتمتد المرحلة الثانية من منتصف القرن 11هـ/17م الى منتصف القرن 12هـ/18م وتمتاز بسيادة السفن الشراعية والصور والمناظر الريفية أو رسوم الأزهار باللون الأزرق.⁽⁴⁾

أما المرحلة الثالثة فإنها تمتد من منتصف القرن 12هـ/18م الى نهايته، وقد ساد فيها اللون الأرجواني المنجنيزي الذي يميز عصر الروكوكو، واقتبل على رسم المناظر الريفية

(1) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة...، ص14.

(2) عبد العزيز لعرج، ص ص121، 125.

(3) نفسه، ص ص64، 67.

(4) نفسه، ص ص124، 126.

والموضوعات الدينية المقتبسة من الكتاب المقدس، داخل دوائر مركزية ذات عناصر زخرفية مختلفة في أركان المربعات الخزفية .

وفي نهاية القرن 11هـ/17م اتجهت دلفت نحو صناعة الأواني الخزفية على أسلوب البورسلين الصيني تاركة إنتاج المربعات الخزفية للمدن الأخرى من أبرزها روتردام. وعلى ما يبدو أن لخزف دلفت تأثيرها كبيرا على المنتجات الخزفية الأخرى، إذ سعى الخزافين لتقليده ومحاكاته سواء في مصانع هولندا أو المراكز الصناعية في أوروبا لدرجة تسميت خزف البعض من هذه البلدان باسم "خزف دلفت"، تبعا لصعوبة التمييز بينها خاصة تلك التي تعود الى مدينة دلفت وروتردام، وبناء على المعطيات السابقة ينسب الأستاذ لعرج المربعات الخزفية في منشآت الجزائر خلال القرن 12هـ/ 18م الى مدينة دلفت أوترودام.⁽¹⁾

وقد انفردت دار بكري على غرار دار مصطفى باشا باشتمالها على كمية معتبرة من المربعات الخزفية الهولندية، ووفق النماذج المتوفرة لدينا تجميعية من أربع مربعات خزفية طول ضلع القطعة 13سم، تصميمها الزخرفي يتمثل في مركب شرعي تدفعه الرياح تاركة اشربة من التموجات وتعلوه أعلام، منها ما رقت في اعلى او في مؤخرة السفينة، ادمج هذا الأخير داخل دائرة شغلت أركان المربع الخزفي بأزهار القرنفل المحورة فالبدن جعل منفوخا، رسمت العناصر باللون الأزرق على ارضية بيضاء.(شكل رقم 18)⁽²⁾

ب. المربعات الخزفية الايطالية:

عرفت ايطاليا عدة مراكز صناعية كفاينزا نابولي صقلية، ليفورن وجنوة، اتسمت منتجاتها بعدم التمييز في الخصائص الصناعية او كونها تجارية بالدرجة الأولى،⁽³⁾ ولقد تمكن الأستاذ لعرج من معرفة مصدر المنتجات الخزفية الايطالية بالجزائر فمنها ما تعود لمدينة نابولي، تسليما بما ورد في السجلات الخاصة ببيت البيلك إذ اشارت الى تزويد الجزائر بكمية معتبرة من المربعات المصنوعة بنابولي، ورجح صقلية اعتمادا على التماثل في الأسلوب.

(1) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة.... ، ص ص، 126، 128.

(2) لوحة رقم 1، صورة رقم 1.

(3) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة.... ، ص ص، 158، 159.

تميزت المنتجات الخزفية الصقلية بالإقبال على الزخارف الهندسية والنباتية والمراوح النخيلية، حددت باللون البنفسجي وتجسمت باللون الأزرق والأصفر والبرتقالي والأخضر، وفقا للأسلوب السائد في القرن 12هـ / 18م، ولقد تأثرت بالتيار الاسباني تبعا لتأسيس صناع اسبان معامل لهم فيها، اعتمدوا على الطرق الصناعية التي كانت سائدة في مالقا*.(1)

ومن النماذج المتوفرة لدينا تلك الكسوة الخزفية التي شاع انتشارها بالمنشآت بالجزائر اذ كسيت جدران الأروقة والسالام فضلا عن جدران الداخلية للغرف بدار بكري، واعتمدت في كسوة واجهات ضريح ريباخ ورشباخ ومساحات من بائة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح.

ففي هذا النموذج تقوم على تجميعية من أربع مربعات خزفية طول ضلع القطعة 13م، قوام زخارفها دائرة مركزية محاطة بحلية نباتية تتفرع منها، أوراق محورة وسيقان وبراعم فضلا عن أزهار القرنفل المشعة التي تشغل الأركان، رسم التصميم الزخرفي باللون البنفسجي على أرضية بيضاء مزرققة، واستخدم كل من اللون الأزرق والأصفر والبرتقالي والأخضر (شكل رقم 19). (2)

يرجح البعض أن هذا النموذج اسباني يعود الى القرن 12هـ / 18م على غرار البعض الآخر اذ ينسبوه الى ايطاليا والى صقلية بالذات، تبعا لجدارتها في انتاج خزف على الطراز الاسلامي وازدهارها في القرن 12هـ / 18م.(3)

* ازدهرت خلال القرن 14م ومطلع القرن 15م ، اشتهرت بانتاجها للأواني والمربعات الخزفية ذات البريق المعدني ذي اللون الذهبي أو الذهبي الأزرق ومن أبدع القطع تلك المعروفة بـ"دور الحمراء" تعود الى القرن 14م، تضم كتابات كوفية وزخارف نباتية وحيوانية محورة تنسب إلى معامل مالقا، أنظر: م.س ديماند، الفنون الاسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر، د.ت، ص 228

(1) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة....، ص ص، 158، 159.

(2) لوحة رقم 2، صورة رقم 2.

(3) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة....، ص 146.

ج. المربعات الخزفية ذات الأسلوب الأوروبي:

في منتصف القرن/19م شهدت الصناعة الخزفية التونسية تراجعاً تبعاً للإقبال على الصناعة الخزفية الإيطالية والإسبانية على حساب المحلية مما تسبب في تراجع مصانع القلايين ومن تم اتجه الصانع لتقليد الصناعة الخزفية الأوروبية ومحاكاة أسلوبها.⁽¹⁾ كانت معامل مدينة نابل السبابة إلى ذلك إذ ازدهرت في أواخر القرن 13هـ/19م، على حساب مصانع القلايين مستغلة بذلك وفرة المواد الأولية وخبرة الخزافين الأندلسيين المستقرين بها منذ القرن 12هـ/17م، بالإضافة لتأثرها بصناع معامل القلايين بعد انتقالهم إليها أو نقلهم لمعاملهم بعد تراجع صناعتهم منذ الربع الأول من القرن 13هـ/19م. نتج عن ذلك مربعات خزفية متشعبة بالتقاليد الفنية المغربية الأندلسية، اقتبست المواضيع الخزفية من الكسوة الخزفية التي تزين المباني القديمة، تعود معظمها إلى مدينة القلايين ومن تم صعب التمييز بين إنتاج المدينتين.⁽²⁾

تميزت المربعات الخزفية بمدينة القلايين بخاصية فنية تكمن في وجود ثلاثة دوائر بارزة بروزاً خفيفاً على وجه المربع الخزفي، ناتجة عن أسلوب الحرق في الفرن فالخزاف يرص المربعات الخزفية المزدانة بالطلاء والزخارف، بوضعية عمودية في الفرن على حوامل فخارية ثلاثية الأرجل تعرف بـ"المواشير"، طمست هذه الدوائر بعد منتصف القرن 13هـ/19م، حين أقبل على الطرق الصناعية الأوروبية لمواكبة التيار الأوروبي.⁽³⁾

ومن تم ظهرت مربعات خزفية تتضمن زخارف على شكل بحر يتوسطه عنصر زخرفي يعرف لدى مزخرفي تونس بـ"شطوب وقلوب"، وهو عبارة عن ساق نباتي مورق ومزهر، لونت باللون الأحمر الطوبي والأزرق والبني على أرضية بيضاء مزرققة.

وعلى ما يبدو أن هذا التصميم مقتبس من المربعات الخزفية الإسبانية إذ يوجد مثال منها في قصر أحمد باي بقسنطينة تضم نفس التصميم الزخرفي بيذا أنه أكبر حجماً مع اختلاف بسيط في طريقة تشكيل الساق النباتي، وما يتصل به من أوراق وأزهار وعناصر

J. Revault, Op.cit., p67.

(1)

(2) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة...، ص ص، 64، 67.

(3) نفسه، ص ص، 56، 57.

ركنية،⁽¹⁾ بالإضافة لنموذجين آخرين فالأول وجد بالإفريز الخزفي المطوق لعقود البائكة التي تتقدم قاعة ضريح ريباخ ورشباخ، قام على تجميعه من أربع مربعات خزفية يبلغ طول ضلع القطعة 13,5 سم، قوامها زخارف على شكل بحر يتوسطها العنصر الزخرفي المعروف بـ"شطوب وقلوب"، أي الساق النباتي المورق والمزهر، لونت باللون الأصفر والأزرق والمنجنيزي، رسمت على أرضية خضراء فاتحة (شكل رقم 20، أ).⁽²⁾

أما الثاني وجد بالكسوة الخزفية للعين الجدارية بالسقيفة الامامية لدار بكري تمثل التصميم الزخرفي في نجمة مركزية ثمانية الرؤوس تحيطها حلية تقوم على عناصر نباتية محورة، تضم دوائر تعرف محليا باسم "عفسة الصيد"، لونت باللون الأصفر والأزرق على أرضية بيضاء (شكل رقم 20، ب).⁽³⁾

(1) عبد العزيز لعرج، الزليج في العمارة....، ص 64.

(2) لوحة رقم 3، صورة رقم 3.

(3) لوحة رقم 4، صورة رقم 4.

3.1. الخشب:

شأنه شأن الرخام فقد أدمج بالبناء تبعا لاتسامه بمقاومة الصدمات، لذا شكلت منه أوتاد خشبية جعلت لتسقيف الغرف والمخازن والأروقة دون غض النظر عن السلالمة.

كما ألحق بمنبت العقد فأتخذت منه أوتادا خشبية تربط بين العقود تستغل لتعليق الستائر أو المشكوات، بالإضافة للدرابزين الخشبية، وأبواب المداخل، وأبواب الخزائن الجدارية، فضلا عن البيماه التي يجهز بها المعبد.

من أبرز أنواع الأخشاب التي تستغل في البناء "العفصية" تستغل في ربط الجدران فيما بينها، وأعمدة الأروقة فضلا عن تسقيف السقوف.⁽¹⁾

وفيما يخص مصارع الأبواب والنوافذ بالإضافة للدرابزين، فقد أتخذت من خشب السرو تبعا لما يتسم به من صلابة، ومقاومة للحرارة والبرودة بحيث لا ينكمش ولا يتمدد.⁽²⁾

من الملاحظ الإقبال على أنواع متباينة من الخشب، مما يدل على تنوع الغطاء النباتي في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث زخرت بالعديد من أنواع الأخشاب نذكر منه "شجر الصنوبر"، الذي يوجد بالساحل الغربي للمدينة في سيدي فرج والمعالم، ودواودة، وتيبازة، والقليعة،⁽³⁾ بالإضافة "لصنوبر حلب"، المتواجد بالجهات الساحلية الممتدة من القالة إلى بجاية، غير أنه تعرض للتلف من قبل الاستعمار الفرنسي،⁽⁴⁾ فضلا عن الأرز والفلين والدردار بغابات القالة.⁽⁵⁾

نتج عن توفر المادة قيام صناعة خشبية محلية، هذا ما نستشفه من خلال ما أشار إليه جيوشان حين صرح بوجود خمس ورشات للنجارة، واحدى عشر نجارا، ورساما جلهم أندلسيون.⁽⁶⁾

(1) R. L'espes, Etude Géographique et histoire urbain, M.C.MXXX, Paris, p255.

(2) زكية راجعي، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في...، ص220.

(3) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص118.

(4) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ..، ص61.

(5) مولاي بلحميسي، "صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك (ق16م/ق19م)"، عن: مجلة الدراسات الأثرية دورية علمية، معهد الآثار، العدد الثالث، 1995م، ص53.

(6) J. Guiaunchain , Op. Cit , p117.

وقد اختص كل سوق بحرفة محددة، إذ نجد سوق الخشبة وسوق اللوح بالشارع الممتد من باب عزون إلى باب الواد.⁽¹⁾

1.3.1 تقنيات صناعة الخشب: تخضع المصنوعات الخشبية لعدة طرق لكي تكتسب صورتها النهائية من جل هذه الطرق نذكر:

■ التخريم:

تتمثل في تفريغ المساحات التي تفصل بين العناصر الزخرفية بواسطة منشار خاص وازميل، ليتم الحصول على زخارف مخرمة.

بيد أن الفنانين الأتراك لم يحبذوا هذه الطريقة نظرا لما تخلفه من تلف على التحفة خاصة فيما يتعلق بالمناطق الضعيفة، والضيقة من المواضيع في حالة ما إذا كان إتجاه الألياف معاكس لإتجاه التقطيع، تعرف هذه العملية بـ"كسمة".⁽²⁾

■ الخراط:

يعد إبتكارا إسلاميا فرضه النظام الاجتماعي الذي يحرص على حجاب المرأة مما دفع بالنجار إلى سد نوافذ المساكن، والقصور بهذه الستائر الشبكية المصنوعة من الخشب المخروط التي تسمح بمرور الضوء والهواء إلى الداخل.

تتم هذه العملية عن طريق تجميع قطع صغيرة من الخشب المخروط على أشكال مختلفة، تبدو وكأنها منسوجة من قطع خشبية صغيرة بينها فتحات،⁽³⁾ تعرف هذه العملية عند الأتراك بـ"المشبك". يتم تشكيل الدرايزين وفق هاتين الطريقتين:

■ التعشيق والتجميع:

إبتكرها المسلمون في العصور الوسطى تحت ضغط عاملين أساسيين هما جو معظم البلاد الإسلامية الذي يميل إلى الحرارة، فضلا عن فقرها لأنواع الجيدة من الخشب.⁽⁴⁾

(1) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، ص71.

(2) C.E.Arseven, Les arts décorative turcs, (S.D), p197.

(3) محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، د ت، ص157.

(4) محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م،

ص ص 164، 166.

ومن تم عمد إلى تجميع قطع من الخشب، أو الحشوات سواء إن كانت كبيرة أو صغيرة تكون في تجمعها أشكالاً زخرفية، أطلق عليها الأتراك اسم "kundekan".⁽¹⁾ يتم تجميع قطعتين من الخشب ببعضهما عن طريق نقر أحدهما بالمنقار، وتشكيل اللسان في القطعة الأخرى، ولهذه التعاشيق والتجميعات عدة أنواع تتناسب مع شكل التحفة وزخرفتها ومنها تعشيق النقر واللسان،⁽²⁾ وتعشيق النقر بالكوابيل، يتم التثبيت بالغراء أو الدسر، نجدها في مصارع الأبواب وإطارات النوافذ.

انتشر في الجزائر أثناء العهد العثماني صناعة الغراء من الجبن عوض الغراء العادي، تطرق شاو إلى ذكر طريقة صنعه حين صرح قائلاً: "تم تعويض الغراء العادي بتركيبة من جبن يحلل بالماء، ثم يوضع في هاون ويدق ليتم استخراج كل الحليب والرائب منه، يضاف إليه بعد ذلك كلس ناعم، يعاد للدق مرة ثانية، بعد إتمام هذه العملية يأخذ عينة منه لتدهن بها القطعة المراد إلصاقها، يجب أن تتم هذه العملية بسرعة حتى لا يجف، يتسم هذا الأخير بالصلابة بعد أن يجف فالماء لا يستطيع إختراقه".⁽³⁾

■ التلوين:

ظهرت في العصور الإسلامية المتأخرة مثل العهد الصفوي والعهد العثماني طريقة جديدة لصبغ الأخشاب لم تكن معروفة من قبل، هي استعمال "الك" أو "اللاكية" في الصباغة.⁽⁴⁾

يجدر الإشارة إلى أن الفنانين المحليين كانوا على دراية بالصباغة، حتى وإن اعتمد على طرق بدائية في استخلاص عصارة النباتات والحشرات والمعادن لصناعة الألوان إلى أنها اتسمت بالصفاء فأبهرت الأوروبيين.⁽⁵⁾

(1) محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في العصر العثماني...، ص 165.

(2) نفسه، ص 74.

(3) Shaw, Voyage dans la régence....., p 369 .

(4) محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في العصر العثماني...، ص 165.

(5) Lessore et wyld, Voyage pittoresque dans la régence d'Alger, Charles motte, Paris, 1835, p 20.

2.3.1 مجالات استخدام الخشب في كل من المنشآت الدينية والمدنية:

نظرا لهشاشة هذه المادة لم تصل إلينا نماذج من جل المنشآت المدروسة، ماعدا دار بكري إذ شكلت حشوات أبوابها ودراييزها عن طريق الخرط والتخريم، فضلا عن التعشيق والتجميع التي قامت عليه أبوابها المزدان بزخارف بارزة، شكلت عن طريق الحفر البارز. (شكل رقم 7)

4.1. الجص:

شهدت الزخرفة الجصية أوج ازدهارها في مدينة سامراء بالعراق خلال القرن 3هـ/9م، إذ تضمنت الكسوة الجصية زخارف تعرف بـ "الأربيسك" أي التوريق العربي اعتمد هذا الطراز في زخرفته على: مراوح نخيلية، وأوراق مفصصة إما بخمسة أو سبعة فصوص، تبدأ بفصين حلزونيين ثم يعقب ذلك فصوص نصف دائرية، بالإضافة إلى نصف المروحة النخيلية، ظهرت في مصر بجامع ابن طولون إبان العصر الطولوني⁽¹⁾

ومن ثم انتقلت إلى المغرب الاسلامي فجسدت في جامع القيروان في تونس خلال القرن 3هـ/9م، إذ ازدان بزخارف غائرة قوامها ورقة العنب بنوعيهما اليناعة والمنكمشة وغالبا ما استبدلت بزخارف نباتية ذات ثلاثة شحمت طرف الشحمة العليا مذبذبة أحيانا تمتد وتتحني في رشاقة، وسعف النخيل المدمجة بعنقود من العنب أو من الرمان، وأقبل على ورقة الأكانتس بشكل محتشم، حاول النحات الابتعاد قدر المستطاع عن الأشكال الهندسية،⁽²⁾ المتمحصر لهذه الزخارف يجد مزج بين تيارين التيار الهلنستي المستمد من التقاليد المسيحية المحلية وتيار إيراني قادم من العراق، وهذا ما يدل على تغلغل تيار مشرقى الى الغرب الاسلامي على حد تعبير جورج مارسيه.

انتشرت الزخرفة الجصية بعد ذلك في باقي مناطق المغرب الإسلامي تبعا لما كشفت عنه الحفريات إذ عثر على قطع هامة من المنحوتات الجصية في كل من: سدراته وصبرة المنصورة ومدينة الزهراء* تعود إلى القرن 4هـ/10م، بالإضافة لقلعة بني حماد ترتقي إلى القرن 5هـ/11م،⁽³⁾ فمسجد قصر المنار والجامع الكبير بقسنطينة وتاج القسم الغربي لقصر المنار ازدان بزخارف جصية.

(1) علي أحمد الطائش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، الطبعة الأولى، دار زهراء الشرق، القاهرة، 2000م، ص 72.

(2) أحمد فكري، مسجد القيروان، الطبعة الأولى، دار العالم العربي، مصر، 2003م، ص 136، 138.

* المنحوتات الحجرية بقصر الخليفة الناصر 911م-921م في مدينة الزهراء مماثلة لزخارف مسجد القيروان بتونس، إذ نفذت بالحفر الغائر وبذلك تختلف عن الأموية التي كانت أقل عمقا وبروزا، أنظر: م.س ديماندا، المرجع السابق، ص 111، 112.

(3) علي حملاوي، "الزخارف الجصية بين التطور والانحطاط"، عن: مجلة الدراسات الاثرية، العدد الأول، الجزائر،

1992م، ص 58.

كما عثر الأثريون على قطع جصية متباينة الزخارف: منها ما اتخذت شكل صدقات تكلفت مشكاتي مئذنة قلعة بني حماد وقاعات قصر البحر، ومنها ما جاءت على شكل مشبكات مزينة بلألئ ترسم مربعات ثمانية الأسنان في وسطها أشكال نباتية مندرجة في دائرة، ومنها ما جعلت على هيئة وورود مختلفة الشكل، بالإضافة لأشكال نباتية وهندسية،⁽¹⁾ نستشف مما سبق استحسان الفنان المغربي للصناعة الجصية، لا وبل الاقبال عليها بشراهة.

فالمرابطون عند نهاية القرن 5هـ/11م ومطلع القرن 6هـ/12م، جلبوا صناعات ومعمارين من الأندلس انتشرت مراكزهم بكل من تلمسان، مراكش و فاس،⁽²⁾ أوكلت اليهم مهمة زخرفة المنشآت من جملتها جامع تلمسان، اذ حليت كسوته الجصية بزخارف نباتية مزهرة لا نستبعد أن تكون من صنع نحاتين أندلسيين،⁽³⁾ فالطابع الأندلسي يتسق لنا جليا في شكل قببته المعرقة والمكونة لعروق جصية تتشابك لتشكيل قلنسوة مقرنصة بالإضافة للأرابيسك التي ازدان بها محرابه،⁽⁴⁾ وبذلك تغلغل "الفن الأندلسي" في بلاد المغرب، وعدت هذه المراكز همزة وصل بين التقاليد الفنية المغربية والتيار الأندلسي.

ففي أواخر القرن 6هـ/12م، استعاض الموحدون عن الزخارف الأندلسية المفرطة في تفريعات أوراقها وأزهارها وأقبل على الزخارف النباتية التي سادت بلاد الشرق الإسلامي،⁽⁵⁾ ولزخرفة المآذن استعملت تكعيبات من المعينات، وأستعين بالطلاء للإحياء الزخرفي كما حدث في جامع الكتبية واقتصر الكتابة الزخرفية على الخط الكوفي الخفيف.⁽⁶⁾

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص306.

(2) Jerrilynn and D. Dodds, Al-Andalous The art of islamic spain, Distributed by INC, New York, 1992, p76.

(3) م.س ديمانند، المرجع السابق، ص114.

(4) عفيف بهنسي، "العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع"، عن: سلسلة ابداع، العدد الخامس، منشورات المجلس

القومي للثقافة العربية، القاهرة، 1994م، ص248 .

*عرف فيما بعد بـ"الفن المورسكي"، بعد طرد المسلمين من الأندلس.

(5) م.س ديمانند، المرجع السابق، ص114.

(6) أرنست كونل، المرجع السابق، ص ص، 129، 130.

تم المزج بين التقاليد الفنية المغربية والفن الأندلسي خلال القرن 8هـ / 14م فظهر جليا في قصر الحمراء بغرناطة اذ كسيت جدرانه وعقود غرفه وقاعاته بزخارف جصية زاهية قوامها أشكال هندسية متشابكة وتواريق نباتية صيغت في الأسلوبين المغربي والأندلسي، وما زاد الزخارف رونقا تلوينها بعدة ألوان منها: الأبيض، الأزرق والأحمر الذهبي وهذا من سمات "الفن الأندلسي"،⁽¹⁾ يعود الفضل في ذلك الى صناع قدموا من فاس وتلمسان وغيرهما.⁽²⁾

استخدم هذا الأسلوب في فن المدجنين وانتشر في كل من: إشبيلية، قرطبة وطليطلة، أقدم نموذج يرجع الى المعبد اليهودي بطليطلة المتضمن لتيجان محلات باوراق الأكانتس.⁽³⁾ والمراوح النخيلية ذات الموروث المرابطي⁽⁴⁾

وفيما يتعلق بالمغرب الإسلامي فكل من الفنان الزياني والمريني لم يساهما بشيء يذكر اذ اكتفوا بالمحافظة على التقاليد الفنية المغربية الأندلسية المستمدة من الارث الموحي، وخير دليل محراب جامع أبي الحسن أجمل المحاريب في المساجد الجزائرية بزخارفه الرفيعة وعناصره الفخمة تجلت في كل من: السيقان النباتية ووريقات وزهيرات صغيرة، بالإضافة للمراوح النخيلية وأنصافها البسيطة منها والمركبة، دون غض النظر عن الأشرطة الكتابية سواء من الخط النسخي والكوفي على أرضية نباتية المطوقة للمحراب،⁽⁵⁾ وكذلك مسجد سيدي ابي مدين المتميز بمدخل كثيف الزخرفة اشتملت جدرانه على كسوة خزفية من الزليج تعلوها زخارف جصية امتدت الى السقف على هيئة مقرنصات يعتبره الأستاذ بورويبة من أروع منشآت الفن الأندلسي، فجدرانه الداخلية ومحاربه وأقواسه تذكر المتمعن فيها بجمراء غرناطة.⁽⁶⁾

(1) م.س ديماند، المرجع السابق، ص115.

(2) أرست كونل، المرجع السابق، ص 130.

(3) جورج مارسيه، الفن الإسلامي، ترجمة عبلة عبد الرزاق، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016م، ص290.

(4) باسيليو بابون مالدونادو، المرجع السابق، ص130.

(5) عبد العزيز لعرج، " المساجد الزيانية بتلمسان عمارتها وخصائصها"، عن: حوليات جامعة الجزائر 2، العدد

السادس، 2008م، ص115.

(6) R. Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, S N E D, 1973, p363.

وخلال العهد العثماني تراجعت الصناعة الجصية نظرا لانقطاع التيارات الخارجية القادمة من الأندلس وغياب روح المنافسة فضلا عن الإبقاء على التقنيات والزخارف بنسقتها القديمة مما أصابها بالتصلب والتهجن نلمس ذلك عند ادخال عناصر زخرفية غريبة عنها كزهرة الاله، وشجرة السرو وغيرها.

1.4.1. طريقة صناعة الجص:

وبعد التطرق إلى الزخارف الجصية بمختلف طرزها، يجدر بنا أن نشير إلى تلك المراحل التي تمر بها قبل أن تأخذ شكلها النهائي، بعد نقشها بما يعرف بـ"نقش الحديدية" فطريقة صنعها تتم وفق مراحل، تسليما لما ذكره ابن خلدون في مقدمته إذ صرح قائلاً: "...ومن صناعة البناء ما يرجع إلى التتميق والتزيين يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص ويخمر بالماء ثم يرجع جسدا فيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريمها بمثقاب حديدي إلى أن يبقى له وروء..."⁽¹⁾

فالنقاش يقوم بخلط الجص بالماء حتى يحصل على خليط متجانس يشبه العجينة المتماسكة واللينة حينها يكسي الجدران المراد تزيينها وتصلق ثم يرسم عليها الأشكال الزخرفية المراد تنفيذها بواسطة رأس إزميل وبمساعدة مقص ومثقاب حديدي، يتم نقش الزخارف والجص ما يزال لينا طريا وهذا الأسلوب يتطلب استعمال نوع خاص من الجص المتمسم ببطء الصلابة والامتصاص، وإن تعذر الحصول عليه يهتدي إلى إضافة غراء أو ملح للجص.

تمكن الباحثون من التوصل إلى معرفة طريقة تثبيت الحشوات الجصية على الجدران منذ أن فحصت زخارف دير سان فرانسيسكو بغرناطة، فحينها تبين أنها أثبتت على الخشب ففي الجزء الذي أزيل منه الجص ظهر جزء من الخشب الملي بالمسامير التي ربطت فيما بينهما بخيوط.

كما اعتمد طريقة أخرى والمتمثلة في طريقة القوالب إذ تقوم على أساس تنفيذ العناصر الزخرفية منفردة ثم العمل على تثبيتها على مواقعها المحددة.⁽²⁾

(1) عبد الرحمان ابن خلدون، المقدم....، ص324.

(2) زكية راجعي، الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط من بداية العصر الحمادي إلى نهاية العصر المريني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1993م، ص، ص13، 14.

2.4.1. مجال إستعمال الجص بالمنشآت الدينية والمدنية:

لقد وافت الزخرفة الجصية حظها في جل المنشآت الدينية ففي المعبد الكبير تم الإقبال عليها بشكل مكثف حيث امتدت من القبة المركزية لتشمل القسم العلوي من الجدران فضلا عن العقود وبطونها، (شكل رقم 16، أ)، واتخذت منها شمسيات. (شكل رقم 13) كذا بالمثل بضريح ريباخ ورشباخ إلا أن الزخرفة الجصية لم تمتد إلى الجدران بل اتخذت كأطر لتطويق النوافذ، على الرغم من امتدادها على سطح العقود التي ازدانت بها بائكة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح، واقساما من سقف القاعة (شكل رقم 17).

وفيما يتعلق بالمنشآت المدنية فعلى ما يبدو أنها لا تقل شأنا عن سالفها إذ اقبل عليها فاتخذت على شكل شمسيات مخزومة بدار بكري، ويجدر الإشارة أن الكسوة الجصية الحالية والتي ازدان بها القسم العلوي للجدران والعقود مستحدثة.

وان عدنا الى اسلوب الزخرفة على ما يبدو انه تم الدمج بين الاسلوبين في المعبد الكبير فقد اقدم على نقش الحديدية في زخرفة الخزائن الجدارية الصماء لإحداث تخاريم (شكل 16، ب)، وكذلك بطون العقود على غرار الجدران والبوائك التي استخدم فيها الزخرفة بالطابع نظرا للتكرار الزخاف (شكل 16، ب).

وكذا بالمثل فيما يخص الزخارف الجصية بضريح ريباخ فالزخرفة التي حلي بها السقف (شكل 17) والشمسيات التي زينت القباب انجرت عن طريق النقش تبعا لبروز الزخارف عن الأرضية فضلا عن التخاريم، بينما التحلية الجصية المركزية بالقباب اعتمد فيها على الطابع تم اثباتها بطريقة ما عجزنا عن التعرف عليها نظرا لادخال مادة الاسمنت .

5.1. المعادن:

■ البرونز:

نظرا لما يتميز به من صلابة وعدم تلفه بسرعة أقبل عليه في تزيين الأبواب⁽¹⁾ لذا اتخذت منه مطارق للأبواب ومسامير مستديرة، ذات الرؤوس المحزوزة الظهر، حليت بها أطر الأبواب الخارجية أفقيا وعموديا، مثلما جسد في باب السقيفة الأمامية لدار بكري (شكل رقم 5)، وباب المدخل الرئيسي لضريح ريباخ ورشباخ (شكل رقم 6).

■ النحاس:

تم الإقبال على النحاس بشكل مكثف، فقد اشتمل على بعض العناصر التي تدخل في زخرفة الأبواب نذكر منها: مزاليج طويلة لغلق الأبواب من الداخل، ومزاليج أخرى كبيرة لغلق الأبواب الكبرى من الداخل والخارج،⁽²⁾ وخير نموذج مزالج الأبواب بدار بكري (شكل رقم 8).

■ الحديد:

أُستعمل في أماكن معينة حيث اشترك مع الخشب فظهر على شكل شباك من قضبان الحديد،⁽³⁾ ازدانت به نوافذ دار بكري وضريح ريباخ ورشباخ. تم الإقبال على المعادن، تبعا لتوفر المادة في السوق المحلية مما يدل على تمتع الجزائر بالثروة المعدنية، إذ دلت الدراسات على وجود مناجم الفضة والرصاص بالونشريس، بالإضافة لمناجم الحديد بكل من زكار وبنو سليمان بجرجرة،⁽⁴⁾ إلا أن هذا لم يمنع من إستيراد النحاس والحديد، والرصاص من إنجلترا،⁽⁵⁾ ومن تم نتساءل كيف بها أن تستورد، وهي تملك هذه الثروة؟، وقد صدق شاو حين صرح بأن الإيالة تملك ثروات من الذهب والفضة، والنحاس وغير ذلك، إلا أنها لم تستغلها على غرار بعض الكميات من الحديد التي تم إستغلالها بمنطقة القبائل.⁽⁶⁾

(1) C.E. Arseven, Op. Cit, p136.

(2) G. Marçais, L'architecture musulman..., p 450.

(3) Ibid, p 450.

(4) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، ص 70.

(5) F.D.Haédo, Topographie et histoire..., p103.

(6) Shaw, Voyage dans la régence..., p 305, 306.

إلا أن ذلك لم تؤثر على الصناعة، فقد صرح كورين شوفاليه بوجود أسواق للذهب والساباكين، والرصاصين قرب باب البحرية،⁽¹⁾ كما وجد سوق الحديد وسوق الصفارين أي النحاسين بشارع باب عزون.⁽²⁾

وقد برع اليهود في أشغال المعادن الثمينة كالذهب والفضة،⁽³⁾ فاتخذوا سواقا يعرف بـ "سوق الصاغة اليهود"،⁽⁴⁾ جعل بمركز المدينة على مقربة من جامع الأعظم،⁽⁵⁾ وبيت المال،⁽⁶⁾ مجاور لسوق القيسارية وجامع السيدة،⁽⁷⁾ يلج إليه عبر منفذين أحدهما على سوق الفراية⁽⁸⁾ وآخر على اليمين الصاعد للقهوة الكبيرة، كما سبق ذكر ذلك آنفا.⁽⁹⁾

وامتحنوا صناعة المعادن أي بما يعرف بـ "قزادرلية"، فقد ورد في وثيقة مؤرخة في شهر محرم من عام 1184هـ الموافق لـ 1770م-1771م، أن النمي دابيد بن إسحاق اليهودي قام بشراء المحل الكائن بكتشاوة المعد لصناعة القزادير من المكرم السيد محمد بن أحمد....⁽¹⁰⁾ بالإضافة لوثيقة أخرى تعود إلى أوائل حجة الحرام من عام 1211هـ الموافق لـ 1796م-1797م، أشارت إلى تملك النمي طبير ابن إسحاق عرف بوخريس لجلسة حانوت المعدة لبيع القزادير القريبة من قهوة الصفارين وذلك بالإرث من والدته قاسية بنت باروخ اليهودي.⁽¹¹⁾

(1) كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص77.

(2) زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر....، ص ص، 144، 145.

(3) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى ...، ص85.

(4) علبة رقم 11 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(5) علبة رقم 16 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 43، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(6) علبة رقم 16 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 72، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(7) علبة رقم 74-75، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 20، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(8) علبة رقم 41 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 5، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(9) علبة رقم 11 (1)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 7، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(10) علبة رقم 16، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 5، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

(11) علبة رقم 10 (2)، المحاكم الشرعية، وثيقة رقم 18، محفوظة بالأرشيف الوطني ببئر خادم.

1.5.1. تقنيات صناعة المعادن: تمر هذه المشغولات المعدنية بعدة مراحل قبل أن تتخذ شكلها النهائي، فإذا اتخذت من الحديد يخمر الحديد، فيصبح قابل للسحب والطرق يعتبر في هذه الحالة أكثر المواد طواعية، فمن السهل تلحيم سطحين مسخنين منه لصنع مشغولات.

أما إذا اتخذنا من البرونز فإنه يصب في قوالب، كونه في غاية السيولة عند الصهر، صلبة متماسكة قليلة التقلص عند التجمد، وإذا خمرت أصبحت صالحة للسحب والطرق بذلك.⁽¹⁾

2.5.1. مجال إستعمال المعادن في المنشآت الدينية والمدنية:

إزدان المدخل الرئيسي للسقيفة دار بكري بمطربة ومسامير برونزية، فضلا عن الفتحة المقضبة بالقضبان من الحديد.

كما ازدان باب قاعة ضريح ريباخ بباب خشبي من مصرعين حلي بمسامير برونزية ومطربة تم إزالتها لم يبق إلا أثارها.

(1) هيربرت ريد، الفن والصناعة أسس التصميم الصناعي، ترجمة فتح الباب عبد الحليم جبيل، عالم الكتاب، 1974م، ص، ص88، 89.

2. عناصر الزخرفة وأنواعها:

1.2. العناصر الزخرفية النباتية:

من المتعارف عليه أن الفن اليهودي له قابلية للتبلور والتحول بل الخضوع للتغيرات الفنية السائدة، فهو مخضرم إذ سائر فنون الشرق القديمة وتماشى مع الفن الإسلامي بفروعه، ولمجارات هذا الأخير حرص على الابتعاد عن تصوير الكائنات الحية، وبذلك امتثل للوصايا العشر التي نهت عن تصوير الكائنات الحية، إذ جاء في سفر الخروج مايلي: "لا تصنع لك منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في الماء من تحت الأرض"،⁽¹⁾

فاستعاض عن ذلك بالإقبال بلهفة على الزخارف النباتية على الرغم من أنه لم يبتكر وحدات زخرفية جديدة لكنه أحسن تصويرها وتوزيعها وتنسيقها والجمع بينها فظهرت بحلة جديدة، فرسم الأشجار والأزهار والأوراق والسيقان منها ما بدت قريبة من الطبيعة ومنها ما دون ذلك مما يدل على قوة الملاحظة والتصوير والتحكم في المادة والموضوع على الرغم من سلك اتجاه جديد في الفن .

ولملء الفراغ اتخذ كل من السيقان والأوراق الملتفة والصفائر والفروع والزخارف المتداخلة المواضيع الزخرفية، ومن تم تباينت الزخارف النباتية فيما بينها، منها ما استوردت من خارج الثقافة اليهودية ومنها ما انبثقت منها.

1.1.2. الأزهار:

أ. زهرة اللوتس: أقبل الفنان اليهودي عليها بعد أن اقتبسها من الفن المصري إذ كانت تعرف بـ"وردة نهر النيل" وغالبا ما كانت تشاهد في وسط أوراقها المستديرة والمنتشرة فوق سطح المياه على ضفاف نهر النيل.⁽²⁾

(1) سفر الخروج 4:20.

(2) محي الدين طالو، الفنون الزخرفية، الطبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، 1986م، ص ص 41، 42 .

إذ جرت العادة عند قدماء المصريين رسمها في الطقوس الدينية* واعتمادها في الزخارف الجنائزية حيث ازدانت بها الأفاريز والأشرطة الزخرفية فهي رمز للحياة.⁽¹⁾

وعلى ما يبدو أنها حافظت على مكانتها فقد أقبل عليها الفنان عند زخرفته لشاهدي قبر الحاخام رشباخ وزوجة الحاخام ناتان**،⁽²⁾ إلا أنها لم تحافظ في كلتا النماذجين على شكلها الطبيعي بل حورت (شكل رقم 26، ن).

ب. زهرة اللالة: على ما يبدو أنها نالت مكانة خاص عند الفنان اليهودي إذ أقبل عليها بشكل واسع بعد أن اقتبسها من الفن التركي. فمن المتعارف عليه أن "زهرة اللاله" عرفت انتشارا واسعا عند الأتراك رغم عدم رواجها سابقا فقد اتسقت للوجود لما قدسها الفنان التركي نظرا لاسمها فحروفها تتكون من نفس حروف لفظة الجلالة "الله"، فضلا عن جمالها الباهر. ومن تم نرجح أن الفنان اليهودي اعتمدها لنفس العلة، أو لمجاراته الموضوعة المدرجة خلال القرن 18 فـ"زهرة اللاله" شهدت رواجاً واسعاً في القرن 18م إذ شملت جل الولايات التابعة للدولة العثمانية، وبما أنها ظهرت في القرن 15م أطلق على هذا العصر بعصر "زهرة اللالة".

من المرجح أن موطنها هولندا، وقد أدخلت إلى اسطنبول، من طرف سفير هولندي خلال القرن 17م، في عهد السلطان أحمد الثالث.⁽³⁾

* ظهرت في رسم جداري لقبر طيبي في ناخث خلال عصر تحتومس نهاية القرن 15 ق م، تصور ميت يقدم له زهرة اللوتس لإعادة البعث وإقامة طقوس البعث، أنظر: فيليب سيرنج، الرموز في الفن والأديان والحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، طبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، 1992م، ص 41.
(1) نفسه، ص 345.

** تعرف بسعدية زوجة الحاخام ناتان النربوني توفيت سنة 1684م، للمزيد أنظر: زهية بن كردرة، "الشواهد العبرية..." ، عن: حويات المتحف الوطني للآثار، العدد الخامس، ص 39.
(2) نفسه، ص 39.

C.E.Arseven, Op.Cit, p 58, 59.

(3)

أقبل عليها الفنان اليهودي بشكل واسعاً تبعاً للنماذج المتوفرة لدينا نجدها قد اتخذت عدة أشكال في الخزفة، سواء أكانت منفذة على الرخام أو على المربعات الخزفية أو على الخشب.

فمنها ما حافظت على شكلها الطبيعي (شكل رقم 26، أ) ومنها ما جاءت أطرافها معقوفة (شكل رقم 26، أ)، ومنها ما اتخذت شكلاً جرسياً (شكل رقم 26، ب)، ومنها ما حورت ففقدت شكلها الطبيعي حيث اتخذت فصوصاً واضحة (شكل رقم 26، ب).

ج . زهرة القرنفل: تداولها الفنان اليهودي وناقت بذلك زهرة اللاله في الخزفة زهرة القرنفل المعروفة بـ **Karanfil** عند الأتراك.

تعد من أبرز أنواع الزهور، أقبل عليها الفنان تبعاً لخصائصها المميزة في شكل أوراقها القابلة للتحويل في المواضيع الخزفية، يجهل موطنها الأصلي فمن المرجح أن تعود إلى إيران أو الصين تبعاً لما جاء به **أرسفان**⁽¹⁾ إلا أن الدراسات الحديثة صرحت بأنها تعود إلى أندونيسيا وبالذات سومطرة وفقاً لما ورد في المصادر الإسلامية.⁽²⁾

تبعاً للنماذج المتوفرة لدينا نجد زهرة القرنفل قد حافظت على شكلها الطبيعي، فقد رسمت على إحدى المربعات الخزفية بخمسة فصوص متصلة بعضها ببعض ذات أطراف مسننة (شكل رقم 26، ج)، وفي لوحة جصية جاءت بخمسة فصوص متباعدة عن بعضها البعض أكبر الفصوص أوسطها (شكل رقم 26، ج)، ومنها ما جعلت منفوخة البدن (شكل رقم 26، ج).

من الملاحظ أن الزخارف النباتية لم تتخذ كعنصر مركزي للتصميم الزخرفي في النماذج المتوفرة لدينا سواء إن نفذت على المربعات الخزفية أو الرخام أو الجص. فمنها ما جمعت بين أزهار محافظة على شكلها الطبيعي وورود (شكل رقم 20، أ)،⁽³⁾ ومنها ما ألحقت بأوراق محورة وسيقان وبراعم (شكل رقم 19).⁽⁴⁾

C.E.Arseven, Op.Cit, p 58.

(1)

(2) لطيفة بورابة، التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية (حلب)، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2009م، ص 173.

(3) لوحة رقم 3، صورة رقم 3.

(4) لوحة رقم 2، صورة رقم 2.

ومنها ما اكتفت بشغل أركان المربع الخزفي بينما مركزه ملحق بتصميم زخرفي آخر تجلي في مركب شراعي يقطع عرض البحر. (شكل رقم 18).⁽¹⁾

د. أزهار أخرى: ومن الأزهار التي استخدمت كعنصر زخرفي للتزيين، الزهرة بشكلها الطبيعي المتباينة في شكل فصوصها وعدد بتلاتها والمادة التي نفذت عليها، فمنها ذات ثمانية بتلات بسطوح مقعرة ومركز محدب منفذة على الرخام (شكل رقم 26، د) حلي بها الإطار الرخامي لمدخل ضريح ريباخ ورشباخ، وأخرى بستة بتلات حليت بها (شكل رقم 26، د) الأبواب الخشبية بدار بكري.

وكذلك الأزهار المهجنة إلا أن الإقبال عليها كان بشكل محتشم مقارنة بنظيرتها إذ رسمت على المربعات الخزفية فجاءت مدمجة بزهرة الأقحوان (شكل رقم 21)،⁽²⁾ (شكل رقم 26، هـ).

2.1.2. الأوراق:

أ. ورقة الأكانتس: ومن أبرز الأوراق المستعملة في الخزف سواء على الرخام، أو المربعات الخزفية ورقة الأكانتس، أقبل عليها الإغريق لتزين التيجان الكورنثية ثم تنبأها الرومانيون والبيزنطيون من بعدهم.⁽³⁾

أوفت حظها في الفن اليهودي سواء إن كانت مقتبسة من الطراز البيزنطي أو الساساني، فقد أدمجت به منذ عهود مبكرة وبقيت في طي الإستعمال حتى أوائل القرن 19م.

حيث زينت بها تيجان ضريح ريباخ ورشباخ فظهرت بحواف معقوفة رسمت دوائرها بدقة (شكل رقم 27، أ)، ومنها ما حورت فظهرت قصيرة خالية من التفاصيل كما هو الحال بالنسبة لتيجان دار بكري (شكل رقم 27، ب) ومنها ما جاءت على شكل تجميعية من ورقة الأكانتس المحورة مشكلة بذلك زهرة (شكل رقم 22)،⁽⁴⁾ (شكل رقم 27، ج) حليت بها إيوان الغرفة الغربية لدار بكري بالطابق العلوي.

(1) لوحة رقم 1، صورة رقم 1.

(2) لوحة رقم 5، صورة رقم 5.

(3) فريد شافعي، المرجع السابق، ص 122.

(4) لوحة رقم 6، صورة رقم 6.

ب. أنصاف المراوح النخيلية: تعد ضمن الأوراق التي أقبل عليها في الزخرفة، انتقلت من العصر الهلنستي إلى الطراز الروماني إلى الساساني ثم البيزنطي، وأخيرا جسدت في الثوب الخارجي للفن العربي،⁽¹⁾ فتغلغت إلى الفن اليهودي بحلتها الإسلامية نفذت على مختلف المواد سواء على الرخام أو الخشب. حفرت على الرخام فشغلت مثلثي الإطار الرخامي لمدخل ضريح ريباخ ورشباخ جسدت على شكل زوجين من أنصاف المراوح النخيلية، كل زوج يضم ورقتين متداخلتين فيما بينهما معقوفة الحواف، وضعت هاتين الزوجين في تناظر. (شكل رقم 27، د) ونفذت على الخشب حيث زخرفة بها حشوات إطار الباب الخشبي بدار بكري، فجاءت على شكل أنصاف مراوح نخيلية ملتوية تتفرع من زهرة كأسية. (شكل رقم 27، د).

3.1.2. الأشجار:

أ. شجرة الحياة : ورد ذكرها في سفر التكوين حيث جاء فيه مايلي: "فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة".⁽²⁾ تعد من الأشجار المقدسة في الديانة اليهودية تعرف بـ"شجيرة المنورة"، يزعم أنها من أشجار الجنة وأن الرب ظهر لسيدنا موسى عليه السلام عندها وفيها كلمه وألقى عليه المهمة النبوية أو مهمة الخلاص.

اختلفت الآراء حول ماهية هذه الشجرة فالبعض ينسبها إلى "شجرة الموريا"⁽³⁾ والبعض إلى "شجرة الآس"،⁽⁴⁾ يقصد بذلك الريحان.

على ما يبدو أنها شبيهة بالنخلة تسليما بما ورد في سفر أخنوخ النسخة الحبشية اذ نص على ما يلي: "شجرة الحياة كانت رائحتها أنكي من كل رائحة، وأن أوراقها وأزهارها وخشبها، لا تيبس أبدا، وأن ثمرها جميل أشبه بالبلح"⁽⁵⁾

(1) فريد شافعي، المرجع السابق، ص234.

(2) سفر التكوين 3: 24.

(3) رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية....."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، ص30.

(4) حورية شريد، "زخارف شجرة اليهود في الفن الجزائري أثناء العهد العثماني"، عن: حوليات متحف الوطني للآثار، العدد: الحادي عشر، 2002م، ص49.

(5) سفر اخنوخ 24: 4-5.

فالجدير بالذكر أن النخلة عرفت تقديسا في المعتقدات القديمة سواء البابلية او السومارية اذ كانت تمثل الالهة نانا عند البابليين والالهة عشتار عند السوماريين، وتعد من آلهة الخصب لذا الحقت بالمعتقد الكنعاني ومن تم تغلغت في التوراة .⁽¹⁾

ولتوضيح الفكرة نستدل بالختم السوماري يعود إلى القرن 23 ق م و 22 ق م، تظهر فيه شجرة النخيل تتدلى منها ثمرتان يانعتان عن يمينها ويسارها يجلس رجل وامرأة ويمد يديهما لاقتطاف الثمر ووراء المرأة تنتصب الحية في وضع الهامس والموسوس في اذن المرأة،⁽²⁾ أليس ذلك شبيها بما ورد في سفر التكوين عن طرد آدم وحواء من جنة عدن، والمتمعن لشجرة النخيل في الأختام الأسطوانية يلاحظ أن الالهة عشتار تقف غالبا خلفها،⁽³⁾ شأنها شأن شجرة الحياة المحاطة بـ "كروبيم" لحراستها امتثالا لما ورد في نصوص العهد القديم.⁽⁴⁾

لذا نرجح أنها تمثل الالهة "عشيرة" التي كان يرمز لها بشجرة خضراء تزرع قرب المذبح وتجري تحتها طقوس الخصب.⁽⁵⁾

اتخذت هذه الأخيرة خليفة ليهوه والصيغة الأنثوية له، ومن تم اقترنت به تسليما بتلك الجملة التي ازدانت بها جدران الغرفة المبنية بالحجر في مدينة حبرون العائدة للقرن 8 ق م تجلت هذه الأخيرة في : " لتحل عليك بركة يهوه وعشيرته"، كما سبق ذكره آنفا .⁽⁶⁾ نستشف مما سبق أنها شجرة سماوية ارتبطت بالميتولوجيا الكنعانية تغلغت في المعتقد اليهودي، ليس لها هوية فكل شجرة تتسم بأوراق دائمة الإخضرار وازهار بيضاء منيرة ومعطرة في الظلام، تنسب إليها لذا وقع الجدل بين "شجرة الآس" و "شجرة الموريا".

(1) عبد الأمير الحمداني، "صورة النخلة في المعتقدات الرافدينية"، عن: مجلة الآداب السومرية، العدد الرابع، 2009م، ص ص، 1، 7.

(2) فراس السواح، لغز...، ص 115.

(3) عبد الأمير الحمداني، "صورة النخلة..."، عن: مجلة الآداب السومرية، العدد الرابع، ص 8.

(4) سفر التكوين 3: 24

(5) سفر تثنية 16: 21.

سفر أشعيا 57: 5.

(6) فراس السواح، تاريخ أورشليم...، ص 204.

واننا نستبعد "شجرة الآس" ونرشح "شجرة الموريا" فهي الأقرب تبعا لتفرعاتها الستة المتقابلة فكل جانب منها يتفرع منه ثلاثة أفرع على اليمين وثلاثة أفرع على اليسار ذلك فيما يتعلق بالشكل أما من ناحية المضمون فإنها تقطر أغنى عطورها حين تفتح أزهارها وهي بذلك شبيهة بالمنورة التي تبعث أبهى أنوارها وقت إشعال سرجها فتريح النفس.⁽¹⁾

فمن المسلم به أن يتم اعتمادها في الزخرفة للإشارة للمينورة، والجدير بالذكر أنها لم تلق رواجاً في المغرب الإسلامي حيث تم الاستعاضة عنها بالريحان إذ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بلولب عيد المظال.

وعلى ما يبدو أن هذه الشجرة قد وافت حظها في الزخرفة فقد وجدت على كل من: الجص والبرونز.

فقد ظهرت بالزخرفة الجصية التي حليت بها جدران قاعة العبادة بالمعبد الكبير نقشت وفقاً للأسلوب الرومي*، اتسمت هذه الأوراق بتفرعاتها المتعددة والإلتواءات ونهاياتها الحادة، حصرت بذلك حلة زخرفية على شكل وردة شكلت من التواءات وانحناءات أوراق شجرة الحياة الرمحية الطرف. (شكل رقم 16)

ونفذت على المعادن فزينت بها مطرقة الباب الخشبي لدار بكري تجسدت في شكل ورقتين رشيقتين متعددة الانحناءات مما أكسبها شكل زهرة تنتهي هذه الأخيرة بتفرعات حادة تدلى منهما تجميعاً من ثلاثة أوراق محورة (شكل رقم 9)

ب. شجرة السرو: لا تقل قادسية عن نظيرتها، إذ جاء في سفر المزامير ما يلي: "حيث تعيش هناك العصافير، أما القلق فالسرو بيته".⁽²⁾

عرفت عند البابليين بـ"شورميو" اتخذت شعاراً للحزن،⁽³⁾ فتغلغلت في الفن اليهودي واتسقت جلياً حين احتكت بالفن التركي.

(1) رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية...."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، ص 30.
* لفظة "الرومي" تعني روماني وهو الاسم الذي أطلقه السلاجقة على الأناضول عند فتحها في القرن 11م، والرومي اصطلاحاً أطلقها الأتراك على الخزاف المحورة من الرسوم الحيوانية أو النباتية، أنظر:

C.E.Arseven, op.cit, p51.

(2) مزمو 104 : 17.

(3) طه باقر، "دراسة في النباتات المذكورة في المصادر المسمارية"، عن مجلة: سومر، العدد الثامن، الجزء الأول، بغداد، العراق 1952م، ص 17.

فمن المتعارف عليه أن الأتراك ولوها اهتماما خاصا حيث سميت بـ "Selvi"، وزرعت في الجبانات تبعا لرائحتها الزكية النفاذة التي تغطي الروائح الكريهة التي تنبعث من جثة الموتى⁽¹⁾.

تتفرد بدوم اخضرار أوراقها طول فصول السنة مما أكسبها مكانة خاصة عند الأتراك فهي رمز للخلود والحياة المتجددة، ومن تم أكثر الفنان التركي في رسمها وتزيين عمائره بها يراعى عند ذلك رسمها في وضع رأسي، وفقا لهذه الميزة أقبل عليها الفنان اليهودي الذي كان متشبثا بالنباتات الدائمة الاخضرار لإيحائها بالبعث والخلود.

جاءت في النماذج المتوفرة لدينا، إما على الرخام أو على الجص وفي كلتا الحالتين حورت عن شكلها الطبيعي، فتلك التي نفذت على الرخام جعلت شبيهة بالأوراق الكأسية كون البدن منفوخ إلى حد ما ينتهي برأس رمحي، تفرعت منها أغصان، أدمجت الشجرة بنجمة سداسية الرؤوس محاطة بدائرة شغل الفراغ بين الدائرة والنجمة السداسية بورقة كأسية شفع بها مفتاح عقد المدخل الرئيسي لدار بكري. (شكل رقم 28، أ)

أما تلك التي خرمت على الجص فجعلت شبيهة بالمزهريّة فالساق ساق مزهريّة وبدن منفوخ ينتهي برأس مدبب تتفرع منها أغصان تحمل أزهار من ثلاثة بتلات مثلما جسدت في شمسيات دار بكري إلا أنها جاءت محورة (شكل رقم 28، أ).

وعلى غرار الخزارف النباتية السالفة الذكر نجد الثمار التي شهدت انتشارا في النماذج المتوفرة لدينا فتجلت في كل من: ثمار الإجاص وكوز الصنوبر.

ففي النماذج المتوفرة لدينا جاءت محافظة على شكلها الطبيعي سواء فيما يتعلق بثمار الإجاص المنفذة على رخام المحلات بأوراق تغطي ثمارها المتدلية من التاج الرخامي بدار بكري (شكل رقم 28، ب).

وكذا بالمثل فيما يتعلق بكوز الصنوبر إذ جاء محاكيا للطبيعة، فقد اتسم بكثرة التفاصيل التي تعكس دقة ومهارة في التصوير.

(1) سعد محمد ماهر، الخزف التركي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والرسائل التعليمية، 1977م، ص 75.

ومن المرجح أن الفنان تعمد ذلك نظرا لقادسية الثمرة فهي ترمز للتجديد والبعث،⁽¹⁾ مثلما جسدا بثمار الصنوبر التي ازدان بها ضريح ريباخ ورشباخ. (شكل رقم 28، ج)

يجدر الإشارة إلى أن الزخارف النباتية غالبا ما ترفق بأوراق حيث تعد من العناصر المكونة للتصميم الزخرفي، وغالبا ما ترتبط بالسيقان وحتى الثمار (شكل رقم 27، ك) والفروع النباتية حيث تملأ الفراغ، منها ما حور فجعلت كأسيّة (شكل رقم 27، ن)، ومنها ما اتخذ رأسها شكل طير كما هو بالنسبة لتلك الأوراق المحورة المتداخلة فيما بينها المتعددة الالتواءات والتفرعات، التي حصرت بداخلها ثمار كوز الصنوبر ازدان بها سقف قاعة ضريح ريباخ ورشباخ (شكل رقم 27، ل).

(1) فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص 300.

2.2. الزخرفة الهندسية:

لجأ إليها الفنان هروبا من تجسيد الكائنات الحية، وقد اقتصرَت الزخرفة الهندسية في جل المنشآت المدروسة، على كل من الخطوط المستقيمة، والحلزونية، والمنكسرة، فضلا عن الدوائر المستطيلات، والمعينات.

■ **الخطوط المستقيمة:** جسدت في أطر الأبواب الرخامية، إذ اتخذت كمنطقات على شكل أفاريز متدرجة روعي فيها الحصول على مستطيلات فوق أبدان الأطر ومناطق العقود أحيانا، كما اتخذت شكل أشربة مزدوجة تتفرع من النجمة الثمانية الرؤوس المشكلة من تداخل مربعات فيما بينها حليت مركز القبة المركزية للمعبد الكبير.

■ **الخطوط الحلزونية:** تم تنفيذها على الخشب فشكّلت لنا الأوتاد الخشبية كما جسدا بالأوتاد الخشبية الملحق بدار بكري .

ومنها ما جعلت على الرخام فشكّلت لنا أعمدة حلزونية وجدت في كل من مقاعد سقائف دار بكري ومدخل الرئيسي للمعبد الكبير وبالمزهاريات الحاملة للشمعدان بضريح ريباخ (شكل رقم 14، ب)، دون غص النظر عن إلحاقها بالنوافذ المزدوجة بواجهات هذا الأخير.

■ **الخطوط المنكسرة:** منها ما اتخذت من الجص فحليت بها بطون العقود المفصصة بقاعة العبادة بالمعبد الكبير، ومنها ما جعلت من المربعات الخزفية يحصل عليها عن طريق تجميعها من المربعات الخزفية المعروفة بـ"الخطاف" أو "Hirondelle"، قوام زخرفتها مثلثين أحدهما أبيض والآخر أخضر.

ومن النماذج المتوفرة لدينا نجد الإفريز المطوق لواجهة ضريح ريباخ ورشباخ (شكل رقم 23، أ).⁽¹⁾

■ **الدوائر:** تجسدت في تلك المربعات الخزفية التي جمعت بين الزخرفة الهندسية والنباتية فالحلية الهندسية تمثلت في دائرة مركزية تضم زهرة من ثمانية بتلات أحيطت بدائرة أكبر منها تتفرع منها أوراق متعددة الفصوص ومتباينة الأحجام فالكبيرة منها جعلت معقوفة الرأس على غرار الصغيرة منها، شغلت أركان المربع الخزفي بأوراق مدبرة وجد هذا

(1) لوحة رقم 7، صورة رقم 7.

النموذج بالمربعات الخزفية التي كسيت جدران قاعة ضريح ريباخ ورشباخ (شكل رقم 24)⁽¹⁾ ، (شكل 29، أ).

ومنها ما اتخذت من الحجر فحليت بها أطر أبواب المرافق بدار بكري ازدانت هذه الأخيرة بعنصر زخرفي قوامه دائرة تضم نجمة ذات سبعة رؤوس شغل مركزها بزهرة متعددة البتلات.

■ **المعينات:** حفرت على أبدان الأبواب حلية بزخرفة نباتية، قوامها زهرة من ستة بتلات مقعرة نفذت بالحفر الغائر حليت بها أبواب غرف ومداخل دار بكري على غرار المدخل الرئيسي، ونفذت على المعادن فظهرت على سنايك القضبان الحديدية للنوافذ، حيث اشتملت على معين، مثلما جسد في سنايك القضبان الحديدية التي ازدانت بها نوافذ الغرف المطلة على الصحن بدار بكري. (شكل رقم 10)

كما جعلت على المربعات الخزفية فشكت تجميعية من المربعات الخزفية من النوع "الخطاف"، تجلى في التكسية الخزفية للإفريز المطوق لواجهة ضريح ريباخ ورشباخ. (شكل رقم 23، ب)⁽²⁾ (شكل 29، ب)، وعلى نفس التصميم خرمت النوافذ الخشبية وأدمج بها زجاج ملون مثلما جسدا بنوافذ قاعة ضريح ريباخ ورشباخ. (شكل رقم 12)

■ **المستطيلات:** جعلت من الخشب فحليت بها الأبواب الخشبية بدار بكري، ألا وهي المستطيلات التي حفرت على أبواب المخازن بالمستوى الأرضي حيث صفت أفقيا وعموديا وتخللتها مربعات كذلك (شكل رقم 29، ج، ج)، وألحقت بالمربعات الخزفية جعلت كتصميم مركزي قوام زخارفه شريط من المستطيلات الغير مستقيمة الأضلاع تمتد من الأركان تتضمن خطوط منحنية وعناصر نباتية مرسومة بطريقة تجريدية، بينما شغلت الأركان المتقابلة بحلية نباتية مرسومة بأسلوب هندسي مدمجة بشبكة من المعينات، لونت باللون الأزرق والبرتقالي والأخضر ولمسات من الأسود، تجلت في المربع الخزفي المنفرد بالعين الجدارية بالسقيفة بدار بكري، أعتقد أنها وضعت في فترة لاحقة. (شكل رقم 25)⁽³⁾

(1) لوحة رقم 8، صورة رقم 8.

(2) لوحة رقم 7، صورة رقم 7.

(3) لوحة رقم 9، صورة رقم 9.

3.2. الزخرفة الكتابية:

أولى اليهود اهتماما كبيرا بالخط تبعا لصلته بالشرعية الموسوية وباعتقادهم بأن لأحرف العبرية أسرار خفية تجلب السعد والبركة لذلك اعتني فيه اعتناء واسعا وأولوه قدسية خاصة، لذا كتب إما بالقلم المضخم أو المخفف ونفذت الكتابة إما بالحفر الغائر المملوء بالرصاص أو البارز، ولقد اعتمد في النماذج كلا القلمين وجاءت الكتابة إما بارزة أو غائرة:

ففي شاهد ضريح ريباخ أقبل على الكتابة البارزة المتشكلة من الحفر البارز على الحجر الكلسي، تضمن النص ستة عشر سطرا كل سطر يليه آخر جعل على نفس التصميم، اتسمت الحروف بالضخامة والاسترسال والتناسق، فضلا عن كونها مربعة ومزوات، وكأنها أشكال هندسية توحى بالكفاءة وإتقان الصانع لصناعة الكتابة. (شكل رقم 30)

أما بشاهد ضريح رشباخ تم تنفيذ الكتابة بالحفر الغائر الخالي من الرصاص ومن تم ظهرت شاحبة وعرقلة القراءة، تضمن النص تسعة أسطر رعي فيها نفس التصميم، تميزت الحروف بالضآلة والرقّة إلا أنها منسقة ومسترسلة تنتهي بتربيعات. حليت هذه الأخيرة بزخرفة نباتية قوامها أوراق محورة شكلت مزهرية ذات مقبضين على شكل حرف S اللاتيني تخرج منها زهرة اللوتس المحورة وأوراق محورة بالإضافة لزهرتي محوريتين من اللاله، أدمجت هذه العناصر الزخرفية بدائرة. (شكل رقم 30)

المتخصص للنصوص الكتابات الشاهدية يجد بأنها ذات طابع شعري وليس نثري وأصدق نموذج الكتابة الشاهدية لضريح ريباخ.

قامت على عدة صيغ منها صيغ التعظيم نلمسها في عبارة "الزهرة الغالية ذبلت"، صيغ الرثاء والحزن الشديد الواردة في كل من العبارات التالية: " الكون في قشعريرة كبيرة"، "نجوم السماء تسترت بحجاب حداد"، "كم تزعزع مجد التعليم"، "وتغير مذاق الخمر المعطر إلى شيح لأن الله"، "أخذ إسحاق".

دون غض النظر عن صيغ التمجيد والقداسة المتجلية في "اشتاق إسحاق أن يصعد إلى الأعلى"، "تاركا لذات هذا العالم"، "حيث يمارس فضيلة وهو محفور في عرش الله"، "وهو بجانب الملائكة"، "مبتسم يسمع أغانيهم في السماء".

4.2. الزخرفة المعمارية:

اشتملت على تلك العناصر المعمارية المتخذة للزخرفة كالأعمدة الصغيرة ، والاقواس بأنواعها والشرفات.

اتخذت الأقواس التامة لتشكيل نهايات شمسيات ضريح ريباخ ورشباخ، ودار بكري، فالمفصصة منها فقد عرفت انتشارا حيث نجدها بشمسيات المعبد الكبير وخزائنه الجدارية (شكل رقم 31، أ) فضلا عن هيكله، والقسم العلوي من مداخله الرئيسية حيث تجلت في بائكة من العقود المفصصة حملت على عضادتين.

وفيما يتعلق بالمنكسرة منها فقد ازدانت بها الكتابات التذكارية التي ألحقت بالرواق الذي يتقدم قاعة الضريح (شكل رقم 31، ب)، دون غض النظر عن درابزين دار بكري إذ حليت بها كذلك. (شكل رقم 31، ج)

أما الشرفات التي عرفت خلال العهد الساساني، إذ حليت بها تيجان القياصرة الساسانيين، وانتشرت بعد ذلك في المنشآت الرومانية،⁽¹⁾ ثم أقبل عليها المعماري المسلم فبلور شكلها، فظهرت على هيئة مقطع الهرم المدرج قد تكون درجاتها صغيرة ومتعددة، كما قد تظهر على هيئة زهرات اللوتس أو ربما كانت عبارة عن مثلثات.⁽²⁾

على ما يبدو أن الشرفات المثلثة قد حظيت على اهتمام المعماري اليهودي فألحقها بكل من المنشآت التالية: المعبد الكبير وضريح ريباخ ورشباخ حيث حليت بها واجهاتها، كما اتخذها من المعدن فحليت بها بيماء ضريح ريباخ ورشباخ (شكل رقم 31، د).

(1) فريد شافعي، المرجع السابق، ص 181.

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 146.

5.2. الزخرفة الرمزية:

تمثلت في كل من: المينوراه والنجمة الثمانية رؤوس أي "نجمة داوود"، فضلا عن الهلال.

أ. المينوراه: أو "المنار"،⁽¹⁾ يقصد بها الشمعدان ذو الفروع السبعة، ولفظة "المينورة" مشتقة من كلمة "نير" أي "النور".⁽²⁾

أقدم مينورة تلك التي وضعت بخيمة الاجتماع التي أمر الرب بصنعها وفقا لمواصفات محددة فقد ورد في سفر الخروج: "وتصنع منارة من ذهب نقي، عمل الخراطة تصنع منارة، قاعدتها وساقها، تكون كأساتها وعجرها وأزهارها منها، وست شعب خارجة من جانبيها، من جانبها الواحد ثلاث شعب منارة، ومن جانبها الثاني شعب منارة، وفي الشعبة الواحدة ثلاث كأسات لوزية بعجرة وزهرة، وفي الشعبة الثانية ثلاث كأسات لوزية بعجرة وزهرة، وهكذا إلى الست الشعب الخارجة من المنارة، وفي المنارة أربع كأسات لوزية بعجرها وأزهارها، وتحت الشعبتين منها عجرة، وتحت الشعبتين منها عجرة إلى الست الشعب الخارجة من المنارة، تكون عجرها وشعبها منها، جميعها خراطة واحدة من ذهب نقي، وتصنع سرجها سبعة، فتصعد سرجها لتضيء إلى مقابلها، وملاقطها ومنافضها من ذهب نقي، من وزنة ذهب نقي تصنع مع جميع هذه

(1) سفر الخروج 25: 31.

(2) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص 333.

الأواني...⁽³⁾، تلتها تلك التي صنعها الملك حيرام ملك صور بطلب من الملك سليمان عليه السلام ليلحقها بهيكله.⁽⁴⁾

ومن تم عدت كعنصر هام في المعبد لا يمكن الاستغناء عنها، وبذلك أخذت تتبلور فتارة نجد الساق مرتفعة عن الشعب إذ اتخذت هذه الأخيرة شكلا منحنيا يعلو إتجاه الساق وتارة أخرى نجد الشعب تتخذ شكلا أفقيا مع الساق لعله الشكل الأحدث لها.⁽⁵⁾

يعود إلى نهاية القرن الرابع ميلادي ومطلع القرن الخامس ميلادي وكان مألوفاً خلال القرن السابع ميلادي، والجدير بالذكر أن التبلور الذي ألحق بشعبها وساقها قد مس قاعدتها كذلك حيث جعلت إما على هيئة صندوق ثماني الشكل ذو نقوش وزخاف وثنية ومن بينها "مينوراه قوس تيتوس"، أو على هيئة أرجل حيوان.⁽¹⁾

مما يدل على تأثر الفن اليهودي بالفنون الشعوب الأخرى ومدى خضوعه لها، لذا نجدها خلال العهد العثماني، قد جعلت على هيئة مزهرية تأثرا بالمزهريات التي كانت منتشرة على اللوحات الخزفية وذلك ما سيتضح لنا جليا عند دراستنا للنماذج المتوفرة لدينا.

فعلى الرغم من التغييرات التي أدخلت عليها إلا أنها أبقت على ملامحها الأصلية والمتجلية في هيئة شجرة تتفرع منها أفرع على هيئة زهرة اللوز نزول لأوامر الرب، فالشعب السبع* لها دلالة رمزية فهي تشير إلى أعين الرب الجائلة في الأرض، اذ جاء في سفر زكريا: "فأجبت وقلت له" ما هاتان الزيتونتان عن يمين المنارة وعن يسارها"،

(3) سفر الخروج 25: 31_39.

سفر الملوك الأول 8: 39، 40. (4)

(5) رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية...."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، ص24.

(1) رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية..."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، ص24.

* وهناك شمعدان بثمانية أفرع يطلق عليه "حانوخياه" ويعرف بـ "شمعدان التدشين" جعل بعدد أيام الإحتفال حيث يشعل فتيل أو فرع منه مساء كل يوم من شعلة مستمرة يحملها فرع تاسع يبرز عن الأفرع الثمانية سمي بـ "الشماس" أو "الخدم"، اتخذوا هذا الأخير تذكيرا للثورة الحشمونيين الذين وضعوا رؤوس رماحهم على هيئة فروع شمعدان للإبقاء على الرمز الديني بعد دخولهم الهيكل، أنظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص333.

واجبت ثانية وقلت له: " ما فرعا الزيتون اللذان بجانب الأنابيب من ذهب، المفرغان من أنفسهما الذهبي"، فأجابني قائلا: " أما تعلم ما هاتان؟"، فقلت: " لا يا سيدي"، فقال: " هاتان هما إبنا الزيت الواقفان عند سيد الأرض كلها،" ⁽²⁾ كما تشير إلى أيام الخلق الستة مضافا إليها يوم السبت. ⁽³⁾

اتخذت المينورا في النماذج المتوفرة لدينا من الجص فحورت حيث ظهرت على شكل شجرة تتفرع منها سبعة أغصان تخرج منها أوراق الأكانتس أي شوكة اليهود شفعت بها جبهة العقد المفصص لقاعة العبادة للمعبد الكبير. (شكل رقم 32، أ) ومنها ما زينت شمسيات ضريح ريباخ ورشباخ فجعلت شبيهة بالمزهريّة تتفرع منها سبعة أغصان مزهرة، تمثلت في كل من زهرة القرنفل والأزهار بثمانية بتلات، وورود. (شكل رقم 13)

ب. نجمة داوود: أي ماجين داوود وكلمة "ماجين" تشير إلى "القوة، الملجأ، الحماية". فالفعل "ماجن" يعني " يقي بترس، حمى، دافع عنه"، وغالبا ما يقصد بـ "ماجين دافيد" بـ"دارع داوود"، يرجح أن اقترانها باسم النبي داوود عليه السلام يشير إلى فترة القوة التي عرفت في عهده وكونه المؤسس الفعلي للمعبد اليهودي.

استخدم المصطلح بداية الإشارة إلى الله ثم انتقل الإشارة إلى النجمة السداسية، وتشير المصادر اليهودية أن مادة "ماجين دافيد" ارتبطت باسم النبي سليمان عليه السلام حيث عرفت بـ"حوتام شلومو" أي "خاتم سليمان". ⁽¹⁾

وهي تقوم على مثلثين متساويين الأضلاع وضع أحدهما فوق الآخر عكسيا، تحمل مغزى سحري لدى شعوب الشرق القديم، لذا وضعت على واجهات المباني والمعابد للوقاية من الحسد والعين الشريرة وكأداة للزينة.

(2) سفر زكريا 4: 11-14.

(3) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، ص 333.

(1) رشاد عبد الله الشامي، "الرموز الدينية....."، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، ص 48، 49.

وعلى رأسهم السومريين فقد اعتادوا على تزيين جدرانهم الخارجية بأشكال هندسية مختلفة كاللوائب والمثلثات والمعينات، يجدر الإشارة أن الحضارة البابلية مشبعة بالأساطير والخرافات وكل ما يتعلق بالميتافيزيقا.

ولعل هذه المعتقدات تغلغت إلى الفكر اليهودي فاتسقت في الفن وظهرت على المعابد أقدم وجود لها بها يعود إلى القرن الثالث ميلادي وقبل ذلك كانت منتشرة بالمعابد الرومانية ومن بعدها الكنائس المسيحية.⁽²⁾

وخلال العهد العثماني ألحقت بالمصنوعات الفنية فجاءت إما منفردة أو متضمنة للزخرفة سواء نباتية أو هندسية ورجح العديد من الباحثين أنها ذات دلالة زخرفية وليس بدينية.⁽¹⁾

فالدينية لها دلالة رمزية وفي هذه الحالة إما تجعل منفردة أو ملحقة بأعداد وحروف قبالية صوفية عدت كطلمس وغالبا ما استخدمها الأتراك والعرب وغيرهم فحملوها معهم في حلة تدعى "الموسكة".⁽²⁾

وتبعا للنماذج المتوفرة لدينا نجدها قد نفذت على الجص حليت بها القسم العلوي من جدران ومن المداخل الرئيسية بالمعبد الكبير (شكل رقم 32، ب)، ومنها ما اتخذت من الرخام فشغفت بها جبهة عقد الإطار الرخامي للمدخل الرئيسي لدار بكري. (شكل رقم 32، ب)

ج. نجمة ثمانية الرؤوس: قامت من مربعين متداخلين فيما بينهما، وللمربع دلالة رمزية لدى القدماء حيث يشير للعناصر الأربعة تراب ماء هواء نار، فضلا عن دلالاته للأنهار الأربعة الآتي ذكرها في العهد القديم.⁽³⁾

(2) نفسه، ص 50.

* أنظر: شريفة طيان، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، الجزائر، 2009م، ص 349.

(1) زهية بن كردرة، "خاتم سليمان"، عن: حويات المتحف الوطني للآثار، العدد السابع، 1998م، ص 37.
(2) C.E.Arseven, Op.Cit, p31.

(3) فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص 476.

فحسب الرواية التوراتية الرب شق انهار في جنة عدن المعدة لسكن آدم عليه السلام تجلت في كل من: "فيشون" و"جيحون" بالإضافة "لحدافل" و"الفرات"**. (4)

على ما يبدو أن هذا العنصر الخزفي قد شهد انتشارا في النماذج المتوفرة حيث اتخذنا من الجص فحليت به القبة المركزية لقاعة العبادة للمعبد الكبير، ومنه ما نفذنا على الرخام ازدانت بها زوايا مثلثات الإطار الرخامي لضريح ريباخ ورشباخ فظهرت على شكل مربعين متداخلين فيما بينهما جعل في مركزهما زهرة من ثمانية بتلات. (شكل رقم 32، ج)

د.الهلال: رمز قمري بامتياز، كان يشير قديما في حضارة بلاد الرافدين لاله القمر

سين والريبات القمرية*، حيث كانت تحمله على رأسها أو خلف شعرها. (1)

انتقل بعدها إلى الفن اليهودي وارتبط بالأشهر القمرية التي كان يعتمد عليها في التقويم العبري**، إذ جرت العادة الصعود إلى محرقات الرب في يوم الهلال مثل أيام السبت والأعياد والمواسم، (2) والنفخ بالأبواق، (3) فضلا عن الاحتفال في البيوت، (4) والسجود للرب. (5)

تعددت أماكن تواجده في المنشآت المدروسة فتارة تزدان به مفاتيح العقود، مثلما جسدا في إطار الحجري للمخزن بالمستوى الأرضي بدار بكري. (شكل رقم 32، د) أدمج الهلال

** كشفت الدراسات الحديثة بأن نهر فيشون هو نهر فاز الملقب بنهر أراكس الواقع بأرمينيا، وحدافل هو نهر دجلة والفرات هو نفسه استنادا لقرب هذه الأنهار من بعضها الا أن لكل منها منبعه المستقل يلتقيان معا قبل أن يصبوا في الخليج العربي، أم نهر جيحون، تسليما بالرواية التوراتية يوصف بجريانه في اتجاه معاكس عن الأنهر الثلاث السالفة الذكر إذ يحيط بأرض ابن حام ابن نوح والتي يقصد بها أرض اثيوبيا فيرجح بأنه نهر النيل تبعا لجريانه من الجنوب الى الشمال مخالفا بذلك نهري دجلة والفرات، أنظر: عزت السعداني، "جنة..."، عن: مجلة تحقيقات، العدد مئة وثلاثة وعشرون، ص 17.

(4) سفر تكوين 2 : 10_14

* وهم: إيزيس إرتيميس ديانا سيلينيه، أنظر: فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص 476.

(1) نفسه، ص 481.

** تطرقنا اليه سابقا عند تناولنا للتقويم والاعيان اليهودية.

(2) سفر عزرا 5: 3.

(3) سفر حزقيال 81: 3.

(4) سفر أمثال 7: 20.

(5) سفر أشعياء 66: 23.

بنجمتين ثمانية رؤوس متداخلتين فيما بينهما وتارة على جبهات التيجان كتيجان بأكّة الرواق الذي يتقدم قاعة ضريح ريباخ ورشباخ.

اتخذ الهلال عدة أشكال من حيث الاستدارة والسمك، فقد تفنن الفنان في تشكيله والتنوع بهيئته وصوره وحتى المادة التي اتخذها منها، فقد ظهر تام الاستدارة من المعدن في بيماه ضريح ريباخ ورشباخ (شكل رقم 32، د')، ومنفرج منفذ على المربعات الخزفية بالإفريز الخزفي المطوق لنافذة ضريح ريباخ ورشباخ. قوام زخارف هذه المربعات الخزفية حزمة من ثلاثة أوراق محورة الجانبية منها معقوفة الرؤوس ومدبرة على غرار الوسطى التي توجت بهلال منفرج.

نستشف مما سبق أن الفنان اليهودي له قدرة على الاقتباس والتحويل فضلا عن التوظيف الهادف للعناصر الخزفية نلمس ذلك عند الاقبال على زهرة اللوتس واللالة وكوز الصنوبر عند زخرفة شاهد قبر رشباخ وضريح ريباخ ورشباخ، اذ كانت ترمز للتجديد والبعث.

وله مهارة في التحويل أصدق نموذج "المينورة" الشبيهة بالزهريّة و"المينورة" الشبيهة بالشجرة تتفرع منها أوراق الأكانتس، وتميز بقدرته في التصوير حيث جاءت العناصر الخزفية محاكية للطبيعة وخير دليل كوز الصنوبر بضريح ريباخ ورشباخ. وواكب التيارات الفنية الوافدة من الخارج كالطراز الرومي فاعتمده في الزخرفة الجصية للمعبد الكبير.

وعلى الرغم من تراجع الصناعة الرخامية خلال العهد العثماني حيث استعويض عن الصناعة المحلية واقل على الوافدة وهذا راجع لتلك العلاقات التجارية القائمة بين الإيالة والدول الأوروبية، مما ساهم في تسرب التيار الأوروبي المتجسد في تلك الأعمدة الرخامية والتيجان الكورنثية، الملحقة بالعمائر الدينية والمدنية الا ان النحات اليهودي تمكن وبجدارة من اكتساب الأساليب والتقنيات عند جلبه للمادة من ايطاليا وفقا لما دل عليه الشاهد التذكاري لكل من ريباخ ورشباخ فضلا عن شاهد قبر الحاخام ناتان المحفوظ بالمتحف الوطني للآثار.

وكذا بالمثل فيما يتعلق بالصناعة المعدنية وخاصة الذهب التي وصلت الى أوج تطورها على يد صناع يهود ليفورن الماهرة.

الخاتمة

من المتفق عليه أن استقرار أفراد الطائفة اليهودية بالمغرب الإسلامي عامة ومدينة الجزائر خاصة ارتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث السياسية بالدرجة الأولى فمنذ خراب الهيكل والهجرات تتدفق إلى المنطقة ولم تنقطع عنها بل امتدت إلى غاية سنة 1492م عند سقوط الأندلس، حينها شدد الرحال إليها فقدم عدد هائل من أوروبا كالأراضي المنخفضة وإنجلترا، وفرنسا، وإسبانيا.

وفي الدرجة الثانية العامل الاقتصادي فنظرا لازدهار نشاط الجهاد البحري وما يعود به من الغنائم البحرية والأسرى فضلا عن التجارة واستتاب الأمن بالمدينة تداعى صداها فاقبل عليها عدد لا بأس به من يهود فرنسا وصقليا بالإضافة إلى العدد الهائل النازح من المدن الإيطالية كجنوة و البندقية وليفورنة طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر. نتج عن هذه الهجرات تنوع عرقي داخل الطائفة نفسها بمدينة الجزائر فعند استتطاقنا لوثائق المحاكم الشرعية توصلنا إلى ألقاب متباينة منها ما تدل على معاني لهجات محلية مما يدل على اقدميتها بالمنطقة من جهة وانصهارها وذوبانها من جهة أخرى نذكر منها: علواش وخروبي، ومنها ما تعود إلى أصول عربية ك: بلخير، ميمون، عمار، حنون. ومنها ما حافظت على الصبغة العبرية فتجلت في كل من: شالومو، شمعون، موشي، فضلا عن الألقاب الدينية التي التزم البعض منهم بحملها لدلالاتها دينية إذ كانوا يتبركون بها من أبرزها: ليفي وكوهين.

ودون غض النظر عن الألقاب الأجنبية على رأسها الإسبانية التي حملها اليهود الفارين من إسبانيا وتمثلت في كل من: دوران، بن ساخو، بن ازيلو، وكذا بالمثل العائلات القادمة من ليفورن اذ حملت هي الأخرى ألقابا ذات أصول ليفورنية نذكر منها: بلنسي، بن جورنو، ماشطو.

شكلت هذه الأسر السالفة الذكر مجموعات داخل الطائفة فالمجموعة المنصهرة في المجتمع عرفت بـ"التوشابيم" بمعنى البلديين، شهدت تراجع في الجانب الديني والثقافي وذلك راجح لتلك الاضطرابات التي عصفت بالمنطقة قبل إلحاقها بالدولة العثمانية.

ومن تم تفوقت عليها جماعة أخرى تعرف بـ"الميكورسيم" يقصد بذلك تلك العائلات الحاملة للألقاب الأوروبية النازحة من الأندلس، تمكنت وبجدارة من فرض ثقافتها وعاداتها، وادارت شؤون الطائفة بعد توليها "منصب المقدم"، وبذلك احدثت تغييرات جذرية فيما يتعلق بنظام الأسرة والميراث، وبرز في هذا المجال مجموعة من الحاخامات من أبرزهم: "ريباخ" و"رشباخ".

نزعت مقاليد السلطة منها على يد "الليفورنيين" وذلك بعد استمالتهم للحكام واستغلالهم لنفوذهم اذ اكتسبوا نفوذا اقتصاديا فاحتكروا الصنائع المدرة للأموال وانفردوا بأسواق خاصة كسوق "الصاغة اليهود" و"العطارين اليهود"، وأداروا التجارة الخارجية للبلاد التي تولاهما تجار ليفورن بكري وبوشناق.

ساهمت هذه الجماعات في تغيير طبغرافية المدينة وذلك عن طريق اتخاذ كل منها حي خاص بها ومن تم نجد: استقرار "التوشابيم" في كل من "زنقة الجرابة" و"زنقة حنون"، اما "الميكورسيم" فأقاموا بـ"زنقة سبع لويات" فيما انفرد الليفورنيين بـ"زنقة الفورنيين" من غير المستبعد أن تشتمل هذه الأحياء السالفة الذكر على معبد ومذبح شرعي وحمام وفقا لما كان يندد به حاخاماتهم، نستدل بـ "زنقة الجرابة" و"زنقة سبع لويات" التي اشتملت على أكثر من معبد فيما انفردت هذه الأخيرة بمذبح شرعي، فضلا عن "زنقة البوزة" التي اشتملت على حمام خاص بالطائفة.

الجدير بالذكر أن هذه الأحياء لم تكن أحياء يهودية خالصة بل ذات كثافة سكانية يهودية نظرا لامتلاك عليا القوم من حكام وعناصر الجيش دورا لهم بها ومن أبرزهم: حسان باشا ومصطفى باشا فضلا عن عمر الانكشاري.

تسلما لما سبق نفند الانعزال والتقوقع وان وجد في "زنقة الفورنيين" و"زنقة حنون" يعود الى عوامل ببيكولوجية خاصة بالأقليات، وذلك ما نلمسه في "يهود ليفورن".

وما يدعم ذلك انتشار أفراد الطائفة بالقسم السفلي اذ اتخذوا ملكيات ومحلات تجارية تبعا لما دلت عليه وثائق المحاكم الشرعية، فمن المتعارف عليه أن هذا القسم هو القلب النابض للمدينة تبعا لاشتغاله على مؤسسات دينية وادارية وعسكرية واقتصادية هامة،

فضلا عن اقامة أعيان القوم به سواء من رياس بـ"حي البحرية" أو عناصر الجيش بـ"زنقة البوزة" فضلا عن الطبقة الحاكمة بـ"الجنيّة"، مما يوحي بنفوذ الطائفة اليهودية حيث سمح لهم بممارسة نشاطهم التجاري في مختلف الاسواق والاستقرار بها ك: سوق العطارين، سوق الحاشية، سوق السمن، سوق الكبير، سوق الملح، وغيرها. بالإضافة لاتخاذهم أسواق خاص بهم ك: "سوق العطارين اليهود" و"سوق الصاغة اليهود"، وانفردا وجهائهم بالاتخاذ دور لهم بفحص المدينة فمن أبرز الدور دار بن دوران بفحص باب الوادي.

استنادا على ما سبق فان انتشارهم بالمدينة تماشى مع مصالحهم الشخصية سواء المادية أو السياسية أو حتى الدينية، فمن تم نجدهم في احتكاك دائم بالطبقة الحاكمة، مسيطرون على المراكز التجارية الحيوية للمدينة، مما سمح لهم في الانخراط مع مختلف شرائح المجتمع وانعكس ذلك بدوره على الأسرة اليهودية عامة والمرأة اليهودية خاصة فبفضل الشرائع الإسلامية خرجت المرأة اليهودية من القوقعة التلمودية فأمست بالمالكة للعقارات بعد أن كانت الأم الحاضنة بفضل التعديلات التي أدخلت على التشريع تأثرا بالإسلام حيث ورد في إحدى الوثائق العبارة التالية: "...بعدالة المسلمين...".

وفقا للمعطيات السالفة الذكر نجد أن الطائفة اليهودية تمتعت بحرية التشييد كون الحي اليهودي تضمن على معبد أو أكثر فضلا عن الحمام والمذبح الشرعي دون غض النظر عن الدور التي أقاموها بفحص المدينة كما سبق الإشارة الى ذلك آنفا. على ما يبدو أن عملية التشييد ارتبطت ارتباطا وثيقا بعلاقتهم مع الحكام ونفوذهم والدليل على ذلك سخط شوفاليه خلال القرن 10هـ/16م من اكتظاظ المعابد بالمؤمنين بينما في القرن 11هـ/17م نشطت حركة التشييد حيث بلغ عدد المعابد إلى ما يقارب عشرة أو إحدى عشر معبد، وامسى الحي الواحد يتضمن لأكثر من معبد لا وبل أقيمت معابد خاصة كـ"شنوغة الليفورنيين" بحيهم الخاص.

ومن جملة الامتيازات التي تمتع بها اليهود خلال هذه الفترة توسيع مقبرة "مدارش" على حساب قطعة أرض كانت ضمن أوقاف الجامع الأعظم، منحها الحاج شعبان باشا لليهود لغرض توسيع مقبرتهم التي ضاقت عليهم مقابل تنازلهم عن الدار المعروفة بـ"دار الفار" لصالح الجامع الأعظم، وكان ذلك بعد موافقة المجلس العلمي، بالإضافة لاقتطاع قطعة أرض لصالح يهود ليفورن عرفت بـ"مقبرة بكري" سنة 1794م، تزامنا مع فترة حكم الداى حسان باشا الذي جمعته علاقة طيبة مع هذه العائلة، ومن تم استحوزا اليهود على ثلاثة مقابر تمثلت في كل من: مقبرة "ريباخ" التي تعود إلى سنة 1394م و"مدارش" و"بكري" جعلت خارج باب الوادي.

على ما يبدو أن العماثر الدينية المتجلية في المعابد قد حظيت بالاهتمام أفراد الطائفة فضلا عن المقابر وذلك راجع إلى تعدد الأحياء وارتفاع الكثافة السكانية من جهة والتباين في التشريعات الدينية بين "الميكورشيم" و "الليفورنيين" من جهة أخرى.

إن تمحصنا في هذه المعابد لوجدنا أنها قائمة على "الطرارز المسجدي" المشبع بالملامح الأندلسية والعثمانية، إذ جاءت مزدانة بالكسوة الخزفية والأعمدة الرخامية الحلزونية بالإضافة للعقود المنكسرة المتجاوزة الحاملة للسقف الخشبي المستوي والأوتاد الخشبية التي تتدلى منها فوانيس أو ثريات، تفتح بجدرانها نوافذ مسيجة، غالبا ما تخلو من السدة والمذبح حيث يتم استبداله بمكان لتلاوة التوراة، يعرف بـ "بيماه"، وكذلك "الهيكل" إذ يستبدل بخزائن جدارية تحاط بقاعة العبادة، فالجدير بالذكر أن معابد مدينة الجزائر تتسم بالبساطة شبيهة لحد بعيد بمساجدها القائمة على الطراز المحلي، وخير دليل معبد سبع لويات المشيد عند مطلع القرن 10هـ/16م.

امتد هذا الطراز إلى غاية القرن 18م حيث اقبل على "الطرار الكنائسي" الشبيه بالمساجد القائمة على الطراز الوافد المتأثرة بالكنائس البيزنطية إلا أنه لم يتخلى عن الملامح الأندلسية فتجلت في الكسوة الجصية مثلما جسدا بالمعبد الكبير.

على ما يبدو أن الفنان اليهودي ولع بالطراز الأندلسي حيث أقبل عليه في تشييده لضريح الحاخامين "ريباخ ورشباخ" وهذا ما يدل على تعلقه به تماشيا مع ما هو سائد من جهة، فضلا عن حنينه للوطن فقد قيل أن يهود غرناطة ابقوا على مفاتيح منازلهم أملا في العودة إليها، ومن غير المستبعد الاعتماد على حرفيين أندلسيين فمن المتعارف عليه أن أهل الأندلس أهل صنائع.

وفيما يخص العمارة المدنية المتمثلة في كل من "دار بكري" و"دار دوران" نستبعد كون منازل المدينة سواء داخل أسوارها أو خارجها تخط على نفس الطراز.

وما يسعنا القول إلا أن اليهود ليس بأهل عمارة فقد عجزوا عن الاتيان بطراز خاص بهم ومن تم لم يساهموا في ادخال أي تقاليد معمارية على غرار "الجنيزة" الملحقة بالعمائر الدينية كمعبد سبع لويات ومعبد الكبير، فضلا عن ضريح ريباخ ورشباخ، وقبلًا بمقبرة "ريباخ"، الملفت للانتباه تباين شكلها بين الخزانة الجدارية والقبو والجرة و الغرفة.

وفيما يتعلق بالفن فإننا نقر بمهارة الفنان اليهودي في الاقتباس والتحويل ومحاكاة الطبيعة فضلا عن التوظيف الهادف للعناصر الزخرفية نلمس ذلك عند الاقبال على زهرة اللوتس واللالة وكوز الصنوبر في زخرفته لـ"شاهد قبر رشباخ" بالإضافة لـ"ضريح ريباخ ورشباخ"، اذ كانت ترمز للتجديد والبعث.

وعند الاعتماد على شبكة من الاشكال كنجمة داوود ونجمة ثمانية الرؤوس والهلال بالإضافة للمينورة وشجرة اليهود للدلالة على الخلاص والخلود، وهنا يبرز اسهامات الفنان فقد تمكن وبجدارة من خلق فن رمزي وليد الفكر اليهودي المتشبع من الفكر الغنوصي الذي بلغ بدوره أوج ازدهاره لما ألحق بالتصوف اليهودي واتسقا في أكمل صورة في حركة "القابالاه".

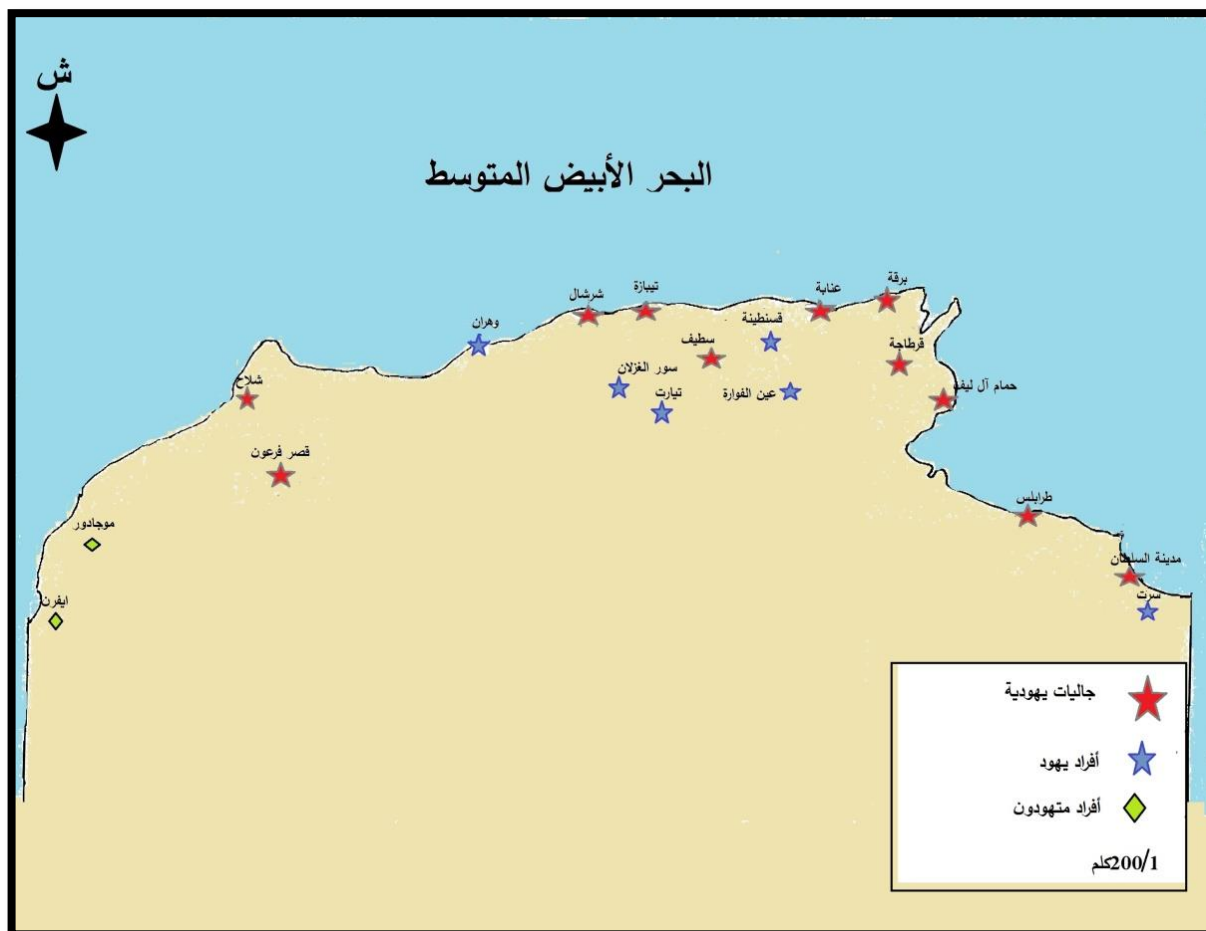
وعصارة القول أن لليهود له قابلية الانحلال والانصهار مع المجتمع ذلك ما انعكس على الجانب المعماري والفني، وحتى الفكري اتسق لنا ذلك في بعض الممارسات كتقديس المياه والمغارة وأصدق نموذج تقديس مياه ينبوع المغارة القريبة من ضريح "الربي افريم عنقاوة" بتلمسان وكذا بالمثل التبرك بالأسلاف المتجسدة في "الهيلولة" سواء هيلولة "الربي افريم عنقاوة" أو "الحاخامين ريباخ ورشباخ"، وهذا راجع للتأثر والتأثير إذ أن هذه المعتقدات ذات أصول وثنية عرفت انتشارا في شمال افريقيا منذ عهود غابرة، فالمغربي القديم تعلق بالمغارات منذ ما قبل التاريخ وعكف على عبادتها خلال الفترة الرومانية تزامنا مع المسيحية، ومن شدة التعلق بها عرفت المقبرة اليهودية في المغرب الإسلامي بـ "المعيارة".



ملحق الوثائق



ملحق الخرائط



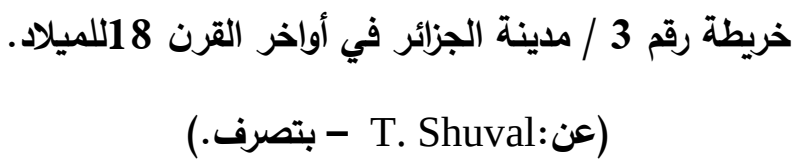
خريطة رقم 1/ اليهود في شمال إفريقيا خلال العهد الروماني.

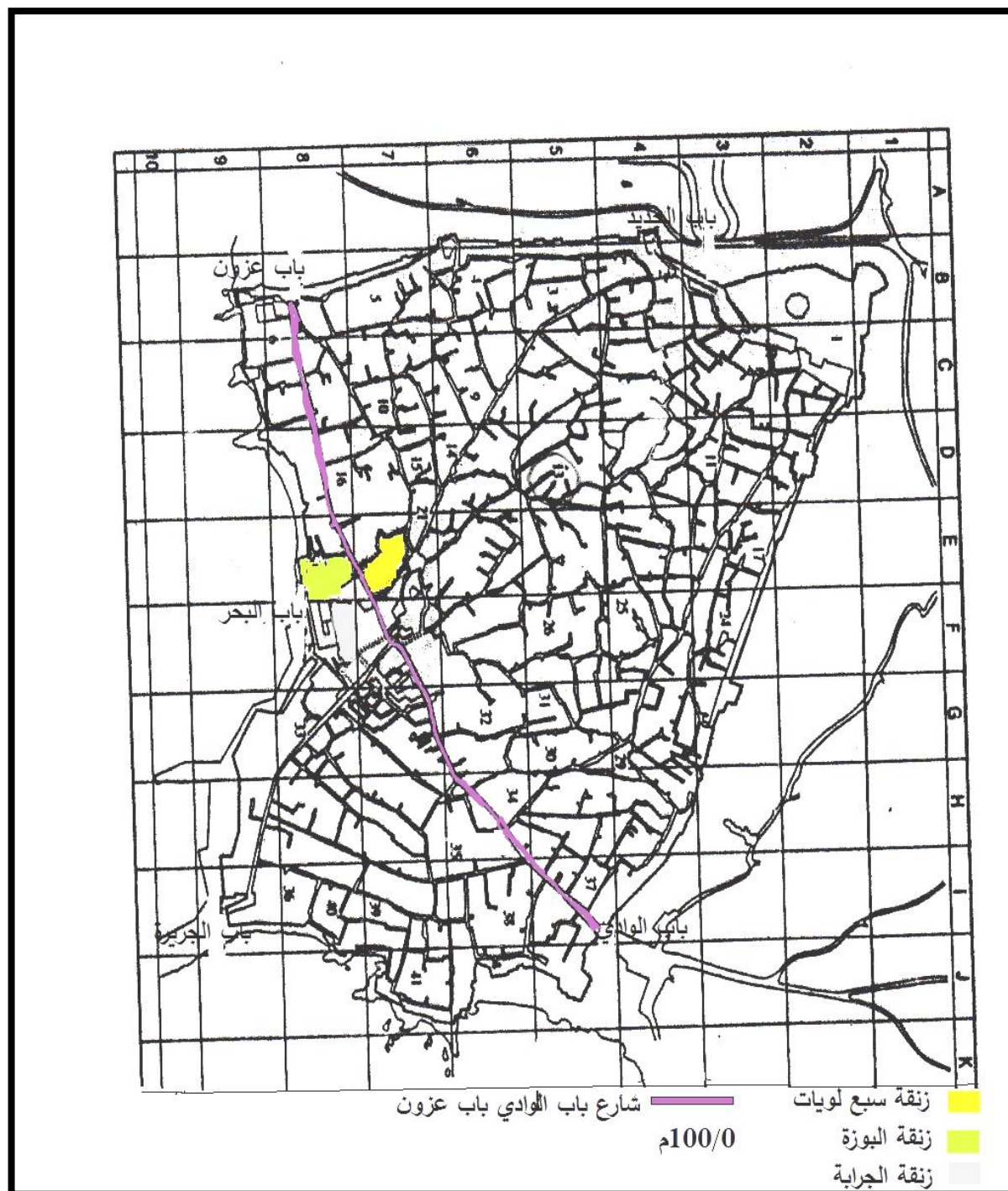
(عن: Y. Le Bohec - بتصرف.)



خريطة رقم 2/ مدينة الجزائر خلال القرن 7 للميلاد.

(عن: حليمي- بتصرف.)



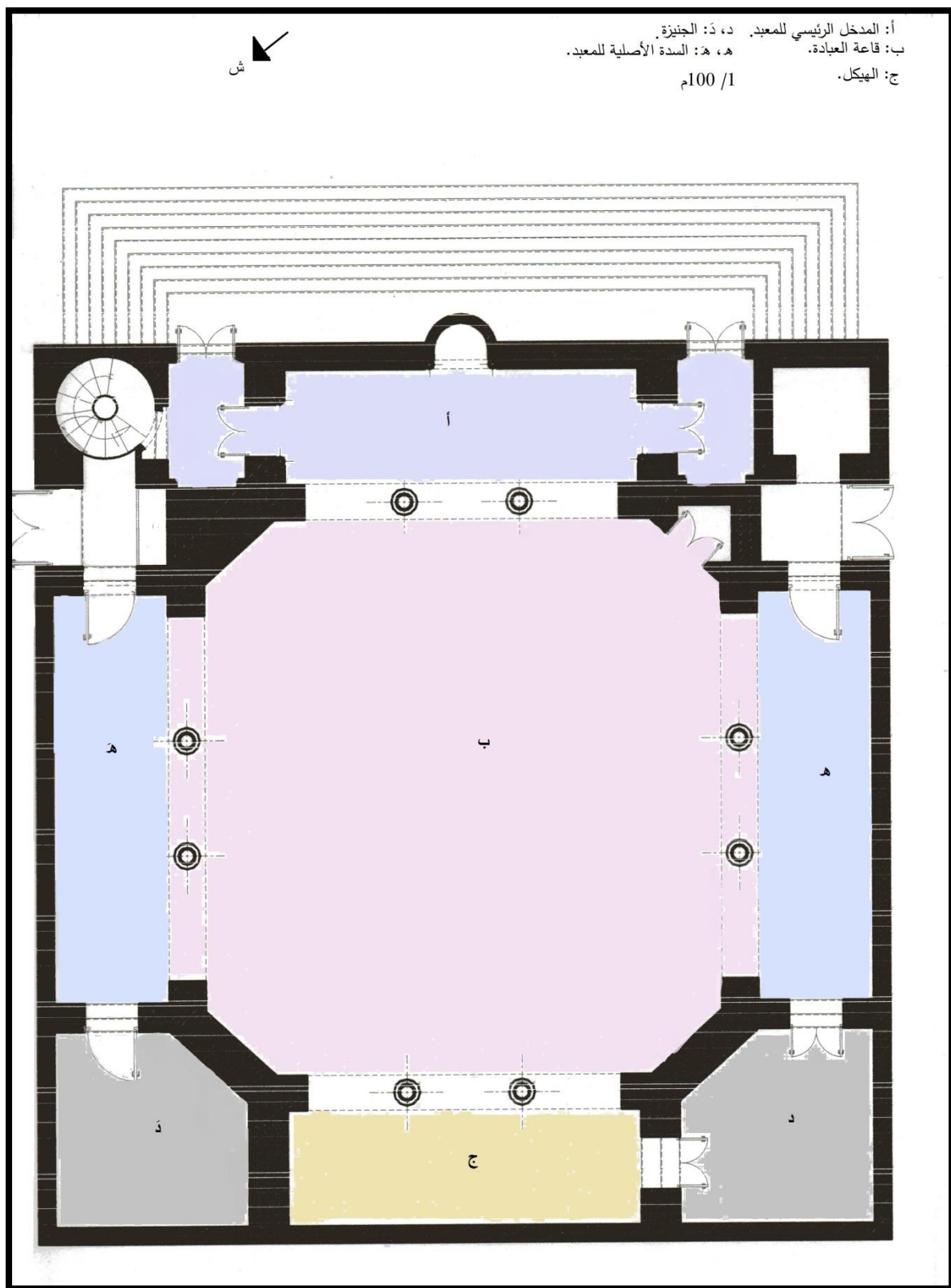


خريطة رقم 4 / الأحياء ذات كثافة اليهودية.

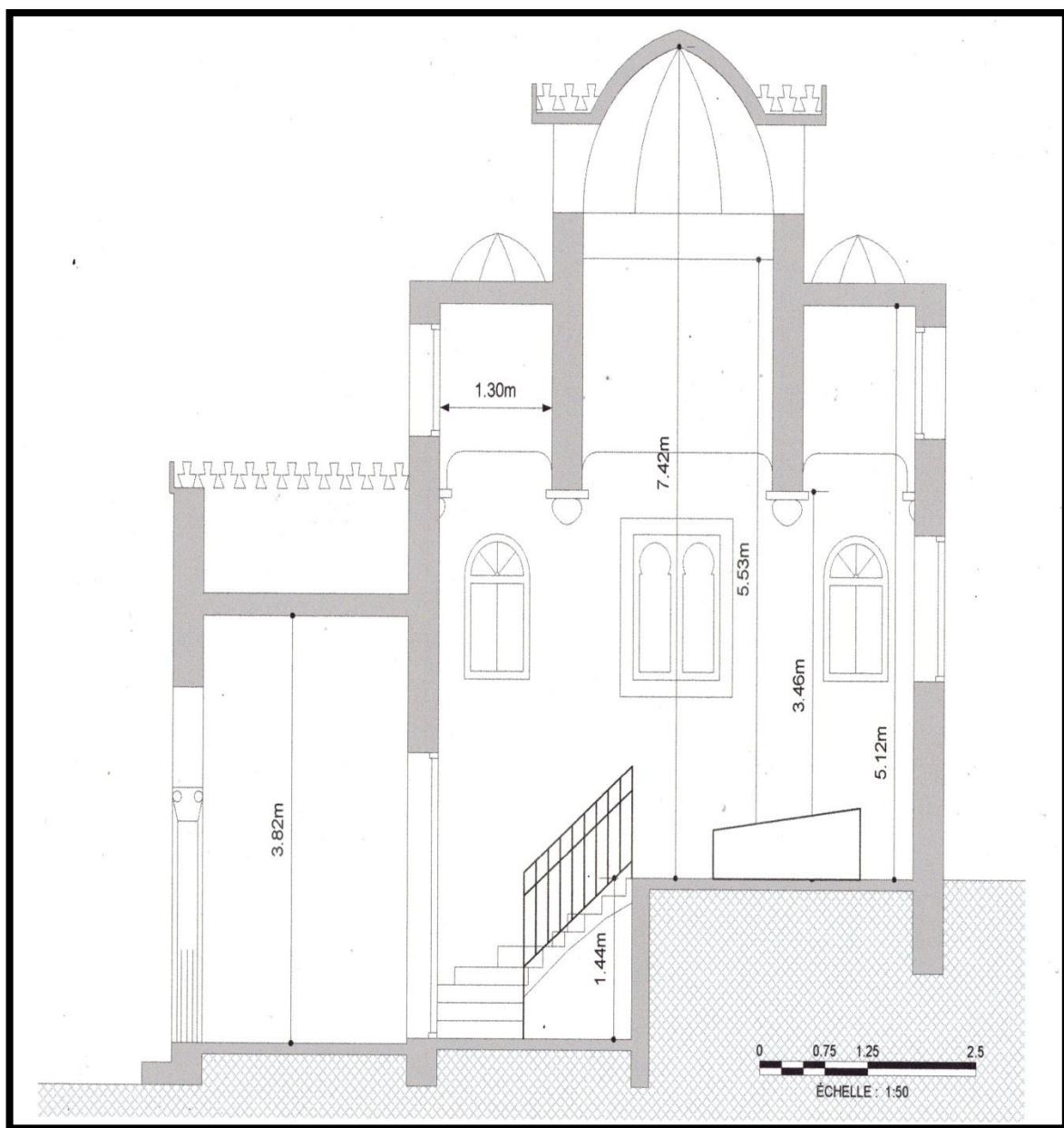
(عن: T. Shuval - بتصرف.)



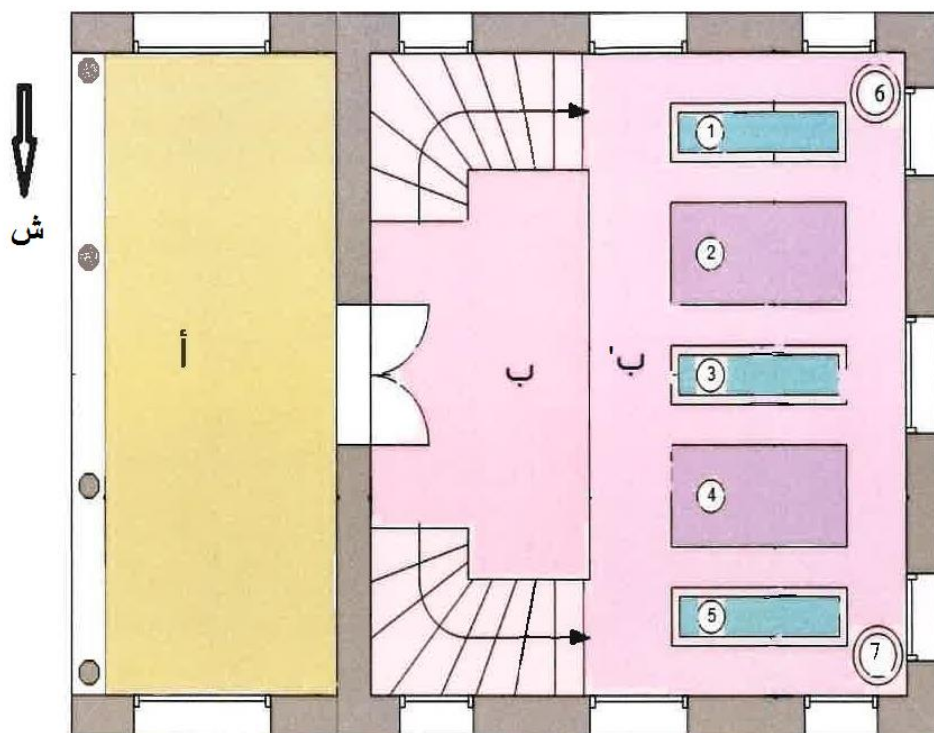
ملحق المخططات



مخطط رقم 1 / المعبد الكبير.



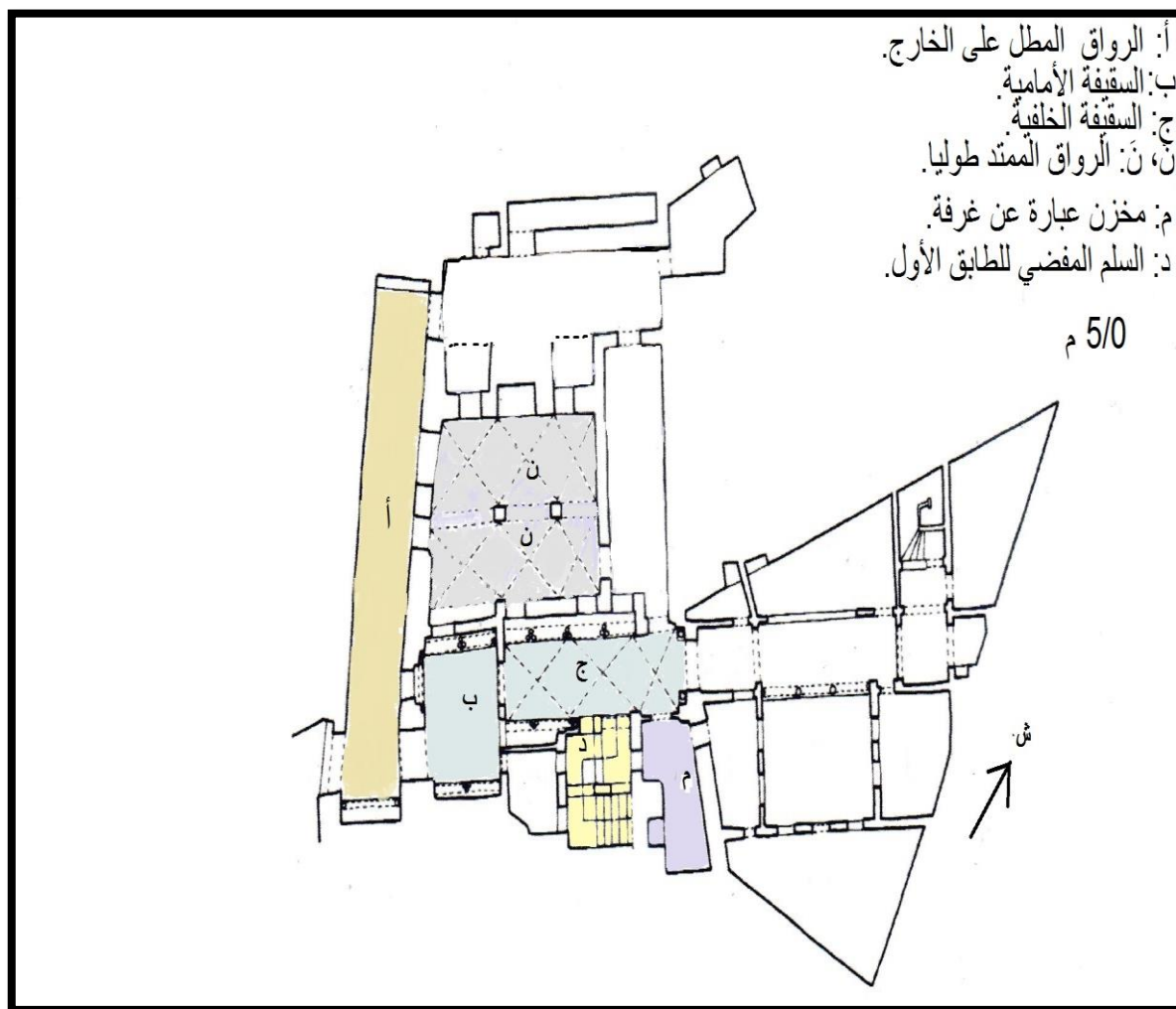
مخطط رقم 2/ مقطع طولي لضريح ريباخ ورشباخ



1 \ 50م

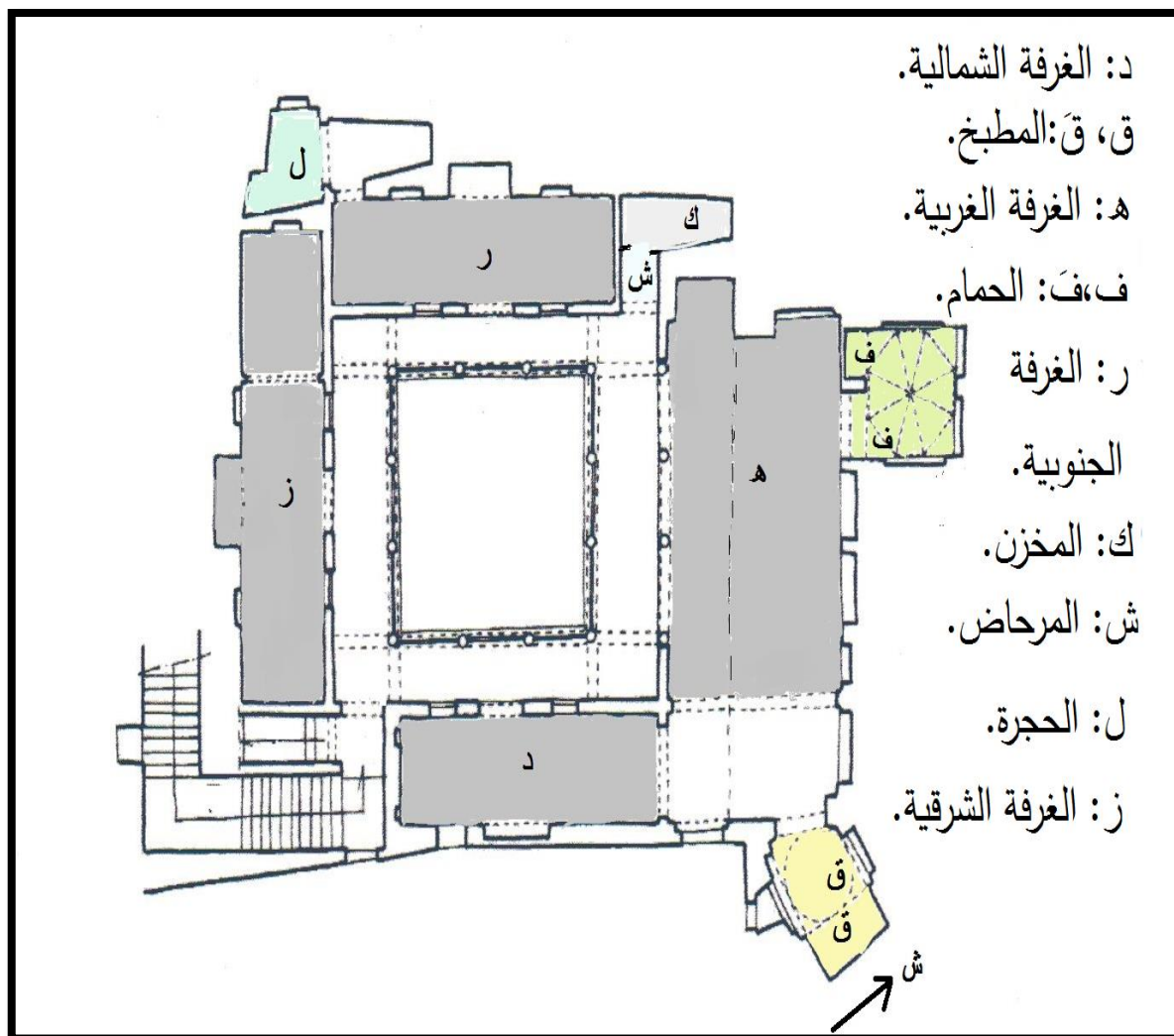
- أ: الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح.
 ب: القسم الأول من قاعة الضريح.
 ب': القسم الثاني من قاعة الضريح.
 1، 3، 5 : الجنيزا.
 2: قبر رشباخ.
 4: قبر ريباخ.
 6، 7 : المزهريات ذات الأعمدة الرخامية.

مخطط رقم 3 /ضريح ريباخ ورشباخ.



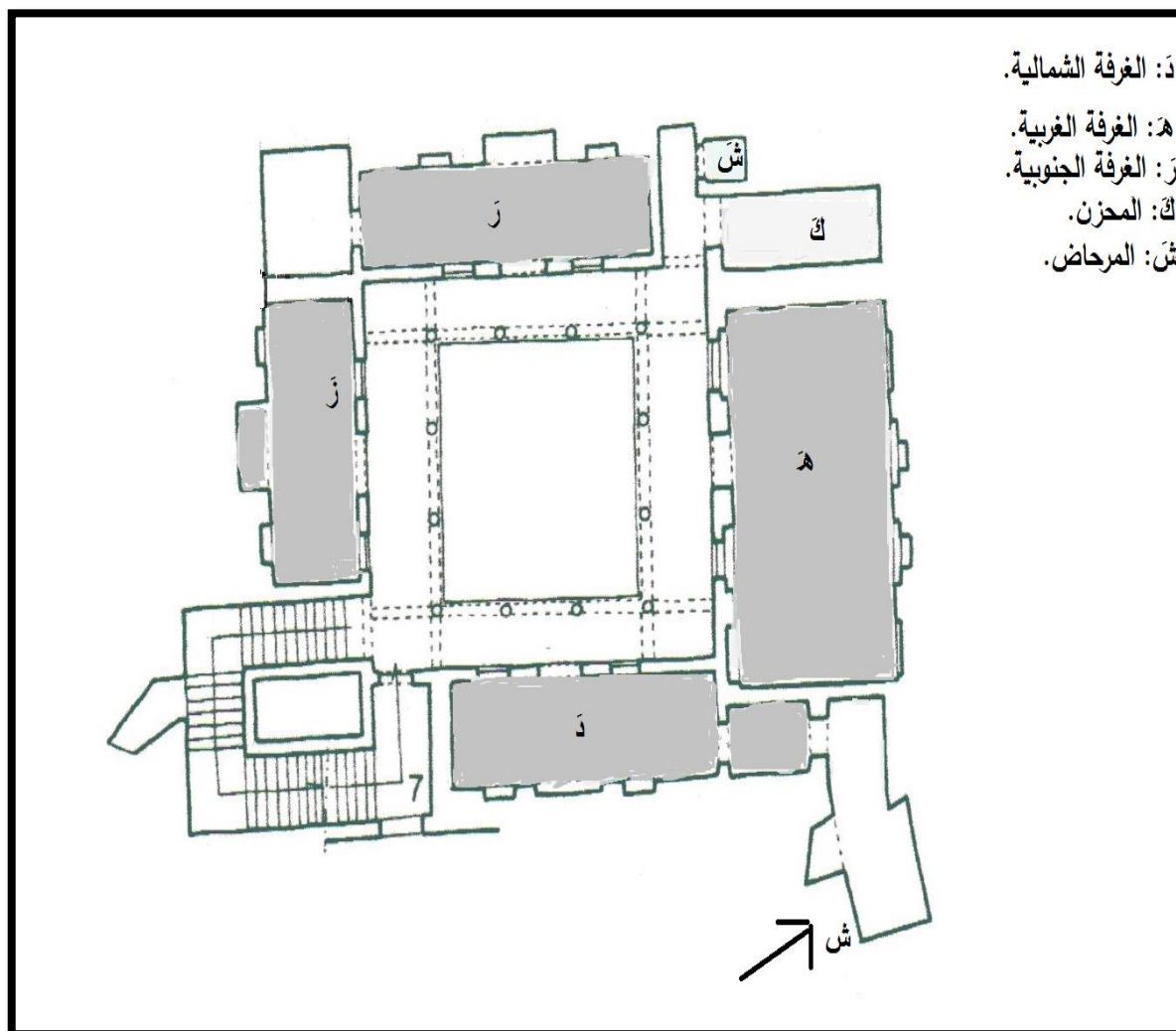
مخطط رقم 4 / المستوى الأرضي - دار بكري.

(عن: ميسوم - بتصرف)



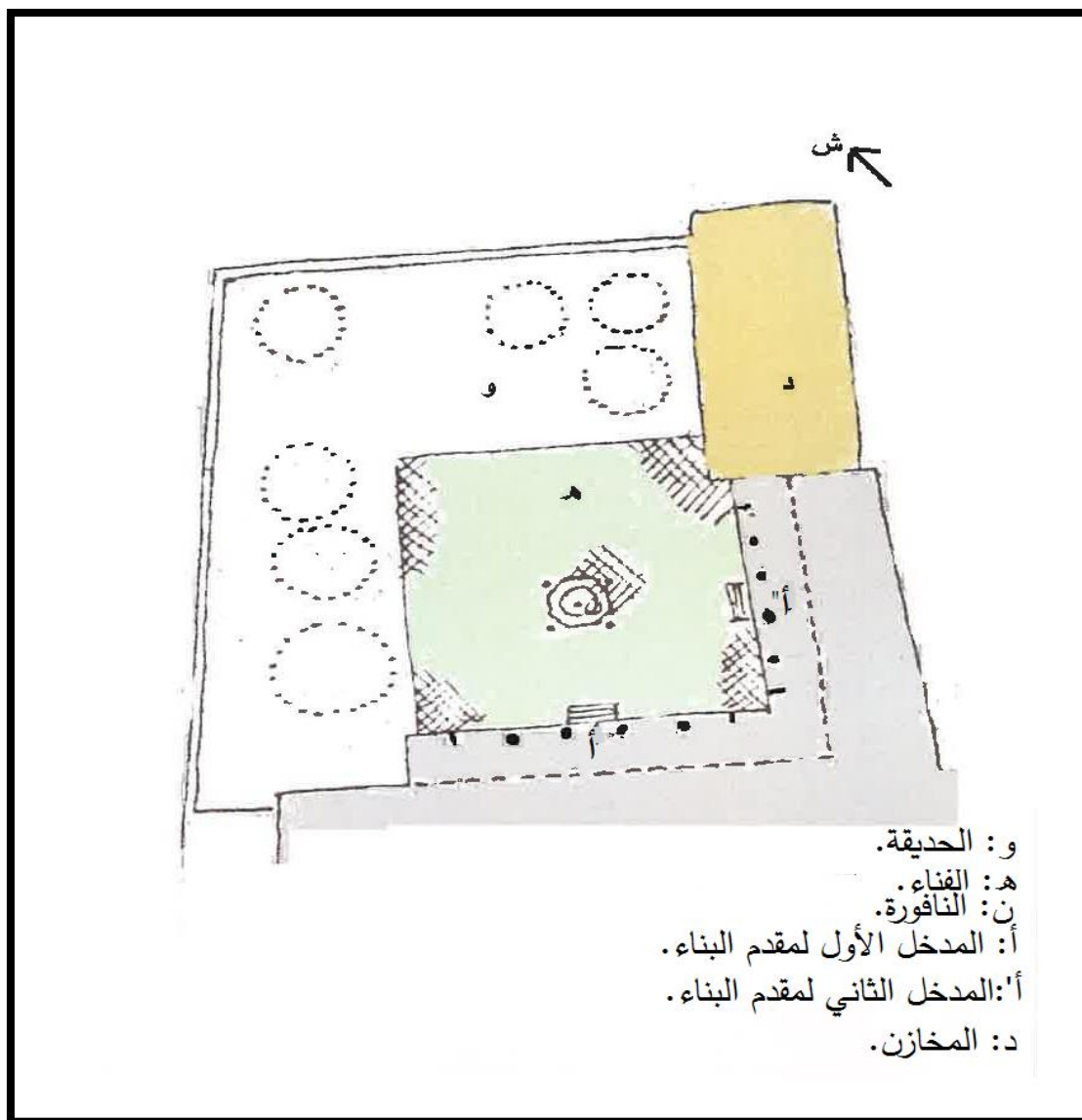
مخطط رقم 5/ الطابق السفلي - دار بكري.

(عن: ميسوم - بتصرف)



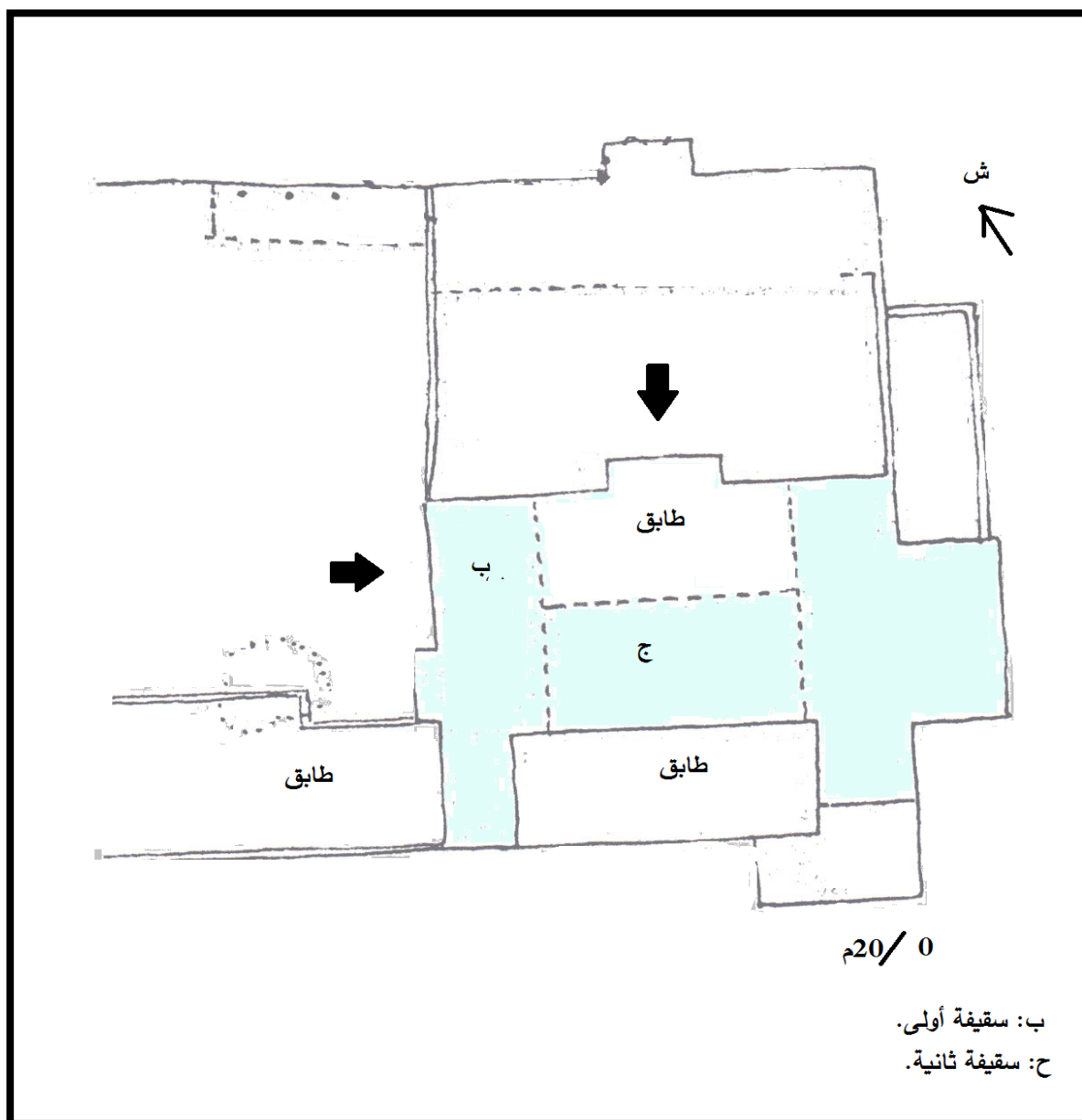
مخطط رقم 6/ الطابق العلوي - دار بكري.

(عن: ميسوم - بتصرف)



مخطط رقم 7 / الطابق السفلي - دار دوران.

(عن: مصلحة الأرشيف)

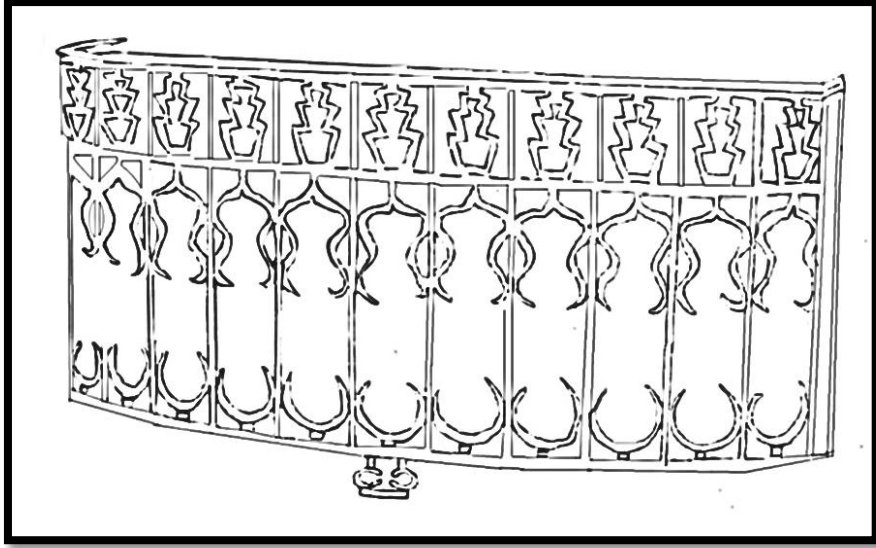


مخطط رقم 8 / الطابق العلوي - دار دوران.

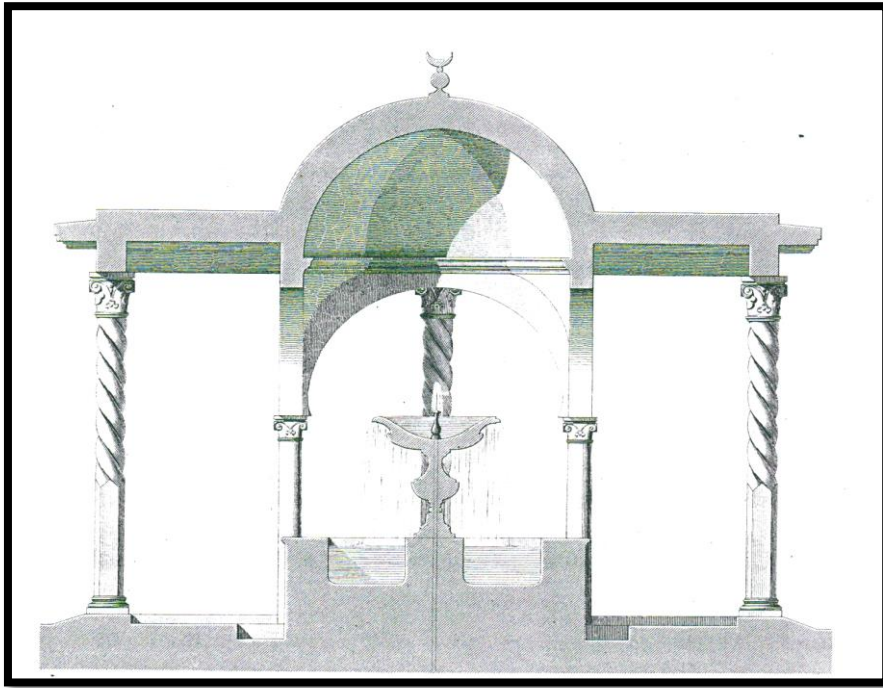
(عن: مصلحة الأرشيف)



ملحق الأشغال

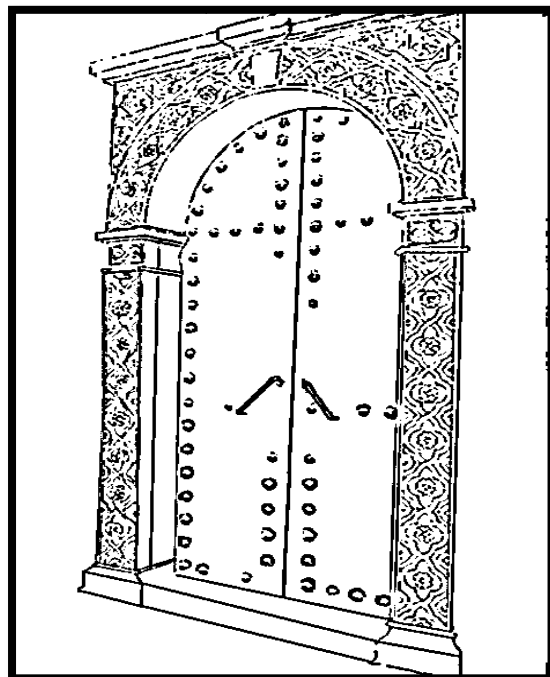


شكل رقم 1: دوخان-ضريح ريباخ ورشباخ-



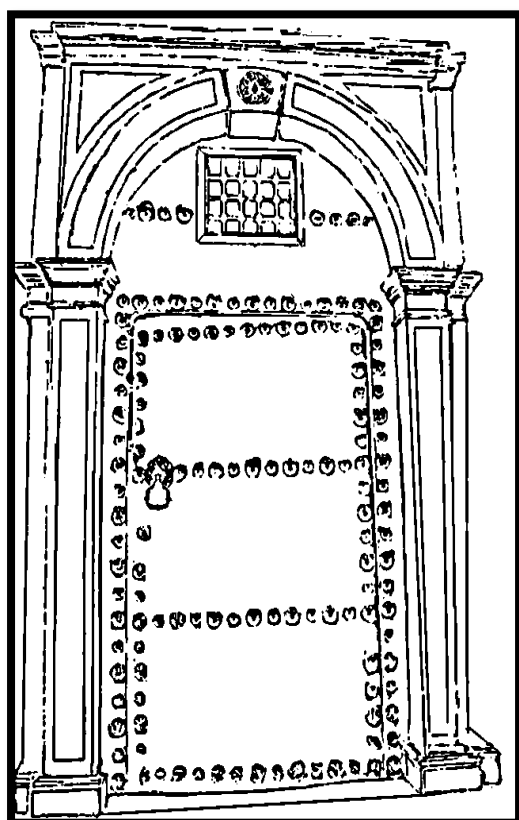
شكل رقم 2: نموذج لنافورة ملحقة بدار الفحص

-عن رافوازيه-.



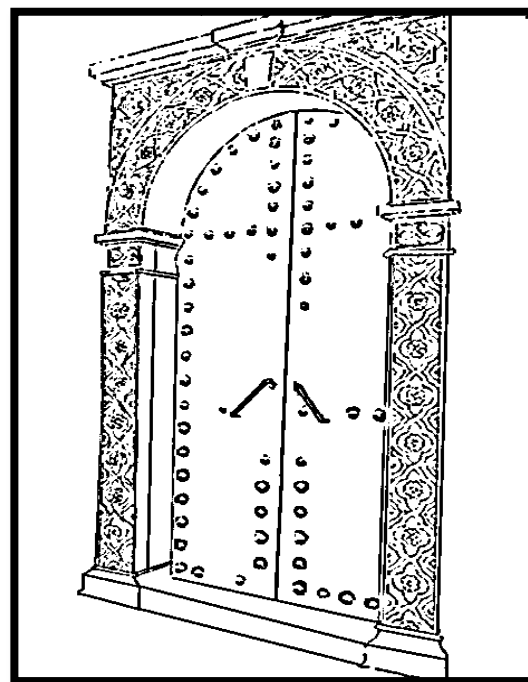
شكل رقم 3: مدخل بإطار رخامي

-ضريح ريباخ ورشباخ-



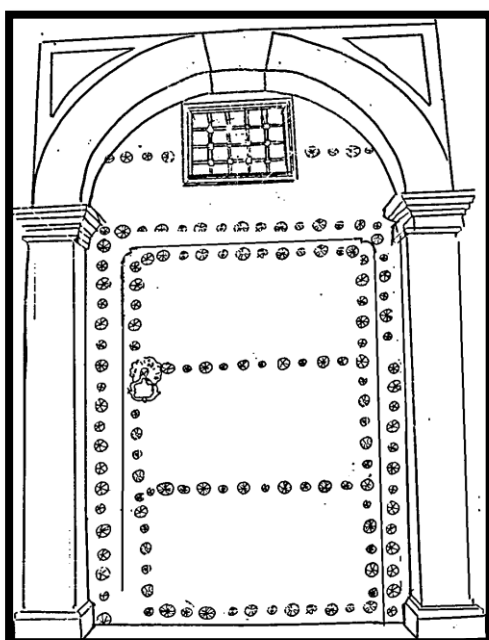
شكل رقم 4: مدخل بإطار رخامي

-دار بكري-



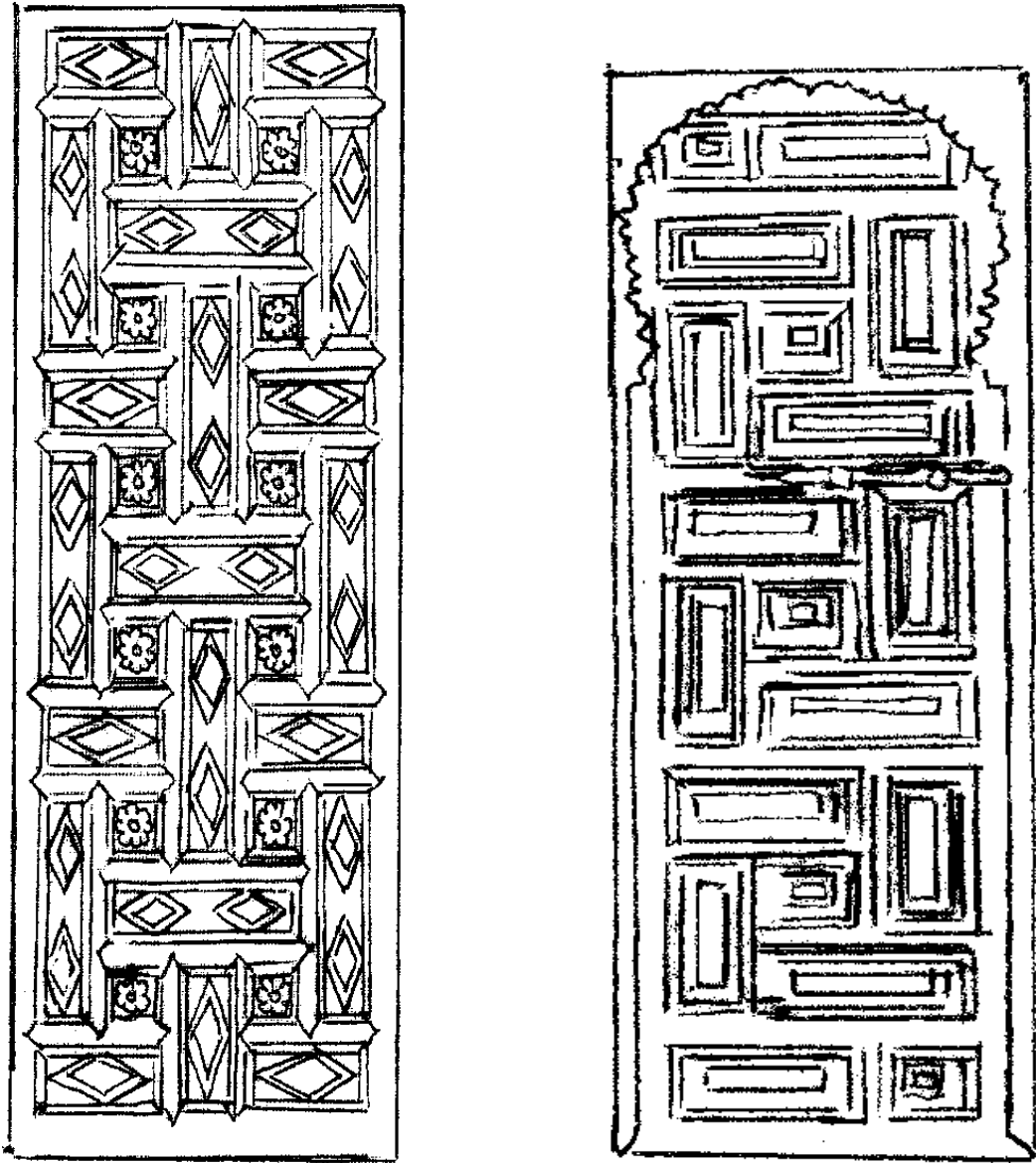
شكل رقم 5: باب معدني بمصرعين بزخارف بارزة

-ضريح ريباخ ورشباخ-

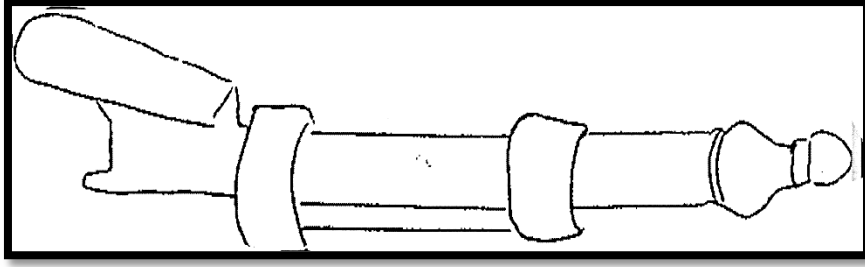


شكل رقم 6: باب خشبي بزخارف بارزة

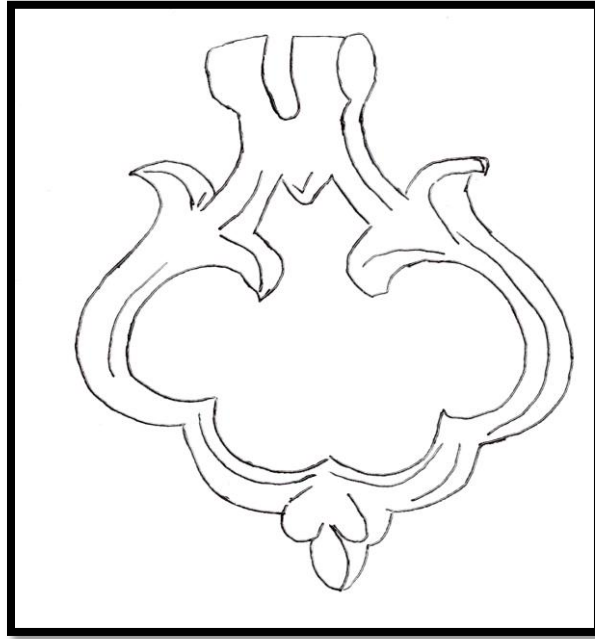
-دار بكري-



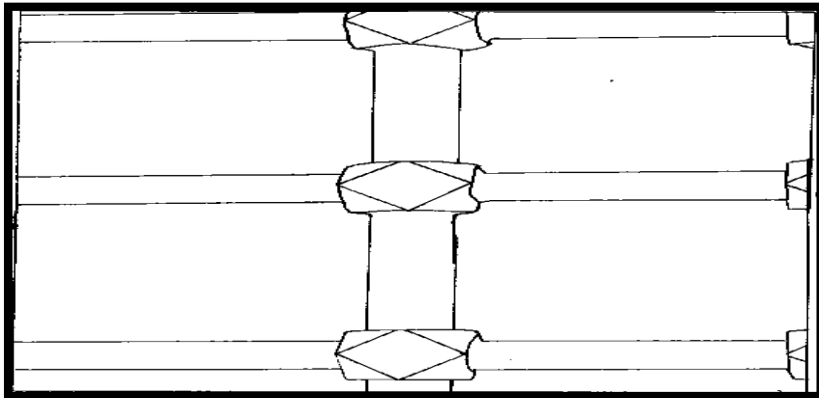
شكل رقم 7: أنواع الزخرفة بالحشوات بالأبواب الخشبية الملحقة بالدور-دار بكري-



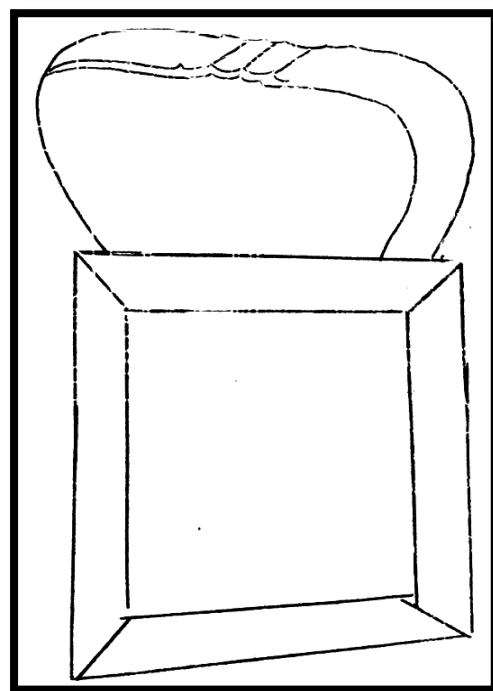
شكل رقم 8: مزلاج الأبواب.



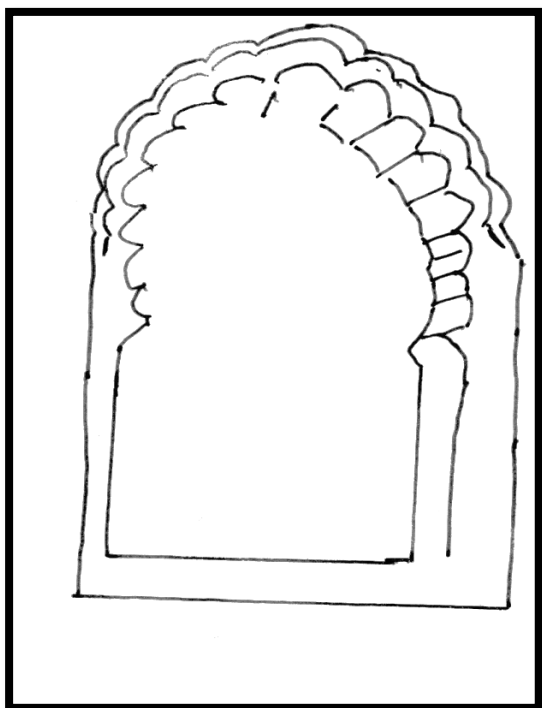
شكل رقم 9: مطرقة باب ذات زخارف نباتية.



شكل رقم 10: قضبان نوافذ بزخرفة هندسية

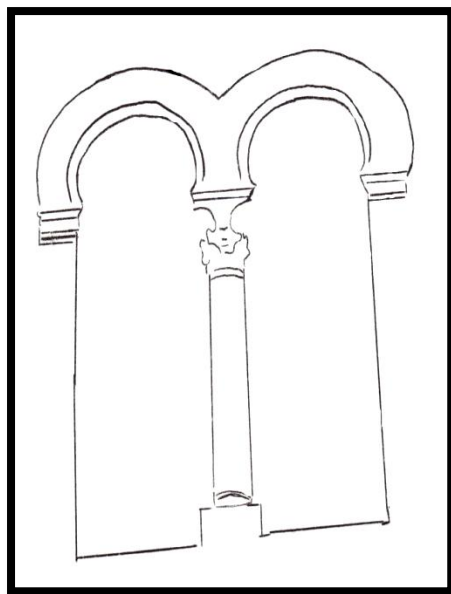


-دار بكري-

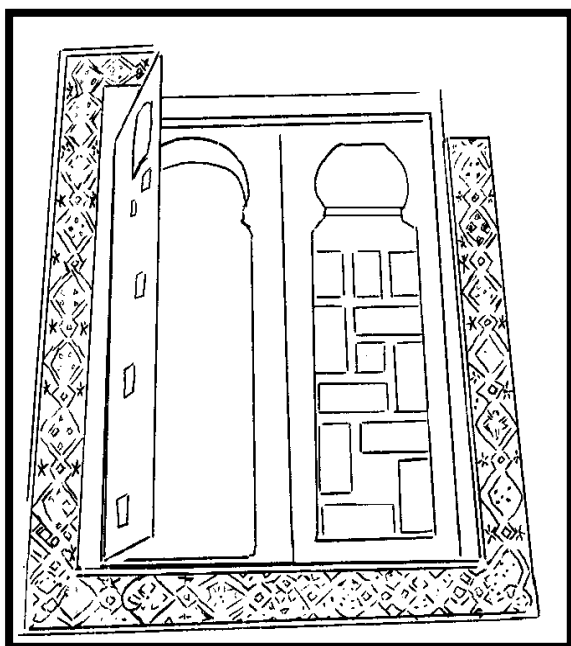


-المعبد الكبير-

شكل رقم 11: أنواع الخزائن الجدارية.

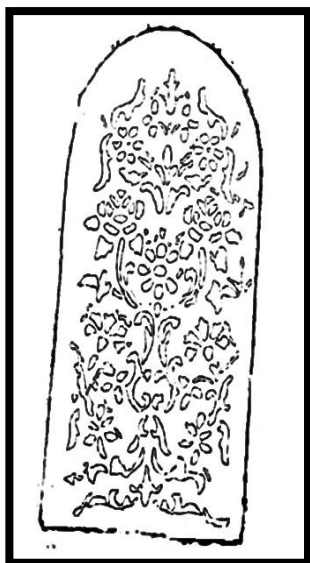


-المعبد الكبير -



- ضريح ريباخ ورشباخ -

شكل رقم 12: أنواع النوافذ.



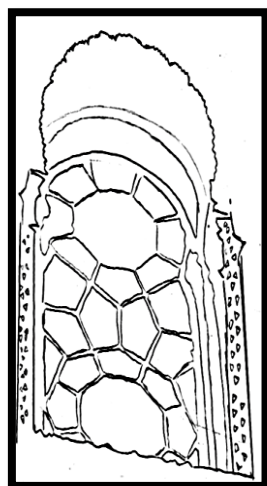
-ضريح ريباخ ورشباخ-



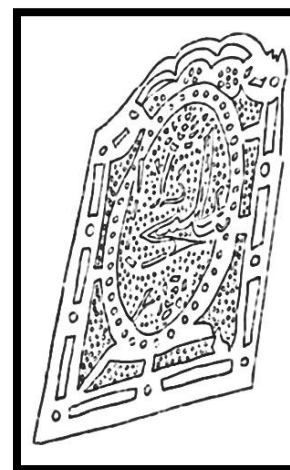
-دار بكري-



-دار بكري-

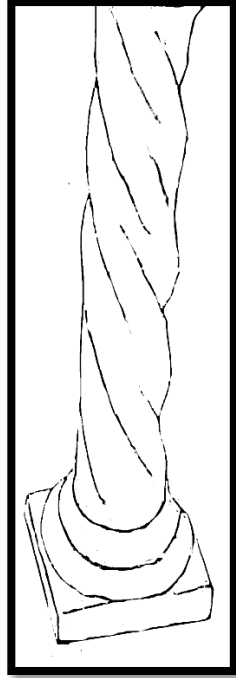


--دار بكري-

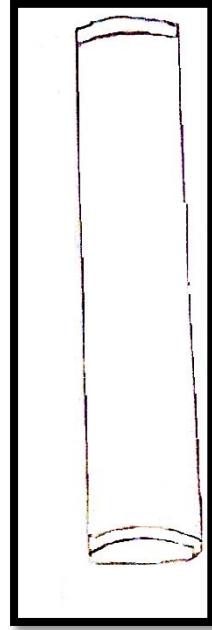


-المعبد الكبير-

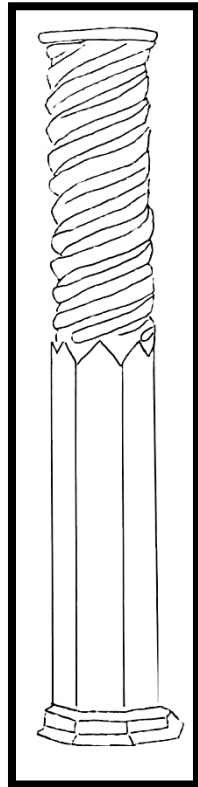
شكل رقم 13: أنواع الشمسيات.



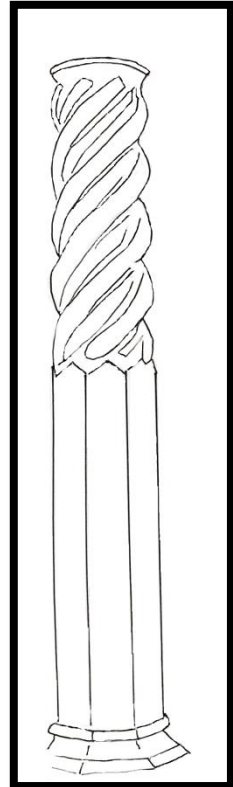
(ب)



(ا)

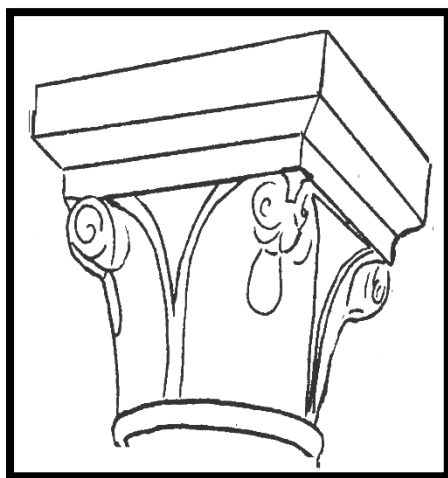


(ج')

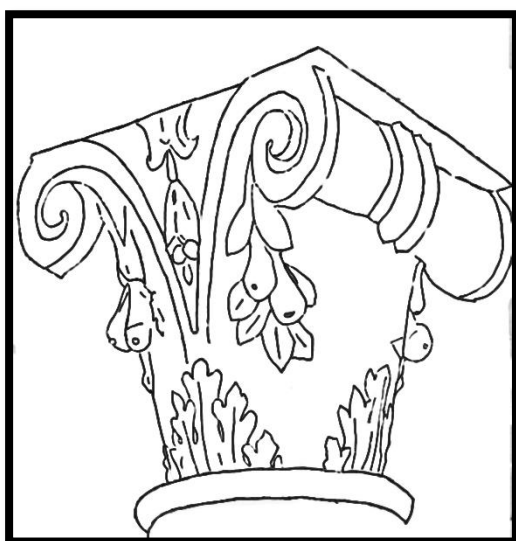


(ج)

شكل رقم 14: أنواع الأعمدة.



(أ)

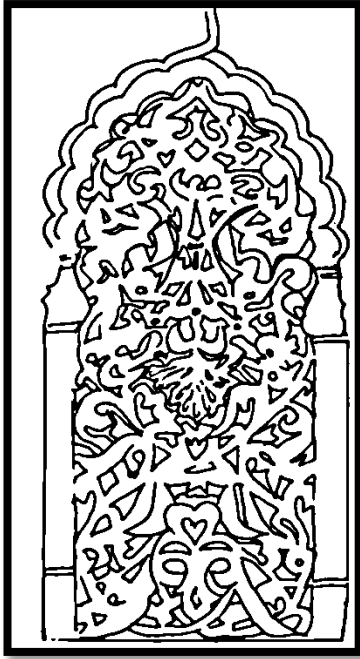


(ب)

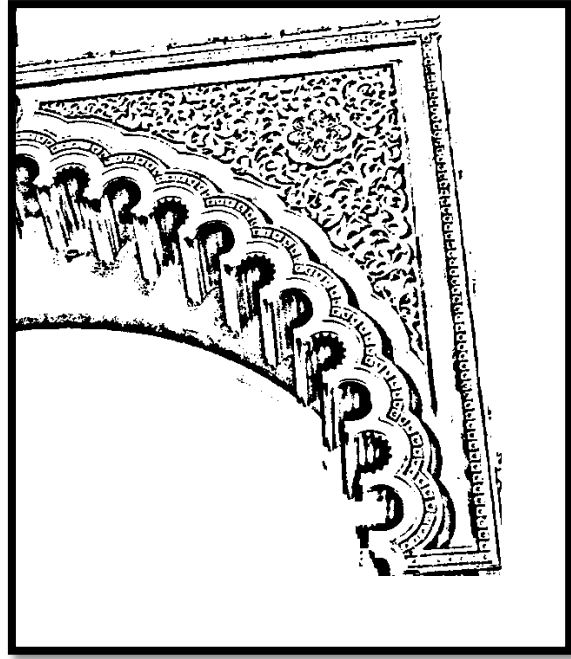


(ب)

شكل رقم 15: أنواع التيجان.

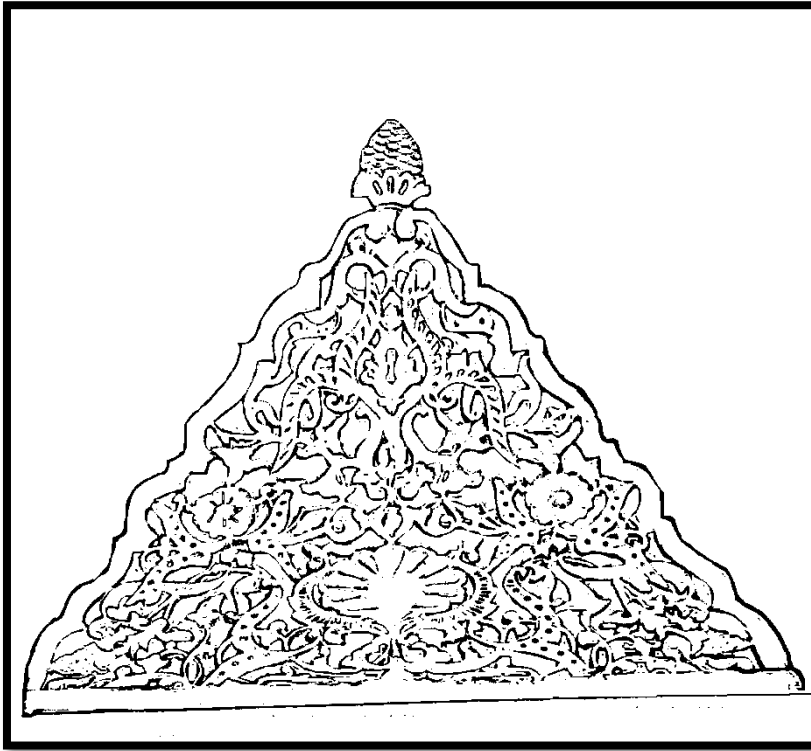


(ب)



(أ)

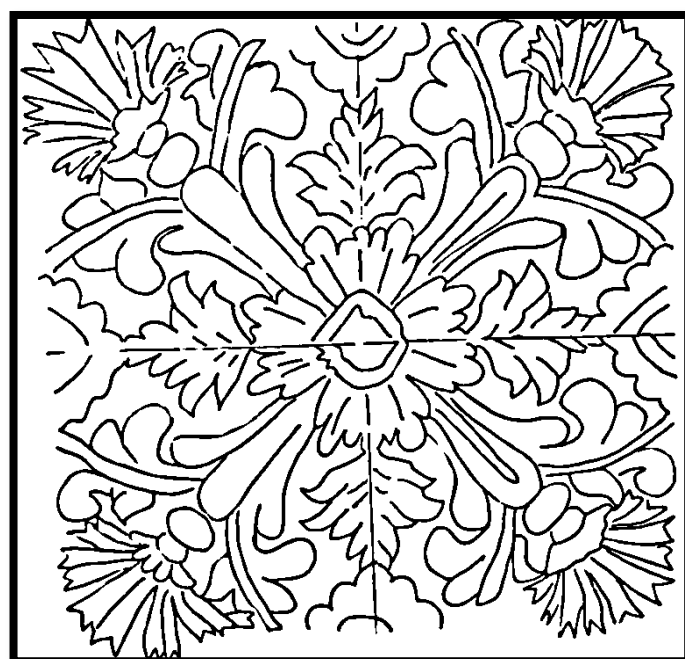
شكل رقم 16: زخرفة جصية بأسلوب الرومي -المعبد الكبير -



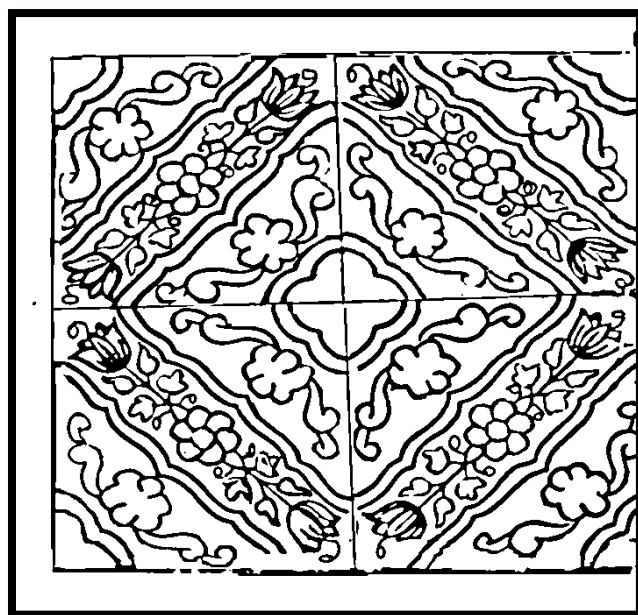
شكل رقم 17: زخرفة جصية بأسلوب النقش - ضريح ريباخ ورشباخ -



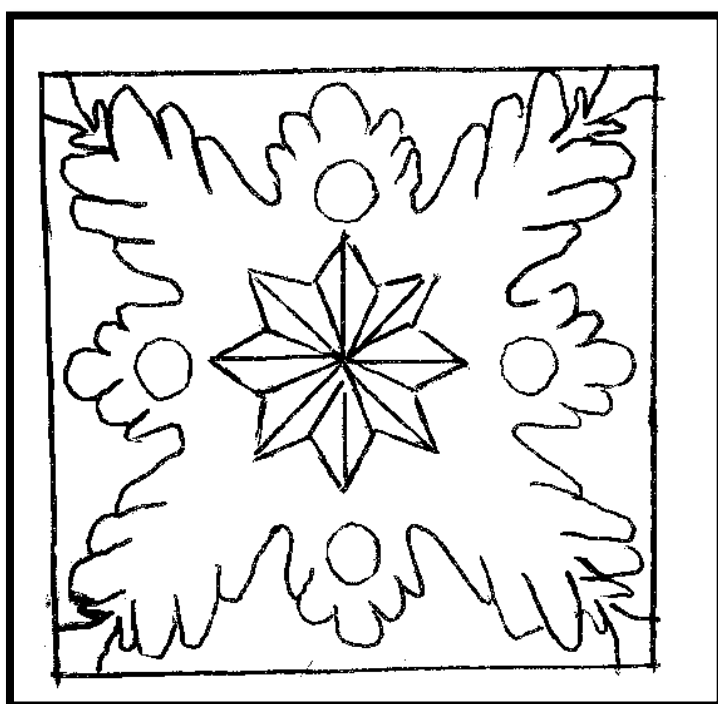
شكل رقم 18 : مربعات خزفية هولندية المصدر.



شكل رقم 19: مربعات خزفية ايطالية المصدر.

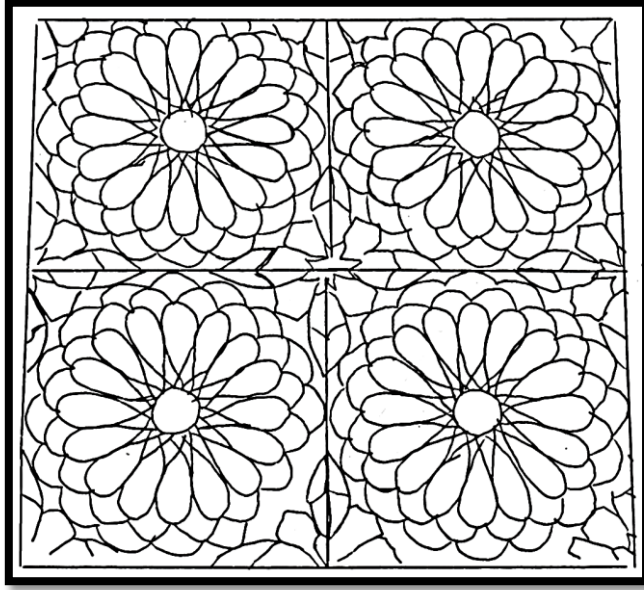


(أ)

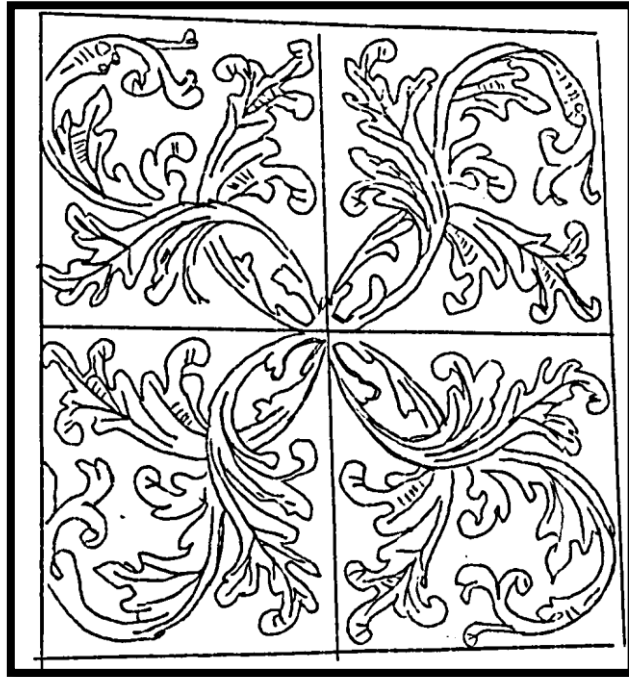


(ب)

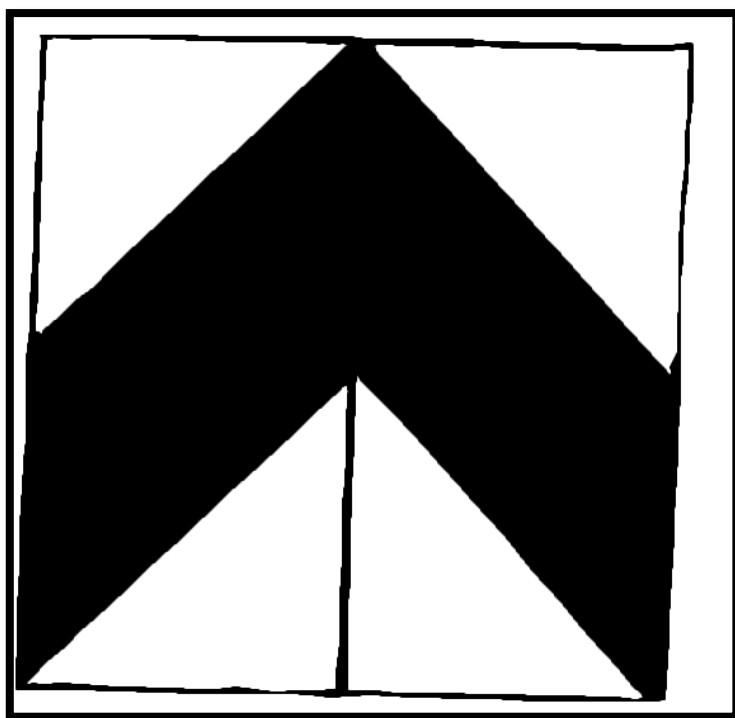
شكل رقم 20: مربعات خزفية رسمت بالأسلوب الأوروبي.



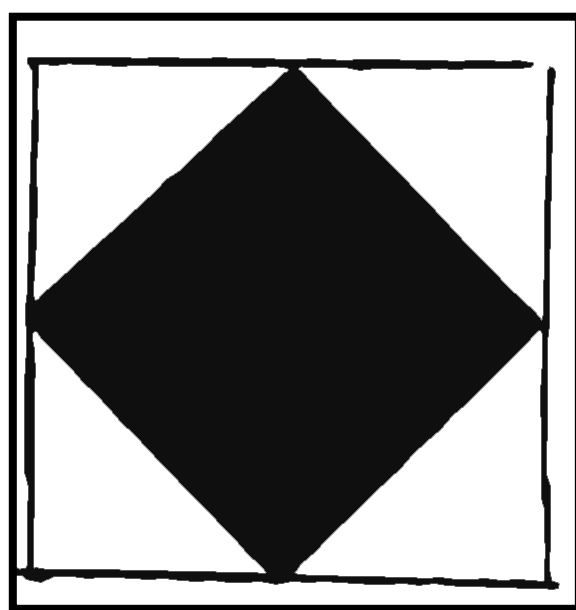
شكل رقم 21 : مربعات خزفية ذات زخارف نباتية محورة.



شكل رقم 22: مربعات خزفية ذات زخرفة نباتية شديدة التحوير.

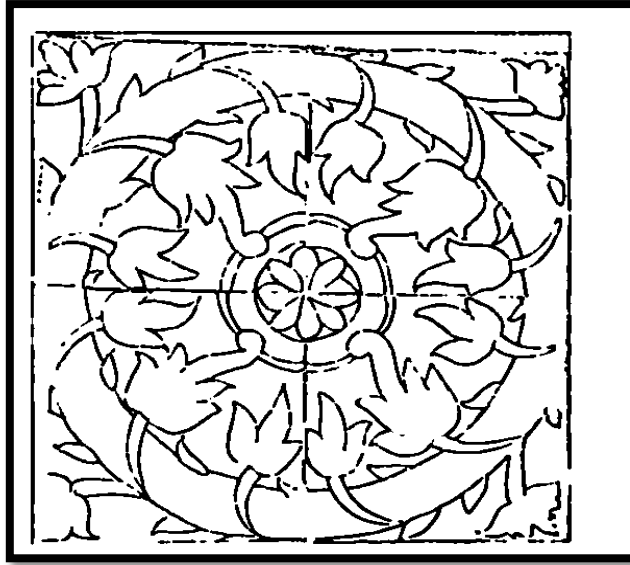


(أ)

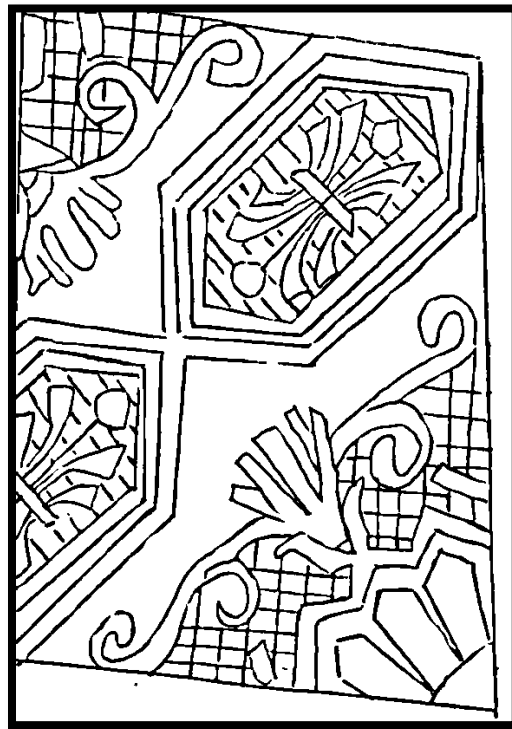


(ب)

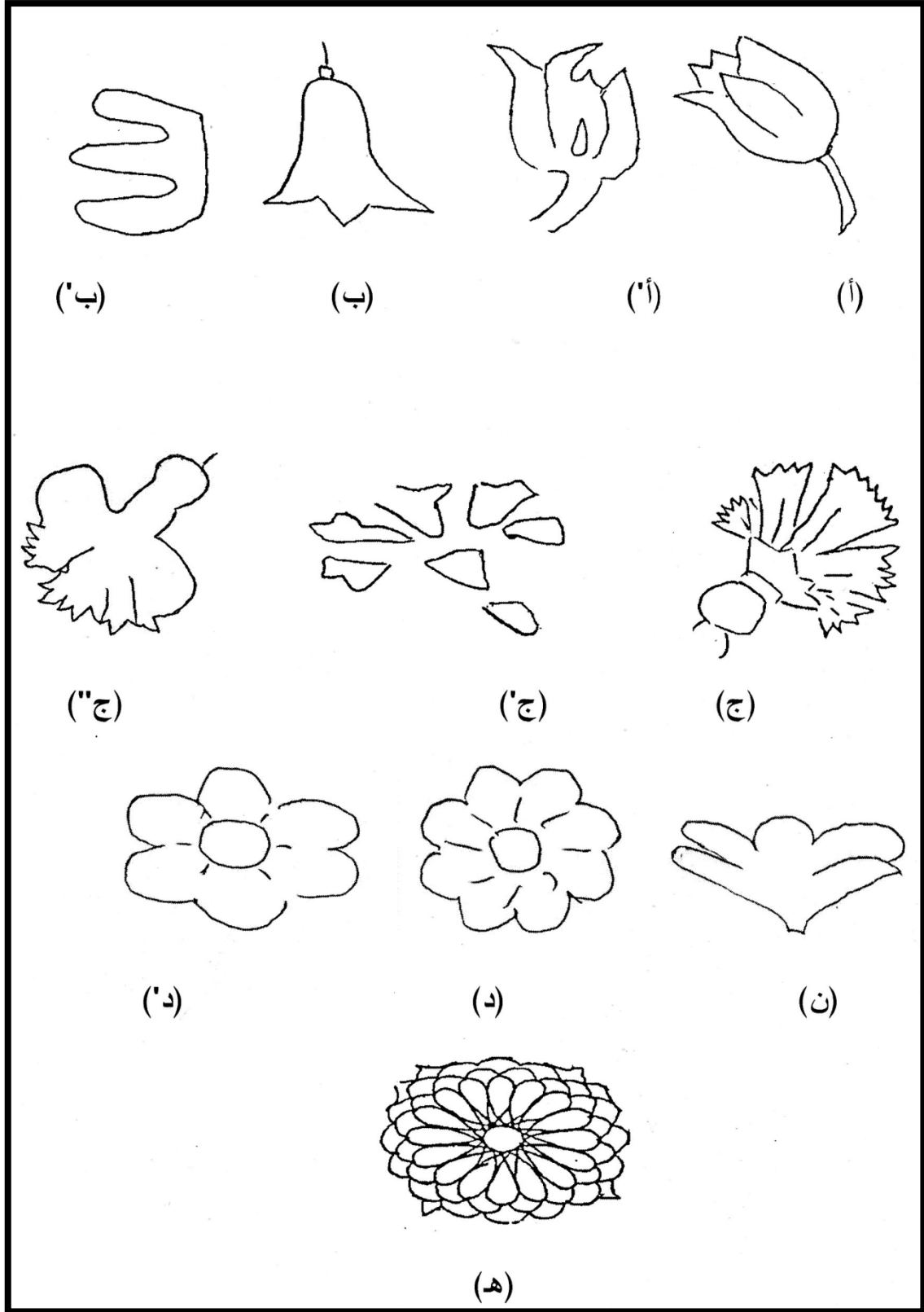
شكل رقم 23: مربعات خزفية رسمت بالأسلوب المغربي الأندلسي.



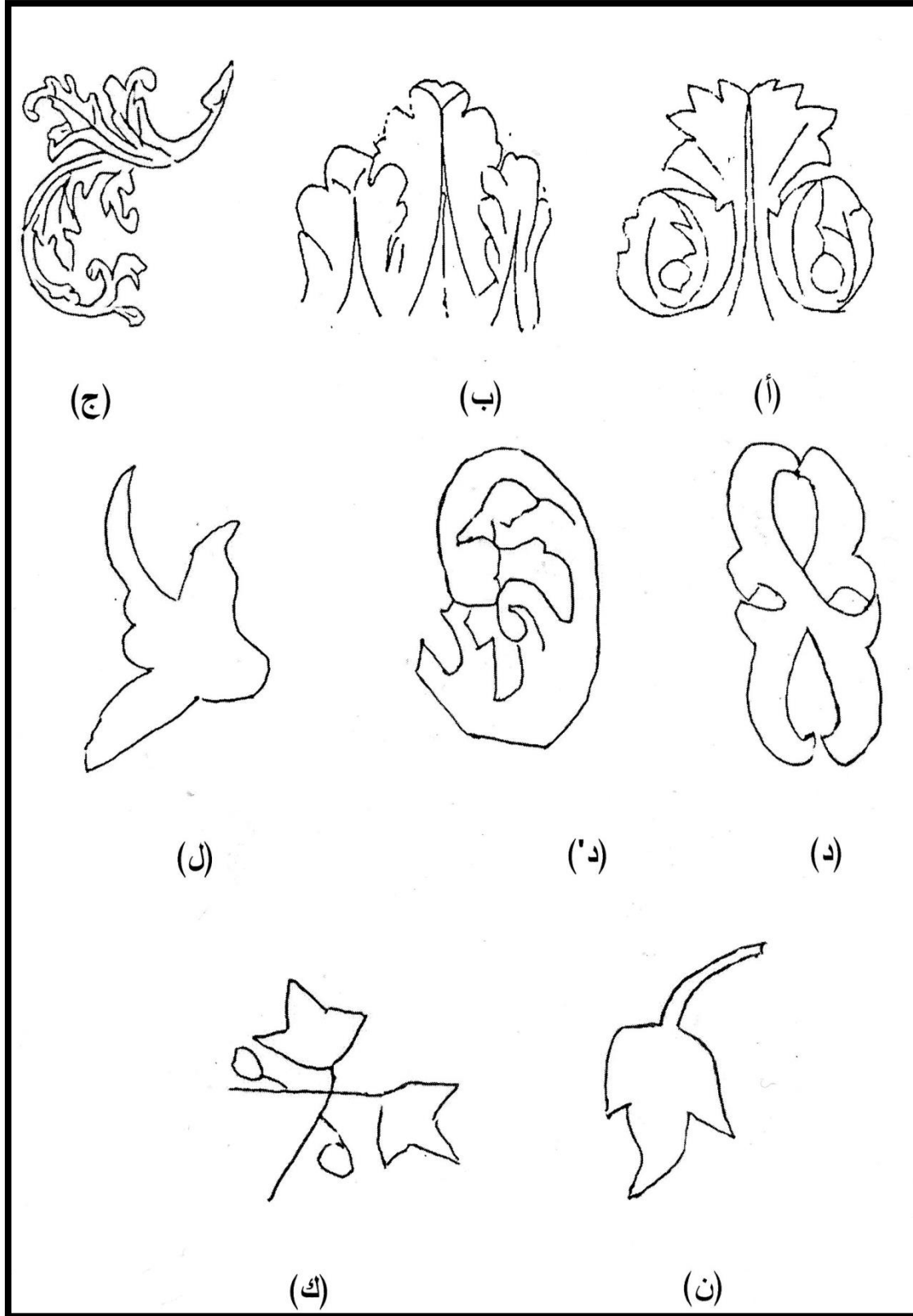
شكل رقم 24: تصميمات زخرفية قوام زخارفها عناصر نباتية مركزية تنبتق منها وعناصر نباتية محورة وهندسية.



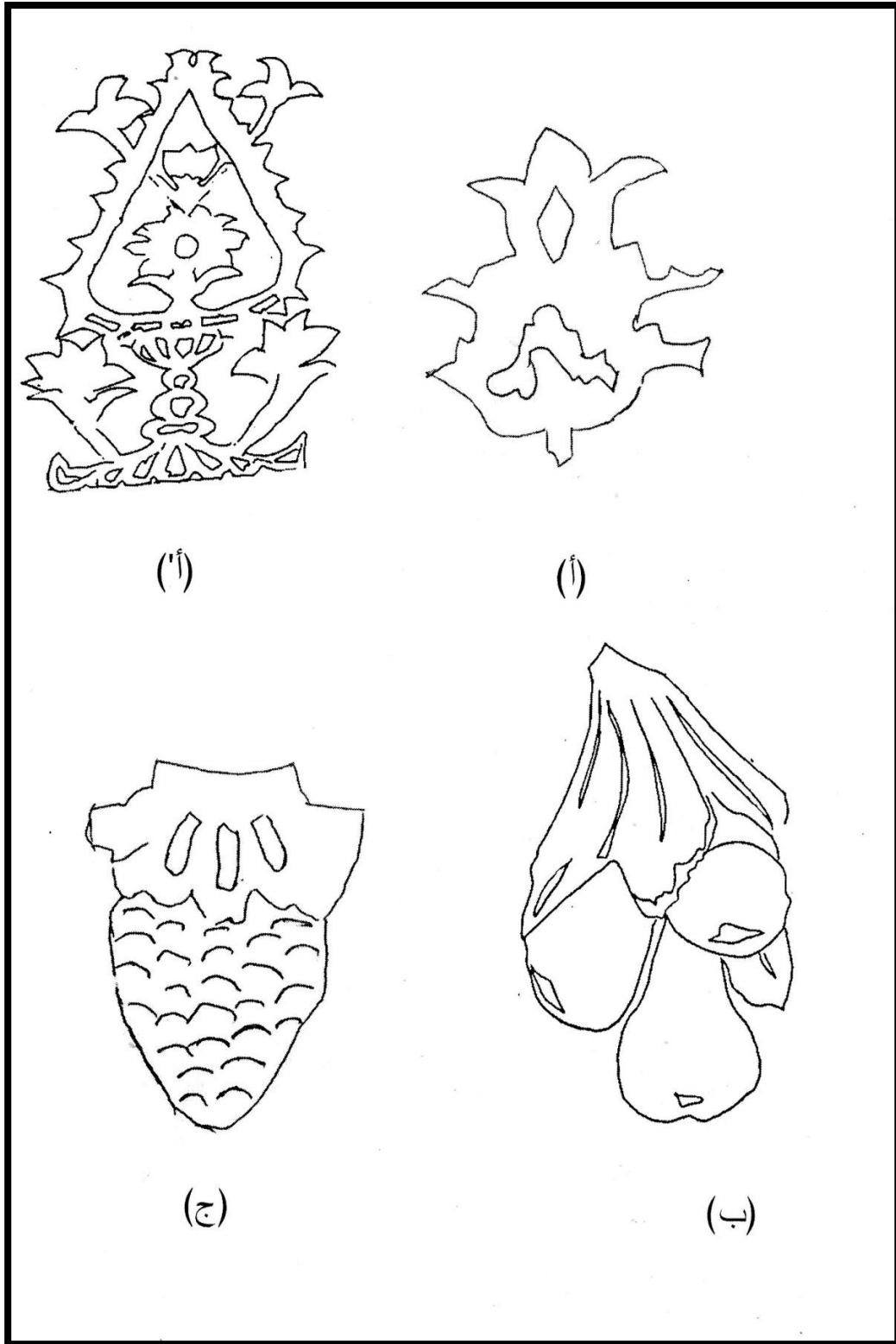
شكل رقم 25: مربع خزفي بعناصر هندسية رسمت بأسلوب نباتي.



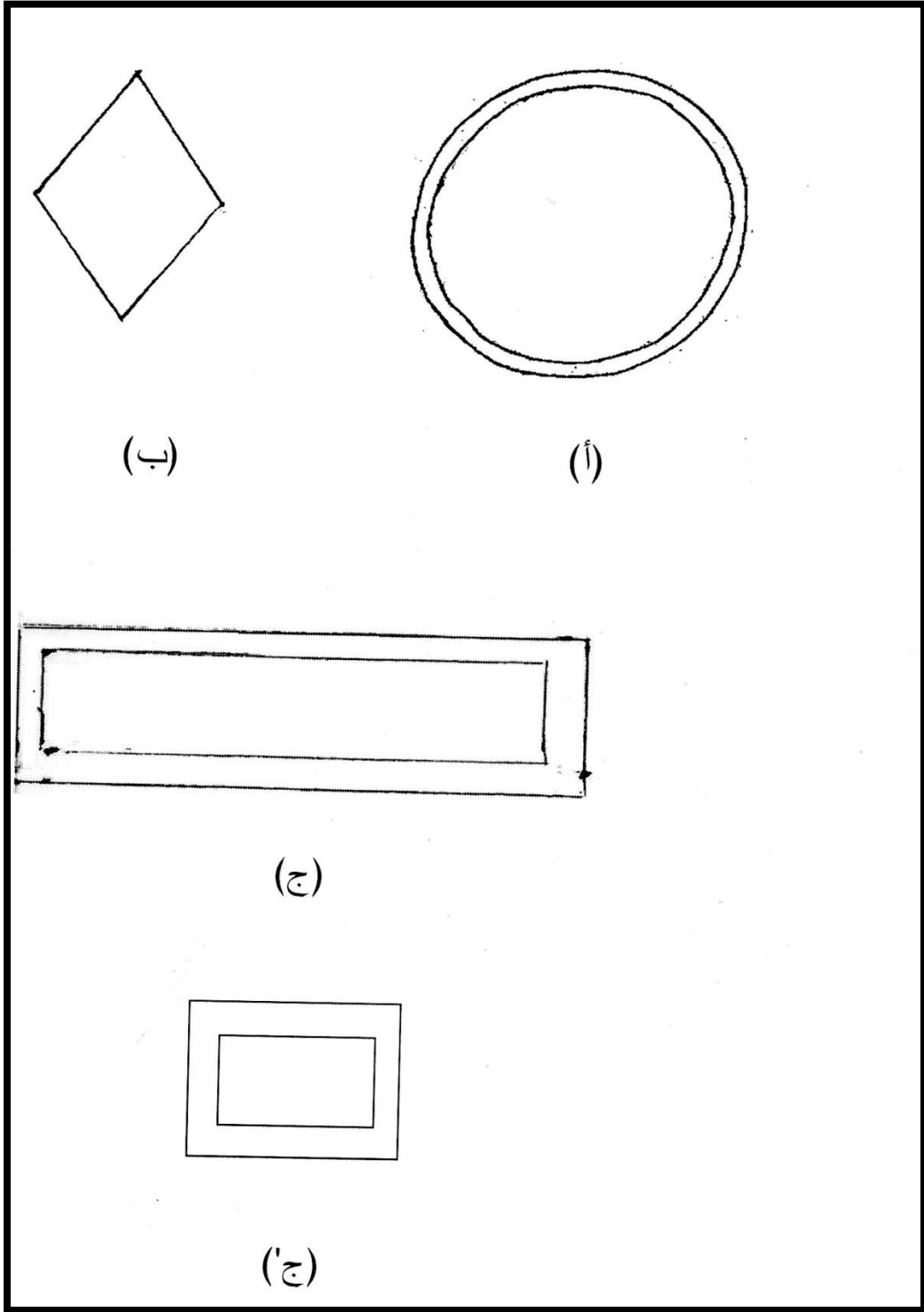
شكل رقم 26: أنواع الأزهار.



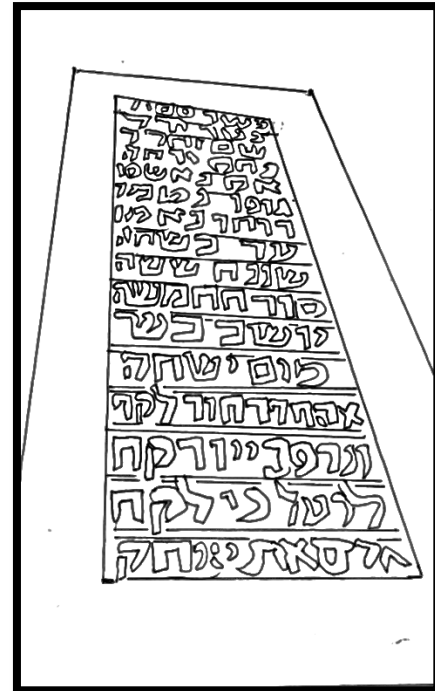
شكل رقم 27: أنواع الأوراق وأنصاف مراوح نخلية.



شكل رقم 28: أنواع الأشجار والثمار.



شكل رقم 29: أنواع الأشكال الهندسية.



شاهد قبر حجري

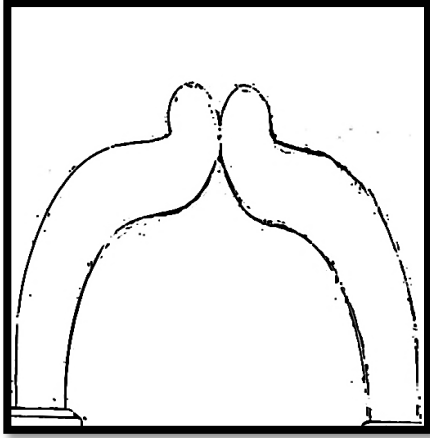
-الحاخام ريباخ-



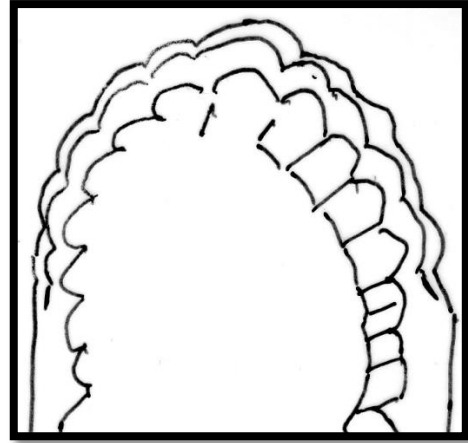
شاهد قبر رخامي

-الحاخام رشباخ-

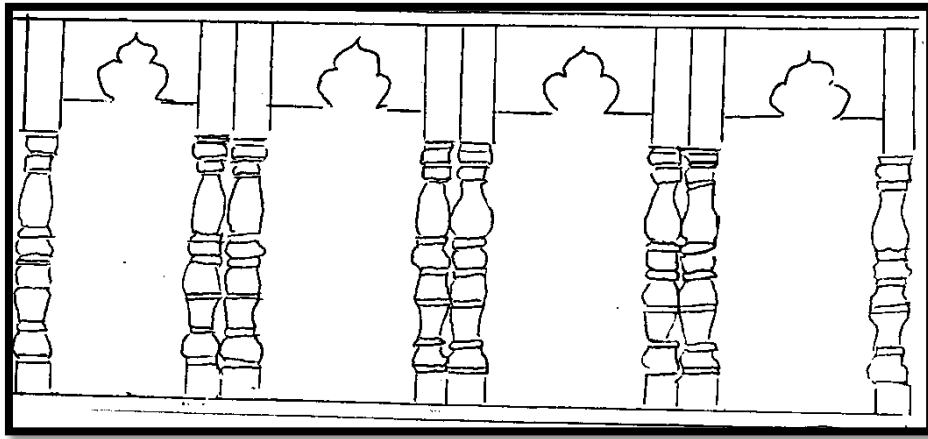
شكل رقم 30: تباين مواد وطرق الكتابة الزخرفية.



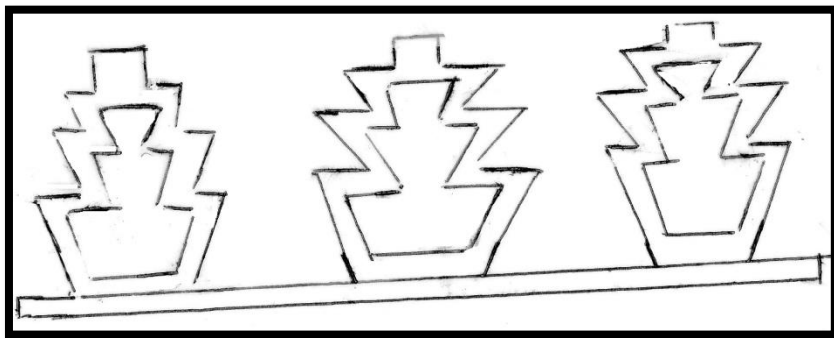
(ب)



(أ)

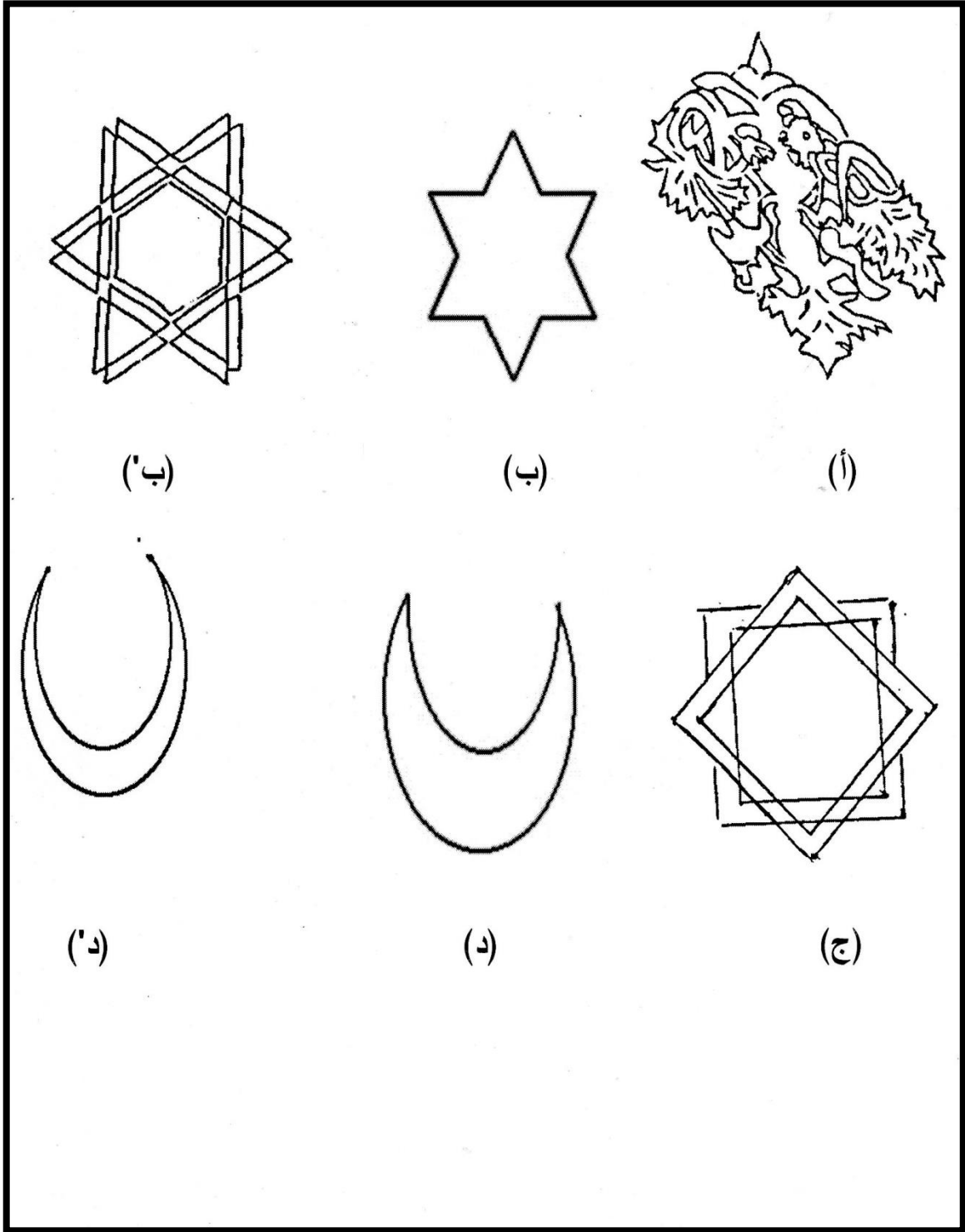


(ج)



(د)

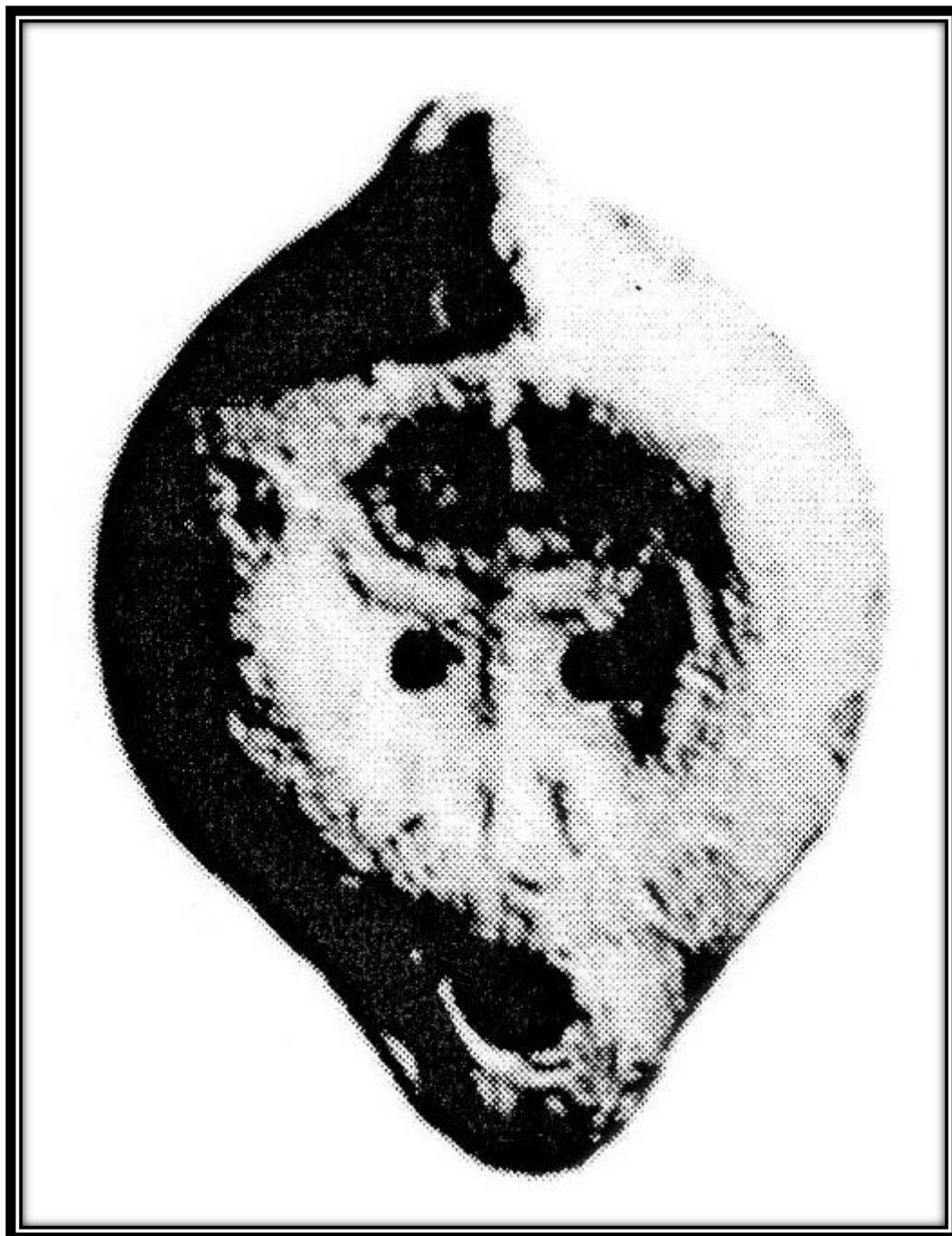
شكل 31: الزخرفة بالعناصر المعمارية.



شكل رقم 32: زخرفة رمزية.



ملحق الصور



صورة رقم 1 / مينوراه محفوظة بمتحف وهران

(عن: بوهك)



صورة رقم 2/



صورة رقم 4/

صورة رقم 3/

ضريح ريباخ ورشباخ _كتابة تأسيسية.



صورة رقم 5/ ضريح ريباخ ورشباخ _كتابة تأسيسية.



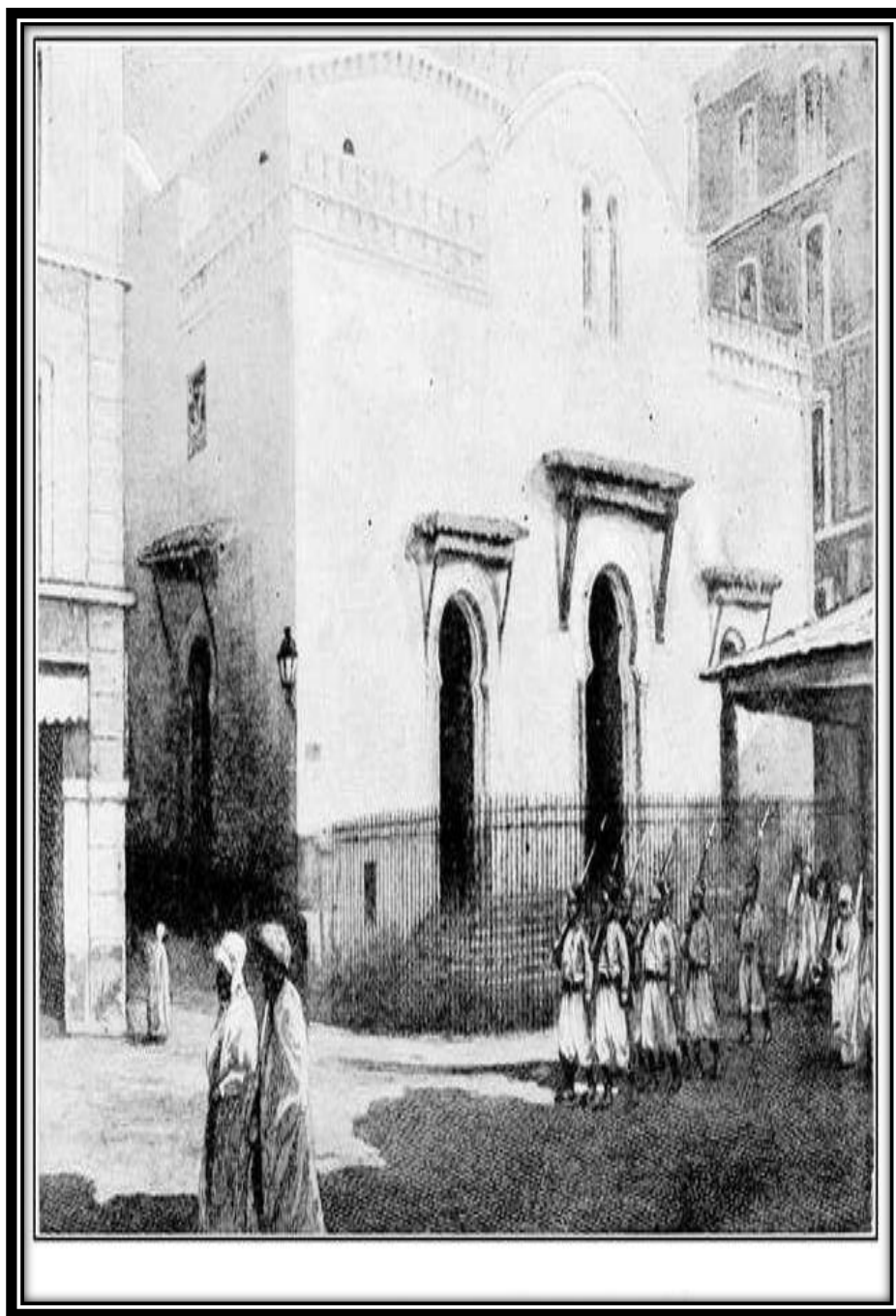
صورة رقم 6/ ضريح ريباخ ورشباخ _كتابة تأسيسية.



صورة رقم 7/ قبر ريباخ_كتابة شاهدة.



صورة رقم 8/ قبر رشباخ_كتابة شاهدة.

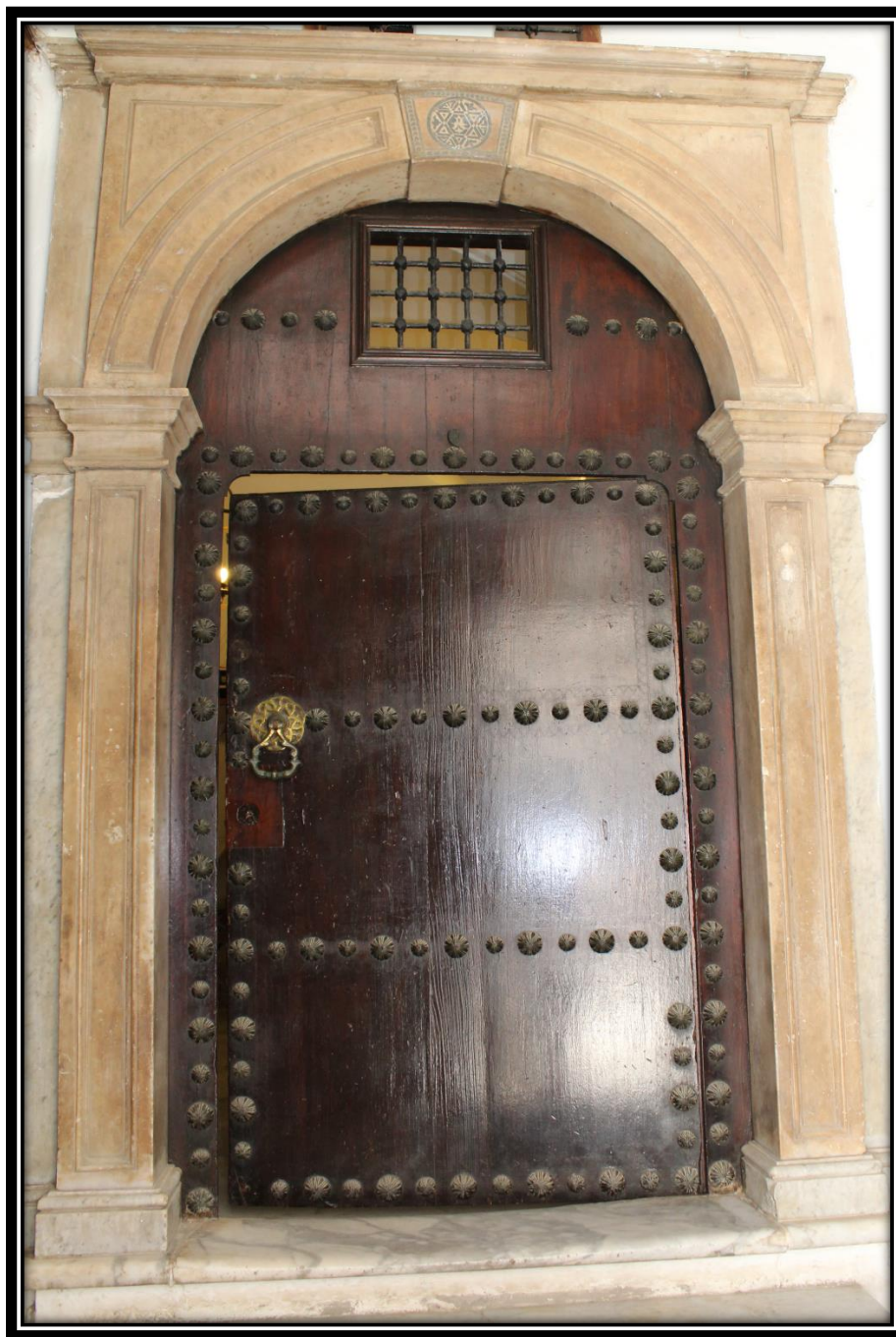


صورة رقم 9/ معبد الكبير - المدخل الرئيسي.

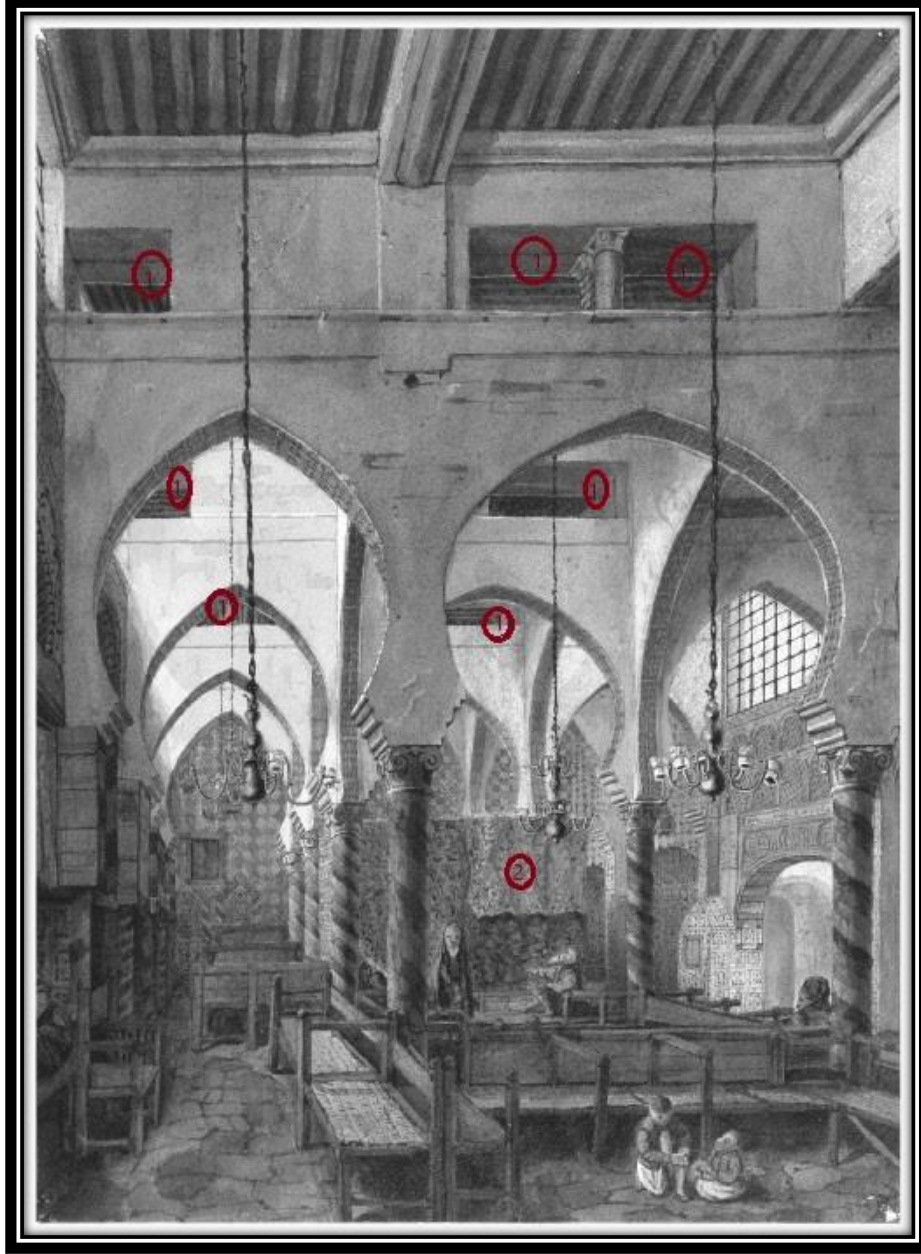
(عن الموسوعة اليهودية)



صورة رقم 10/ ضريح ريباخ ورشباخ _ المدخل الرئيسي.



صورة رقم 12/ دار بكري_ مدخل رئيسي مفضي للسقيفة.



1: الجنيزة.

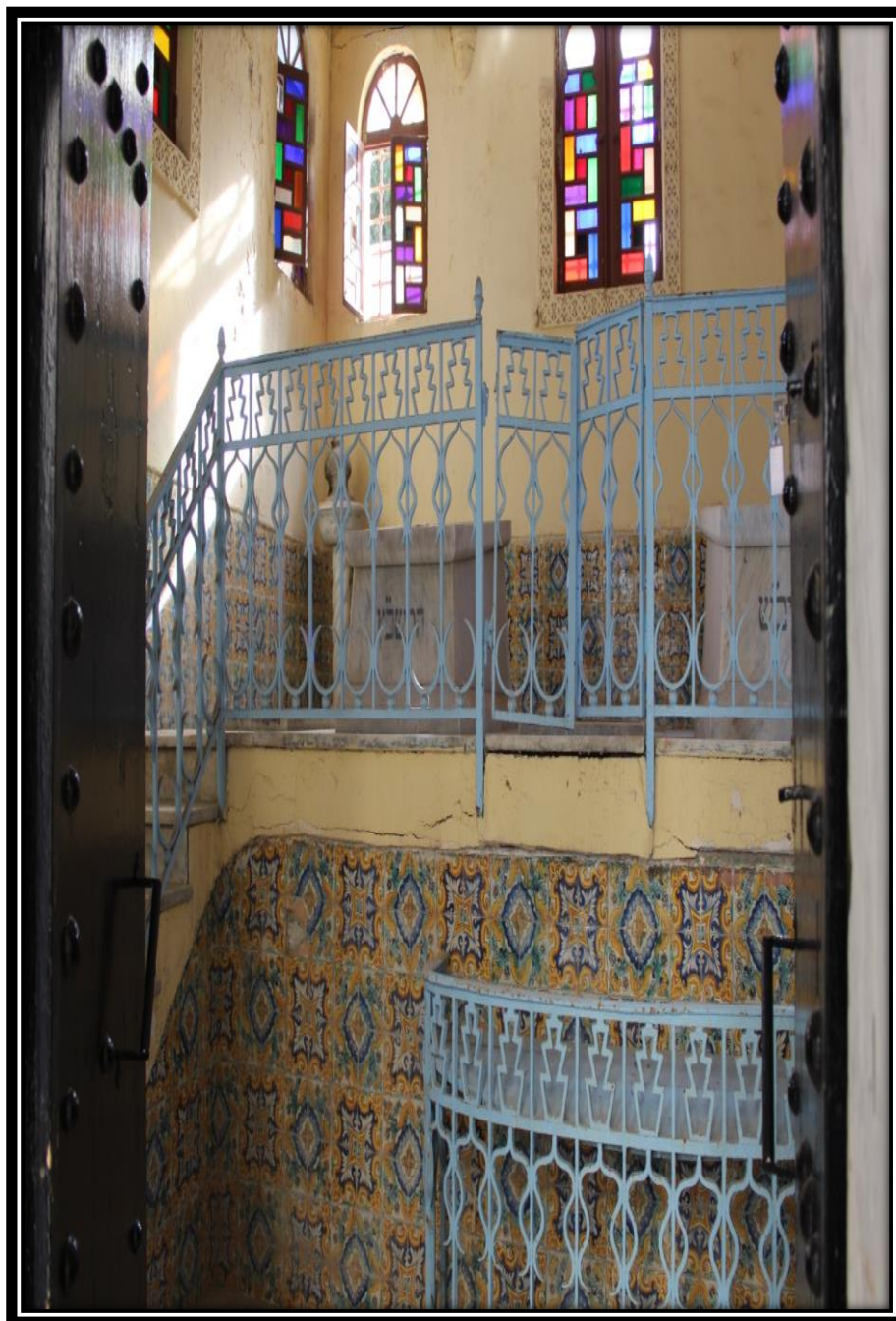
2: المقصورة.

صورة رقم 13/ معبد سبع لويات _ قاعة العبادة .

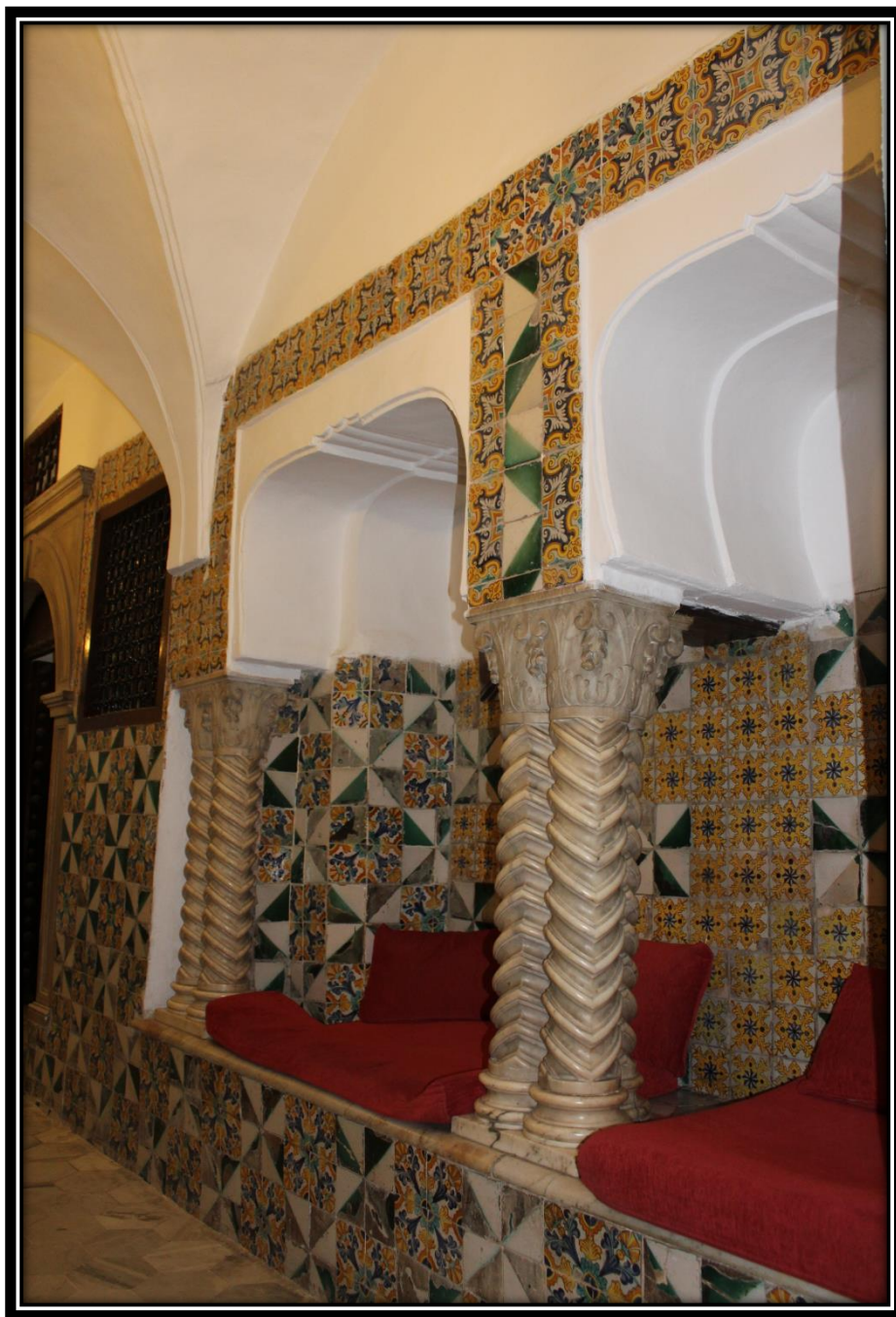
(عن: الموسوعة اليهودية).



صورة رقم 14 / مسجد الكبير _قاعة العبادة.



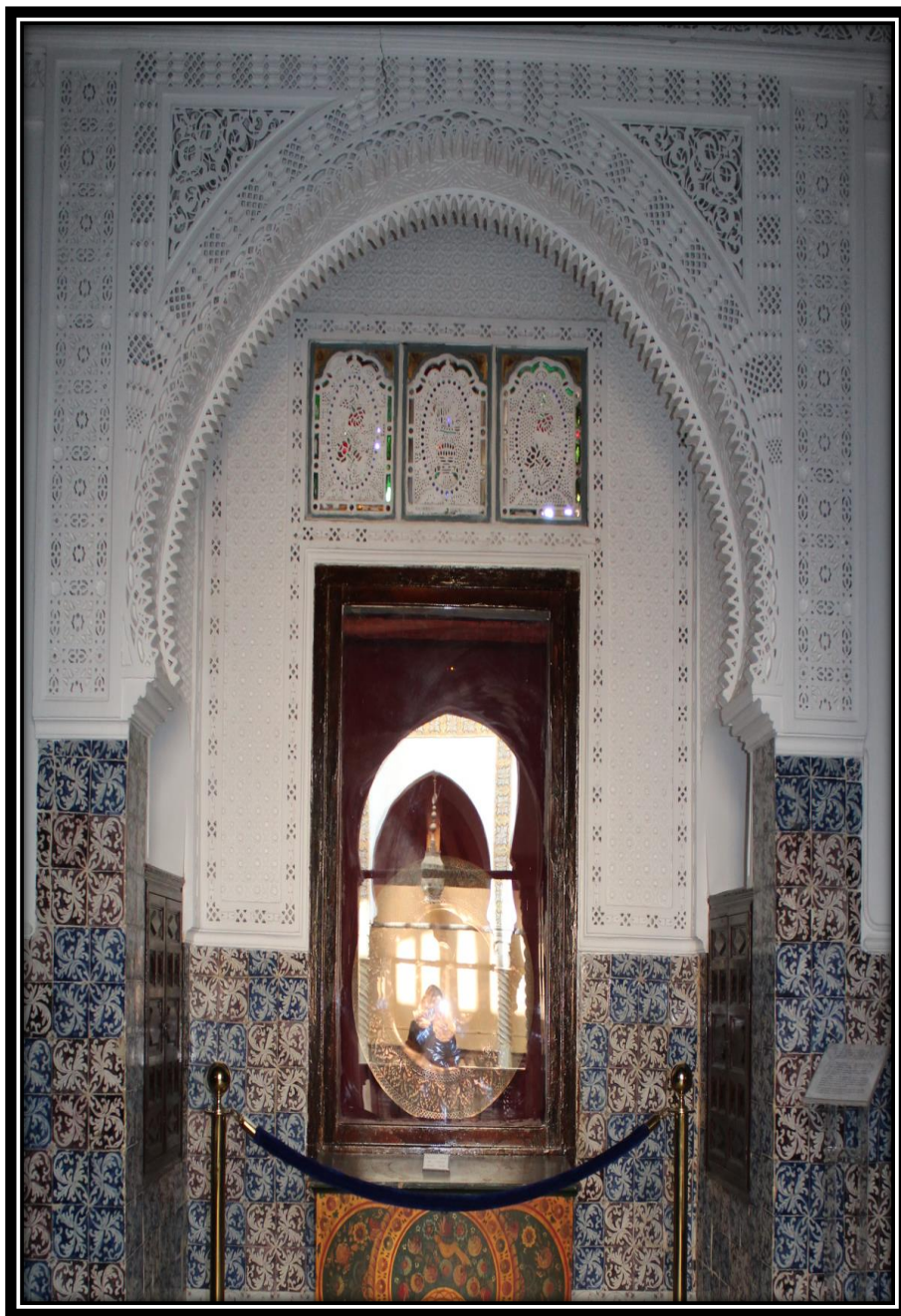
صورة رقم 15 / ضريح رياخ ورشباخ _قاعة الضريح.



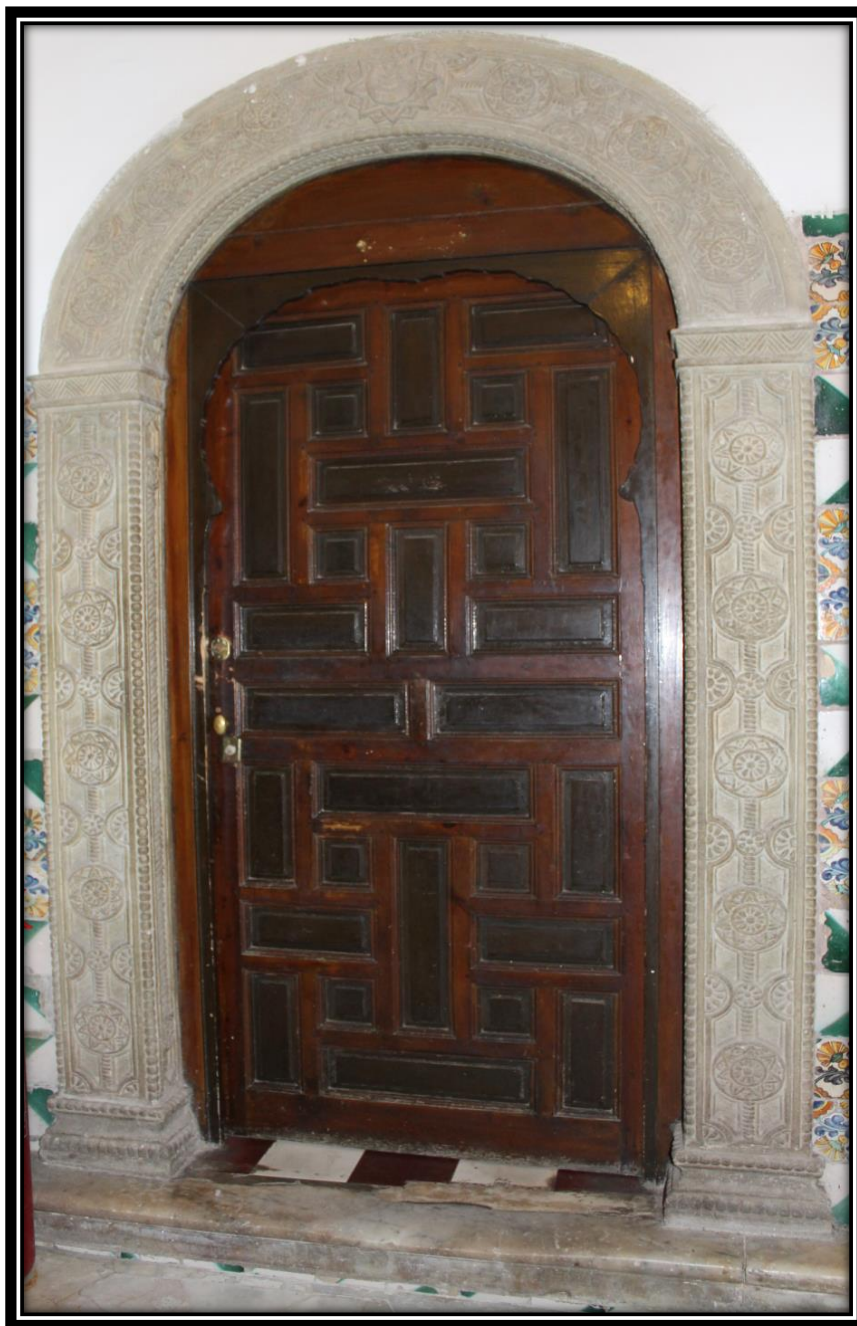
صورة رقم 16/ دار بكري - السقيفة الخلفية.



صورة رقم 17/ دار بكري - الصحن.



صورة رقم 18 / دار بكري - الايوان المقتضب بالغرف.



صورة رقم 19 / أ - دار بكري - المخزن بالمستوى الأرضي.



صورة رقم 19 / ب - دار بكري - المخزن بنواة السلم.



صورة رقم 20 / أ دار بكري - المرحاض.



صورة رقم 20/ ب دار بكري - المرحاض.



صورة رقم 21/ أ دار بكري - العين الجدارية.



صورة رقم 21/ ب دار بكري - العين الجدارية.



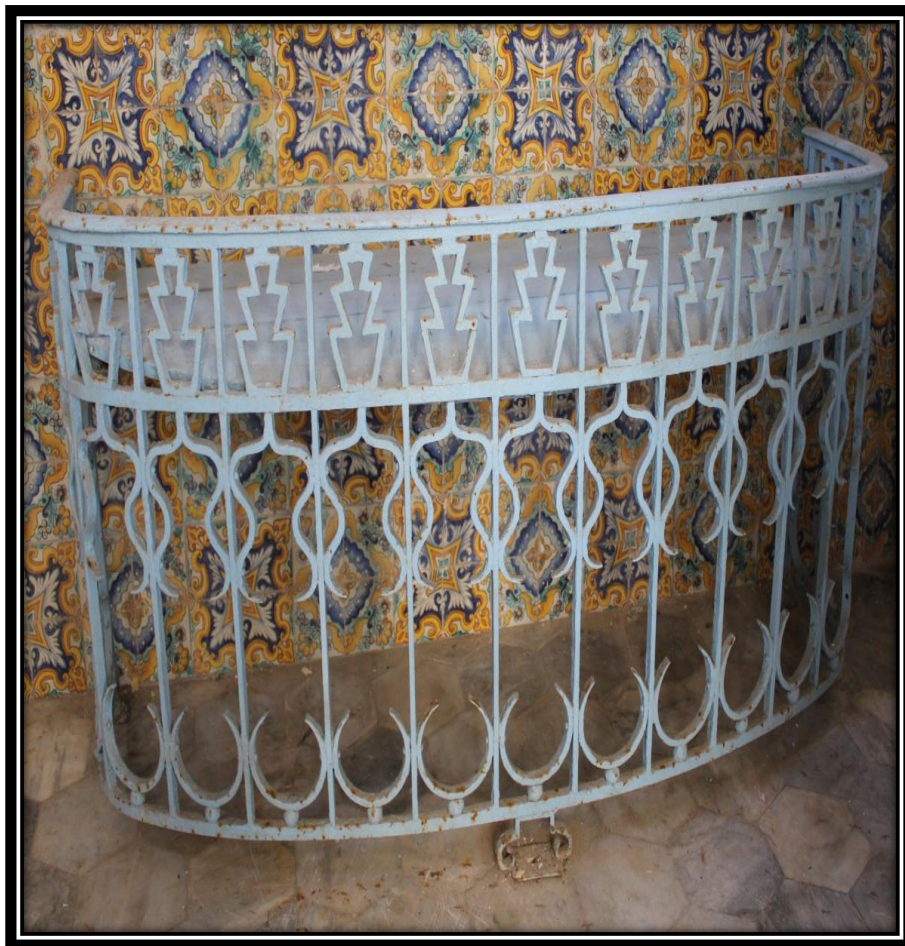
صورة رقم 23 / معبد الكبير - الهيكل.

(عن: موقع judaicalgeria)



صورة رقم 24/ معبد الكبير _ البيماء.

(عن: موقع judaicalgeria)



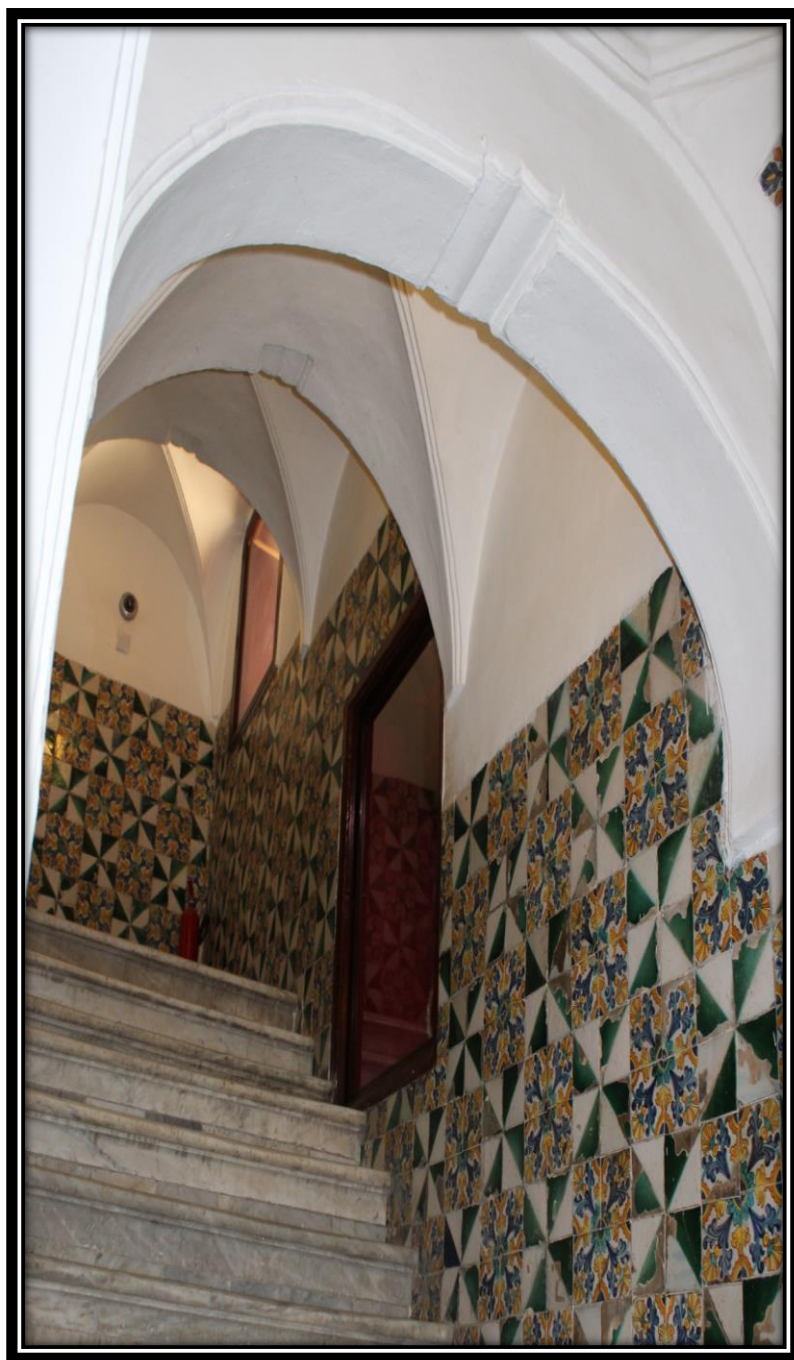
صورة رقم 25/ ضريح ريباخ ورشباخ - دوخان.



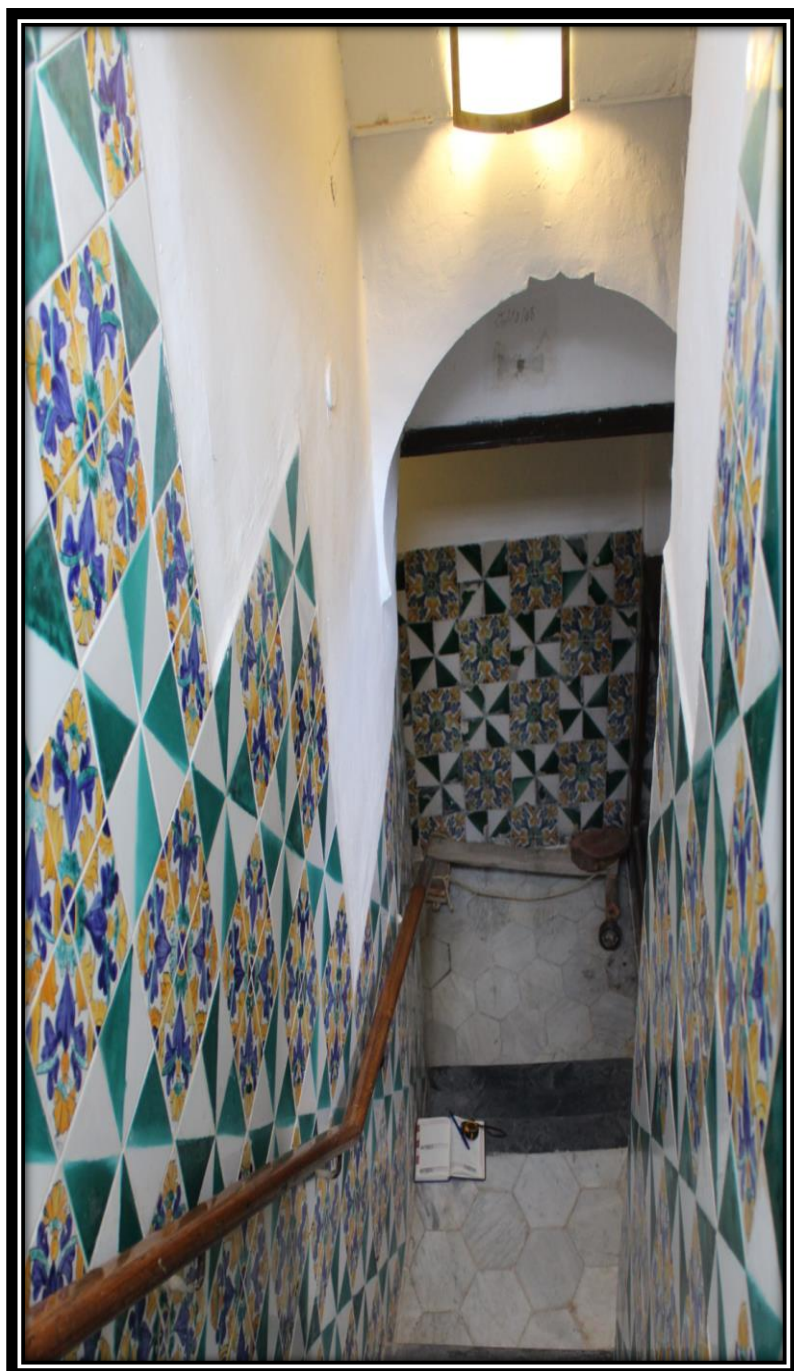
صورة رقم 26 / أ ضريح ريباخ ورشباخ - الجنيزة.
(عن: المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية)



صورة رقم 26 / ب ضريح ريباخ ورشباخ - الجنيزة.



صورة رقم 27/ أ دار بكري - السلم الرئيسي.



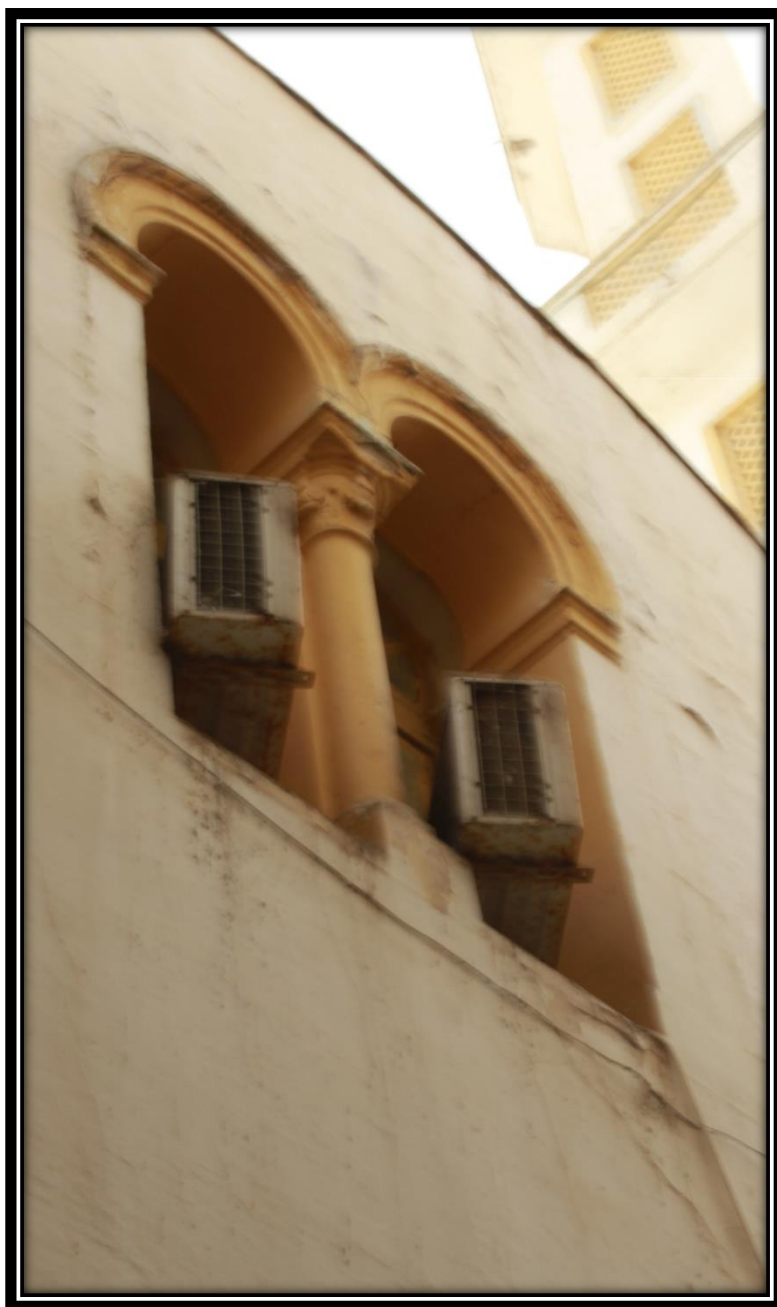
صورة رقم 27/ ب دار بكري - السلم الثانوي.



صورة رقم 28 / ١ معبد الكبير - خزانة جدارية.



صورة رقم 28 / ب دار بكري - خزانة جدارية.



صورة رقم 29/أ معبد الكبير - النافذة.



صورة رقم 29/ب ضريح رياخ ورشباخ - النافذة.



قبة مركزية تقوم على مئمن./صورة رقم 30



صورة رقم 31/ ضريح ريباخ ورشباخ - قبة مركزية تقوم على مثلثات ركنية.



صورة رقم 33 / دار بكري - قبة بداية السلم المفضي إلى الطوابق



صورة رقم 34 / دار بكري - قبة نهاية السلم المفضي إلى السطح.



(أ)

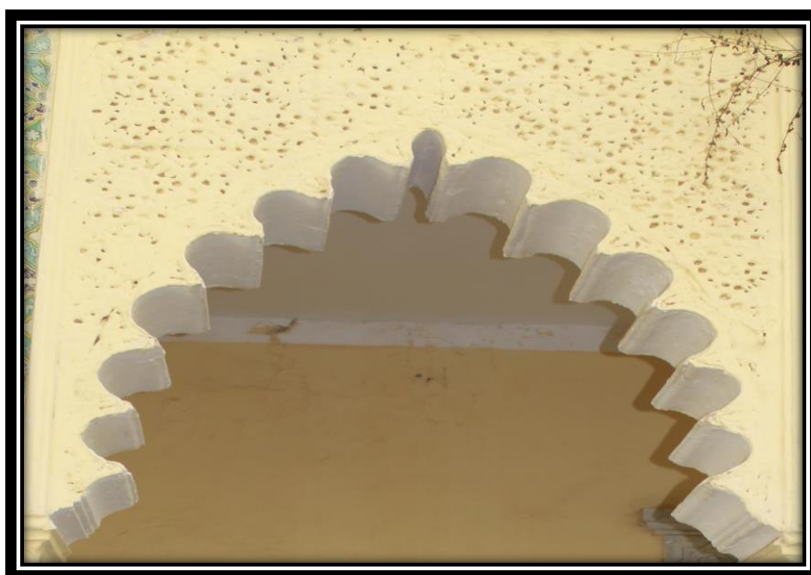


(ب)

صورة رقم 35/ دار بكري - نظام التسقيف بالأقبية المتقاطعة والبرميلية.



صورة رقم 36/ ضريح ريباخ ورشباخ - العقد النصف دائري.



صورة رقم 37/ ضريح ريباخ ورشباخ - العقد الفارسي.



صورة رقم 38 / دار بكري - العقد المنكسر المتجاوز.



صورة رقم 39 / معبد الكبير - العقد الحذوي.



صورة رقم 40/ دار بكري - العقد المستطيل.



صورة رقم 41/ معبد الكبير - العقد المفصص.



ملحق اللوحات

لوحة رقم 1:



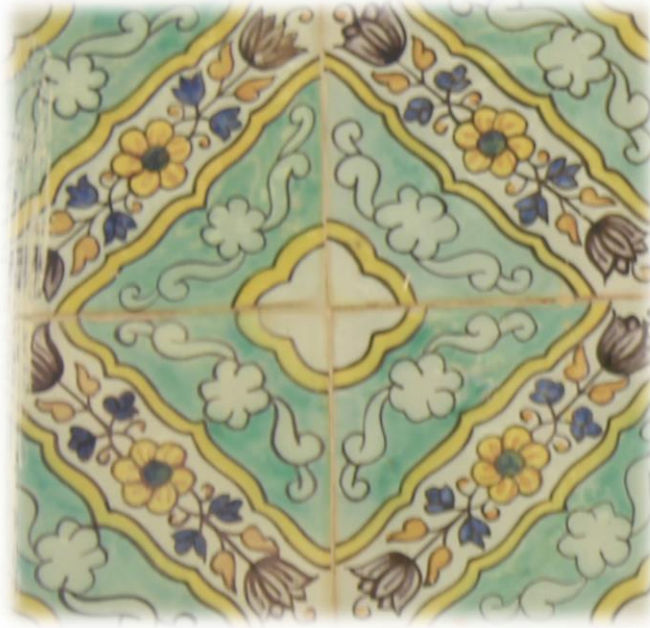
صورة رقم 1/ تجميعية من المربعات الخزفية - دار بكري - ايوان الغرفة الشرقية.

لوحة رقم 2:



صورة رقم 2/ تجميعية من المربعات الخزفية - ضريح ريباخ ورشباخ - بائكة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح.

لوحة رقم 3:



صورة رقم 3/ تجميعية من المربعات الخزفية-ضريح ريباخ ورشباخ -بائكة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح.

لوحة رقم 4:



صورة رقم 4/ مربع خزفي-دار بكري -عين جدارية بالسقيفة الأمامية.

لوحة رقم 5:



صورة رقم 5/ تجميعية من المربعات الخزفية-ضريح ريباخ ورشباخ- بائكة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح.

لوحة 6:



صورة رقم 6:تجميعية من المربعات الخزفية-دار بكري- ايوان الغرفة الشرقية.

لوحة رقم 7:



(أ)



(ب)

صورة رقم 7: تجميعة من المربعات الخزفية - ضريح ريباخ ورشباخ - افريز الواجهة.

لوحة رقم 8:



صورة رقم 8: تجميعة من المربعات الخزفية-ضريح ريباخ ورشباخ - بائية رواق الذي يتقدم قاعة الضريح.

لوحة رقم 9:



صورة رقم 9: مربع خزفي-دار بكري-عين جدارية بالسقيفة الأمامية.

الفهارس



فهرس الوثائق



فهرس الخرائط

- خريطة قم 1 / اليهود في شمال افريقيا خلال العهد الروماني.....439
- خريطة رقم 2 / مدينة الجزائر خلال القرن 7 للميلاد.....440
- خريطة رقم 3 / مدينة الجزائر في أواخر القرن 18.....441
- خريطة رقم 4 / أحياء ذات كثافة يهودية.....442



فهرس المخططات والأشكال

أ. فهرس المخططات

الرقم	الصفحة
مخطط رقم 1 / معبد اليهود الكبير.....	444
مخطط رقم 2 / مقطع طولي _ضريح ريباخ ورشباخ.....	445
مخطط رقم 3 /ضريح ريباخ.....	446
مخطط رقم 4 / المستوى الأرضي -دار بكري.....	448
مخطط رقم 5 / الطابق السفلي - دار بكري.....	449
مخطط رقم 6 / الطابق العلوي -دار بكري.....	450
مخطط رقم 7 /الطابق السفلي -دار دوران.....	451
مخطط رقم 8 / الطابق العلوي -دار دوران.....	452

ب. فهرس الأشكال

الرقم	الصفحة
■ شكل رقم 1/دوخان ضريح ريباخ ورشباخ.....454	
■ شكل رقم 2 / نموذج لنافورة ملحقة بدار الفحص.....454	
■ شكل رقم 3 / مدخل بإطار رخامي _ضريح ريباخ ورشباخ.....455	
■ شكل رقم 4 / مدخل بإطار رخامي _دار بكري.....455	
■ شكل رقم 5 / باب معدني بمصرعين بزخارف بارزة _ ضريح ريباخ ورشباخ.....456	
■ شكل رقم 6 /باب خشبي بزخارف بارزة _ دار بكري.....456	
■ شكل رقم 7/أنواع الزخرفة بحشوات الأبواب الخشبية الملحقة بالدور_دار بكري.....457	
■ شكل رقم 8 / مزلاج الأبواب.....458	
■ شكل رقم 9/ مطرقة باب بزخرفة نباتية.....458	
■ شكل رقم 10/ قضبان نوافذ بزخرفة هندسية.....458	
■ شكل رقم 11/أنواع الخزائن الجدارية.....459	
■ شكل رقم 12/ أنواع النوافذ.....460	
■ شكل رقم 13 / أنواع الشمسيات.....461	
■ شكل رقم 14/أنواع الأعمدة.....462	
■ شكل رقم 15/ أنواع التيجان.....463	
■ شكل رقم 16/أ زخرفة جصية بأسلوب الرومي_المعبد الكبير.....464	
■ شكل رقم 16/ ب زخرفة جصية بأسلوب الرومي_المعبد الكبير.....464	
■ شكل رقم 17/ زخرفة جصية بأسلوب النقش_ضريح ريباخ ورشباخ.....464	
■ شكل رقم 18/ مربعات خزفية هولندية المصدر.....465	
■ شكل رقم 19/ مربعات خزفية ايطالية المصدر.....465	
■ شكل رقم 20/أ مربعات خزفية رسمت بالأسلوب الأوروبي.....464	
■ شكل رقم 20/ب مربعات خزفية رسمت بالأسلوب الأوروبي.....466	
■ شكل رقم 21/ مربعات خزفية ذات زخارف نباتية محورة.....467	
■ شكل رقم 22/ مربعات خزفية ذات زخرفة نباتية شديدة التحوير.....467	

- شكل رقم 23/ أ مربعات خزفية رسمت بالأسلوب المغربي الأندلسي.....468
- شكل رقم 23/ ب مربعات خزفية رسمت بالأسلوب المغربي الأندلسي.....468
- شكل رقم 24/ تصميمات زخرفية قوام زخارفها عناصر نباتية مركزية تتبثق منها
- و عناصر نباتية محورة وهندسية.....469
- شكل رقم 25/ مربع خزفي بعناصر هندسية رسمت بأسلوب نباتي.....469
- شكل رقم 26/أنواع الأزهار.....470
- شكل رقم 27/أنواع الأوراق وأنصاف المراوح النخيلية.....471
- شكل رقم 28/أنواع الأشجار والثمار.....472
- شكل رقم 29/أنواع الأشكال الهندسية.....473
- شكل رقم 30/ تباين مواد وطرق الكتابة الزخرفية.....474
- شكل رقم 31/الزخرفة بالعناصر المعمارية.....475
- شكل رقم 32/الزخرفة الرمزية.....476



فهرس الصور واللوحات

أ. فهرس الصور

الرقم	الصفحة
صورة رقم 1/ مصباح المينورة.....	478
صورة رقم 2/ ضريح ريباخ ورشباخ - كتابة تأسيسية.....	479
صورة رقم 3/ ضريح ريباخ ورشباخ - كتابة تأسيسية.....	479
صورة رقم 4/ ضريح ريباخ ورشباخ - كتابة تأسيسية.....	479
صورة رقم 5/ ضريح ريباخ ورشباخ - كتابة تأسيسية.....	480
صورة رقم 6/ ضريح ريباخ ورشباخ - كتابة تأسيسية.....	480
صورة رقم 7/ قبر ريباخ - كتابة شاهدة.....	481
صورة رقم 8/ قبر رشباخ - كتابة شاهدة.....	482
صورة رقم 9/ معبد الكبير - مدخل رئيسي.....	483
صورة رقم 10/ ضريح ريباخ ورشباخ - مدخل رئيسي.....	484
صورة رقم 11/ دار بكري - مدخل رئيسي مفضي للسقيفة.....	485
صورة رقم 13/ معبد سبع لويات - قاعة العبادة.....	487
صورة رقم 14/ معبد الكبير - قاعة العبادة.....	488
صورة رقم 15/ ضريح ريباخ ورشباخ - قاعة الضريح.....	489
صورة رقم 16/ دار بكري - السقيفة الخلفية.....	490
صورة رقم 17/ دار بكري - الصحن.....	491
صورة رقم 18 / دار بكري - الإيوان المقتضب بالغرف.....	492
صورة رقم 19 / أ - دار بكري - المخزن بالمستوى الأرضي.....	493
صورة رقم 19 / ب - دار بكري - المخزن بنواة السلم.....	494
صورة رقم 20 / أ دار بكري - المرحاض.....	495
صورة رقم 20/ ب دار بكري - المرحاض.....	496
صورة رقم 21 / أ دار بكري - العين الجدارية.....	497
صورة رقم 21 / ب دار بكري - العين الجدارية.....	498

- 500..... صورة رقم 23/ معبد الكبير - الهيكل
- 501 صورة رقم 24/ معبد الكبير - البمام
- 502..... صورة رقم 25/ ضريح رباب ورشباخ - دوخان
- 503..... صورة رقم 26 / أ ضريح رباب ورشباخ - الجنيزه
- 504..... صورة رقم 26 / ب ضريح رباب ورشباخ - الجنيزه
- 505..... صورة رقم 27/أ دار بكرى - السلم الرئيسى
- 506..... صورة رقم 27/ب دار بكرى - السلم الثانوى
- 507..... صورة رقم 28 / أ معبد الكبير - خزانه جدارية
- 508..... صورة رقم 28 / ب دار بكرى - خزانه جدارية
- 509..... صورة رقم 29/أ معبد الكبير - النافذه
- 510..... صورة رقم 29 / ب ضريح رباب ورشباخ - النافذه
- 512..... صورة رقم 30/ معبد الكبير - قبه مركزية تقوم على مثن
- 513..... صورة رقم 31 / ضريح رباب ورشباخ - قبه تقوم على مثلثات ركنية
- 514..... صورة رقم 33 / دار بكرى - قبه بداية السلم المفضى إلى الطوابق
- 514..... صورة رقم 34 / دار بكرى - قبه نهاية السلم المفضى إلى السطح
- 515..... صورة رقم 35 / دار بكرى - نظام التسقيف بالأقبية المتقاطعة والبرميلية
- 516..... صورة رقم 36/ ضريح رباب ورشباخ - العقد النصف الدائرى
- 516..... صورة رقم 37/ ضريح رباب ورشباخ - العقد الفارسى
- 517..... صورة رقم 38/ دار بكرى - العقد المنكسر المتجاوز
- 517..... صورة رقم 39/ معبد الكبير - العقد الحذوى
- 518..... صورة رقم 40/ دار بكرى - العقد المستطيل
- 518..... صورة رقم 41/ معبد الكبير - العقد المفصص

ب. فهرس اللوحات

الرقم	الصفحة
▪ لوحة رقم 1:	
صورة رقم 1 تجميعية من المربعات الخزفية-دار بكري - إيوان الغرفة الشرقية.....520	
▪ لوحة رقم 2:	
صورة رقم 2 / تجميعية من المربعات الخزفية-ضريح ريباخ ورشباخ - بائكة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح.....520	
▪ لوحة رقم 3:	
صورة رقم 3 / تجميعية من المربعات الخزفية-ضريح ريباخ ورشباخ - بائكة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح.....521	
▪ لوحة رقم 4:	
صورة رقم 4 / مربع خزفي-دار بكري - عين جدارية بالسقيفة.....521	
▪ لوحة رقم 5:	
صورة رقم 5 / تجميعية من المربعات الخزفية-ضريح ريباخ ورشباخ - بائكة الرواق الذي يتقدم قاعة الضريح.....522	
▪ لوحة رقم 6:	
صورة رقم 6 / تجميعية من المربعات الخزفية-دار بكري - ايوان الغرفة الشرقية.....522	

▪ لوحة رقم 7:

صورة رقم 7 / تجميعة من المربعات الخزفية-ضريح ريباخ ورشباخ - افريز الواجهة..523

▪ لوحة رقم 8:

صورة رقم 8 / تجميعة من المربعات الخزفية-ضريح ريباخ ورشباخ - بائكة رواق الذي

يتقدم قاعة الضريح.....524

▪ لوحة رقم 9:

صورة رقم 9 / مربع خزفي_دار بكري_عين جدارية بالسقيفة الأمامية.....524

1. قائمة المصادر والمراجع بالعربية:

أ.المصادر:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس العهد القديم والجديد.
- سفر أخنوخ النسخة الحبشية.
- الإدريسي (أبو عبد الله الشريف)، المغرب العربي، من نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صادق، O.P.U. en co-édition imprimerie, Belgique، عام 1983.
- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1964م.
- ابن حوقل (أبي القاسم)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، المجلد الحادي والعشرون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من نوي السلطان الأكبر، المجلد السادس، دار الكتب، بيروت، 1992م.
- ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- بن عبد القادر الجزائري (محمد)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، الجزء الأول، شرح وتعليق ممدوح حقي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.

- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، 1999م.
- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر)، البداية والنهاية، الجزء العاشر، الطبعة الثامنة، مكتبة المعارف، لبنان، 1996م
- ابن مريم (الشريف المليني المديولي التلمساني)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة الشيخ محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- البغوي (أبي محمد الحسين بن مسعود)، تفسير البغوي معالم التنزيل، حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، المجلد الخامس، دار كتيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1991م.
- البكري (أبي عبيد الله)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة إدوارد سخاو، لبزاغ، 1923م.
- التيطلي (بنيامين)، رحلة بنيامين التيطلي (561هـ - 560هـ / 1165م - 1173م)، ترجمة عزرا حداد، دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.
- حمدان خوجة (ابن عثمان)، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- الراتسبوني (بتاحيا)، رحلة بتاحيا الراتسبوني 571هـ - 1175م / 576هـ - 1180م، ترجمة ودراسة وتحقيق فؤاد عبد الرحيم الدويكات، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر، الأردن، 2012م.

- الزجاج (أبي إسحاق إبراهيم ابن السري)، معاني القرآن وأعرابه، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الجزء الثالث، عالم الكتب، بيروت، 1988م.
- الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد شريف نقيب أشرف الجزائر، تحقيق توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- السموأل (بن يحيى المغربي)، إقحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، تقديم وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، الطبعة الأولى، دار الهداية، مصر، 1982م.
- الشهرستاني (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر)، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1975م.
- القلقشندي (أبي العباس أحمد بن عبد الله الفهري)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الثاني، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913م.
- كاثكارت، مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- مؤلف مجهول، كتاب عروج وخير الدين.
- المقرئزي (تقي الدين ابي العباس ابن علي)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت، د.ت.
- المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تعليق محمد سعيد ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1950م.
- موسى بن ميمون (القرطبي)، دلالة الحائرين، تحقيق حسن أتابي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي)، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

- يوسفوس اليهودي، تاريخ اليهود، اعداد الراهب انطونيوس الأنطوني، الطبعة الأولى، شركة الطباعة المصرية، القاهرة، مصر، 2006م.

ب.المراجع:

- أبو ريه (عطا)، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تقديم سنوسي يوسف إبراهيم، الطبعة الأولى، أترك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.
- أبو عساف (علي)، آثار الممالك القديمة في سورية 8500 ق م إلى 535 ق م، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988م.
- أبو المجد (إبراهيم ليلى)، أحكام النساء في التلمود عقود الزواج، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1995م.
- أبو المجد (إبراهيم ليلى)، المرأة بين اليهودية والإسلام، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2008م.
- أبو المحاسن (عصفور محمد)، المدن الفنية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
- أبيش (أحمد)، التلمود، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2006م.
- أحمد (أحمد عبد الرزاق)، العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي 21هـ_923هـ/641م_1517م، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 2012م.
- ادريس (روجي الهادي)، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.
- أرسلان (الأمير شكيب)، الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016م.

- أرمانة (أدولف)، الديانة في مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحمد انور شكري، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
- ألتز (عبد العزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989م.
- أمين (حسين)، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، 1965م.
- إيشبودان (العربي)، مدينة الجزائر (تاريخ عاصمة)، ترجمة جناح مسعود، مراجعة حاج مسعود مسعود، دار القصبة، للنشر، الجزائر، 2007م.
- الباجي (الإمام علاء الدين علي بن محمد) ، كتاب على التوراة أو الرد على اليهود، تحقيق السيد يوسف أحمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 2008م.
- الباروني (بن أحمد يوسف)، جزيرة جربة في موكب التاريخ، تحقيق وإعداد يوسف الباروني، د.ط، 1998م.
- الباشا (حسن)، الميتولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي، الطبعة الأولى، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1988م.
- باقر (طه)، مقدمة في تاريخ الحضارات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الوراق للنشر، بيروت، 2009م.
- بشور (أمل ميخائيل)، الحضارة السورية القديمة، الطبعة الأولى، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2017م.
- بشير (عبد الرحمن)، اليهود في المغرب العربي (22 - 426هـ/ 1070-1426م)، الطبعة الأولى، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001م.

- بلقاضي (بدر الدين) و بن حموش (مصطفى أحمد)، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
- بن أشنهو (عبد الحميد)، المالك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباترة سيليني، دار الأمة، الجزائر، 2007م.
- بن حموش (مصطفى أحمد)، المدينة والسلطة في الإسلام (نموذج مدينة الجزائر في العهد العثماني)، دار البشائر، دمشق، 1999م.
- بن حموش (مصطفى أحمد)، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (952هـ - 1549م / 1246-1830م)، دار البحوث للدراسات الإسلامية واحياء التراث، دبي، 2002م.
- بن شمعون (مسعود حاي)، الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مطبعة كوهين وروز نتال، مصر، 1912م.
- بن عبد الكريم (محمد)، من أعلام الجزائر المقري وكتابه نفخ الطيب، منشورات دار الحياة، بيروت، د.ت.
- بورويبة (رشيد)، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.
- بوعزيز (يحي)، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ممالك أوروبا 1500م-1830م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
- بوعمامة (فاطمة)، اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين (7-9 هـ / 13-15م)، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م.
- بونار (رابح)، مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية، ضمن تاريخ المدن الثلاث، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2000م.

- **تشرني (ياروسلاف)**، الديانة المصرية القديمة، ترجمة احمد قدري ومحمود ماهر طه، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1996م.
- **التميمي (عبد الجليل)**، الدولة العثمانية وقضية الموريسكين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989م.
- **ثروت (عكاشة)**، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشرق الأولى، القاهرة، 1994م.
- **جلوب (فون باجوت)**، اليهود واليهودية في العصور القديمة، ترجمة وتقديم رشاد عبد الله الشامي، الطبعة الأولى، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات، القاهرة، 2001م.
- **الجيلالي (عبد الرحمان)**، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
- **الحباشنة (بهجت عبد الرزاق)**، لفائف البحر الميت في ضوء القران والسنة الشريفة، كلية الدراسات الفقهية والقانونية جامعة البيت، الاردن، د.ت.
- **حداد (محمد حمزة إسماعيل)**، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993م.
- **حسن (جعفر الهادي)**، تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، العارف للمطبوعات ، بيروت، 2014م.
- **حسنين (علي فؤاد)**، اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العليا، جامعة الدول العربية، 1968م
- **حسين (عبد الرحيم أحمد)**، قصة مدينة المجدل وعسقلان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، د.ت.

- حليمي (عبد القادر)، نشأة مدينة الجزائر وتطورها قبل 1830م، الطبعة الأولى، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م.
- حمودة (محمود)، الديانة السورية خلال عصري البرونز والحديد 1600 ق م_333ق م، طباعة مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2014م.
- حيدر (علي)، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب فهمي الحسيني، المجلد الثاني، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، السعودية، 2003م.
- خان (ظفر الإسلام)، التلمود تاريخه وتعاليمه، الطبعة الثانية، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، 1982م.
- خلاصي (علي)، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداوي، دكتوراه حلقة ثالثة، جامعة الجزائر، 1985م.
- خليفة (محمد حسن)، تاريخ الديانة اليهودية، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
- خمّاش (نجدة)، دراسات في الآثار الإسلامية، الطبعة الرابعة، حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق، دمشق، 1998م.
- درويش (هدى)، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية المسيحية الإسلام، الطبعة الأولى، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2006م.
- درويش (هدى)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس (دراسة عن اليهود المارانوس)، معهد الدراسات الأسبوية، الطبعة الأولى، جامعة الزقازيق، 2008م.
- دودو (أبو العيد)، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830م_1855م، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

- دوكريه (فرانسوا)، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994م
- ديماندا (م.س)، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر، د.ت.
- رفعت (موسى محمد)، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م.
- رمضان (هويدا عبد العظيم)، اليهود في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى العصر الأيوبي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 2001م.
- الريحاوي (عبد القادر)، القيم العالمية في تراث الحضارات العربية الإسلامية المعماري والفني، الجزء الثاني، منشورات الوزارة الثقافية دمشق، 2000م.
- ريد (هربرت)، الفن والصناعة أسس التصميم الصناعي، ترجمة فتح الباب عبد الحليم جبيل، عالم الكتاب، 1974م.
- ريمون (أندرية)، العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب قاسم طوير، الطبعة الأولى، دار المجد، دمشق، 1986م.
- ريمون (أندرية)، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.
- ريه (عطا علي محمد شحاته)، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطسيين، الطبعة الأولى، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999م.
- الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م.
- زروال (محمد)، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791م - 1830م، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994م.

- الزعفراني (حاييم)، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1987م.
- الزعفراني (حاييم)، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، الجزء الأول، مرس، الرباط، 2000م.
- الزغبى (فتحي محمد)، تأثر اليهودية بالديانات الوثنية، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، 1994م.
- زغلول (عبد الحميد سعد)، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، إسكندرية، د.ت.
- زكار (سهيل)، التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف سنة، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2007م.
- زهيدي (بشير)، الإمبراطور فيليب العربي، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م.
- سامح (كمال الدين)، العمارة في صدر الإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.
- سبنسر (وليم)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم، عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م.
- السحمراني (أسعد)، البيان في مقارنة الأديان، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، 2001م.
- سرغي (أتوكاريف)، الأديان في تاريخ شعوب العالم، تعريب أحمد فاضل منشورات الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998م.
- سرور (محمد شكري)، نظام الزواج في الشريعة اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م.

- السعد (جودت)، أو هام التاريخ اليهودي، الطبعة الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998م.
- السعدي (غازي كامل)، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، الطبعة الأولى، دار الجليل، عمان، 1994م.
- سعد الله (فوزي)، اليهود هؤلاء المجهولون، الطبعة الثانية، دار الأمة، الجزائر، 2004م.
- سعيد (حبيب)، مدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية، القاهرة، د.ت.
- سعيدوني (ناصر الدين) والمهدي (بوعبدلي)، الجزائر في التاريخ العثماني، الجزء الرابع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- سلامة (خوري إبراهيم)، الدليل السياحي لأهم الأماكن الدينية والأثرية في الأرض المقدسة، الطبعة الأولى، مكتبة البيرة، القدس، 1997م.
- السواح (فراس)، لغز عشتار، الطبعة الثامنة، دار علاء الدين، دمشق، 2002م.
- السواح (فراس)، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، الطبعة الثالثة، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، 2003م.
- سوسة (أحمد)، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001م.
- سيرنج (فيليب)، الرموز في الفن والأديان والحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، طبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، 1992م.
- شاحاك (إسرائيل)، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ترجمة رضا سلمان، الطبعة الرابعة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، 1997م.

- شارل لوران (روهلنج)، الكنز المصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف، مصر، 1899م.
- الشافعي (فريد)، العمارة العربية الاسلامية ماضيها حاضرها ومستقبلها، الطبعة الأولى، الشركة العربية السعودية، الرياض، 1982م.
- شالر (وليام)، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816_1824)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- شحلان (أحمد)، اليهود المغاربة من منبت الأصول الى رياح الفرقة، الطبعة الأولى، دار ابي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2009م.
- الشريده (محمد حافظ) و غورائي (عمر عبد الخالق)، الطائفة السامرية، الطبعة الأولى، مكتبة الرسالة، نابلس، 1994م.
- شكري (محمد أنور)، العمارة في مصر القديمة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، مصر 1970.
- شلبي (أحمد)، مقارنة الأديان اليهودية، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م.
- شنودة (زكي)، المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- الشهابي (قتيبة)، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995م.
- شوفاليه (كورين)، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، الجامعية ديوان المطبوعات، الجزائر، 2007م.
- طالو (محي الدين)، المشهور في فنون الزخرفة عبر العصور، د.ط، د.ت.
- طالو (محي الدين)، الفنون الزخرفية، الطبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، 1986م.

- الطائش (علي أحمد)، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، الطبعة الأولى، دار زهراء الشرق، القاهرة، 2000م.
- طه (صابر أحمد)، نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- ظاظا (حسن)، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، 1971م.
- ظاظا (حسن)، أبحاث في الفكر اليهودي، الطبعة الأولى، دار القلم دمشق، 1987م.
- عاشور (السيد)، الختان في اليهودية في الشرائع السماوية والوضعية، مؤسسة المصري للكتاب، القاهرة، د.ت.
- عبد الله (إيناس سعدي)، تاريخ العراق الحديث، الطبعة الأولى، عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2004م.
- عبد المجيد (محمد بحر)، اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970م.
- عبد المجيد (محمد بحر)، اليهودية، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، الجيزة، 2001م.
- عطا (زبيدة محمد)، اليهود في العالم العربي، الطبعة الأولى، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003م.
- عقاب (محمد الطيب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000م.
- عقاب (محمد الطيب)، لمحات عن العمارة والفنون في الجزائر، طبعة الأولى، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة، 2002م.

- عكاشة (علياء)، العمارة الإسلامية في مصر الإسلامية، البردي للنشر، الجيزة، 2008م.
- علام (نعمت إسماعيل)، فنون الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام، دار المعارف، مصر، د.ت.
- عميري (إبراهيم) وروبه (سوزان)، المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، 2012م.
- غانم (محمد الصغير)، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م.
- غنيمه (يوسف رزق الله)، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، الطبعة الأولى، مطبعة الفرات، بغداد 1934م.
- فارس (فايز)، العبادة، دار الثقافة، بيروت، 2003م.
- فرج (مراد)، اليهودية، مطبعة التوفيق، مصر، 1920م.
- فكري (أحمد)، مسجد القيروان، الطبعة الأولى، دار العالم العربي، 2003م.
- قاسم (قاسم عبده)، اليهود في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو العثماني، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م.
- القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، O R E F – G A، 1984 M – 1985م.
- كونتو (ج)، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 2001م.
- كونل (أرنست)، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1966م.

- لاندو (يعقوب)، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية 1517م-1914م، ترجمة جمال أحمد الرفاعي وآخرون، المجلس الأعلى للغات، القاهرة، 2000م.
- لعرج (عبد العزيز)، ، الزليج في العمارة الإسلامية في الجزائر خلال العصر التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.
- لمعي (إكرام) القس، الاختراق الصهيوني للمسيحية، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت، 1991 م.
- لوبون (جوستاف)، اليهود في تاريخ الحضارة الأولى، ترجمة عادل زعتر، الطبعة الأولى، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2009م.
- مارسيه (جورج)، الفن الإسلامي، ترجمة عبلة عبد الرزاق، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016م.
- مازيل (جان)، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1998م.
- مالدونادو (باسيليو بابون)، عمارة المساجد في الأندلس وطليلة واشبيلية، ترجمة علي ابراهيم منوفي، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، 2011م.
- مالكا (إيلي)، العوائد العتيقة اليهودية بالمغرب من المهد الى الحد، الطبعة الثانية، مطبعة دار النجاح الجديدة، دار البيضاء، 2003م.
- مالمات (إبراهيم)، العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة، ترجمة رشاد عبد الله شامي، الطبعة الأولى، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات، القاهرة ، 2001م.
- ماهر (محمد سعاد)، الخزف التركي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والرسائل التعليمية، 1977م.

- ماهر (محمد سعاد)، الفنون الإسلامية، الطبعة الثانية، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- محمد (إبراهيم حياة)، نبوخذ نصر الثاني 604_562 ق م، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1983م.
- المدني (أحمد توفيق)، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492م-1792م)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- مرزوق (محمد عبد العزيز)، الفنون الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، د.ت.
- مرزوق (محمد عبد العزيز)، الفنون الزخرفية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م.
- مصطفى (صالح لمعي)، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- منصور (أنيس)، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، المكتب المصري الحديث، د.ت.
- مهران (محمد بيومي)، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1994م.
- الموحى (عبد الرزاق رحيم صلال)، العبادات في الأديان السماوية اليهودية، المسيحية، الإسلام، الطبعة الأولى، الأوائل، دمشق، 2001م.
- ميادان (مادلين موريس)، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، 1981م.
- الملي (مبارك بن محمد الهلالي)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت.

- نور الدين (عبد القادر)، صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006 م.
- نور الدين (عبد الحليم)، مقبرة الملكة نفرتاري، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، د.ت.
- هنري هووك (صموئيل)، منعطف المخيطة البشرية، ترجمة صبحي حديد، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 1983 م.
- الهواري (محمد)، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، الطبعة الأولى، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، 1988 م.
- الهواري (محمد)، الاختلافات بين القرائين والريانيين في أضواء أوراق الجيزة، دار الزهراء للنشر، القاهرة، 1994 م.
- وافي (علي عبد الواحد)، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، الطبعة الأولى، دار نهضة للطباعة والنشر، القاهرة، 1964 م.
- ولفنسون (إسرائيل)، موسى بن ميمون، الطبعة الأولى، مطبعة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة، 1936 م.
- وليم (أولبريت)، أثار فلسطين، ترجمة زكي إسكندري ومحمد عبد القادر محمد، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971 م.
- وهبي (توفيق)، اليزيدية بقايا الديانة الميترائية، بحزاني للثقافة والنشر، د.ت.
- يحي (أسامة عدنان)، تاريخ الشرق القديم، الطبعة الأولى، آشور بانيبال، بغداد، العراق، 2005 م.
- يوسف (السعيد سوزان)، المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها_دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم، الطبعة الأولى، عين شمس الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2005 م.

ج. الدوريات والمجلات والمحاضرات:

- أبو سلة (عبد الحميد أحمد)، "الكنعانيون والعبريون وصراع المسميات"، عن: المجلة العلمية لكلية التربية، المجلد الأول، العدد العاشر، جامعة مصراته، ليبيا، 2018م.
- أحمد (أمل عبد الله)، "الأواني الطقسية والنذرية في معابد العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، عن: مجلة التربية والعلم، المجلد عشرون، العدد الرابع، جامعة الموصل، 2013م.
- أمين (أحمد)، "العمارة المسيحية المبكرة"، عن: سلسلة الكراسات القبطية، العدد الخامس، مكتبة الإسكندرية، الاسكندرية، مصر، 2015م.
- باقر (طه)، "ديانة البابليين والآشوريين"، عن: مجلة سومر، العدد الثاني، الجزء الأول، مطبعة النفيز الأهلية، بغداد، 1946م.
- بشاري (محمد الحبيب)، "التوسعات الرومانية وانعكاساتها على الزراعة المغاربية"، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الرابع عشر، الجزائر، 2012 م.
- بلحميسي (مولاي)، "صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك (ق16م/ق19م)"، عن: مجلة الدراسات الأثرية دورية علمية، معهد الآثار، العدد الثالث، 1995م.
- بليل (رحمونة)، "سيطرة اليهود على التجارة الجزائرية الليفورنية خلال القرن الثامن عشر"، عن: مجلة عصور الجديد، العدد العاشر، الجزائر، 2013م.
- بن بلة (علي) المقراني (محمد)، "دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة في المتحف الوطني للآثار القديمة"، حوليات المتحف الوطني للآثار، عدد الرابع، 1994م.
- بن دحو (محمد)، "ملاحم من تاريخ اليهود بمدينة دبوا الأثرية"، عن: مجلة ليكسوس، العدد العاشر، 2017م.

- **بن كردرة (زهية)**، "الشواهد العبرية بالمتحف الوطني للآثار"، عن: حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد الخامس، 1996م.
- **بن كردرة (زهية)**، "خاتم سليمان"، عن: حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد السابع، 1998م.
- **بهنسي (عفيف)**، "العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع"، عن: سلسلة إبداع، العدد الخامس، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، القاهرة، 1994م.
- **حامد (صفي الدين)**، "الحديقة الإسلامية، ودور مصمم المواقع في تطوير المدينة العربية"، عن: أبحاث ندوة المدينة العربية وخصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي، 1982م.
- **حسن (سامي)**، "العمارة المدنية بالأندلس (الدار الأندلسية)"، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، السنة 1986م.
- **حسن (محمد خليفة) وسراج (النبوي)**، "الجنيزا في المعابد اليهودية في مصر"، عن: سلسلة الدراسات الدينية التاريخية، العدد التاسع، جامعة القاهرة، 1999م.
- **الحمداني (عبد الأمير)**، "صورة النخلة في المعتقدات الرافدينية"، عن: مجلة الآداب السومرية، العدد الرابع، السنة الثانية بغداد، العراق، 2009م.
- **حملوي (علي)**، "الزخارف الجصية بين التطور والانحطاط"، عن: مجلة الدراسات الاثرية، العدد الأول، الجزائر، 1992م.
- **دوفو (رولان)**، "بنو إسرائيل مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم"، ترجمة عبد الوهاب علوب، عن: سلسلة الدراسات التاريخية، العدد الثاني وأربعين، الجزء الأول، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2010م.
- **الذباغ (تقي)**، "ألهاة فوق الارض"، عن: مجلة سومر، العدد الثالث والعشرون، الجزء الثاني، بغداد، العراق، 1971م.

- رشاد عبد الله الشامي، " الرموز الدينية في اليهودية"، عن: سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الحادي عشر، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2003م.
- الريحاوي (عبد القادر)، "البيت في المشرق العربي"، عن: المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، وزارة الثقافة الجزائرية، تلمسان، 1987م.
- الزيري (العربي)، "تأسيس شركة بكري وبوجناح ودورها في عهد حسن ومصطفى باشا"، عن: مجلة الأصالة، العدد: أربعة وعشرون، الجزائر، 1975م.
- السعداني (عزت)، "جنة عدن"، عن: مجلة تحقيقات، العدد مئة وثلاثة وعشرون، 1998م.
- سعيدوني (ناصر الدين)، " قانون أسواق مدينة الجزائر"، عن: حوليات جامعة الجزائر، العدد الخامس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990م.
- شريد (حورية)، " زخارف شجرة اليهود في الفن الجزائري أثناء العهد العثماني"، عن: حوليات متحف الوطني للآثار، العدد الحادي عشر، 2002م.
- شريد (حورية)، " الداي حسين والأسباب الخلفية لسقوط الجزائر"، عن: مجلة الآثار، العدد الثالث عشر، الجزائر، 2003م.
- الصاوي (أحمد)، "المعبد اليهودي في طليطلة يشهد على حضارة وسماحة المسلمين"، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد السابع والخمسون والثامن والخمسون، جامعة دمشق، 1996م.
- العزاوي (عبد الستار جبار موسى)، "مزايا العقد والقبو في العمارة العربية في العراق"، عن: وقائع المؤتمر التاسع للآثار، تونس، 1985م.
- عزوز (فاطمة الزهراء)، "مظاهر الفكر الأدبي العبراني دراسة في أصول لغة العبرانيين ومخلفاتهم الأدبية من خلال كتب العهد القديم ق10 ق.م ق01 ق.م"، عن: مجلة الدراسات التاريخية، العدد التاسع عشر، الجزائر، 2015م.

- عطا الله حسين (سيما)، "العناصر المعمارية في مرقد نبي الله ذي الكفل"، عن: مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد اثنين وأربعون، جامعة الكوفة، الكوفة، السنة 2012م.
- عقاب (محمد الطيب)، "المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر"، عن: المؤتمر العاشر للآثار، 1987م.
- عقاب (محمد الطيب)، "من عناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل"، عن مجلة الدراسات الأثرية، العدد الثاني جامعة الجزائر، 1992م.
- غطاس (عائشة)، "الصدّاق في مجتمع مدينة الجزائر 1672_1854م من خلال المحاكم الشرعية"، عن: مجلة إنسانيات، العدد الثالث، الجزائر، 1997م.
- الفدادي (فاطمة)، "هيلولة أولاد زميرو.. عادات وتقاليد يهود أسفي تقاوم النسيان"، عن: مجلة هيسبرس الالكترونية المغربية، العدد الخامس، 2013م.
- لعرج (عبد العزيز)، "المساجد الزيانية بتلمسان عمارتها وخصائصها"، عن: حوليات جامعة الجزائر 2، العدد السادس، 2008م.
- الماجدي (خزعل)، "المعتقدات الكنعانية"، عن: سلسلة التراث الروحي للإنسان، العدد الخامس، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2001م.
- الماجدي (خزعل)، "المعتقدات الأمورية"، عن: سلسلة التراث الروحي للإنسان، العدد السادس، الطبعة الأولى، دار الشروق والتوزيع، عمان، 2004م.
- محسن (هاله عبد الأمير)، "المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين"، عن: مجلة الجامعة المحكمة، العدد الثاني، جامعة الإمام جعفر الصادق، العراق، 2014م.
- هيكل (أحمد الشحات)، "يهود المغرب في الأدب العبري الحديث وأوهام الخلاص الزائف"، عن: سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، العدد واحد وعشرون، القاهرة، سنة 2007م.

د. الموسوعات والقواميس:

- ابن البيطار، تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن بطار العشاب الملقى، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار المغرب الاسلامي، د.ت.
- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثامن دار صادر، بيروت، د.ت.
- بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، دار منهل الحياة، بيروت، 1993م.
- بن يحيى (ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد)، حققه الجبوري (كامل سليمان)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العالمية، لبنان، 1971م.
- حسن (سليم)، موسوعة مصر القديمة، الجزء الرابع عشر، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2000م.
- الحموي البغدادي (ياقوت بن عبد الله شهاب الدين ابن عبد الله)، معجم البلدان، المجلد الأول، مادة "بر ملاحه"، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت لبنان، 1977م.
- رزق (محمد عاصم)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، عام 2000م.
- السواح (فراس)، موسوعة تاريخ الأديان، ترجمة عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي، الجزء الخامس، مكتبة دار التكوين، دمشق، 2018م.
- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العزيز مطر، ومراجعة عبد الستار احمد فراج، الجزء الثامن، الطبعة الثانية، التراث العربي، الكويت، 1994م.

- شامي (رشاد)، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2002م.
 - عجيب (أحمد علي)، موسوعة العقيدة والأديان الوثنية القديمة، الطبعة الأولى، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2006م.
 - غالب (عبد الرحيم)، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، جروس برس، بيروت، 1988م.
 - المحجوب (عبد المنعم)، معجم تانيت، الطبعة الأولى، دار الكتاب العالمية، بيروت، 2013م.
 - المسيري (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1999م.
 - المسيري (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، الطبعة الأولى، دار الشرق، القاهرة، 1999م.
 - المغوث (سامي بن عبد الله)، أطلس الأديان، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، 2007م.
 - الموسري (هاشم عبود)، موسوعة الحضارات القديمة، الطبعة الأولى، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، 2013م.
 - نوار (سامي محمد)، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002م.
 - هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، الطبعة الثانية، جروس بروس، طرابلس، لبنان، 1991م.
- هـ. الرسائل الجامعية:

- بن كردرة (زهية)، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2000م.
 - بورابة (لطيفة)، التصوير في سقف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية (حلب)، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2009م.
 - راجعي (زكية)، الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط من بداية العصر الحمادي إلى نهاية العصر المريني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1993م.
 - راجعي (زكية)، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني، دراسة أثرية معمارية فنية، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007م.
 - غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-130م مقارنة اجتماعية-اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث الجزء الأول، جامعة الجزائر، 2000م، 2001م.
 - طوبال (نجوى)، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700م-1830م، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005م.
 - طيان (شريفة)، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2009م.
 - لعرج (عبد العزيز)، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية فنية، الجزء الثاني، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999م.
- ن. الجرائد:

▪ العلوي (عوني محمد)، "قبررحيل وقف إسلامي"، في: جريدة دنيا الوطن، 8 فيفري 2013م.

▪ المحمداوي (يوسف)، "عزرا نبراس الذاكرة"، في: جريدة الذاكرة العراقية للتاريخ... الإنسان... الموقف، 12 جوان 2018م.

2. قائمة المصادر والمراجع بالفرنسية:

أ. المصادر:

- **Degrammont (HD)** Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830), Ernest Leroux, édition, Paris,1887.
- **Haédo (F.D)** ,Topographie et histoire d'Alger, La vie à Alger au sièclezième siècle, présenté par Abderrahmane Rabahi, édition grand Alger,2007.
- **Haédo (F.D)**, Histoire des rois d'Alger, jourdan, Alger,1881.
- **Laugie De Tassy**, Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam, Hollande, 1924.
- **Peyssonnel et Des fontaines**, voyage dans la régence de Tunis et d'Alger, tom premier, Librairie de Gide, éditeur des annales des voyages, Paris, 1838.
- **Shaw**, Voyage dans plusieurs Provinces de la Barberie et du levant: d'Alger et de tunis et la Syrie, l'égypte , l'Arabie a pétérée la hate sher jean neulme M .D .CC .X L II L.
- **Shaw**, Voyage dans la régence d'Alger, 2édition, Bousalama, Tunis, 1980.

ب. المراجع:

- **Adam (Jean-Pierre)**, La construction romaine matériaux et techniques, troisième édition grand manuelle picard, 1995.
- **Arseven (C.E)**, Les arts décorative turcs, S.D.

- **Attal (R)**, Regard sur les juifs d'Algérie, Edition L'harmmattan, Paris, 1996.
- **Bauyer (H)**, Le livre d'Or des israélites Algériennes, Alger, 1872.
- **BenjaminΠ (I)**, Cinque Années de voyage en orient, Imprimerie -Librairie De M, Paris, 1856.
- **Bourouiba (R)**, L'art religieux musulman en Algérie, S N E D, 1973
- **Boyer (p)**, la vie quotidienne la vie quotidienne à Alger a veille de l'intervention française, Hachette, Paris, 1963.
- **Cahen (Ab)**, Les juifs dans L'Afrique septentrionale, Constantine, 1867.
- **Cazés (D)**, Essai sur l'histoire des israélites de Tunisie, librairie Armand Durlacher, Paris, 1889.
- **Chevalier (A)**, D'envoyé extraordinaire du Roi à la porte, consul d'Alger de tripoli, 1et autre échelles du levant, tome5, Librairie Charles Jean Bastiste Delespine, Paris, 1735.
- **Chouraqui (A)**, Marche vers l'occident les juifs d'Afrique du nord , presses universitaires de France, paris, 1962 .
- **Chouraqui (A)**, Le saga des juifs en Afrique du nord , Hachette, 1972.
- **De beylie**, La Qalaa de Beni Hammad une capitale berbère de l'Afrique du nord au xi siècle, Ernest Lernout, Paris, 1909.
- **Devoulx (A)**, Alger, [S.D],[S.E].
- **Devoulx (A)**, Les édifices religieux de l'ancien Alger, Typographie Bastide, Alger, 1910.
- **Eisenbeth (M)**, Les juifs de l'Afrique du nord démographie et onomastique, Alger, 1936 .
- **Eisenbeth (M)**, Les juifs en Algérie et en Tunisie a l'époque turque , extrait de R.A1875, tom XCVI, n° 431_433, Alger, 1952.
- **Eudel (P)**, L'Orfèvrerie Algérienne et Tunisienne, Alger, 1902.

- **Fraigneau**, L'art arabe à Alger, la maison mauresque, [S, E], [S,D].
- **Gabriel (E)**, Alger et sa région, édition ARTHURD, Paris, Grenoble, 1957.
- **Garrot (H)**, Les juifs algériens, Librairie Louis Relin, Alger, 1898.
- **Giauanchain (J)**, Alger, 2Edition a L'i,premerie Algérienne, Paris,1905.
- **Golvin (L)**, Recherche archéologique à la Quala des Bannu Hamad, G .P, maison neuve et la rose, Paris, 1965.
- **Golvin (L)**, palais et demeures d'Alger à la période ottomane, Alger, Inas , 2003.
- **Hanoune (J)** , Aperçu sur les israélite Algériens et sur la communauté d'Alger , Maison Bastéde, Alger, 1922.
- **Jerrilynn and Dodds (D)**, Al-Andalous The art of islamic spain, Distributed by INC, New York, 1992 .
- **Klien (H)**, feuillets d'eldjazair, chaix éditeur , Alger, 1937.
- **Klien (H)** , feuillets d'eldjazair, comité du vieil Alger, Alger, ,n6, nov, 1958.
- **L'espes (R)**, Etude Géographique et histoire urbain, M.C.MXXX, Paris.
- **Lessoré et wyld**, Voyage pittoresque dans la régence d'Alger,Charles motte, Paris, 1835.
- **Marçais (G)**,L'art en Algérie, Imprimerie Algérienne, 1905.
- **Marçais (G)**, L'architecture musulmane d'occident Tunisie, Algérie, Maroc ,Espagne, Sicile, art matière graphique ,France, 1954.
- **Marçais (G)**, Ville et compagne d'Algérie, édition du Telle, réédition de l'ouvrage public, l'exposition de Bruxelles, 1958.
- **Masson (Paul)**, Histoire des Etablissements et du comence français dans L'Afrique barbaresque (1560-1793),(Algérie, Tunisie,Tripolitaine, Maroc), Librairie Hachette, Paris,1903.

- **Missoum (S)**, Alger a l'epoque ottomane la medina et la maison traditionnelle, Edisud, Alger, 2003.
- **Ravéreau (A)**, Casbah d'Alger et le site créa la ville, sindibad, 1989.
- **Revault (J)**, L'habitation tunisoise pierre marbre et fer dans la construction et décor, édition C.N.R.S, 1978.
- **Rinn**, Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey, Alger, 1900.
- **Rozet (M)**, Voyage dans La Régence d'Alger, Arthus Bertrand, Libraire-éditeur, Paris, 1833.
- **Rozet et Carette**, Agerie, Firmin Didot, Paris, 1905
- **Shaup (J.F)**, Les juifs du Roi d'Espagne _Oran (1509_1669), Hachette littératures, 1999.
- **Shuval (T)**, La ville d'Alger vers la fin du xvIIIe siecle, CNRS éditions, Paris, 1998.
- **Zafrani (H)**, Les juifs du Maroc, vie sociale, économique et religieuse, paris, 1973.
- **Zafrani (H)**, Juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larousse, paris, 1996.

ج.الدوريات والمجلات والمحاضرات:

- **Assan (V)**,« Les synagogues dans l'Algérie coloniale du xIx siècle»,In: Archive juive, vol37, 2004.
- **Bel (A)**, Tlemcen et sa région, guide illustré, Le syndicat d'initiative de Tlemcen, 1921.
- **Ben Hamouche (M)**, « Les quartiers résidentiels et les organisations populaires à Alger à l'époque ottoman», In : Revue d'Histoire Magrébine n° 83-84, 1996.

- **Brain**, « L'Afrique du nord illustrée », In : Journal Hebdomadaire d'actualités nord Africaines, Algérie, Tunisie, Maroc, n°675, Année 1929.
- **Darmon**, « origine et constitution de la communauté israélite de Tlemcen », In : R.A 1870, vol14.
- **Devoulx (A)**, « Alger étude archéologique et topographique sur cette ville aux époques romaine (Icosium), Arabes (Djezaïr Beni Mazrena), et turque (El Djezaïr) ». In R.A 1878, vol 29.
- **Eisenbeth (M)**, « Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque (1516-1830) ». In: R.A 1952, vol 96.
- **Gorcus**, « Notice sur le bey d'Oron », In: R.A 1857, Vol2.
- **Le Bohec (Y)**, « Inscriptions juives et judaïsantes de L'Afrique Romaine », In: Antiquités Africaines, N°17, 1981
- **Leschi (L)**, « Les origines d'Alger », conférence faite le 16 juin 1941, dans: feuillets d'El Djazair comité de vieil Alger, d'imprimerie de presse Algérie
- **Mainz (E)**, « Les Juifs d'Alger sous la domination Turque », In: Journal asiatique n°240, 1952.
- **Marçais (G)**, « Les origines de la maison Algérienne » dans : Cahier des arts et techniques d'Afrique du nord, n°7, 1974.
- **Marcel (É)**, « mémoire sur le royaume d'Alger de son étendue et gouvernement », bibliothèque nationale, 1666.
- **Marcel (p)**, Alger La casbah, transmit par Pastor (R), extrait de la Revue AFN, n°56, Paris, S.D.
- **Sautraya (E) et Charleville**, « Le code rabbinique », In: R.A.F 1869, Vol13.
- **Venture de paradis**, « Alger au XVIII^e siècle », 1^{er} article : In R.A 1875, vol39.
- **Yacona (X)**, « On peut évaluer la population d'Algérie vers 1830 », In: R.A 1954, Vol96.
- **Yacona (X)**, « Note sur le nombre des Juifs dans la régence d'Alger », In: Cahier de Tunisie, N°115_116, 1981.

- **Zafrani (H)**, « profil intellectuel du lettré juif et son congénère musulman au Maghreb (XVIe XXème siècle) », In : cahiers de la méditerranée, hors série n7, année 1983.
- **Zafrani (H)**, " conscience et mémoire hispano-maghrébines dans les traditions poétique et musicales juives au Maroc», In : cahier des civilisations médiévale, 27 e année ,n° 107, juillet-septembre 1984.

د. الموسوعات والقواميس:

- **Encyclopédie berbère IV**, « Alger »,edisud, France,1987.
- **Eudel (P)**, , Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du nord Maroc, Algerie, Tunisie, Tripolitaine,Ernest Leroux, Paris, 1906.

هـ. المواقع الالكترونية:

- <https://www.skyscrapercity.com/showthread.php?t=1876569>
- Encyclopédie judaica



قائمة المصادر والمراجع



الفهرس العام

الفصل التمهيدي

1. التطور التاريخي لمدينة الجزائر منذ النشأة إلى غاية التحاقها بالدولة العثمانية وتوافد الطائفة اليهودية إليها.....11
 - 1.1. الإطار الجغرافي.....11
 - 2.1. الإطار التاريخي.....11
 - 1.2.1. العصر الفينيقي وتوافد اليهود.....12
 - 2.2.1. العصر الروماني ومصير الطائفة اليهودية.....15
 - 3.2.1. العصر الإسلامي وضمه للطائفة اليهودية.....19
2. النسيج العمراني بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني مراكز إقامة الطائفة اليهودي.....34
3. علاقات الطائفة اليهودية.....58
 - 1.3. علاقة الطائفة اليهودية بموظفي الإيالة.....58
 - 2.3. علاقة الطائفة اليهودية مع الأهالي.....63
 - 3.3. علاقة أفراد الطائفة اليهودية فيما بينهم.....67
4. نظرة عامة عن المجتمع اليهودي بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني.....70
 - 1.4. نظام الأسرة في الشريعة اليهودية.....70
 - 2.4. مكانة المرأة في الأسرة اليهودية.....76
 - 3.4. البكورة في الأسرة اليهودية.....78
 - 4.4. الهبات والتركات داخل الأسرة اليهودية.....80

الفصل الأول

87.....	1. العقيدة اليهودية وشعائرها الدينية
87.....	1.1. المصادر التشريعية في العقيدة اليهودية
87.....	1.1.1 المصادر المكتوبة
87.....	2.1.1 المصادر غير المكتوبة أو الشفوية
88.....	1.1.1.1 التوراة
88.....	أ. سفر التكوين
88.....	ب. سفر الخروج
89.....	ج. سفر اللاويين
90.....	د. سفر العدد
90.....	هـ. سفر التثنية
91.....	2.1.1.1 الكتب التاريخية أو الكتابات
92.....	3.1.1.1 كتب الاناشيد
92.....	4.1.1.1 كتب الأنبياء
95.....	1.2.1.1 التلمود
97.....	أ. المشناه
99.....	ب. الجماره
99.....	2.2.1.1 كتب التفسير
99.....	أ. مدارش الهالاخا
99.....	ب. مدارش الهاجاداه
107.....	2.1 الطوائف الدينية
107.....	1.2.1 الربانيون
108.....	2.2.1 القراؤون
109.....	3.2.1 السامريون
112.....	3.1 الشعائر الدينية

112.....	1.3.1. الصلاة.
117.....	أ. صلاة الفجر
118.....	ب. صلاة نصف النهار
118.....	ج. صلاة المساء
121.....	2.3.1. الصوم.
125.....	3.3.1. الختان
127.....	4.3.1. الذبح الشرعي
128.....	5.3.1. الحج
130.....	6.3.1. الموت
138.....	7.3.1. قداسة السبت
140.....	4.1. الأعياد والإحتفالات اليهودية
141.....	1.4.1. الأعياد اليهودية
142.....	1.1.4.1. الأعياد الشرعية
142.....	أ. عيد رأس السنة العبرية
143.....	ب. عيد الغفران
144.....	ج. عيد المظال
145.....	د. عيد الفصح
147.....	هـ. عيد الحصاد
148.....	2.1.4.1. الأعياد الغير شرعية
148.....	أ. عيد التدشين
148.....	ب. عيد النصر
150.....	3.1.4.1. أعياد يهود المغرب الإسلامي
150.....	أ. عيد الميمونة
151.....	ب. عيد الهيلولة
153.....	ج. عيد بوريم
153.....	د. عيد هصوم

2. المنشآت الدينية	155
1.2. المعبد.....	155
2.2. تطور دور العبادة.....	157
3.2. دور المعبد.....	175
4.2. النظام الداخلي للمعبد.....	176
أ.الناجد.....	176
ب. مجلس الطائفة.....	178
ج. المحاكم الرببية.....	180
د. المرتل.....	182
هـ. الشماس.....	182
ن.الختان.....	182
و. الشوحيط.....	183
5.2. طرز المعابد.....	184
1.5.2. المعابد ذات التخطيط البازيليكي.....	189
2.5.2. المعابد ذات التخطيط المسجدي.....	191
3. المعابد اليهودية في الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال المؤلفات.....	193
1.3.دراسة تاريخية لبعض النماذج المعابد	195
1.1.3.معبد سبع لويات.....	195
2.1.3. معبد الكبير أو جامع اليهود.....	196
2.3. دراسة وصفية لمخططات المعابد.....	198
1.2.3.الطرار المحلي.....	198
1.1.2.3. معبد سبع لويات.....	198
2.2.3. الطراز الوافذ.....	198
1.2.2.3. المعبد الكبير.....	198
3.3. الدراسة التحليلية.....	200

200.....	1.3.3. قاعة العبادة.
201	3.3. 2. الهيكل
203	4. الضريح
206.....	1.4. تطور العمائر الجنائزية.
215.....	2.4. طرز الأضرحة.
220.....	5. المقابر والأضرحة اليهودية في الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال المؤلفات.
223.....	1.5. دراسة تاريخية لنماذج الأضرحة.
231.....	2.5. دراسة وصفية لمخطط الضريح
231.....	1.2.5. ضريح ريباخ ورشباخ.
237.....	3.5. دراسة تحليلية لمخطط الضريح.

الفصل الثاني

المنشآت المدنية

240.....	1. المسكن
240.....	1.1. تعريف المسكن.
241.....	2.1. تطور المسكن.
241.....	3.1. طرز المسكن.
241.....	1.3.1. التخطيط ذو الصحن.
244.....	2.3.1. طراز ذو الإيوانات.
247.....	2. المساكن داخل أسوار مدينة الجزائر وخارجها.
247.....	1.2. المساكن داخل الأسوار.
250.....	2.2. المساكن خارج الأسوار.
250.....	1.2.2. فحص باب الوادي.
250.....	2.2.2. فحص باب الجديد.
250.....	3.2.2. فحص باب عزون.
256.....	3. دراسة تاريخية لنماذج المساكن
256.....	1.3. دار بكري.

258.....	2.3. دار دوران
260.....	4.دراسة وصفية لمخططات المساكن
260.....	1.4. المظهر الخارجي
261.....	2.4. المظهر الداخلي
261.....	1.2.4. دار بكري
265.....	2.2.4. دار دوران
266.....	5. دراسة وصفية تحليلية لمرافق المساكن
266.....	1.5. السقيفة
269.....	2.5. الصحن
272	3.5.الأروقة
274.....	4.5.الغرف
276.....	5.5.المطبخ
277.....	6.5. المخزن
278.....	7.5. الحمام
280.....	8.5. بيت الغسيل
280.....	9.5. المراحيض
281.....	10.5.العيون الجدارية
282	11.5.الصهاريج
283.....	12.5.النوريات
283.....	13.5.الأفنية
284.....	14.5.السطح
286.....	15.5.المنزه
287.....	16.5.الحديقة

الفصل الثالث

دراسة وصفية تحليلية للوحدات والعناصر المعمارية

1. الوحدات المعمارية.....	290
1.1. الهيكل.....	290
1.1.1. هيكل المعبد الكبير.....	290
2.1. بيماء.....	291
1.2.1. بيماء بالمعبد الكبير.....	292
3.1. دوخان.....	292
1.3.1. دوخان ضريح ريباخ ورشباخ.....	293
4.1. السدة.....	293
1.4.1. السدة بالمعبد الكبير.....	294
5.1. الجنيزة.....	294
1.5.1. جنيز معبد سبع لويات.....	295
2.5.1. جنيز معبد الكبير.....	296
3.5.1. جنيز ضريح ريباخ ورشباخ.....	296
6.1. الأحواض.....	297
1.6.1. حوض المعبد الكبير.....	297
7.1. النافورات.....	297
2. عناصر الانتقال و الفتحات و التهوية.....	298
1.2. المداخل.....	298
1.1.2. مدخل المعبد الكبير.....	298
2.1.2. مدخل ضريح ريباخ ورشباخ.....	299
2.2. الأبواب.....	299
1.2.2. الأبواب الرئيسية.....	300
2.2.2. أبواب المرافق.....	302
3.2.2. أبواب الغرف.....	303

304.....	3.2.السلام
304.....	4.2.الخزانات الجدارية
305.....	1.4.2.خزائن المعبد الكبير
305.....	2.4.2.خزائن ضريح ريباخ ورشباخ
305.....	3.4.2.خزائن دار بكري
305.....	5.2.النوافذ و الشمسيات
305.....	1.5.2.النوافذ والشمسيات بالمعبد الكبير
306.....	2.5.2.النوافذ والشمسيات بضريح ريباخ ورشباخ
306.....	3.5.2.النوافذ والشمسيات بدار بكري
307.....	3. عناصر التغطية
307.....	1.3.القباب
309.....	1.1.3.قبة المعبد الكبير
309.....	2.1.3.قبة ضريح ريباخ ورشباخ
310.....	3.1.3.قبة دار بكري
310.....	2.3.الأقبية
311.....	4 وسائل الرفع والدعم
311.....	1.4.العقود
311.....	1.1.4.العقد النصف دائري
312.....	2.1.4.العقد الفارسي
312.....	3.1.4.العقد المنكسر المتجاوز
313.....	4.1.4.العقد الحذوي
313.....	5.1.4.العقد المفرطح
314.....	6.1.4.العقد المفصص
315.....	2.4.الأعمدة
315.....	1.2.4.الأعمدة الأسطوانية
315.....	2.2.4.الأعمدة الحلزونية

315.....	الأعمدة المضلعة.3.2.4
315.....	الأعمدة المركبة.4.2.4
315.....	ضريح ريباخ ورشباخ.1.4.2.4
316.....	صحن دار بكري.2.4.2.4
316.....	التيجان.3.4

الفصل الرابع

مواد الزخرفة وعناصرها

318.....	1.مواد الزخرفة.1
318.....	1.1.الرخام.1.1
319.....	1.1.1. طريقة صناعة الرخام.1.1.1
319.....	2.1.1.مجالات استخدام الرخام في كل من المنشآت الدينية والمدنية.2.1.1
321.....	2.1.المربعات الخزفية.2.1
321.....	1.2.1. تقنيات صناعة الخزف.1.2.1
322.....	2.2.1. مجالات استخدام المربعات الخزفية في كل من المنشأة الدينية والمدنية.2.2.1
324.....	أ. المربعات الخزفية الهولندية.324
326.....	ب. المربعات الخزفية الايطالية.326
327.....	ج. المربعات الخزفية ذات الأسلوب الأوروبي.327
329.....	3.1.الخشب.3.1
330.....	1.3.1.تقنيات صناعة الخشب.1.3.1
332.....	2.3.1. مجالات استخدام الخشب في كل من المنشأة الدينية والمدنية.2.3.1
333	4.1.الجص.4.1
336.....	1.4.1.طريقة صناعة الجص.1.4.1
337.....	2.4.1.مجال إستعمال الجص بالمنشآت الدينية والمدنية.2.4.1
338	5.1.المعادن.5.1

340.....	1.5.1. تقنيات صناعة المعادن.....
340.....	2.5.1. مجال إستعمال المعادن في المنشآت الدينية والمدنية.....
341.....	2. عناصر الزخرفة وأنواعها.....
341.....	1.2 الزخرفة النباتية.....
341.....	1.1.2. الأزهار.....
341.....	أ. زهرة اللوتس.....
342.....	ب. زهرة اللاله.....
343.....	ج. زهرة القرنفل.....
344.....	د. أزهار أخرى.....
344.....	2.1.2. الأوراق.....
344.....	أ. ورقة الأكانتس.....
345.....	ب. أنصاف المراوح النخيلية.....
345.....	3.1.2. الاشجار.....
345.....	أ. شجرة الحياة.....
347.....	ب. شجرة السرو.....
350.....	2.2. الزخرفة الهندسية.....
352.....	3.2. الزخرفة الكتابية.....
353.....	4.2. الزخرفة المعمارية.....
354.....	5.2. الزخرفة الرمزية.....
354.....	أ. المينوراه.....
356.....	ب. نجمة داوود.....
357.....	ج. نجمة ثمانية الرؤوس.....
358.....	د. الهلال.....
361.....	الخاتمة.....
367.....	الملاحق.....

368.....	ملحق الوثائق.
438.....	ملحق الخرائط.
443.....	ملحق المخططات.
453.....	ملحق الأشكال.
477.....	ملحق الصور.
519.....	ملحق اللوحات.
525.....	الفهارس.
526.....	فهرس الوثائق.
537.....	فهرس الخرائط.
538.....	فهرس المخططات والأشكال.
542.....	فهرس الصور واللوحات.
547.....	قائمة المصادر والمراجع.
578.....	الفهرس العام.